

نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب

المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ١٥٧٠ ق.م - ١٠٨٧ ق.م

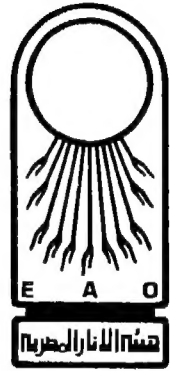
تأليف
الدكتور أحمد قدرى



ترجمة: مختار السويفى محمد العزب موسى
مراجعة: الدكتور محمد جمال الدين مختار

0201756

Libriotheca Alexandrina



وزارة الثقافة
هيئة الآثار المصرية

تصميم وتنفيذ : آمال محمد صفوت الألفي

مطبعة هيئة الآثار المصرية

نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب

المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ١٥٧٠ ق.م - ١٠٨٧ ق.م

تأليف
الدكتور أحمد قذرى

ترجمة: مختار السويفى محمد العزب موسى
مراجعة: الدكتور محمد جمال الدين مختار

ترجمة كتاب

AHMED KADRY
**OFFICERS AND OFFICIALS
IN THE NEW KINGDOM**
STUDIA AEGYPTIACA VIII 34
BUDAPEST 1982

سقوط الحيتس في معركة قادش - الصرح
النابى لمعد الرمسوم - البر العربى بالأفصر



تصدر وزارة الثقافة - هيئة الآثار المصرية - أولى مطبوعاتها في اطار مشروع ثقافى متكامل ، لاجراج مائة كتاب فى السنوات العشر القادمة ، هى ثمار الفكر المصرى والعالمى الأثرى والتأريخى ، عن تراثنا القومى فى عصوره الحضارية التى انبثقت من أرض مصر الخالدة .

والسلسلة التى بدأت بواكيرها بهذا الكتاب تستهدف قضية تراثية بالغة الخطر فى حياتنا المعاصرة ، هى قضية رفع الوعى التأريخى لشبابنا ومواطنينا خاصة ، ولقراء العربية بصفة عامة ، وهى بالمثل تخدم هدفا علميا للدارسين والباحثين فى جنبات هذا التراث .

والله ولى التوفيق

محمد عبد الحميد رضوان
وزير الثقافة

مقدمة المؤلف

الوعى التاريخى والانسان المصرى المعاصر

انقشعت فى سماء الأزمة الاقتصادية التى تفاقمت اعراضها فى الثلاثينات من هذا القرن ، الآمال التى عقدها الغرب الأوربى على معطيات الحرب الكونية الأولى ، وأطلت برؤوسها مدارس فكر تاريخى نعت التاريخ للبشر ودققت موجة من التشاؤم فى الحياة الثقافية والسياسية على حد سواء ، ولقد مثلت فرضيات شبنجلر عن موت الحضارات فى اوروبا والمدرسة الاداتيه عن عبثية التاريخ فى الولايات المتحدة اقم فلسفات عرفتها مدارس الفكر التاريخى ربما منذ عصر الاغريق، افرغت تاريخ البشر من جدواه - لكن سرعان ما كشفت هذه الاتجاهات عن وجهها الحقيقى بتحويلها الى مجرد دعوة سافرة لاسوأ النزعات العنصرية فى الغرب وعلى الرغم من محاولتها أن تحتل موقعا أكاديميا إلا أنها ما انداحت لكى تحل مكانها مرة أخرى للتفاؤل التقليدى للمدارس التاريخ التى خرجت من تحت عباءة الفلسفة الهيكلية منذ القرن الماضى مدشنة كرة أخرى فى رؤية مجمدة مفاهيم وحدة وجدوى التاريخ والارتقاء المطرد للمقومات المادية والفكرية للانسان عبر مسيرته التاريخية المتطولة .

أخذت المدارس الهيكلية الحديثة - خاصة بعد انحسار الموجه العدمية المنوه عنها ، فى تبنى مناهج تترواح بين المثالية والمادية فى تفسيرها لمغزى التاريخ ، وان اتفقت أو كادت فى النهاية - خاصة عند توينبى وسوروكين وكولنجوود وادوارد كار وجوردون شايلد - بكل ما يمثلونه من أجنحة فى الهيكلية المعاصرة ، على تأكيد دور الانسان ووعية بالتاريخ فى تحقيق مستقبل واعد للشعوب . وعلى الرغم من تظاهرات الازمة والصراعات الدولية فى عالم اليوم فقد اخذت هذه المناهج التى أثرت المعرفة التاريخية على نحو لم يستبق فى تاريخ الدراسات التاريخية ، مكانا راسخا فى المراكز الاكاديمية والدوائر الثقافية المحلية أو العالمية على حد سواء وتبنت منظمة اليونسكو هذه الرؤية فى مؤتمر السياسات الثقافية الذى عقد فى المكسيك عام ١٩٨٢ وصدرت التوصيات بأهمية الحفاظ على القوام والهوية القومية لشعوب العالم الثالث والوعى بحركة التاريخ كضرورة لمواجهة تحديات العصر وانجاح خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لهذه الشعوب باثراء وجدان وفكر ذلك الانسان العاكف على تحقيق كرامته المادية والمعنوية من خلال هذه الخطط .

وقد تحققت نهضة الغرب الأوربي بعد ظلام دامس في عصوره الوسطى بالعود الى
الينابيع الكلاسيكية للاغريق والرومان باعتبارها البنية الحضارية التقليدية للقارة الاوربية ، وعاود
الوعي أو العقل الارتقاء عبر التأريخ وخرجت منها عطاءات المدنية الغربية الحديثة في الفن
والفلسفة والمنطق والقانون والعلوم السياسية والتاريخ والرياضة بمثل ما خرجت الالهة الاولمبية اثينا
من رأس اميها زيوس . وبالمثل تفجرت ما يسمى بالثورة الازكيولوجية في علوم الآثار منذ بدايات
القرن التاسع عشر عندما اُهبت كتابات المؤرخين الكلاسيك عن حضارات الشرق الأدنى
القديم — خاصة في مصر وبابل — خيال الرواد الأول في حقل المعرفة الاثرية الوليد ، وكانت
البدايات الحقيقية فك طلاس اللغة المصرية القديمة بواسطة شامليون ، ثم اللغتين البابلية
والسومرية في العراق القديم ، وتتابعت منذئذ في تكثيف بالغ البحوث الفيلولوجية والحفائر
العلمية المنظمة لكي تقدم لنا في النهاية كمأ هائلاً من الوثائق الأثرية تشكل سجلاً أثرياً
واضحاً للبشر في بعده الزماني والجغرافي .

ومجمل الامر اننا نستطيع تتبع مظاهر الارتقاء المطرد في التأريخ بصورة أكثر
وضوحاً في هذا السجل الاثري للبشر بفرز الجانب المادي البحت لهذا التطور بدءاً بتقنية
الادوات الحجرية في عصور ما قبل التأريخ ، ثم تقنية المعادن خاصة البرونز في مراحل الثورة
المدنية والحضارات العليا حتى القرن الحادى عشر ق.م ، عندما نجح الانسان في استخدام
الحديد ، ثم مدينة الماكينة منذ عصر الثورة الصناعية في حضارة الغرب الأوروى ، فالمدينة
العالمية المعاصرة التى نعيشها اليوم ما هى إلا جماع تراكبات جهود الانسان وكده عبر تاريخه
الطويل . وقد تعترى مسار هذا التقدم اعراض من التفاضل أو الانتكاس لكن العين المدققة
سرعان ما ترى فيها سرايا من اشباح الحقائق التاريخية الناقصة وآية ذلك أن هناك جماعات
بدائية معاصرة تجمدت عند حلود الثورة الزراعية لم تتجاوزها ، كسكان استراليا الأصليين أو
بعض جماعات هنود امريكا الجنوبية ، كما أن حضارة عليا هى حضارة حوض نهر الانديز
بشمال الهند توهجت لوهلة قرابة منتصف الألف الثالث ق.م قبل أن تختفى تماماً من مسرح
التاريخ لكي يكتشفها الحفاريون المحدثون في عشرينات هذا القرن ، وعلى الرغم من ذلك فإننا
نكاد نجزم بأن الانسان لم يفقد الى الأبد اختراعا هاما أو انجازا مميزا لحضارة ما ، كما اننا بالمثل
لانكاد نتعرف على اية حضارة أصلية كانت أم تابعة ، لم تتأثر باشعاعات الحضارات الاخرى
سواء تعاصرت معها أو تفرقت عنها زمنيا . ولقد رفدت حضارتا مصر وبابل المدنية الاوربية عبر

الاغريق ثم الرومان بالعديد من عطاءاتها ، فمن مصر خرج التقويم الشمسى والتأثيرات المعمارية والفنية ومعالم من الممارسات الروحية ، وقدمت بابل تقسيم اليوم الى أربع وعشرين ساعة وبعض المعادلات الرياضية والانجازات الفلكية ، ومن أرض كنعان بالحروف الهجائية ، بمثل ما قدمت الحضارة الاسلامية فى القرون الوسيطة عبر الاندلس خاصة الى الحضارة الغربية بعضا من تأثيراتها .

ونستطيع أن نخلص من ذلك كله بمفاهيم محددة عن دور الوعي التاريخى وبانه لا محيص عنه اذا اردنا أن ندقق حركة التاريخ أو بالأحرى التقدم بايقاعات اكثر ايجابية ، وفيه وحده ستمكن من التعرف على وجه اكثر دقة على ذاتنا ، وبالتالي على قدراتنا الكامنة والمحملة فى حنايا وجداننا كأمة من صناعات الحضارة . والحق أن التوازن الثقافى هو النتاج المباشر للوعى التاريخى الذى سيحقق تكاملا وجدانيا وفكريا بين الماضى والحاضر ويرفع عن كاهلنا تراكمات المفاهيم الخاطئة التى تؤثر وجداننا والتى قد تدفعنا احيانا الى المبالغة أو ربما افتقاد الثقة فى بعض معطيات واقعا التاريخى . ويحضرنى فى هذا الصدد بعضا من هذه النماذج من واقع الحضارة المصرية القديمة والاسلامية تحولت الى آراء ثابتة وقرت فى نفوسنا ، أولاها العزلة التى تعانيها الحضارة المصرية عن شقيقتها من الحضارات العربية القديمة والحديثة بافتراض فروق حادة فى طابعها الحضارى العام ، فمنذ البحوث الفيلولوجية المقارنة لادوارد ماير منذ بواكير هذا القرن والتى تدعمت بادلة لبحوث لاحقة تأكد الطابع السامى أو العربى القديم للغة المصرية القديمة سواء فى مفرداتها أو قواعدها ، فهى مثل اللغات السامية تحمل خصائص مشتركة كالجملة الفعلية والمثنى وتاء التأنيث وصيغة النسبة والجذر الثلاثى للفعل وإهمال كتابة الحروف المتحركة وكما ألمحنا فان الوعي التاريخى وحده سوف يؤكد تدفق عطاءات حضارتنا واستمراريتها عبر الحقب التاريخية المتتابعة . وتتناول ثانى هذه النماذج المفهوم الشائع عن الفرعون فى مصر القديمة وربما استقر هذا المفهوم بسبب تفسير خاطئ فى الماضى على الرغم أن التكليف بالرسالة الذى فرضته شريعتنا الاسلامية السمحاء لاينطبق على الأرجح الا على فرعون الخروج دون سواه . وواقع الامر أن مفهوم الالهية الملكية لم تحل دون أن تقيد سلطات الفرعون الاوتوقراطية قواعد صارمة للعدالة متجذرة فى اعماق التقاليد الدينية والسياسية والاخلاقية على نحو شكلت فيه هذه القواعد الضابطة نفحة رئيسية فى ايقاعات ممارسات الملك ورجال الدولة والافراد على حد سواء ، وقد اطلق على هذه القواعد التى شكلت نظاما شاملا لمفاهيم العدالة باسم «ماعت» التى مثلتها الهة هى ابنة اله الشمس رع وتعنى فى عالم

الدولة والمجتمع العدالة والنظام والصدق بينما تعنى فى عالم الكون والطبيعة الانساق والانسجام فماعت هى العدالة على الارض والترابط فى مظاهر السماء وهما وجهان لعملة واحدة يعمل قانونها المقدس فى تكامل لا انفصام فيه - ولايكاد يخلو نص ملكى من معنى يعكس التمسك بمفهوم ماعت كقيمة علمية وروحية . وصور الفراعنة فى مقابرهم أو على جدران المعابد يقدمون رمز ماعت للآلهة أو يتلقونها منهم على نحو لم تحد عنه التقاليد المصرية طوال عصور ازدهارها .

ولقد كانت العدالة الصفة الأكثر تحديدا التى تصحب الفرعون الى العرش ووظيفته كملك تهدف الى تحقيق الرفاهية العامة للمصريين وفرض العدالة على ارض مصر - وفى بردية وستكار تشير البردية الى فراعنة الاسرة الخامسة بانهم سيحملون اعباء ملوكيتهم المقدسة والخيرة الى كل ما تحيط به الارض ، فالحب سلاح الفرعون والرقعة هى شمائله كما تذكر احدى النصوص وهو الاله الطيب كما يلقب وعندما ينتقى موظفيه وكبار رجال دولته فانهم دائما الانقياء لطهرة أيديهم والمضمخة بعقيق ماعت أو العدالة .

وفى تاريخنا الوسيط فى مصر الاسلامية كانت سلطة فرسان الممالك ظاهرة عمت بلدان الشرق منذ عصر المعتصم العباسى وهى ظاهرة كانت متسقة مع الظروف السياسية والاجتماعية السائدة على ذلك العهد - ولقد رى هؤلاء الممالك بعد جلبهم اطفالا على آداب الاسلام وعلى اصرم التقاليد الحربية وأنفصمت كل صلة لهم باصولهم البعيدة خارج الحدود الاسلامية وارتبطوا بمصر بوشائج اللغة والثقافة وقدموا خاصة - منذ تسنموا السلطة فى عصر دولتى الممالك البحرية والبرجية منذ قرابة منتصف القرن الثالث عشر حتى بداية السادس عشر الميلادى - عطاءات بالغة الخطر حالت بكل المقاييس دون تحولات ثقافية وعقائدية عميقة محتملة ربما لمصر والشرق الادنى الاسلامى بدحرهم جحافل المغول فى عين جالوت تحت قيادة قطز بعد اندفاعهم المدمر وتقويضهم لبغداد ، وقد قاد السلاطين المصريين جيوشهم فى صراعات لم تخف اوازها طوال عهود الممالك المصرية وقد قضى الاشرف خليل بن قلاوون على الخطر الصليبي الاستيطاني بعد تهديد للعالم الاسلامى والبقاع المقدسة ارنى على القرنين - وقد مثلت هذه النخبة العسكرية التى تمصرت وأسلمت اصدق اسلام أرفع فضائل الجندية والفروسية فى القرون الوسيطة ستظل هى والانجازات الحربية الجليلة التى قدموها من أعظم ملاح تاريخنا الحربى المصرى والاسلامى على حد سواء - ولقد بلغت عطاءات الروح

المصرية الاسلامية فى العمارة والفن فى مصر والقاهرة التاريخية الذروة فى العبقريّة فى عصورهم التى ازدهرت بعبقريّة هذه الروح - وعلى الرغم من كل هذه الحقائق نجد مؤرخين محدثين بل نصوصا كاملة فى برامج التعليم تتناولهم باعتبارهم غزاة اجانب اذلوا المجتمعات الاسلامية التى حكموها - وليس هناك ما هو ابعد - فى تقديرى - عن روح العصر من ازجاء مثل هذه الاحكام على هذه الطبقة التى لعبت دورا بالغ التأثير فى الحياة السياسية والاجتماعية لمصر والعالم الاسلامى أثبت على قرون عديدة - فضلا عما قد يترتب على مثل هذه الاحكام من اجتراح لوجدان وفكر شبابنا المعاصر ..

ولقد عزى المؤرخ التربوى على مبارك - أحد أعمدة حياتنا الفكرية والادارية فى القرن الماضى - فى عمله الشهير باسم الخطط التوفيقية ضعف المسلمين والامم الشرقية الى اهمالهم للعلوم التاريخية ، وهى رؤية مازالت بعد نيف ومائة عام تتعثر على استحياء على الرغم من ضرورات التخطيط القومى الشامل فى اطار جهد تربوى وتعليمى وثقافى مكثف لرفع الوعى التاريخى لشبابنا ومواطنينا وعبور برازخ الاغتراب - الذى مازلنا نعانى منه - مع تراثنا القومى باعتبار ذلك - فى تقديرى - أخطر وأجل قضية ثقافية قومية فى عصرنا الحديث .

وانطلاقا من هذه الرؤية لمفهوم ودور التاريخ فى وعى الانسان المعاصر جاءت هذه السلسلة لمشروع المائة كتاب التى اقترتها اللجان العلمية بهيئة الآثار تستهدف ترجمة ونشر مائة كتاب فى علوم الآثار والتاريخ القديم اسهاما فى رفع الوعى التاريخى العام للانسان المصرى المعاصر بكل ما يمثله ذلك من اهمية بالغة و مستقبل وطننا الثقافى والحضارى بوجه عام .

لقد حان الوقت لكى نبادر نحن المصريين من موقع رؤية فكرية ووجدانية مرتبطة بجذور هذا الوطن فى كتابة تاريخه الحضارى فى استقلالية علمية عن المصادر التقليدية الاجنبية التى تصدت لتقديم العديد من المناظر التاريخية عن حضارتنا ليتعين علينا مراجعتها اما بالاقرار أو التعديل أو الاضافة .

وتراودنا جميعا فى هيئة الآثار المصرية الآمال العريضة فى ان يكون لهذا المشروع الى جانب الجهود التى بذلت من قبل فى هذا الحقل من قبل الاثريين والمؤرخين المصريين من الرعيل الأول آثاره فى رفع الوعى التاريخى والأثرى لجماهير شبابنا ومواطنينا .

ولا يسعنى إلا ان اتقدم بصادق الشكر لاساتذته الزملاء الذين اسهموا فى اخراج هذا العمل الى النور.

وعلى الله قصد السبيل .

د. احمد قلىرى

مقدمة الترجمة

شاء الحظ الحسن أن يهدينى الدكتور أحمد قدرى نسخة من هذا الكتاب ، الذى يتضمن رسالته للدكتوراه ، التى قدمها إلى جامعة بودابست بالجر ، مكتوبة باللغة الانجليزية .

وكنت موشكا على القيام برحلة إلى أمريكا ، فاصطحبت الكتاب معى ، ربما من قبيل الرغبة فى استمرار قراءتى فى التاريخ المصرى ، ولو فى بلاد الغربة .

وهكذا أتيت لى الفرصة لكى أعايش النقيضين ، فبالنهار كنت أرى أحدث ما وصلت إليه الحضارة والتقدم والمدنية ، وحين أهجع بالليل لاستريح ، أعايش هذا الكتاب الممتع الذى يجعل النفس تفيض بعظمة الحضارة المصرية القديمة ، باعتبارها أقدم وأعظم حضارة ومدنية فى تاريخ الانسان على الارض .

ومن المعروف المسلم به لدى كثير من المؤرخين العالمين وعلماء المصريات ، أن مصر هى أم الحضارات ، ومن مصر بدأ كل شئ . ولقد وضع المصريون القدماء أسس الكتابة بالحروف الابدئية ووضعوا أيضا أسس العلوم الطبيعية ، وأسس الفن والأدب والدين ، ومبادئ الاخلاق والسلوك الانسانى والتنظيم الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للدولة .

وبما أدهشنى وجعلنى أشعر بالفخر كمصرى ، ذلك البحث المستفيض الذى اجراه الدكتور أحمد قدرى لاثبات أن المصريين القدماء هم الذين ابتدعوا أيضا المبادئ والأسس التى قام عليها علم الاستراتيجية وعلم التكتيك وفنون الحرب وتنظيم الجيوش الكبرى ، ووضع خطط المعارك الحربية التى مازالت حتى الآن محل دراسة بأكاديميات الحرب الحديثة فى كل مكان ، بل والتى أعاد تطبيقها - أو استرشدوا بها واستوحوها - عتاة القادة العسكريين فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) والحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) . مثل الخطط العسكرية المصرية القديمة التى استوحاها الفيلد مارشال اللورد اللنبى والفيلد مارشال مونتجومرى .

ويعلم القراء الأجلاء أن هناك عدة آلاف من الكتب والمؤلفات والبحوث الأجنبية والمصرية التي تتناول التاريخ المصرى القديم بالدراسة . ولا يخفى أن الأغلبية العظمى من هذه الكتب تتناول هذا التاريخ على أساس السرد والتقرير ، ومع ذلك فهناك من بينها بعض الدرر النادرة التي تتناول هذا التاريخ بالتحليل والتفسير .

وبطبيعة الحال فإن معظم - إن لم يكن كل - هذه المراجع النادرة في تحليل التاريخ المصرى القديم وتفسيره ، من تأليف أئمة المؤرخين وعلماء المصريات الأجانب أمثال : بريستيد وجاردنر وويلسون وكثيرين غيرهم من أعظم المحللين الذين كانت لهم رؤياهم العلمية الخاصة في تفسير الأحداث واستخلاص النتائج من واقع مئات الآلاف من النصوص المنقوشة على جدران المعابد وسرايب المقابر وعلى واجهات النصب التذكارية والمسلات والنصوص المدونة بالبرديات .

وفى تقديرى أن كتاب الدكتور أحمد قدرى يعتبر من هذه الزاوية ، إضافة مصرية صميمة لتلك الدرر النادرة التي كتبها كبار علماء المصريات فى شرح وتحليل وتفسير معالم التاريخ المصرى القديم ، كما أن موضوعه على جانب كبير من الخطورة والاهمية العلمية . فهو يتناول طبقة الضباط العسكريين المصريين ، والدور الذى قامت به المؤسسة العسكرية فى تكوين أول أكبر امبراطورية فى تاريخ العالم القديم .. امبراطورية تمتد من الفرات وحدود آسيا الصغرى فى الشمال ، وحتى الجندل الرابع على نهر النيل فى الجنوب .

وفى مدينة سان فرانسيسكو ، وهى أبعد ما تكون عن مصر تجاه الغرب ، جعلنى هذا الكتاب أقرب ما اكون إلى مصر ساكنة القلب ، وهناك لاح لى خاطر الاستئذان من الدكتور أحمد قدرى فى ترجمة هذا الكتاب إلى قراء العربية .

ولعل الذى دفع هذا الخاطر إلى نفسى ، الاحساس المؤلم بأننا - نحن المصريين - أكثر الشعوب المتنورة إهمالاً لتاريخها القديم التليد ، فمعظم شعوب العالم فى مشارق الأرض ومغاربها تتمتع بقراءة ذلك السيل المنهمر من الكتب والمراجع والمؤلفات التى تتناول التاريخ المصرى القديم والحضارة المصرية القديمة بمختلف لغات العالم الحية مثل الانجليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية والايطالية واليابانية وغيرها من اللغات الأخرى ..

ومع ذلك فإن من المؤسف ان مثل هذه الكتب الواسعة الانتشار والمطبوعة على أفخر أنواع الورق المصقول وبأعلى مستويات الطباعة وتنسيق الألوان ، لاتتاح عادة لقراء العربية - وخصوصاً المصريين - وهم اولى الناس بقراءتها .

أليس من المدهش إذن ألايعرف المتعلمون المصريون عن تاريخ بلادهم القديم إلا شذرات لاتغنى شيئاً ، بل وقد يكون أغلبها مغلوطاً ومخلوطاً بالخرافة .. وفي نفس الوقت يدرك المتعلمون ومحبو الثقافة فى جميع أنحاء العالم أبعاد الحضارة المصرية القديمة بمعظم تفاصيلها التاريخية ويقبلون بنهم على قراءة التاريخ المصرى باعتباره موضوعاً مفضلاً محبباً إلى النفوس ..

وأليس الأغرب من ذلك ، أن بعض الدراسات المقارنة فى علوم التربية ، أكدت أن المعلومات التى يتلقاها الصبى الفرنسى فى المرحلة التعليمية الأولى عن التاريخ المصرى القديم ، تفوق فى قدرها كل المعلومات التى يحصلها خريج الجامعة فى مصر ..

أليس من المحتمل إذن أن يعيد مثقفونا النظر فى هذا الموقف الغريب من تاريخنا القومى القديم ، وأن تكون هناك خطة لنشر الوعى الحضارى والتاريخى بين المصريين .. من المؤكد أن ذلك واجب مقدس يجب أن تتولاه جهة أو جهات ما ، تعمل على وضع تلك الكنوز الهائلة من كتب التاريخ المصرى أمام أعين المصريين وخصوصاً جيل الشباب المتعلم الذى اختلط عليه الأمر وظن أغلبهم أن تاريخ مصر يبدأ فى العقد الأول من النصف الثانى للقرن العشرين .. وكأن لم تكن هناك آلاف السنين الأخرى التى وقفت فيها مصر تاجاً على قمة رأس تاريخ الانسان وتاريخ الشعوب فى كل أرجاء الأرض .

و بمجرد أن قرأ صديقى الاستاذ محمد العزب موسى هذا الكتاب بلغته الانجليزية حتى تحمس له الحماس كله ، وشجعنى وشد ازرى حتى اشرع فى ترجمة الكتاب فوراً وعلى أن أفرغ له حتى انتهى منه فى أقرب فرصة ممكنة .

والصديق الاستاذ محمد العزب موسى معروف بحبه وولعه الشديد بالتاريخ المصرى ومعالم الحضارة المصرية ، وانتاجه الغزير المتميز الذى كرسه لتمجيد هذا الحب ، والمتمثل فى كتبه العديدة المؤلفة والمترجمة وعشرات من مقالاته التى تتناول ذلك التاريخ وتلك الحضارة

تناولاً علمياً هو مزيج من دقة البحث والاحساس العظيم بالفخر . ولم لا وقد بدأ هذا الحب للتاريخ المصرى والحضارة المصرية يغزو قلوبنا منذ أن كنا معاً متزاملين فى كل مراحل التعليم من ابتدائية وثانوية وجامعية وعليا ، ومازال هذا الحب للتاريخ يملأ قلوبنا حتى الآن ، نرويه دائماً بالقراءة والأطلاع على أحدث ما تصدره المكتبات العالمية من كتب المصريات ، وزياراتنا المتكررة والمستمرة لجميع المناطق الأثرية المصرية فى طول البلاد وعرضها .

و شاء الحظ الحسن مرة اخرى ، أن يشترك معى الاستاذ محمد العزب موسى فى ترجمة هذا الكتاب ، إلى اللغة العربية ، ووضعنا خطة العمل على أساس أن أقوم بترجمة الجزئين الأول والثانى ، وأن يقوم هو بترجمة الجزء الثالث ، كما يقوم بمراجعة ما ترجمته وأقوم بمراجعة ما ترجمه ، ولهذا فنحن على يقين من مطابقة الترجمة للأصل تماماً ، وعلى يقين بوحدة الاسلوب والصياغة فى الكتاب المترجم كله من أول كلمة فيه حتى آخر كلمة .

كذلك فقد قمنا بتحديد أكثر من مئتى موضع فى مختلف صفحات الكتاب مما كان يلزم لها إضافة هامش مختصر يتضمن المعلومات اللازمة لتحقيق المزيد من الايضاح والاضاءة العلمية والتاريخية أمام القارئ غير المتخصص ، وقد كتبنا بعض هذه الهوامش الاضافية مما اسعفتنا به سرعة البحث ، أما القدر الأعظم والغالبية العظمى من هذه الهوامش والتي احتاجت إلى بحث متأن وتخصص علمى لا ندعيه ، فقد تولاهما الاستاذ الدكتور جودت جبيرة بما عرف عنه من الدقة الفائقة فى البحث وتكثيف المعلومات .

وعشمننا أن نكون عند حسن ظن القارئ مع كل تمنياتنا الطيبة فى وقت ممتع مع الكتاب .. ومع التاريخ العظيم .

وبارك الله فى كل من يضىء الطريق أمام المصريين .

مختار السوينى

أول مايو ١٩٨٥

مقدمة المراجع

تاريخ مصر الفرعونية من أجل تواريخ الأمم وأعظمها وأرفعها شأنًا ، ومجدها العريق قد ملأ أسماع الدنيا وسيظل يملؤها ما جرى ماء النيل ، وبقيت أرض مصر ، وتراثها التاريخي والحضاري تراث ضخم عريق مجيد ، قل ان يتوفر مثله لشعب من شعوب الأرض أو تفضمه أرض أمة من أمم الدنيا .

والحديث عن تاريخ مصر وحضارتها وتراثها يطول ، فقد تناولته أحاديث العلماء في قاعات الدرس وأبحاث الباحثين في مراكز البحث ، ولكن لا يزال أكثر المصريين يجهلون ذلك التاريخ ، بل ان معظم خاصتهم وعامتهم لا يهتمون به أو يحفلون بمجودته ، بل أن البعض قد ينفر منه أو يحاول الابتعاد عنه .

ولقد أدركت هيئة الآثار من خلال مزاولتها لأعمالها وممارستها لمسئوليتها هذه الحقائق التي تدور حول عظمة أجدادنا من ناحية وتشير إلى تباعدنا عنهم من ناحية أخرى ، كما آمنت بمفاهيم وقيم أساسية في بناء الشعوب نذكر منها على سبيل المثال :

– ان التاريخ والآثار من أهم الوسائل التي تعمق الشعور بالانتماء القومي إلى مصر وإلى الاعتزاز بكل ما هو مصرى وإلى الارتباط بأرض هذا الوطن .

– ان من المستحيل ان نفهم أنفسنا ونقدر قدراتنا إلا إذا المنا بماضيها الذى نحن من صنعه ونسيجه ، بل ان فهمنا لماضيها ما هو إلا فهم لنواتنا .

– ان تتبع مسيرة تاريخنا وحضارتنا ، بسليباتها وإيجابياتها ، بطفراتها وخبواتها على مدى آلاف السنين لجدير بان يزرع الثقة في نفوسنا ويساعدنا على تخطي النكسات والكوارث التي تبدو في ضوء استمرارية الوجود المصرى ظواهر وقتية وطارئة .

ان أية نهضة حضارية أو طفرة ثقافية لابد أن تبدأ بالبحث عن الجذور والاعماق وأن بلورة

الانسان المصرى لمستقبل مشرق لا بد أن تمتد إلى الماضى وأن يعتمد على تعميق الوعى بالتاريخ والتراث والحضارة المصرية فى مختلف عصورها .

– ان الوعى التاريخى والأثرى يُكمل الثقافة القومية ويُبرز الشخصية الوطنية ويُحدث التكامل بين الماضى والحاضر والمستقبل .

– ان معرفة تاريخنا واجب مقدس يملئنا عليه علينا صوت الحق والعدل ويدفعنا إليه ما تنطوى عليه أنفسنا من حب لمصر ، فهؤلاء الاسلاف قد بنوا لنا هذا الوطن الكريم وحضروه ورفعوا فى العالمين ذكره ، فمن ثم فانه لواجب على كل مصرى يفرضه العدل ويحتمه الوفاء ، ان يجلى حقائق ذلك التاريخ ويكشف عن عظمتة واصالته ، ويسجل روعه وبهاء حضارته ويصفيه من شوائب الباطل واراخيف الحاقدين .

ومن هذا المنطلق قررت الهيئة العامة للآثار المصرية اخراج سلسلة كتب ثقافية ، تاريخية ، أثرية ، اسمتها «نحو وعى حضارى معاصر» سوف تضم فى مرحلة انتاجها الأولى مائة كتاب تتناول سواء بالتأليف أو بالترجمة موضوعات تاريخية وأثرية وحضارية من مختلف عصور مصر ، راجية أن تجلو بذلك نواح هامة فى حضارات مصر الخالدة ، وان تحول تاريخ البلاد إلى قصة حية ، يلعب جيلنا أحد فصولها ، كما تنظر فى أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية والفنية والأدبية ، وتتناول بالبحث والدراسة حالة البلاد السياسية والحربية وكذا مبادئها الروحية ومثلها الاخلاقية .

وقد عهدت هيئة الآثار إلى مشاورة أمر مراجعة ترجمة كتاب ممتاز من كتب تلك السلسلة هو كتاب (المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية : ١٥٧٠ ق.م – ١٠٧٠ ق.م) الذى قام بتأليفه الدكتور أحمد قدرى وترجمة الاستاذان : مختار السويفى ومحمد العزب موسى ، وهو كتاب علمى جاد ، كما انه مشوق وممتع فى نفس الوقت .

يتناول هذا الكتاب موضوعا تاريخيا بالغ الأهمية ، الا وهو «دور المؤسسة العسكرية المصرية فى عهد الدولة الحديثة» تلك المؤسسة التى بدأت تلعب دورا رئيسيا فى حكم مصر بعد طرد الهكسوس منها ، فلقد اكتسب المصريون موعظة هامة بعد أول احتلال

لبلادهم فبدأوا فى تكوين جيش عامل ، كبير ، منظم ، زودوه بالعجلات الحربية التى تجربها الخيول ، وهذا الجيش العظيم تكونت امبراطورية ضخمة من أوائل الامبراطوريات التى عرفها التاريخ ، ضمت إلى مصر أرض السودان وفلسطين وسورية وبعض بلاد النهرين أى امتدت على حد تعبير المصريين القدماء «من قرن الأرض حتى أطراف المياه المعكوسة» أى من وراء الجندل الرابع فى السودان إلى منعرج نهر الفرات فى أطراف سورية الشمالية الشرقية .

هكذا أصبح لمصر جيش قائم دؤوب مستعد للزحف والقتال كل وقت ، لا يُسرح جنوده بعد انتهاء الحرب ، بل يظلون فى معسكراتهم طوال فترة السلم ، يؤلفون فى البلاد طبقة قائمة بذاتها ، على رأسها تلك المؤسسة العسكرية التى يتناولها بالبحث والدراسة كتابنا هذا .

ومما لاشك فيه أن هذا الكتاب قد ألم بأعضاء تلك المؤسسة العسكرية ، شارحا ما قاموا به من أعمال وما أدوه من أدوار فى فترة من أعز فترات التاريخ المصرى على قلوبنا ، ومن ألعها وأروعها لأصالتها وقدمها وقوة تأثيرها على عالم ذلك الوقت . كذلك نجح المؤلف وكذا المترجم فى عرض الموضوع عرضا صادقا واضحا ، لا ابهام فيه ولا تهويل ، كما وفق كاتبه فى ازالة الجمود والغموض الذى يكتنف ناحية من أبرز النواحي لعصر مصر الذهبى ، الذى استمر قرابة خمسمائة عام ، ناهجين فى نفس الوقت نهجا أكاديميا وعلميا سليما .

وقد خرجت بعد دراستى لهذا الكتاب بأفكار وآراء جديدة بالتسجيل ، أذكر منها :

– ان ذلك الزعم أو الرأى القائل بان شعب مصر القديمة كان عزوفا عن القتال كارها له ، وانه كان ينفر من الحرب ويبعد عنها نتيجة لعجزه عن ممارستها وعدم ميله للاقدام عليها ، لزعم كاذب ورأى باطل . انه لو اوضح من ثنايا هذا الكتاب أن المصريين القدماء كانوا بالفعل شعبا مسالما طالما كان ينعم بالاستقرار والسلام . ولكن نظرا لتغير الأمور بعد غزو الهكسوس وتصميم الشعب المصرى على طردهم بالقوة المسلحة ، فقد دعا عندئذ داعى الحرب فهب الشعب المصرى عن بكرة أبيه يحمل السلاح ، وكون جيوشا نفرت للزحف والنزال وكافحت فى جراءة واستبسال ، تقودها تلك المؤسسة العسكرية الحاذقة ، التى سيطرت على مقاليد البلاد بكفاءة

وأمانة واضحتين . لقد أمنت تلك المؤسسة الجبهة الداخلية تأميننا تاما ، كما سلحت الجيش بأحدث ما عرف وقتئذ من الأسلحة والعدة والعتاد ، وعملت في ولاء تام تحت قيادة فرعون العليا رفعت اسم الوطن في الداخل والخارج ، وأفردت له في تاريخ الأوطان صفحة من ذهب .

- ان المعركة في الدولة الحديثة لم تكن مجرد تلاقى رجال في ساحة القتال ، لكنها كانت عملا يلعب فيه التدير والتحضير دورا كبيرا . لقد كان على تلك المؤسسة العسكرية أن تختار الميادين الصالحة للقتال ، وكان عليها أن توزع الجيش بنظام وتقسم القوات إلى قلب وجناحين ، كما تستخدم الخدع الحربية وتقوم بحركات الالتفاف والمباغرة وكانت تُثم ذلك في مهارة حربية فائقة ووفق تدير عسكرى دقيق .

- ان قصص البطولة وأخبار النصر قد الهبت الشباب في عهد الدولة الحديثة فأمن بالحياة العسكرية وانخرط في صفوف الجيش وقد أكثرت الحكومة من ترغيب الشعب واغرائه بالخدمة في الجيش وذلك بكثرة ما أعطت أبطاله من الأرض وحلقات الذهب وشارات الشجاعة وألقاب التشريف والتعظيم ، فزاد الاقبال على الجيش اقبالا ازعج بعض المسئولين خوفا من النقص في اعداد الموظفين الذى استلزمه اتساع أعمال الدولة في الداخل والخارج ، حتى اضطروا إلى الشكوى ، كما نرى آثار ذلك واضحة في نفثات أقلامهم .

- ان تربية القادة والضباط من أفراد تلك المؤسسة العسكرية كانت تتطلب كثيرا من التربية العسكرية والثقافة السياسية مما اقتضى المصريين أن ينشئوا مدرسة حرية في منف يتلقى فيها الشباب ، فنون الحرب والرياضة العسكرية وغير ذلك من المعلومات والثقافات اللازمة لهم ، وكان في مقدمتهم ولى عهد فرعون وبقية أبنائه .

ان مصر استطاعت بقيادة رجال تلك المؤسسة أن تصد تلك القوى الحاقدة أو الطامعة كالميتانيين والحيشيين وشعوب جزر البحر المتوسط وأن تثبت أمام تحديات الزمن .

وقد أضافت الطبعة العربية إلى متن الكتاب فقرات تتعلق بأشخاص وأماكن أو أحداث ، قد لا يفهمونها إلا من له الملم كبير بالتاريخ أو الآثار لمصر القديمة أو قد تبدو غامضة تحتاج إلى شرح وإيضاح ، كما حفل الكتاب بما يزيد على خمسين صورة وشكلا ، وزود بالمراجع والمصادر الرئيسية .

وأخيرا لعل القارئ أن يجد في هذا الكتاب ما يُغذّي العقل ويُثري الفكر ويُرفف الحس ويُرضي النفس .

والله ولي التوفيق

د. محمد جمال الدين مختار

١٩٨٥ / ٥ / ٢٤

الجزء الأول

مصر خلال عصر الامبراطورية

ويتضمن الفصول التالية :

مقدمة : ظهور الطبقة العسكرية الجديدة وزوال نفوذ طبقة الموظفين المدنيين في طيبة

الفصل الأول : الجيش الامبراطورى للأسرة الثامنة عشر
الفصل الثانى : الأحوال الاجتماعية للطبقة العسكرية الجديدة فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

الفصل الثالث : الدور السياسى والادارى والأيدىولوجى للطبقة العسكرية الجديدة قبيل أزمة العمارنة .

الفصل الرابع : الخلفية الثقافية للضباط وتأثيرهم فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

مقدمة

ظهور الطبقة العسكرية الجديدة وزوال نفوذ طبقة الموظفين المدنيين في طيبة

كانت مصر لا تهتم كثيراً بمجاراتها من الدول والشعوب ، خصوصاً بالنسبة للشعوب التي كانت تقطن فيما وراء حدودها الشمالية الشرقية . وظلت هذه اللامبالاة قائمة خلال عصر «الدولة القديمة»^(١) و «الدولة الوسطى»^(٢) .

ولكن هذا الوضع تغير كثيراً في عصر «الدولة الحديثة»^(٣) خلال النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد .

وكانت تجربة إحتلال الهكسوس^(٤) لأرض مصر واذلال شعبها ، تجربة مؤلمة وقاسية جداً على المصريين ، فقد علمتهم درساً لم ينسوه خلال تاريخهم التالي ، بعد أن حرروا بلادهم من هؤلاء الغزاة .

كان المصريون يشعرون بالخطر الكامن في تلك القبائل الرعوية التي نظمت نفسها واستوطنت في بعض مناطق سوريا وفلسطين ، والتي كانت تهدد الحدود الشرقية لمصر بين حين وآخر .

وكان هذا الخطر وحده كافياً لاجبار فراعنة طيبة من ملوك الأسرة الثامنة عشر^(٥) على اعادة النظر في جميع النظم الحربية والادارية التي كانت سائدة بمصر حتى ذاك الزمن . وظهرت بالتالى أفكار جديدة متحررة ، وضع على أساسها نظام الحكم في تلك الفترة .

لقد اعتنق سادة الحرب الجدد من أبناء وأحفاد الأمراء المحاربين العظام الذين قادوا حرب التحرير ، مبدأً جديداً. تبلور في هدف رئيسي واحد ، هو توجيه معظم موارد الدولة لإنشاء وتنظيم جيش قوى اعتبر بكافة المعايير ، أقوى الجيوش العسكرية التي ظهرت في تاريخ العالم القديم كله .

وكان هذا الجيش خاضعاً لسلطة مركزية تتمثل في سلطة الفرعون وإرادته ، وهي سلطة منبثقة من «الحق الإلهي» للملك ، طبقاً لنظام الحكم الذي كان سائداً بمصر في تلك الفترة .

وكان من أهم الأهداف الاستراتيجية لهذا الجيش ، إعادة السيطرة المصرية على أرض كوش «النوبة» التي تقع وراء حدود مصر الجنوبية .

ويقول أحد المؤرخين في دراسة له عن حرب التحرير التي شنّها المصريون لتحرير بلادهم من الهكسوس : «حتى يتم القضاء نهائياً على الهكسوس الذين قدموا من آسيا بأساليب وفنون حرية جديدة ، كان لابد أن يتمسك المصريون بعمقهم الاستراتيجي في أفريقيا ، للدرجة يمكن أن يقال معها ، أن الحرب التحريرية التي شنّها المصريون ضد الهكسوس ، كانت بالفعل حرباً بين أفريقيا وآسيا» .

وبالتالي فقد أصبحت تلك الفكرة الاستراتيجية ضرورة حتمية اعتنقتها مصر حتى أواخر تاريخها الفرعوني القديم .



ومن نتائج تلك الفترة أيضاً أن تغيرت بعض المفاهيم الدينية التي كانت راسخة من قبل ، فقد اكتسبت طبقة النبلاء الذين كانوا يعيشون في عصر الأسرة الثامنة عشر حقوقاً دينية جديدة ، تظهر جلية في المناظر المنقوشة «بمقابر النبلاء»^(١) بغرب طيبة .

كذلك فقد حدث تطور مماثل بالنسبة للحقوق التي اكتسبتها طبقة العسكريين الجدد التي نشأت حديثاً .

لقد توحدت البلاد في دولة واحدة ، ولم يعد هناك أى تسامح ازاء النزعات الاقطاعية كتلك التي كانت سائدة من قبل في فترتي الاضمحلال الأولى والثانية .

وكانت مصر قد عانت كثيراً خلال فترتي الاضمحلال اللتين سادتا نظام الحكم في مصر بعد سقوط «الدولة القديمة» في المرة الأولى ، وبعد سقوط «الدولة الوسطى» في المرة الثانية^(٧) . بل أن ظلال الاقطاع ظلت سائدة لدرجة ما في عهد ملوك الدولة الوسطى أنفسهم .

ولكن الحال تغير تماماً في عصر الدولة الحديثة ، ابتداءً من ملوك الأسرة الثامنة عشر ، الذين اختطوا للحكم نظاماً شمولياً مركزياً ، يخدم الهدف الاستراتيجي المتمثل في إنشاء المؤسسة العسكرية الكبرى ، ذات القوة الهائلة التي تهدف الى توفير الأمن الاستراتيجي لمصر .

وكان التصاعد المستمر في طبع المجتمع المصري بالطابع الحربي ، ضرورة حتمية لمواجهة الأخطار التي تهدد مصر من جهة الشرق .

وبصفة عامة فإن هؤلاء الضباط الذين ظهوروا في بداية عصر الأسرة الثامنة عشر ، كونوا طبقة اجتماعية اقتصادية جديدة ، تستمد أهميتها ونفوذها من المهام الكبرى التي كانت ملقاة على عاتقهم في كل من المجالين العسكري والمدني .

وفي رأيي أن الأسباب المتراكمة التي أدت في النهاية إلى حدوث «أزمة العمارنة» أيام «أخناتون»^(٨) يمكن إرجاعها الى تلك التغييرات الهائلة ذات الطبيعة الاجتماعية ، والتي طرأت على نظام الحكم في مصر في تلك الفترة ، والتي كانت نتيجة مباشرة لظهور الطموحات العسكرية الجديدة .

وبطبيعة الحال ، فقد بدأ صراع مرير بين هذه الطبقة الجديدة ، وطبقة الكهنة التي كانت تتحكم في طيبة ، بكل ما في جعبتها من أفكار وعقائد «طيبيية» الأصل والمنشأ . وقد ظهرت معالم هذا الصراع بين الطبقة العسكرية الجديدة وطبقة النبلاء القديمة ، وتركت آثارها على مؤسسات نظام الحكم ، سواء في الادارة أو في الاقتصاد ، بل وفي العقيدة أيضا .

لقد كان هؤلاء الضباط مسلحين بالعلم والثقافة الرفيعة طبقا للنظم التعليمية التقليدية التي كانت سائدة بمصر ، الى جانب ما تزودوا به من علوم وفنون عسكرية تناسب طبيعة العصر الجديد .

ولذلك فقد كانت نتيجة الصراع بين هاتين الطبقتين في صالح طبقة الضباط العسكريين ، على حساب طبقة نبلاء طيبة القدامى الذين كان قد استبد بهم الضعف ، وأوشكت شمسهم على المغيب .

ولا شك في أن هذه التغييرات الإقتصادية والإجتماعية التي طرأت في بنية نظام المجتمع المصري ، أدت في خلال النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشر ، إلى ظهور الدلائل والمؤشرات التي تساعدنا كثيراً في فهم أسباب حدوث أزمة «العمارنة» .

وفي تقديري أن المعلومات والآراء العلمية الشائعة بين بعض المؤرخين ، عن طبيعة الصراع الذي قام بين فراعنة النصف الثاني من الأسرة الثامنة عشر وكهنة طيبة ، هي آراء مبالغ فيها إلى حد بعيد ، فالحقيقة أن الصراع الفعلي كان قائماً ومحتدماً بين طبقة الضباط العسكريين التي نشأت حديثاً ، وبين طبقة النبلاء المتمثلة في العائلات الكبيرة القديمة في منطقة طيبة .



ولعل أفضل وأوضح الأمثلة على حدوث مثل هذا الصراع ، قصة حياة «سننموت SENENMUT»^(١٠) ، ذلك المهندس الشهير الذى كان أقرب المقرين فى بلاط الملكة «حتشبسوت HATSHEPSOWE»^(١١)؛ فمن خلال تلك القصة التى حاول فيها أحد المصريين العاديين أن يسلك طريق الجندية ، لكى يصل إلى تلك المنزلة الرفيعة فى البلاط الملكى ، فى فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، نستطيع أن نصل إلى نتائج ومعالم ملحوظة .

لقد حصل «سننموت» على إذن وتصريح خاص من سيدته الملكية ، بأن يقوم بشعائره الدينية الخاصة .

ولعل هذا كان وراء السبب الذى دفعه إلى استغلال مهارته ومواهبه الهندسية فى نقش صورته على جدران بعض المحاريب الداخلية بمعبد الدير البحرى^(١٢) الذى كان يتولى الإشراف على بنائه بأمر صادر من الملكة [صورة ١]. وقد وضعت صوره هذه فى زوايا مظلمة ، وفى مناطق تصعب فيها رؤيتها واكتشافها .

وبالإضافة إلى ذلك ، وبعد أن قام «سننموت» ببناء مقبرة فخمة له فى منطقة «الشيخ عبد القرنه»^(١٣) فى أثناء بداية تألقه فى المناصب الرسمية بالدولة ، رأى «سننموت» أن يضع خطة أكثر حرصاً على نفسه وعلى جثثانه بعد دفنه ، فشيد لنفسه مقبرة سرية تقع قرب الطرف الشمالى لفناء المعبد الجنائزى للملكة «حتشبسوت» بالدير البحرى . (ويمكن الوصول إلى غرفة الدفن هذه عن طريق منحدر مدرج يصل طوله إلى نحو تسعين متراً) .

وهذا يدل على أن «سننموت» كان خائفاً من إنتقام أعدائه من طبقة نبلاء طيبة ، وليس من المعقول أنه كان خائفاً من الصبى الصغير الذى أصبح فيما بعد «الإمبراطور تحوتمس الثالث» كما يرى بعض المؤرخين .

ويقول «ر. فيركوف R.VIRCHOV» فى ملاحظاته على مومياء «تحوتمس الثالث»^(١٤) التى عثر عليها فى خييفة الدير البحرى^(١٥) : «انه كان بالضرورة صبياً صغيراً

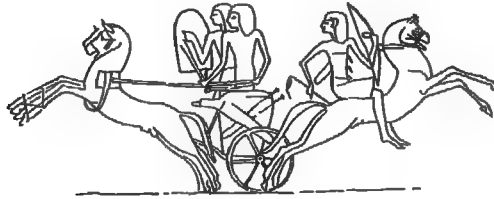
حين اشركته «حتشبسوت» معها في حكم البلاد وإدارة شئون الدولة ، وأنه مات وهو في الرابعة والخمسين .

ولقد اختفى ذكر «سننموت» تماماً ونهايا في خلال العام السادس عشر من حكم الملكة «حتشبسوت» في حين انها ماتت بعده بنحو خمس أو ست سنوات .

ومن السهل تبرير مخاوف سننموت في ضوء التقاليد الاجتماعية التقليدية التي كانت سائدة في المجتمع المصري في طيبة ، حيث استكثرت طبقة نبلاء طيبة عليه أن يصل إلى تلك المنزلة الوظيفية الرفيعة في الدولة ، رغم أصله المتواضع ، أو بالأحرى لأنه لا ينتمى إلى الطبقة العليا منذ البداية .

وقد تم اكتشاف مقبرة «سننموت» بواسطة «هـ. ونلوك H.WINLOCK» في سنة ١٩٢٧ . وقد وجدت صور «سننموت» المنقوشة على الجدران مشوهة تماماً ، رغم أن إسم الملكة «حتشبسوت» الذي كان منقوشا على نفس الجدران وجد سليماً لم يمس .

ومن الواضح أن «سننموت» الذي بدأ طريقه في السلك العسكري إلى أن وصل إلى تلك المكانة الرفيعة في الدولة ، كان يعرف تماماً مدى قوة أعدائه وطبيعة الأخطار التي كانت تحيط به نتيجة لذلك . وكان طموح ذلك الجندي الشاب الذي عاش في فترة حكم الملوك الأوائل في بداية عصر الأسرة الثامنة عشر ، طموحاً تحيط به الأخطار من كل جانب . كما كان سقوطه المفاجيء حين فقد مساندة الملكة أمراً شديداً الاحتمال إذا ما تفهمناه في ضوء تلك الظروف التي سبق شرحها .



ولا شك في أن الظروف التي سادت الامبراطورية المصرية خلال فترة حكم ملوك الأسرة الثامنة عشر ، قد تركت بصماتها الحربية على كل مناحي الحياة المصرية .

وكان من الضروري أن تستمر حالة التأهب العسكري والاستعداد الفوري التام ، لتجهيز وتوجيه الحملات الحربية للقضاء على أية قلاقل أو اضطرابات أو ثورات تحدث في بلاد النوبة أو في البلاد السورية .

كما كان من الضروري أيضا ، أن تستمر الدولة في اعداد الجيوش التي يتولى قيادتها الفرعنة بأنفسهم ، وتجهيز هذه الجيوش بكل ما يلزمها من عدة وسلاح وتموين ، الأمر الذي كان يتطلب حتما وضع كل موارد الدولة في حالة شبيهة بحالة التعبئة والاستنفار المستمرة .

وتتضح آثار هذه الظروف كلها ، فيما تركته هذه الأسرة من نقوش وكتابات على جدران المعابد والمقابر ، وفي التقارير المدونة عن نشاط دبلوماسي بلغ حد الذروة ، للدرجة يمكن القول معها بأن « الطابع الحربي » العام ، كان أبرز المعالم في تاريخ الأسرة الثامنة عشر .

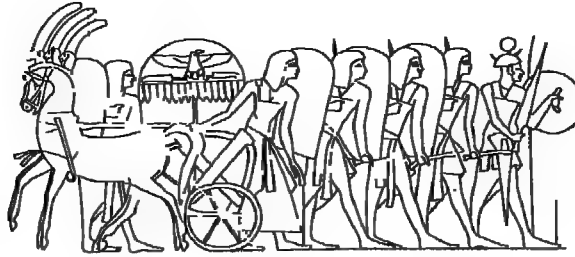
بل لقد ظهرت صيغ مبتكرة جديدة ، استخدمت في المدونات والنصوص الحربية ، وتدل هذه الصيغ على مدى قدرة الكتاب المصريين على تطوير لغتهم لتناسب مع الرغبة في التعبير عن تلك الظروف والأحوال الجديدة .

وعلى سبيل المثال ، فقد ظهرت صيغة تعبيرية عرفت باسم صيغة «إو - تو» (iw - tw) كما استخدم الكتاب المصريون أساليب جديدة للتعبير باختصار عن وصف المعارك الحربية التي خاضها الملوك ضد الأعداء ، بكل ما في تلك المعارك من أوصاف ومعلومات وأخبار ، مع مراعاة الإيجاز الشديد ، لكي تتناسب الكتابة مع حجم ومساحة النصب الحجري التذكاري أو الجدار الذي ستدون عليه .

وقد ظلت هذه الصيغ والأساليب الجديدة مستخدمة في هذا الغرض طوال فترة الامبراطورية المصرية ، بل واستمر استخدامها حتى عصر الأسرة السادسة والعشرين^(١٥) .

وهناك العديد من الآثار التي يرجع تاريخها إلى فترة «الدولة الحديثة» بأسرها ، تمثل بدقة هذا الطابع الحربى الذى ساد فى كتابات ومدونات تلك الفترة ، فهناك النصب التذكارية التى تحكى تاريخ حياة الملوك وعملياتهم الحربية ضد الأعداء ، وهناك النصوص الكتابية والتقارير المصورة عن أخبار المعارك منقوشة أو منحوتة بالنحت الغائر أو البارز على جدران المعابد . وهناك نصوص لمراسم تعيين واختيار الضباط وقادة الجيوش أو الحملات العسكرية ، إلى غير ذلك من الكتابات والمدونات التى تأخذ الطابع الحربى والعسكرى .

حتى أثناء فترة «السلام» التى سادت خلال حكم الملكة «حتشبسوت» فإن المصطلحات والتعبيرات الحربية ظلت مستعملة ، حتى فى وصف أخبار «البعثة» «مشع mꜥ» التى أرسلتها الملكة على السفن البحرية للمتاجرة السلمية مع بلاد «بونت PUNT»⁽¹⁾ جنوب البحر الأحمر . بل أن لفظ «مشع» الذى أطلق على تلك البعثة ، يعتبر من الألفاظ التى يقتصر استخدامها على المدونات والتقارير الحربية . ومعنى هذا اللفظ ببساطة ، هو «الحملة» أو «الجيش» .



الفصل الأول

الجيش الامبراطورى للأسرة الثامنة عشر

ويتضمن المباحث التالية :

- المبحث الأول : الجيش الامبراطورى فى عصر الأسرة الثامنة عشر .
- المبحث الثانى : السياسة الامبراطورية فى النوبة ، ووظيفة «نائب الملك فى كوش» .
- المبحث الثالث : بعض الملاحظات على تنظيم الجيش .
- المبحث الرابع : استخدام الجنود الأجانب فى الجيش الامبراطورى للأسرة الثامنة عشر .
- المبحث الخامس : المؤثرات الثقافية الأجنبية .
- المبحث السادس : الضباط المقاتلون .
- المبحث السابع : الدور التثقيفى للضباط المعلمين .
- المبحث الثامن : الكتاب العسكريون .
- المبحث التاسع : دور الطبقة العسكرية الجديدة فى المجتمع المصرى .
- المبحث العاشر : الخلفية التعليمية للضباط .

المبحث الأول

الجيش الامبراطورى فى عصر الأسرة الثامنة عشر

على أرض مصر ، ظهرت لأول مرة فى تاريخ العالم القديم بأسره ، فكرة الاستخدام الاستراتيجى للقوات المسلحة ، على أساس تقسيم الجيوش المحاربة إلى ألوية وأجنحة مستقلة فى حد ذاتها ، ولكنها فى النهاية تعمل تحت قيادة مركزية موحدة .

وقد تم هذا التطور الحربى الهائل على أيدي الفراعنة الأوائل من ملوك الأسرة الثامنة

عشر .

ولاشك فى أن هذا التطور كان منطقيا، نتيجة للقدرة الادارية الفذة التى كان يتصف بها نظام الحكم بمصر ، والتى اكتسبها من تراكم خبرات تاريخ طويل فى تنظيم وإدارة دفعة الحياة على أرض وادى النيل .

كذلك فقد كان هذا التطور نتيجة للأثر النفسى الذى تركته تجربة مصر المبررة مع الغزاة الهكسوس ، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى ظهور وتأسيس أول مؤسسة عسكرية فى تاريخ العالم ، تتمتع بأعظم قدر من القوة الاستراتيجية .

لقد بدأت مصر فى استخدام «الخيول» كأداة من أدوات الحرب ، كما بدأت فى استخدام «المركبات الحربية» التى تجرها الخيول ، وذلك منذ عهد «كاموسى KAMOSE»^(١) وعهد «أحمس AMOSIS»^(٢) محرر مصر من الهكسوس . بل ويمكن القول بأن بداية استخدام هاتين الوسيلتين فى الحرب ، ترجع إلى فترة احتلال الهكسوس لمصر ، حين أخذ المصريون يتدربون لمحاربة المحتلين وطردتهم من البلاد .

وفى رأى أن العبرة ليست فى بداية استخدام المركبات أو العربات الحربية ، وإنما فى الطريقة الجديدة الفذة التى ابتكرها المصريون فى تطويع تلك الأداة لمقتضيات المعارك الحربية . وتعتبر هذه الطريقة المصرية الجديدة ، ثورة حقيقية فى تاريخ الفكر والأداء العسكرى ، وتدل بشكل قاطع على أن المصريين هم أصحاب هذا التطوير الفذ فى استخدام المركبات فى المعارك الحربية . ولم يكن المصريون قادرين على مثل هذا التطوير ، لولا مواهبهم المتأصلة فى عمليات التنظيم والادارة .

كذلك فقد بدأ المصريون فى تطبيق الأفكار الحربية الاستراتيجية . وقد لعبت «المناورات» الاستراتيجية التى كانت تجربها الفرق والجيش المصرية دوراً حاسماً فى كسب المعارك فى ميادين الحرب والقتال ، وذلك بفضل التدريب المستمر والمناورات العملية التى كان يشترك فيها «المشاة» متعاونين مع راكبي الخيول من الفرسان ، وراكبي المركبات الحربية من الرماة ، مع التدريب على جميع الحركات التكتيكية بين كل هذه الوحدات وبعضها ، بشكل يجعلها فى النهاية قادرة على احراز النصر بصفة مؤكدة فى أية معركة تدخلها مع العدو ، مهما كان شكلها .

وبكل المعايير تعتبر الحملات الحربية التى قام بها «تحوتمس الثالث» والنصر الذى حققه فى موقعة «مجدو MEGIDO»^(١) وعبور نهر «الفرات» ليفتح بلاد «ميتانى MITANNI»^(٢) ، قمة للاستراتيجية الحربية تحدث لأول مرة فى تاريخ العالم القديم .

أما قيام «تحوتمس الثالث» بوضع خطة التعاون والتنسيق بين تحركات سفن الاسطول المصرى ، والجيش البرية المصرية المتجهة بقيادته نحو الشمال ونحو الشرق ، فيعتبر من الأدلة القاطعة على العبقرية الحربية المتفردة لهذا الفرعون العظيم ، وعلى مدى قدرته الفائقة على تنظيم وإدارة الجيش المصرية بطريقة تحدث لأول مرة فى تاريخ مصر العتيق [خريطة ١] .

وإذا وضعنا فى الاعتبار معايير ومبادئ الحرب التى مازالت مطبقة حتى الآن - من الناحية الأكاديمية - فى الجيوش الحديثة ، فإن الخطط الحربية التى نفذها «تحوتمس

الثالث» والمناورات التي كان يجريها لجيوشه ، تعتبر امثلة رائعة لتطبيق مبادئ وأسس «الاستراتيجية» على أعلى مستوى .



هذا الاستخدام المصري الجديد للعجلات الخرية ، أعطى لجيش الأسرة الثامنة عشر قدرة هائلة على الهجوم والسيطرة في جميع المعارك التي خاضها .

وكان سلاح « المركبات الخرية » قادراً على العمل وحده في خوض المعركة ، بالإضافة إلى قدرته على التعاون الوثيق مع سلاح المشاة ليخوض معه المعارك جنباً إلى جنب .

ولأول مرة في تاريخ العالم ، يستخدم سلاح المركبات الخرية بكثافة وبأعداد كبيرة ، بحيث يستطيع سحق مقاومة العدو بقوة ضاربة هائلة . وبذلك تمكن الجيش المصري من فتح بلاد شاسعة الأرجاء .

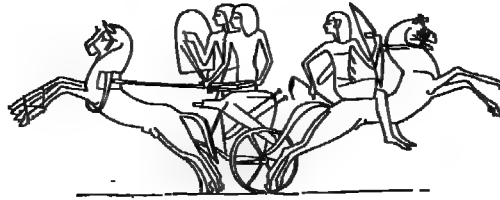
وكانت وظيفة سلاح المركبات الخرية مماثلة تماماً لوظيفة «سلاح الفرسان» أو «سلاح الدبابات» في الجيوش الحديثة .

وقد قام عالم المصريات «ج. هـ. برستد J. H. BREASTED» بدراسة وتحليل الخطة الخربية التي وضعها «تحوتمس الثالث» للهجوم على «مجدو» ، والمناورة الخربية التي درب عليها جيشه في اليوم السابق على المعركة ، وقال عنها أنها خطة متقنة ومناورة ناجحة ليس لها أية سوابق في تاريخ الدول الأخرى ، وتدل على عبقرية «تحوتمس الثالث» كقائد حربي عظيم .

ويقول «برستد» في هذا الشأن : «... وفي أوائل أكتوبر، عاد «تخوتمس الثالث» إلى مصر ، ووصل موكبه إلى العاصمة طيبة . وكان قد غاب عنها نحو ستة شهور ، منذ أن غادر حدود مصر متجهاً إلى فلسطين . وقد قام تخوتمس بكل عملياته الحربية خلال «فصل الجفاف» بتلك البلاد ، وهي فكرة صائبة في اختيار الوقت المناسب . وحتى نعرف الصعوبات التي تكتنف عمليات الهجوم من مصر على فلسطين ، يمكننا أن نقارن النجاح الذي احرزه تخوتمس في فتح تلك البلاد وانتصاره في موقعة «مجدو» ، بالفشل الذي لحق بنابليون حين خرج بجيشه من مصر متجهاً إلى فلسطين عبر نفس الطريق ، محاولاً فتح عكا^(٥) .

هذا ويمكن بمقارنة خطة «تخوتمس الثالث» بالخطة الحربية التي نفذها «الفيلد مارشال اللبني ALLENBY» لفتح فلسطين وسوريا في خلال الحرب العالمية الأولى .

ولولا التنظيم الدقيق والصرامة المتناهية في أقرار النظام ، لما استطاع الجيش المصري أن يقوم بإنجاز العمليات المطلوبة .



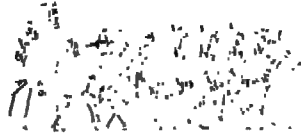
ولقد تحقق التفوق في «آلة الحرب» المصرية ، والتفوق الهائل للجيش المصري ، منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر قبل الميلاد ، واستمر بلا انقطاع لمدة تصل إلى نحو مائتي سنة متصلة .

وإذا قمنا بمقارنة المستوى الحربي للجيش المصري في عصر «الدولة الحديثة» بمستوياته الآخرين في «الدولة القديمة» و «الدولة الوسطى» للمسنا على الفور مدى التفوق الذي بلغه الجيش في عصر «الدولة الحديثة» .

وتقول «موسوعة كامبردج في التاريخ القديم» عن هذا الجيش : «كان جيشاً وطنياً هائل الحجم ، يتألف معظمه من جنود محترفين ، سواء من الجنود العاملين في الخدمة العسكرية أو جنود الاحتياط ، ويقوم على قيادته ضباط محترفون مدربون على أعلى مستوى ، ويؤدون وظائفهم وواجباتهم الحربية في إدارة الفرق والأسلحة المنوطة بهم قيادتها ، بشكل منظم ومنسق ودقيق ، كما لو كانوا حلقات مترابطة في سلسلة القيادة العامة...» .

ومن هذا النص يظهر بوضوح أن المصريين هم أول من كون «هيئة الضباط» أو «هيئة أركان حرب» التي تؤدي وظيفة العقل الإداري والتنظيمي والحرى في الجيوش الحديثة حتى الآن .

وفي عصر الأسرة الثامنة عشر ، بدأ تزويد الجيش المصري بأسلحة جديدة . كما بدأ استخدام هذه الأسلحة بطريقة تعتبر ثورة غير مسبوقة في التكتيك الحربي ، حتى أصبحت جميع وحدات هذا الجيش تتمتع بقوة ضاربة هائلة ، الأمر الذي نتج عنه في النهاية تغيرات عميقة في مفاهيم التكتيك والاستراتيجية . كما أدى أيضاً إلى ضرورة إقامة المنشآت الصناعية المتخصصة في صناعة أنواع الأسلحة المختلفة التي تتطلبها ألوية الجيش وفرقه ، بالإضافة إلى الرصيد الهائل المتمثل في احتياطي القوى البشرية بداخل البلاد المصرية .



ولاشك في أن هذا الإحساس الذاتي بالقوة الحربية كان له أثر كبير في الفكر الديني والديني في مصر . وعلى سبيل المثال فقد أعلن «تخوتس الثالث» بوضوح أن الهدف من قيامه بحملته الأولى في البلاد الآسيوية ، هو توسيع ومد الحدود المصرية تنفيذاً لوصية ورغبة أبيه «إله آمون رع»^(١) [صورة ٢] .

كذلك فقد أعلن «أمنحتب الثاني» أن إله «آمون» قد ظهر له في الحلم وبشره بالنصر المؤكد في معاركه ضد البلاد الآسيوية [صورة ٣] .

وقد وهب «تخوتس الثالث» جميع انتصاراته الحربية في الشمال وفي الجنوب إلى الإله آمون رع .

كذلك فقد ظهرت الكثير من التراتيل الدينية ذات الصبغة العسكرية ، كما نسبت أقوال إلهية نطق بها الآلهة المصريون لتمجيد وتعظيم الانتصارات التي كان يحققها الفراعنة المحاربون .

بل ويمكن القول بأن المعابد الدينية التي أنشئت في عصر الأسرة الثامنة عشر قد تأثرت بعمق بالروح الحربية التي سادت ذلك العصر ، سواء في تصميماتها المعمارية أو في زخارفها أو في مظهرها العام . وعلى سبيل المثال ، نلاحظ أن «القاعة الكبرى» المشيدة على شرق معبد آمون بالكرنك^(٧) قد صممت على شكل خيمة حربية، فضلاً عن إقامته الدائمة بقدس أقدس المعبد .

وبطبيعة الحال ، قد أدت هذه الروح الحربية إلى ظهور نبرة التفاخر والزهو بشرف الإلتحاق إلى الخدمة العسكرية وإلى السلك العسكري بصفة عامة . وقد منحت الألقاب والأنواط والميداليات إلى الضباط وإلى الجنود على حد سواء ، وذلك تمجيداً لشجاعتهم وتفانيهم في أداء الخدمة وواجباتهم العسكرية . فهناك لقب « شجعان الملك » و «النوط الذهبي للمجد» و «النوط الذهبي للشجاعة» .

ولم يقتصر منح هذه الأنواط على رجال السلك العسكري فحسب ، بل منحت أيضاً لبعض رجال الخدمة المدنية . ويقول «ف. هلك W. HELCK» في ذلك : «إن ألقاب الشرف والميداليات والأنواط لم تمنح للضباط والقادة العسكريين فحسب ، بل منحت أيضاً لبعض (المدنيين) الذين كانوا يصبحون الملك في خلال غزواته وحملاته العسكرية» .. وأورد «هلك» بعض أسماء كبار الموظفين الذين منحوا الأنواط وألقاب الشرف مثل :

- «امنحتب نائب الملك وحاكم كوش - النوبة» في عهد تخوتس الرابع .

- «سنوفر SENNOFER» وزير الخزانة في عهد تخوتس الثالث .

- كما منح لقب «مر - بر - ور mr-pr-wr» (ومعناه المشرف على إدارة ممتلكات

الخاصة الملكية لكل من «وسر WESSER» و «باكى BAKI» وهما من كبار الموظفين في عهد تحوتمس الأول . والملاحظ أن لقب «قن kn» وهو لقب عسكري معناه «القوى» والذي كان يسبق اسم كل من هذين الموظفين ، يشير إلى احتمال انهما كانا من رجال السلك العسكري قبل تقلد الوظيفة المدنية .

ولاشك أن منح ألقاب الشرف العسكرية سواء للعاملين في السلك العسكري أو للعاملين في السلك المدني والاداري ، يعتبر خير دليل على سيادة الروح الامبراطورية التي سادت ذلك العصر .

أما «القائد الأعلى» للجيش الامبراطوري المصري ، فكان منصبا قاصراً على الملك وحده ، كما أن «ولى العهد» كان يتولى عادة منصب «القائد العام للقوات المسلحة المصرية» وكان يقيم في مقر «القيادة العامة» للقوات المسلحة بمدينة «منف»^(٨) .

وقد أدى استخدام ألقاب الشرف ومنح الأنواط والميداليات سواء لرجال السلك العسكري العاملين بالخدمة ، أو الذين أنيط بهم تولى المناصب الادارية المدنية بعد ترك الخدمة ، أو لكبار الموظفين المدنيين العموميين إلى ظهور «تعبيرات مجازية» غيرت في طابع واسلوب «اللغة» المصرية بشكل غير مسبوق من قبل .

فقد دخلت على اللغة تركيبات واوصاف وتشبيهات جديدة لم تكن مستخدمة من قبل في وصف وتمجيد شجاعة الجيش وحسن ادائه . وقد ظلت هذه الأساليب مستخدمة حتى عهد «رمسيس الثالث» الذي كتب على جدران «مدينة هابو MEDINET HABU»^(٩) يصف شجاعة جنوده بأنهم «.. كانوا يزأرون كالأسود في الجبال» .

كما وصفت إحدى الوحدات العسكرية في عهد «تحوتمس الثالث» بأن جنودها هم «شجعان الملك» .

ولا جدال فى أن تمجيد وتكريم الجنود العاديين والاشادة بشجاعتهم على هذا النحو ، يعتبر بوضوح منهجاً جديداً فى المفاهيم التقليدية المصرية التى كانت توعز الانجازات والانتصارات الحربية إلى الملك وآبائه من الآلهة .

كذلك فقد ظهرت تعبيرات عسكرية أخرى مثل : «جيش صاحب الجلالة»
وتعبير «جيشنا» .



المبحث الثانى

السياسة الامبراطورية فى النوبة

ووظيفة «نائب الملك فى كوش»

تجددت فكرة ضم بلاد النوبة نهائيا إلى الأراضى المصرية فى عهد «أحمس» الذى تم على يديه تحرير البلاد من الغزاة الهكسوس . فقد أدرك «أحمس» مدى الأهمية الاستراتيجية للنوبة ، باعتبارها مصدراً للذهب ، ومورداً للقوى البشرية .

وكان حكام طيبة قد ادركوا خلال حروبهم من أجل تحرير البلاد من الهكسوس ، مدى ضرورة إجراء تغيير منطقي معقول لمفهوم « الدولة » فى مصر . وتوصلوا بوضوح إلى أن السياسة التى تؤدى إلى تكوين « امبراطورية » مصرية هى البديل الوحيد . وهذه السياسة هى التى أدت إلى التعجيل باحتلال النوبة فى أسرع وقت ممكن .

وحتى فى خلال تقلص السيادة المصرية على مستعمراتها فى آسيا ، أثناء أزمة «العمارنة» فإن النوبة ظلت مرتبطة بمصر ، ولم تحدث بها أية قلاقل أو اضطرابات ، ولم يؤدى هذا التقلص إلى أى رد فعل فى هذه البلاد .

وهذه العلاقة الخاصة بالنوبة ، كانت بفضل الحنكة السياسية والعسكرية «لنواب الملك» الذين كانوا يحكمون النوبة VICEROYS OF CUSH . والذين كانوا يحملون عادة لقب «ابن الملك وحاكم كوش» . وقد ظهر هذا اللقب بهذا المضمون الرفيع لأول مرة فى عهد «امنحتب الأول» (الأسرة الثامنة عشر) واستمر قائما ومستخدماً حتى الأسرة الحادية والعشرين . وبالتحديد فى عهد «بى عنخ PAY ONKH»^(١) نائب الملك وحاكم كوش ، والذى تولى العرش بعد أبيه «الملك حريحور HERIHOR»^(٢) .

ومنذ بداية حكم الأسرة الثامنة عشر ، صدر قرار بضم الولايات الثلاث الاخيرة في الوجه القبلى إلى بلاد النوبة في «وحدة» ادارية واحدة ، تخضع لحكم «نائب الملك وحاكم النوبة» . ونتيجة لهذا القرار ، فقد أصبح من السهل على الدولة المصرية أن تسيطر تماماً على مناجم الذهب ، سواء مايقع منها في «وادی علاقى - WADI ALLAKI» بالنوبة ،^(٣) أو ما يقع منها في وديان الصحراء الشرقية الممتدة من «الراديسية RADESIA» قرب مدينة إدفو الحالية حتى سواحل البحر الأحمر .

ويمكن القول بأن الثروات الأسطورية التي ظهرت بمصر خلال فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، والتي مكنت هذه الأسرة من إنشاء عمائرهم الدينية الرائعة في طيبة وفي غيرها من الجهات المصرية ، انما ترجع بصفة أساسية إلى عائدات مصر من تلك المناجم .

ولقد شاعت تسمية مصر بأنها «أرض الذهب» بين دول العالم القديم ، كما ظهرت هذه التسمية أيضاً في «رسائل تل العمارنة» .

وهذا الاستخدام التقليدى لمنصب ولقب «نائب الملك وحاكم كوش» ظل قائماً حتى الأسرة الحادية والعشرين ، ثم استخدم فيما بعد كلقب من ألقاب التشريف والتبجيل حتى أواخر التاريخ الفرعونى المصرى [صورة ٤] .

وانى أميل إلى الاقتناع بأن المسئوليات التى كان يياشرها «نائب الملك وحاكم النوبة» كانت تغلب عليها الصفة العسكرية ، بحيث أصبح من المستحيل تماماً أن يتولى هذا المنصب أحد كبار الموظفين المدنيين الذين ينتمون إلى العائلات العريقة في طيبة .

وكان «تورى TURI»^(٤) هو أول المعروفين الذين تولوا منصب «نائب الملك وحاكم النوبة» . وقد أطلق عليه أيضاً لقب «ابن الملك وحاكم كوش» . وكان «تورى» هذا يشغل منصب «قائد منطقة بوهن - BUHEN»^(٥) [صورة ٥] .

وطبقا لنص عثر عليه في «سمنه SEMNA» بالنوبة^(٦) ، كتب تورى : «انه في السنة السابعة من حكم الملك «امنحتب الأول» منح وظيفة «نائب الملك وحاكم كوش» . وأطلق عليه لقب «ابن الملك في الأراضي الجنوبية» .

وعثر على نص آخر في جزيرة «يورونارتى URONARTY» يقول عن «تورى» : «أنه في السنة الثامنة من حكم الملك «امنحتب الأول» أصبح يوصف بأنه : «الأمير بالوراثة ، الحاكم ، حامل أختام ملك مصر . (سمر smr) أى الياور أو السمر المحبوب من الملك في الأراضي الجنوبية . ابن الملك ...»

وفي بداية حكم الملك «تخوتمس الأول» [صورة ٦] ظل «تورى» يحمل لقب «ابن الملك» ولقب «حاكم الأراضي الجنوبية» .

ويتضح لنا من قصة «تورى» أنه نموذج للموظف الإمبراطورى التقليدى ، الذى أنيط به تنفيذ مهام وواجبات ذات طبيعة عسكرية وسياسية فى نفس الوقت . وتذكرنا الألقاب التى حملها «تورى» بتلك الألقاب التى منحت فيما بعد ، إلى بعض الضباط المصريين فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، الذين تولوا نفس المنصب ، وأنيطت بهم مسئوليات عسكرية سياسية مماثلة ، وإن كانت أعلى مستوى من الناحية الإستراتيجية .

ويرى «ف . هلك» أن «تورى» لم يحرص على ذكر ألقاب وظيفته العسكرية السابقة ، التى كان يتولاها أثناء الخدمة العسكرية ، وذلك لأن معظم الموظفين الكبار الذين تولوا مناصب مدنية عليا ، وكانوا فى الأصل من السلك العسكرى ، كانوا لا يحرصون على ذكر رتبهم أو ألقابهم العسكرية السابقة .

أما لقب «ابن الملك» فلا يجب أن يؤخذ بترجمته الحرفية ، فقد ثبت أن كثيرين ممن حملوا هذا اللقب ، كانوا من «أصل متواضع» ولا ينتمون إلى الأسرة المالكة من قريب أو بعيد .

وعلى سبيل المثال ، فإن «تتيكى TETIKY» الذى حمل هذا اللقب فى عهد «أحمس» كان قد سجل على جدران مقبرته حرفة أبيه الذى كان يعمل «مشرفا على لحديقة» كما ذكر أن أمه امرأة عادية كانت تسمى «سنسونب SENSONEB» .

ويقول «ى.فون بكرات J.VON BECKERATH» ان لقب «ابن الملك» قد يوحى فى ظاهره بأن الذى يحمله هو ابن الملك بالفعل ، أو ينتمى إلى الاسرة المالكة على الأقل ، ولكن ليس هناك أى دليل يؤيد هذا الافتراض . ولا يوجد بين من تولوا منصب «نائب الملك وحاكم النوبة» والذين كانوا يحملون لقب «ابن الملك» غير شخص واحد كان ابنا للملك بالفعل ، وهو «بى عنخ PAY ONKH» ابن «حريحور» القائد الحرى الشهير ، والذى شغل أيضا وظيفة كبير الكهنة إلى أن تولى العرش وقام بتأسيس الأسرة الحادية والعشرين المعروفة بأسرة كهنة طيبة .

وكما قلنا من قبل ، أن الذين تولوا منصب «نائب الملك» كانوا يحجمون فى أغلب الأحوال عن ذكر ألقابهم العسكرية التى منحت لهم أثناء توليهم الخدمة العسكرية وقبل تعيينهم فى منصب نائب الملك ، وذلك فيما عدا بعض الحالات النادرة .

وعلى سبيل المثال أيضا ، فإن «سنى SENI» الذى شغل منصب نائب الملك فى عهد «تحوتمس الأول» قد تم تعيينه على أساس انه «نائب الملك وحاكم النوبة» و «المشرف على الأراضي الجنوبية» .

وقد استمر «سنى» فى هذا المنصب حتى عهد «تحوتمس الثانى» الذى منحه لقب المشرف على صوامع غلال آمون» . ولقب «حاكم المدينة الجنوبية - طيبة» . ولقب «ابن الملك وحاكم كوش» . وذلك بالإضافة إلى لقب «المشرف على الاراضى الجنوبية» .

وفى مقبرة كل من «نهبى NEHI» و «وسر - ساتت WOSER - SATET» وقد توليا منصب نائب الملك واحدا بعد الآخر فى عهد «تحوتمس الثالث» ثم «امنحتب الثانى» [صورة ٧ ، ٨] وهما الملكان اللذان يعتبران من سادة الحرب بين ملوك الاسرة الثامنة

عشر ، لا نعثر على أية إشارة إلى الألقاب العسكرية التى كان يحملها كل من هذين النائبين أثناء خدمتهما العسكرية . وهذا يؤيد وجهة نظر «ف . هلك» حول احجام كبار الموظفين فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، عن ذكر ألقابهم ورتبهم العسكرية السابقة على توليهم منصب نائب الملك . هذا بالرغم من أن المنصب الذى تولاه «نبي» نائب الملك فى عهد «تحوتمس الثالث» كان من صلاحياته أن يحكم مناطق شاسعة تمتد جنوبا من «كاراج KARAJ» قرب مدينة «نباتا NAPATA»^(٧) عند الشلال الرابع ، وتصل شمالا حتى مدينة «نخب NEKHEB» - الكاب حاليا^(٨) - بالأراضى المصرية . وهذه المسئولية الخطيرة كان يتولاها الضباط بصفة عامة .

وفى عهد «امنحتب الثالث»^(٩) الذى يتصف بأنه الملك المسالم ، نجد ظاهرة جديدة بالتسجيل ، فقد قام بتعيين أحد كبار الضباط فى منصب «نائب الملك وحاكم النوبة» وكان اسمه أيضا «امنحتب» . وهو أول ضابط مصرى يتولى هذا المنصب ويذكر بعضاً من ألقابه العسكرية . فقد ذكر ضمن ألقابه الأخرى ، لقب «المشرف على اصطبلات الخيول الملكية» وهو لقب عسكري صريح ، كما ذكر لقب «فارس الملك» وهو يدل على أنه كان ضابطا بسلاح الفرسان أو بسلاح المركبات الحربية . كذلك نلاحظ أن «امنحتب» نائب الملك ، كان أول ضابط يضيف إلى ألقابه لقب «ابن الملك وحاكم كوش» . ولعل ذلك كان وسيلة تمييزه عن ابن الملك الحقيقى وولى عهده الأمير «امنحتب الرابع» الذى أصبح فيما بعد «اخناتون» .



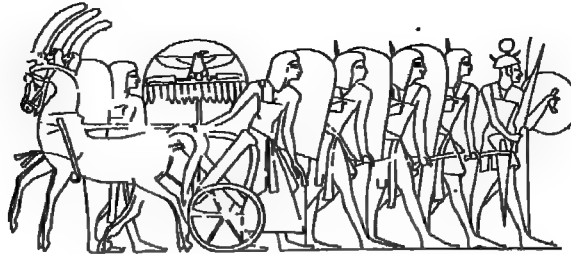
ونخلص من هذا بأن وظيفة «نائب الملك» كانت تعتبر من الوظائف الامبراطورية العليا ، وأن من يشغلها كان يمثل سلطة الحكم ويمثل الملك نفسه .

وفى عهد «امنحتب الثالث» تولى هذه الوظيفة ضابط كبير اسمه «مرمس MERMES» وكان يحمل لقب «حامل المروحة على يمين الملك» وهو لقب لم يكن يمنح إلا لأصحاب المقام الرفيع ، من أقرب المقربين إلى الملك ، وقد منح هذا اللقب لكل من «آى AY»^(١٠) و «حورمحب HAREMHAB»^(١١) وهما ضابطان كبيران كانا يتمتعان بسلطات

عليها ونفوذ قوى فى بلاط كل من «أخناتون» و «توت عنخ آمون» على التوالى . كما منح هذا اللقب أيضا للكهنة الأول لديانة «آتون»^(١) التى قامت فى العمارنة . كما أن هذا اللقب كان يمنح أيضا لبعض امراء الأسرة التاسعة عشر باعتباره من الألقاب العسكرية العليا فى الجيش المصرى .

أما الألقاب التى منحت لنواب الملك ، وتبرز مدى الأهمية الاقتصادية للنوبة بالنسبة للدولة المصرية ، فمن ضمنها لقب «المشرف على أرض الذهب الخاصة بالاله» وقد منح هذا اللقب «لحورمس HORMES» الذى تولى منصب نائب الملك . كما منح لقب «المشرف على أرض الذهب الخاصة بآمون» «لسنوفر SENNOFER» الذى تولى منصب نائب الملك فى عهد «تحتمس الثالث» . وهذا يدل على أن هذه الوظيفة الرسمية العليا كانت ضمن الممتلكات الخاصة بالاله آمون .

وهذا كله يبين لنا بوضوح ، أننا بصدد فئة جديدة من الضباط المصريين الذين باشروا مسئوليات على أعلى مستوى من الأهمية الاستراتيجية ، ويختلفون تماماً عن غيرهم من الضباط المصريين الذين تولوا مناصب القيادة فى الجيش المصرى فى عصور سابقة على عصر الأسرة الثامنة عشر .



المبحث الثالث

بعض الملاحظات على تنظيم الجيش

استمرت سيادة مصر وسيطرتها على الأقاليم الآسيوية وبلاد النوبة لمدة قاربت القرنين في خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، أو بالأحرى منذ عهد «أحمس» حتى وفاة «امنتب الثالث» .

ولاشك أن انجاز هذه السيادة والسيطرة ، كان يستند الى «آلة الحرب» المصرية الهائلة ، والتي كانت تديرها هيئة من الضباط المهرة العظام يرأسها الفرعون بنفسه .

وقد وصلت مصر إلى تلك القوة الحربية الهائلة ، نتيجة لخوضها الحرب التحريرية ضد الهكسوس الذين استمر احتلالهم نحو ١٠٨ سنوات . وكان هذا الاحتلال يعتبر تحدياً للمصريين ، أدى إلى قيامهم في النهاية بتحرير بلادهم ، ثم أعتناقهم هذه الأفكار الإستراتيجية الجديدة .

وقد قام «ا.ر. شولمان A.R. SCHULMAN» بعمل حصر لعدد الألقاب والرتب العسكرية التي أستخدمت في الجيش المصرى ، وقام بتحديد نحو ٦٣ لقباً .

وهذه الألقاب تمثل التسلسل الهرمى للمناصب والرتب العسكرية في كل من سلاح المشاة ، وسلاح الفرسان والمركبات الحربية ، والاسطول الحرى .

ومعظم هذه الألقاب كان يعتبر أعلى درجة ومقاماً من الألقاب التي كانت تمنح للكهنة ، أو الألقاب التي كانت تمنح للكهانات «زوجات الإله آمون» وحرمة^(١) .

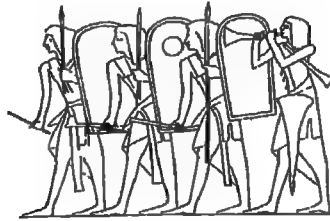
وكان تنظيم الجيش بفروعه المختلفة قابلاً للتطور . وقد حدث فصل تام بين سلاح المركبات الحربية باعتباره سلاحاً متميزاً ، وبين بقية فروع وأسلحة الجيش الأخرى . وأغلب الظن أن هذا الفصل والاستقلال حدث في عهد «امنحتب الثالث» .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المصريين قد عرفوا الاستخدام الفنى والاستراتيجى للمركبات الحربية منذ فترة طويلة قبل عهد «امنحتب الثالث» . ومعنى هذا أن الفصل بين سلاح المشاة وسلاح المركبات الحربية قد استغرق بعض الوقت ليصبح كل منهما على حدة فرعاً رئيسياً من فروع الجيش المصرى .

وقد أشرنا من قبل إلى أن تحديد مهمة المركبات الحربية ، من حيث تركيز القوة الضاربة ، واستغلال سرعتها فى الحركة والانتقال ، وقدرتها الهائلة على اجراء المناورات الاستراتيجية والتحركات التكتيكية ، قد تم على يد «تحوتمس الثالث» الذى استخدم المركبات الحربية على هذا النحو فى موقعة «مجدو» .

أما ظهور طبقة ضباط الفرسان والمركبات الحربية كطبقة متميزة ذات طابع ارسقراطى ، فلم يتم إلا فى «عصر الرعامسة»^(١) حيث أصبحت هذه الطبقة تتبوأ مكانة أعلى ، حتى بمقارنتها ببقية رجال السلك العسكرى فى فروع الجيش الأخرى .

وقد حصلت هذه الطبقة على حق بقاء أفرادها فى مدنهم الاقليمية ، مع تخزين المركبات والأسلحة فى الترسانات والمخازن الحربية ، إلى أن يحين وقت الحرب طبقاً لأوامر الملك



المبحث الرابع

استخدام الجنود الأجانب فى الجيش الامبراطورى للأسرة الثامنة عشر

قامت مصر بعمليات تجنيد وتسخير الجنود النوبيين منذ أيام «الدولة القديمة» .
واستخدمتهم بصفة عامة فى العمليات شبه العسكرية الخاصة بالأمن الداخلى .

وقد ازدادت عمليات تجنيد النوبيين وأصبحت على نطاق واسع فى عهد «امراء» الأسرة
السابعة عشر^(١) ، حيث لعب الجنود النوبيون دوراً فى غاية الأهمية فى الجيش الذى
قاده «كاموسى KAMOSE» أثناء حروب التحرير .

ولما كان الجيش الامبراطورى الذى تكون فى عصر الأسرة الثامنة عشر فى حاجة
إلى المزيد من القوى البشرية ، فقد اعتمد هذا الجيش - تدريجياً - على تجنيد وتسخير الجنود
النوبيين والجنود الآسيويين أيضاً .

وفى مقبرة «نب - آمون NEB - AMUN» [صورة ٩] الذى عمل تحت
قيادة «امنحبت الثانى» نرى أن الجنود النوبيين كانوا مزودين بنفس الاسلحة التى زود بها
الجنود المصريون . كما أنهم كانوا يرتدون نفس الملابس التى كان يرتديها الجنود المصريون .

وفى بعض مقابر تل العمارنة ، نرى نقوشاً تدل على استمرار تجنيد واستخدام
الجنود النوبيين فى الجيش المصرى .

كما ان الكثير من المعابد المصرية قد انشئت في سوريا ، وفي النوبة (سمنه وقمه SEMNA AND KOMMA) بقصد تحقيق الحماية الالهية للجيش ، وليمكن الجنود أيضا من إقامة الصلوات وشعائر العبادة وطقوسها .

وفي رأيي أن هذه العلاقة الخاصة بين الحاميات العسكرية والمعابد الدينية التي أقيمت في النوبة وفي المناطق السورية ، تعطينا احساساً بأن الضباط كانوا يقومون أيضا بأداء الطقوس والمراسم الدينية في تلك المعابد ، حيث لم يتم العثور حتى الآن على أى دليل يؤكد ان الكهنة المصريين قد عينوا لإقامة الشعائر الدينية ، أو أنهم أقاموا لمدد طويلة بالمعابد المصرية التي أنشئت في البلاد الأجنبية .

وفي خلال النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، كان الجيش المصرى يتكون بصفة أساسية من الجنود المصريين ، بالإضافة إلى قلة من النوبيين الذين كانوا مجندين في الجيش المصرى من قبل .

وبالتدريج أخذ الجيش المصرى يعتمد على تجنيد واستخدام الجنود والضباط الآسيويين ، وهو وضع لم يكن من الممكن تلافيه في ضوء الفكر الإمبراطورى الذى ساد القوات المسلحة المصرية .

وقد بدأ استخدام الأجانب في الجيش على شكل تسخيرهم والزامهم بالخدمة في الوحدات العسكرية . وسوف نرى فيما بعد كيف أن استخدام أسرى الحرب من الأجانب على نطاق واسع لسد حاجة الجيش إلى المزيد من القوى البشرية ، خاصة بعد أزمة العمارة ، قد أدى في النهاية إلى نتائج غاية في الخطورة ، أثرت في مجرى الأحداث .

وعلى أية حال فإن ما عثر عليه من محررات ومدونات عسكرية يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الثامنة عشر ، يدل على أنه لم يكن هناك أى فارق بين القوائم الخاصة بالمجندين الذين يؤدون الخدمة العسكرية في المليشيات أو في الوحدات العاملة ، وبين القوائم الخاصة بأسرى الحرب الأجانب الذين ضموا إلى الخدمة العسكرية ، فقد كانت هذه القوائم تحرر وتراجع بمعرفة سلطة عسكرية واحدة .

المبحث الخامس

المؤثرات الثقافية الأجنبية

ازداد تأثر مصر بالثقافات الأجنبية بشكل واضح منذ أيام الهكسوس الذين أنشأوا المعابد للإله «بعل BAAL»^(١) في مناطق الدلتا أثناء احتلالهم لمصر . كما انشئت معابد أخرى لإله آسيوى آخر هو الاله «حورون HARON» الذى كان يأخذ شكل «أبى الهول» .

ومن المعروف أن «امنحتب الثانى» و «تحتمس الرابع» كانا يعبجان آلهة والإهات الحرب السورية ، مثل «رشب RESHEP» و «عشتار ASHTART»^(٢) وأفسحا لهما مكانا فى المعابد المصرية . أى أن عبادة الآلهة الآسيوية قد دخلت إلى ساحات المعابد المصرية بكثرة ، فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

من الواضح إذن أن الامبراطورية المصرية قد سمحت بتسلل الآلهة والإلاهات الآسيوية إلى مصر . ويمكن القول أنه منذ بداية عصر «الدولة الحديثة» والآلهة الآسيوية تعبد فى مصر ، وكان لها كهنتها المختصون ، ككهنة الاله «بعل» وكهنة الإلهة «عشتار» . وقد أشيع عن هؤلاء الكهنة الأخيرين ، انهم كانوا قادرين على التطبيب وشفاء الأمراض . وكان مقرهم بمدينة «منف» .

وقد أنشئت المعابد لكثير من الالهة الآسيويين حتى فى «طيبة الغربية»^(٣) حيث أصبحت تلك الآلهة تعبد جنبا إلى جنب مع الآلهة المصريين .

ولا شك فى أن فراغة «الدولة الحديثة» قد سمحوا بعبادة الآلهة الآسيوية فى مصر ، على أمل أن ذلك يسهل لهم الأمر فى السيطرة على شعوب المناطق الآسيوية التى خضعت للحكم المصرى .

ويقول «ر. شتادلمان R. STADELMANN» أن الفرعون كان يعتبر الممثل الوحيد على الأرض لجميع الآلهة المصريين وجميع الآلهة الأجانب . كما يرى «إ. ماير E. MEYER» أن الفرعون كان يعتبر الملك الوحيد لجميع القوى الالهية .

ويمكن القول أيضا بأن الجيش الامبراطوري المصري قد لعب دوراً حاسماً في عمليات تبادل المؤثرات الدينية بين مصر من ناحية ، وبين مناطق امبراطوريتها في الشرق . ومن المحتمل أن عبادة وتقديس الآلهة الآسيويين قد بدأت خلال حملات الجيش المصري في المناطق الآسيوية .

ومما لاشك فيه أن احتلال الهكسوس لمصر ، قد خلق بين المصريين نوعاً من الكراهية أو الرفض ضد الآلهة الآسيويين . وهناك نص شهير سجلته الملكة «حتشبسوت» على جدران واجهة معبدها الإقليمي في «سيوس ارتيميدوس SPEOS ARTEMIDOS»^(٦) تنتقد وتسخر فيه بشدة من المعتقدات الدينية للهكسوس . كما عثر على نص مماثل مدون في «بردية سالييه الأولى»^(٧) التي يرجع تاريخ تدوينها إلى عصر الرعامسة .

ويلاحظ «شتادلمان» أن ذلك يتعارض مع الحقيقة الشائعة عن أن ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر أثناء فترة الاحتلال ، كانوا يعتبرون «ابناء شرعيين للإله رع» . وهو من أجل ذلك يوعز هذا الهجوم والانتقاد على الآلهة الآسيوية إلى كهنة آمون في طيبة الذين كانوا يعارضون الآلهة الآسيويين بصفة عامة .

ويرى «ب. جردسلوف B. GRDSELOFF» ان فراعنة الأسرة الثامنة عشر ، عظموا الآلهة الآسيويين وسمحوا بعبادتهم على أساس أنهم يمثلون القيم والمثل العليا للروح الرياضية ومبادئ الفروسية ، وعلى الأخص بالنسبة إلى الآلهة السورية «عنات» و «رشب» . كما يرى أيضا أن «الميثولوجيا الكنعانية» قد بدأت أيضا في التأثير على المصريين في تلك الفترة .

غير ان «شتادلمان» يتحفظ كثيراً في قبول هذه الأفكار ، ويميل إلى التفسير الذى قال به «ماير» ومفاده ان مركز الآلهة الآسيويين قد تعزز وتدعم بمصر ، بسبب المقاومة المستمرة للآسيويين ضد الحكم المصرى ، بالرغم من الخسائر الكبيرة التى كانت تلحق بهم نتيجة لحمالات التأديب التى كانت تشنها عليهم مصر بين حين وآخر .

ونخلص من هذا كله ، بأن الامبراطورية قد سهلت كثيراً دخول المؤثرات الدينية والثقافية الأجنبية إلى مصر ، كما سهلت تصدير المؤثرات الدينية والثقافية المصرية إلى البلاد الأجنبية .



المبحث السادس

الضباط المقاتلون

كان الضباط العاملون بالخدمة العسكرية يؤدون دوراً سياسياً قد لا يقل عن دورهم الحربى . ويلاحظ ذلك بوضوح بالنسبة للضباط الذين كانوا يحملون رتبة «قائد COMMANDER» أو «OBERST» كما ترجمها «هلك» إلى اللغة الألمانية (وهى رتبة تعادل رتبة كولونيل أو عقيد) .

وبطبيعة الحال فإن الضباط الذين كانوا يصلون إلى تلك الرتبة ، كانوا على درجة كبيرة من الدراية والخبرة الحربية التى تمكنهم من أداء ادوارهم القيادية فى قلب الوحدات المحاربة فى الفروع الثلاثة الرئيسية للجيش المصرى .

وعندما كان يعهد إلى هؤلاء الضباط قيادة الحملات العسكرية ، أوفيادة القلاع الحربية أو نقاط التحصينات العسكرية فى كل من سوريا والنوبة ، كانت تعهد اليهم أيضا بعض الصلاحيات ذات الطابع السياسى إلى جانب اختصاصاتهم العسكرية الأصلية .

وفى بلاد النوبة كانوا يقومون بأدوارهم تلك تحت الاشراف المباشر «لنائب الملك» . أما فى سوريا فلم يكن هناك «نائب ملك» كما هو الحال فى النوبة ، ولذلك فقد كان الدور السياسى لهؤلاء الضباط يتسع على نحو ملحوظ ، حيث كانوا يتولون حكم الشعوب التى كانت تعيش فى تلك المناطق إلى جانب تعاونهم فى ذلك مع الامراء المحليين بمختلف المدن والمناطق السورية التى كانت تخضع للحكم المصرى .

وكانت للألقاب التى تمنح لهؤلاء القادة دلالة على طبيعة الأعمال والاختصاصات السياسية والحربية التى كانوا يمارسونها بحكم مناصبهم . وعلى سبيل المثال ، فقد كان أحد

هؤلاء القادة يحمل لقب «اذن صاحب الجلالة في سوريا» - مخبرات - بينما يحمل «جنرال» أو «لواء» آخر اسمه «جحوتي DHOUTI» لقب «المشرف على الأراضي الأجنبية الشمالية» ، وكان هذا الجنرال الأخير معينا في هذا المنصب من قبل «تختمس الثالث» .

ومما لاشك فيه أن الأقاليم الأجنبية التي احتلتها القوات المسلحة المصرية ، كانت أرضا طيبة للضباط المصريين لاكتساب المزيد من الخبرات السياسية إلى جانب الخبرات الحربية .

وثمة نظرية يقول بها «ا.ر. شولمان A.R. SCHULMAN» عن حالة وجود بعض السفن والوحدات البحرية الخاصة ، المدربة على عمليات نقل المهمات الحربية وعمليات النقل البرمائية . ولاحظ أن أفراد «المشاة» وافراد سلاح الفرسان والمركبات الحربية ، الذين كانوا مدربين تدريباً خاصاً على العمليات البرمائية كانوا يشتركون في هذه المهمات .

ويميل «ت. سيف - سودربرج T. SÄVE- SÖDERBERG» الى الاعتقاد بان بعض الرتب والألقاب العسكرية للعاملين في هذا الميدان تبين مدى تأثيرها بالرتب والألقاب الخاصة بالعاملين بالاسطول البحري .

ويقول «شولمان» أن الرسوم والنقوش التي سجلها «رمسيس الثالث» على جدران «مدينة هابو» تبين الكثير من المناظر والصور التي تعطي انطباعاً يثبت وجود مثل هذه الوحدات العسكرية الخاصة التي كانت تسهم وتشارك في المعارك الحربية .



وكان اشتراك امراء البيت المالك في السلك العسكري من الملامح المميزة للجيش الامبراطوري المصري في عصر الأسرة الثامنة عشر . ولم يكن اشتراكهم رمزياً أو شرفياً وإنما كانوا يعملون بالفعل في الخدمة العسكرية . وكانوا يحملون رتباً عسكرية باعتبارهم من الضباط المقاتلين ، وخاصة الامراء الملكيون من الدرجة الثانية في الأسرة المالكة .

وهناك حالتان - على الأقل - نلاحظ فيهما أن امراء الأسرة المالكة كانوا يحملون لقب «قائد» فالأمير في الحالة الأولى كان برتبة «القائد العام للوحدات العسكرية المصرية في الأقاليم السورية وبلاد النوبة» . وفي الحالة الثانية كان الأمير يحمل لقب «القائد العام للوحدات المرابطة على الحدود المصرية وفي القلاع ونقاط التحصينات الحربية» .

وكان المصدر البشرى الرئيسى للضباط الجدد الذين يندرجون في السلك العسكرى المصرى هو «الشباب» ، حيث كان يتم اختيار النابهين من الشبان أبناء الشعب ، ثم يجرى تعليمهم وتنشئتهم في البلاط الملكى جنباً إلى جنب مع الامراء الملكيين الذين كانوا يشتركون معهم في جميع مراحل نظم التعليم والتدريب الصارمة .

ولاشك في أن هذه المعاشة بين الشباب والامراء المصريين ، والامثال لهذا التدريب الموحد ، كان يضمن «اخلاص» هؤلاء الشبان للجيش الامبراطورى المصرى ، عندما يتم تعيينهم في المناصب العسكرية ، كما كان يقوى الروابط بين هؤلاء الضباط وبين الملوك أنفسهم بالاضافة إلى امراء البيت الملك .

وكان لقب «حرد - ن - كاب HRD - N - KEP» ومعناه «اطفال الكاب» يمنح عادة لهؤلاء الشبان ، حيث كانوا يتفاخرون به بين قرنائهم من الشبان الآخرين ، لما كان يتيح لهم من مكانة مرموقة . وتعكس الصيغة العسكرية لهذا اللقب الروح الامبراطورية التى سادت المجتمع المصرى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر .

وكان هؤلاء النخبة الممتازة من الشبان ينحدرون عادة من أصول متواضعة ، حيث كانوا ينتمون إلى طبقة «الكتاب» أو الطبقة الوسطى من رجال الدين . وعلى سبيل المثال فقد كان الأخ الأصغر «لسننموت» يحمل لقب «حرد - ن - كاب» . وسننموت كما هو معروف ، كان المهندس الأشهر وأقرب المقرين إلى الملكة «حتشبسوت» [صورة ١٠] .

وقد قام «هلك» بتتبع تاريخ حياة بعض الشبان الذين كانوا يحملون لقب «اطفال الكاب» فتبين أن أحد شبان هذه النخبة واسمه «وسر - سات» قد عمل

تحت قيادة «المنحرب الثاني» وشغل منصب «نائب الملك وحاكم كوش» كما منح لقب «ابن الملك» لزيادة تشريفه وتبجيله .

كذلك فقد تبين أن بعض هؤلاء الشبان الذين كانوا يحملون اللقب قد تولوا مناصب عليا بالجيش ومنحوا ألقابا عسكرية ، كلقب «حامل الراية» ولقب «قائد» . كما أن بعضهم كان يشغل الوظائف العليا في البلاط الملكي ، ويحمل ألقابا مثل «حامل المروحة» أو لقب «المشرف على المباني والمنشآت الملكية» أو لقب «المشرف على صناعة بناء السفن» .



المبحث السابع

الدور التثقيفي للضباط المعلمين

تميز بلاط جميع ملوك الأسرة الثامنة عشر بوجود مجموعة من الضباط «المعلمين» الموثوق بهم ، والذين كانوا يقومون بتربية وتعليم أمراء وأميرات الأسرة المالكة .

وكانت هذه الظاهرة على درجة كبيرة من الأهمية ، فهؤلاء الضباط المعلمون كانوا على أعلى مستوى من الثقافة والمعرفة والمثل الأخلاقية العليا التي يجدر أن ينقلوها إلى تلاميذهم من الأمراء والأميرات .

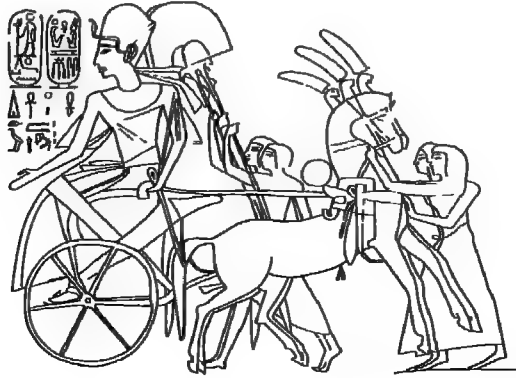
وقد قام هؤلاء المعلمون بدور واضح في نقل وتقديم ثقافة «الشمال» - الوجه البحرى - إلى البلاط الملكى ، وذلك باعتبار أنهم أنفسهم متأثرون إلى حد بعيد بهذه الثقافة ، بالنظر إلى أن «القيادة العامة» وأغلب الفيالق الحربية التي يعملون بها كانت مرابطة في الشمال .

وقد أدى ذلك إلى حدوث التطور الثقافى في خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، حيث تراكمت عناصر وأسس هذا التطور ، وأدت في النهاية إلى حدوث أزمة العمارنة .

ولاجدال في أن ثورة العمارنة انما ترجع بصفة رئيسية إلى أيديولوجية الطبقة الجديدة من الضباط ، التي تعارضت في النهاية مع العقيدة الدينية التي كانت سائدة في طيبة ، والتي كانت تعتبر الإله آمون رمزاً مقدساً للامبراطورية وللعصر الامبراطورى منذ بداياته الأولى . فالملك «كاموسى» بدأ حرب التحرير ضد الغزاه الأجانب بوحي من الإله آمون ، كما

قام بكل معاركه الحربية تنفيذا لأمر صادر من الإله آمون نفسه : «... لقد أبحرت في النيل نحو الشمال طبقا للأمر الصادر من آمون ...» .

ولعل هذا خير دليل على المكانة التي كان يتبوأها الإله آمون في تاريخ الأسرة الثامنة عشر ، حيث كان يمثل الروح الامبراطورية ، سواء في العقيدة الدينية أو في الأفكار الميثولوجية على حد سواء .



المبحث الثامن

الكتاب العسكريون

منذ بداية عصر الأسرة الثامنة عشر ، وضع نظام صارم لتجنيد الرجال وتعبئة كل الموارد الاقتصادية للدولة .

وكان هذا العمل الاستراتيجي الكبير ، يتم بفضل «هيئة عسكرية» جديدة التكوين ، تعمل داخل الاطار العام للجيش المصري . وهي «هيئة كتاب التجنيد» أو «هيئة كتاب امدادات الجيش» .

ويمكن القول بأن هذه الهيئة المتخصصة ، هي أول هيئة من نوعها ظهرت في التاريخ الحربي للقوات المسلحة في العالم ، حيث أن الاختصاصات التي كان يمارسها «الكتاب العسكريون» المصريون القدماء ، هي نفسها الاختصاصات التي تمارسها «هيئة كبار الضباط» في أى جيش من الجيوش الحديثة .

والملاحظ أن جميع الرجال الذين كانوا يعملون في تلك الهيئة ، كانوا مدربين تدريباً خاصاً لاجادة «فنون الكتابة» جنباً إلى جنب مع «الفنون العسكرية القتالية» . وكانوا يبدأون حياتهم في السلك العسكري عادة باعتبارهم «جنوداً كتاباً» بالقسم الإداري بوحدات الجيش ، ثم يتدرجون في سلم الترقى للرتب العسكرية الأعلى ، من هذا المنطلق .

وكان بعضهم يصل إلى رتبة «رئيس الكتاب العسكريين» أو رتبة «كاتب الجيش» بل وأيضاً إلى رتبة «قائد الجيش» .

وعلى الرغم من اختصاصهم الرئيسى كان ذا صبغة إدارية ، إلا أنهم كانوا على قدرة كبيرة فى القيام بالأعمال الأخرى ذات الصبغة العسكرية القتالية . وكان يعهد إليهم فى حالات كثيرة بقيادة فرق الجيش .

وعلى سبيل المثال فقد شغل الضابط «حورمحب» منصب «قائد الجيش» فى عهد كل من «امنحتب الثانى» و «تحتمس الرابع» . وكان «حورمحب» يشغل من قبل رتبة «كاتب الجيش» كما هو مدون على باب مقبرته المعروض بالمتحف البريطانى .

وفى بعض الأحوال الأخرى ، تمت ترقية بعض الكتاب العسكريين إلى رتبة «قائد سلاح المركبات الحربية» أو «قائد سلاح الفرسان» . كما هو الحال مع الضابط «آى AY» الياور الشهير وصاحب الشأن الكبير فى بلاط اخناتون بالعمارة ، والذى كان يحمل أيضا مجموعة من الرتب والألقاب العسكرية مثل «حامل الراية» و «كاتب الجيش» و «قائد سلاح الفرسان والمركبات الحربية» .

ومن الواضح أن ظهور هذا الاختصاص ، أو هذه الحرفة العسكرية الجديدة فى الجيش المصرى فى بداية عصر الأسرة الثامنة عشر ، انما يعكس صورة مكثفة للاختصاصات والمسئوليات المتداخلة والبالغة التعقيد ، داخل «آلة الحرب» المصرية وجيشها الامبراطورى .

وفى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، تعددت الحالات التى كان فيها كبار الضباط الذين يحملون رتبة «قائد الجيش» ويحملون أيضا رتبة «كاتب الجيش» .

وفى رأى أن هذا التدخل المباشر من كبار الضباط والقادة العسكريين فى الشؤون والانشطة ذات الطبيعة الادارية ، كان بغرض خدمة وتنظيم القوات المسلحة ، وأن هذا التدخل قد أخذ يزداد بمرور الوقت .



وكان «امنحتب بن حابو AMENOPHIS , THE SON OF HABU»^(١) من أشهر الضباط الذين ينتمون إلى فئة «الكتاب العسكريين» . وفي قصة حياته التي دونها على جدران مقبرته ، شرح بالتفصيل الاختصاصات التي كانت مسندة إليه بحكم رتبته العسكرية ، فذكر أنه قام بتجنيد أفضل الشبان اللائقين للخدمة بالقوات المسلحة ... وأنه قام بتدوين اسمائهم في سجلات وقوائم كثيرة جدا .

ونخرج من هذا النصى بدلاتين واضحتين : أولاها أن تجنيد الشبان «المصريين» للخدمة العسكرية ، كان يتم باعداد كبيرة ، ويتم اختيارهم من بين الشبان اللائقين للخدمة العسكرية . أما الدلالة الثانية ، فهي أن عملية التجنيد كانت مسئولية تقوم بها السلطة المركزية بالعاصمة ، وليست السلطات الاقليمية المحلية ، كما كان الحال في عصر «الدولة الوسطى» .

ولاجدال في أن السجلات والقوائم التي كانت تدون فيها أسماء وأعداد الجنود والضباط وجميع العاملين في الخدمة العسكرية ، بالإضافة إلى السجلات الأخرى التي تتضمن الاحصائيات الخاصة بالموارد الاقتصادية للدولة ، كانت خير عون للسلطات العليا ، عند الحاجة إلى اتخاذ قرار بالتعبئة الجزئية أو التعبئة العامة للجيش الامبراطورى .

وهذه السجلات الأخيرة كانت الوسيلة الفعالة لمعرفة مدى قوة ووزن مايمكن أن نسميه «الجبهة الداخلية» بمفهوم المصطلحات السياسية والعسكرية المعروفة في العصر الحديث . ومعنى ذلك أن المصريين القدماء في العصر الامبراطورى ، كانوا أول من استخدم مصطلح «الجبهة الداخلية للدولة» بهذا المضمون .



وكان «تيني TJENINI» يتولى منصب «كاتب التعبئة والتجنيد» في عهد الملك «تحوتمس الرابع» . وكتب قصة حياته أيضا على جدران مقبرته ، وفيها نص مفاده : «... أنه صاحب مولاه ، وأنه قام بتسجيل جميع الأفراد الذين يتكون منهم جيش

جلالته .. واعد قوائم بأعداد وأسماء جميع المجندين من الشبان للخدمة العسكرية ، مع ذكر اختصاصات وواجبات كل فرد منهم» .

وكانت هذه السجلات - كما ذكرنا من قبل - على درجة غاية في الأهمية عند اجراء التعبئة . كما لاتخفى اهميتها بالنسبة لمؤسسة الجيش ، خصوصا عند اجراء التدريبات ، أو للاستعانة بحصر أسماء وعناوين الجنود والضباط لاستدعائهم عند الحاجة ، أو لمعرفة الاحتياجات البشرية والعسكرية عند وضع خطط الحملات الحربية .

أما تدريب المجندين الجدد ، فكان أمراً في غاية الأهمية في جميع الوحدات العسكرية التي كانت تتكون منها القوات المسلحة المصرية بفروعها الثلاث (المشاة والمركبات الحربية والأسطول) .

وكان يقوم بالتدريب نخبة ممتازة من الضباط المؤهلين لأداء هذا الاختصاص على أعلى قدر ممكن من الكفاءة ، ويحملون رتبا وألقابا عسكرية مضمونها القيام بمهمة تدريب الجنود ، وتأسيس وتنظيم الوحدات العسكرية طبقا لخطة التدريب في كل فرع من فروع القوات المسلحة .

وعلى جدران مقبرة «تيني» الذي كان يتولى منصب «كاتب التجنيد» كما ذكرنا ، نجد نصاً آخر يدل على وجود رتبة لمنصب عسكري آخر كان يتولاه ضابط مصري اسمه «سنيد جهوسى SENED JMOSE» وكان لقبه «حامل راية التدريب بالاسطول الحربي» .

ويعتقد «هلك» بأن الضباط الكبار الذين كانوا يحملون رتبة «قائد الجيش» أو رتبة «كاتب التجنيد» كانوا يشرفون أيضا على تنفيذ واداء التدريبات الخاصة بالمجندين .

وسنعرض فيما بعد ، أبعاد النور الهام الذي كان يقوم به الضباط الذين يحملون رتبة «كاتب التجنيد» في مختلف الميادين والانشطة الأخرى الفنية والدينية والادارية .

المبحث التاسع

دور الطبقة العسكرية الجديدة فى المجتمع المصرى

فى الدراسة الشهيرة التى أجراها «هالك» عن تأثير الموظفين العسكريين على تاريخ الأسرة الثامنة عشر ، نجده قد اعتنق نظرية مفادها إرجاع هذا التأثير إلى الظروف الخاصة والحالات الفردية التى تميز بها بعض الرجال العسكريين ، خصوصاً فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

ولذا كانت هذه النظرية مقبولة على نحو ما ، إلا أنها لا تفسر لنا هذه التغيرات المتميزة التى أخذت تحدث وتتغلغل فى الدولة وفى المجتمع بسبب الروح الامبراطورية التى سادت فى ذلك العصر ، فقد ظهرت طبقة جديدة مهيمنة بدأت تتشكل منذ السنوات الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وظلت تتطور وتتسع وتزداد قوة ورسوخاً فكرياً بشكل غير مسبق فى التاريخ المصرى القديم .

هذه الطبقة التى نشأت أساساً على أيدي الرواد الأول من الضباط العسكريين ، هى التى استطاعت أن تحتل عرش مصر بعد أزمة العمارة ، ثم قامت بتأسيس الأسرة التاسعة عشر ، كما قامت بتأسيس الأسرة الحادية والعشرين فيما بعد ، وهى الأسرة التى أقامها «الضباط الكهنة» بعد سقوط الأسرة العشرين .

ويرى «ج. فاندييه J. VANDIER» أن هذه الطبقة العسكرية الجديدة قد تشكلت على وجه التأكيد فى عصر الأسرة الثامنة عشر . ويستند فى ذلك إلى النص المنقوش على جدران مقبرة «تيني» الذى أشرنا إليه آنفاً (المقبرة رقم ٧٤ بطيبة) .

وطبقا للترجمة والتحليل الذي ذكره «فاندييه» لهذا النص ، نرى أن : «تينيى - الكاتب العسكرى المحبوب من جلالاته - كان يقوم بحشد وتعبئة كل ما فى البلاد ليعطى جلالاته صورة احصائية لكل ما هو مطلوب معرفته .. وكان يقوم بفحص كل شخص .. ويشرف على السجلات الخاصة بكل الجنود ، والكهنة ، والرقيق التابعين للملك والأسرة الملكية .. وجميع أصحاب الحرف فى كل أنحاء البلاد .. وكذا السجلات الخاصة باحصائيات كل المواشى ، والطيور والقطعان الصغيرة ...» .

وهذا النص فى غاية الأهمية ، إذ يعطينا صورة واضحة للسلطات الواسعة التى كانت ملقاة على عاتق «ضباط التعبئة والتجنيد» فى عهد الملك «تخوتمس الرابع» الذى كان الضابط «تينيى» يعمل تحت إمرته .

ويتضح لنا أن الطبقة العسكرية قد بلغت أوج سلطتها فى ذلك العهد . وعلى قمة هذه الطبقة ، كانت هناك مجموعة من الضباط المتفوقين أصحاب المواهب الخاصة ، فكان منهم المثقفون والسياسيون ، ورجال الاقتصاد ، والتكنوقراطيون ، والاداريون .

ولم يكن تغلغل نفوذ هذه الطبقة فى كل ركن من أركان الدولة ، إلا نتيجة لانتصارها فى صراعها المرير ضد طبقة رجال الدين والكتبة التقليديين فى طيبة .

ويقول «إل. فون كومورتسينسكى A. VON KOMORZYNSKI» عن هذه الطبقة العسكرية الجديدة ، أن - الجنود العاديين - الذين كانوا يعملون تحت قيادة الضباط ، كانت لهم امتيازات خاصة جعلتهم بلورهم طبقة متميزة ، بالمقارنة بجماهير الشعب من الفلاحين والعمال ، وعلى ذلك فيمكن القول بأن طبقة الضباط العسكريين ومن هم تحت قيادتهم من الجنود المحاربين ، كانوا يتولون مقاليد جميع الأمور الخاصة بالثروة القومية فى مصر .

ويعطينا «ج. يانسن J. JANSSEN» تحليلاً ماركسيا عندما يضع «العامل الاقتصادى» محل اعتبار فى تحليل أوضاع هذه الطبقة الجديدة ، حيث يقول بنظرية مفادها أن الاقتصاد المصرى قد تعرض لعملية «اعادة توزيع الثروات القومية بين طبقات المجتمع» .

وكان «الفرعون» بما يتمتع به من حق إلهي ، يقوم بالدور الرئيسي في تلك العملية .

وكانت المعابد والنذور الدينية تمثل مجرد جزءاً من عناصر الاقتصاد القومي المصري .

ويمكن فهم «النظام الضرائبي المصري» في ذلك العصر في ضوء النظرية التي يقول بها «يانسن» . حيث كانت جميع السلع والبضائع تجمع وتنقل إلى مجموعة من المخازن المركزية الضخمة ، قبل توزيعها على الشعب . ولاشك أن مثل هذا النظام الاقتصادي يتلاءم مع الحق الإلهي الذي كان يتمتع به الفرعون في كافة ميادين الحياة المصرية .

وكان الموظفون الرسميون الذين يتولون مباشرة مثل هذه الاختصاصات من طبقة العسكريين الجديدة ، سواء أكانوا من الضباط العاملين بالخدمة العسكرية ، أو من الضباط الذين أحيّلوا إلى الاستبداد وعهد إليهم القيام بوظائف ذات طبيعة مدنية .

وإذا كان هناك «صراع طبقي» قد حدث في ذلك العصر ، فهو الصراع بين هذه الطبقة العسكرية الناشئة ، وبين طبقة رجال الدين والموظفين المدنيين التقليديين في طبقة .

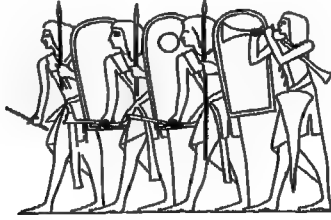
وأصبح الجنود المحترفون ، وكذلك الجنود الذين يتم تجنيدهم ملاكا للأرض الزراعية ، أو من أصحاب «حق الانتفاع» بها على الأقل . وبطبيعة الحال فقد كان هؤلاء

الجنود تحت إمرة وسيطرة قوادهم من الضباط ، الذين كانوا بدورهم على رأس هذا النظام الاقتصادي القائم على عملية «إعادة توزيع الثروات» .

ونحن نرى أن هذا النظام الاقتصادي كان من أهم العوامل الحاسمة في التطور الذي حدث في التاريخ المصري في عصر الأسرة الثامنة عشر ، وأميل إلى الاعتقاد بأن قوة وسيطرة كهنة آمون قد تعاظمت في خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، كما تعاظم في الوقت

نفسه حجم الصراع بين هؤلاء الكهنة ، وبين الفراعنة ، خصوصاً في فترة النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وكقاعدة عامة ، لم تكن المعابد في عصر الأسرة الثامنة عشر معفاة من الالتزام بدفع الضرائب ، مثلما أصبح عليه الحال في أواخر تاريخ «الدولة الحديثة» .



اما الضباط الذين كانوا يحالون إلى المعاش أو الاستيداع بعد خدمتهم العسكرية ، فقد كانوا يعينون في وظائف عليا باعتبارهم من الأفراد الذين يعتمد عليهم الفرعون . وكان بعضهم مقرباً إلى الملك إلى حد بعيد ، كأن يشغل وظيفة «الاور الملكي» أو «ساقى الملك» وخدامه الخاص» أو «حامل المروحة على يمين الملك» أو «المشرف على ادارة القصور الملكية» أو «المشرف على ادارة الأراضي والممتلكات الملكية» أو «المعلم في البلاط الملكي» ..

ومن الواضح أن الروح العسكرية في عصر الامبراطورية ، قد انعكست على جميع أوجه الانشطة الداخلية بالدولة . وأصبح الجيش هو المهيمن على جميع الانشاءات المعمارية الطموحة التي تقيمها الدولة .

كذلك فقد تولت اعداد كبيرة من الضباط وظائف عليا كثيرة خارج الاطار العام لمناصب الخدمة العسكرية ، وأصبح هؤلاء الضباط يمثلون حجر الزاوية في جميع مرافق الدولة ، بما في ذلك المرافق الدينية والمعابد .

وبالنظر إلى العلاقات الوثيقة التي أصبحت تربط هؤلاء الضباط بالبلاط الملكي وبدوائر الحكم العليا ، فلم يكن من الصعب عليهم أن ينتصروا بالتدرج في الصراع الذي نشب بينهم وبين «كهنة آمون» وحلفائهم من طبقة كبار الموظفين المدنيين في طيبة .

وحتى الاحترام التقليدى الذى كان تتمتع به طبقة الكتاب العاديين باعتبارهم من المثقفين ، قد انتقل بدوره إلى النخبة الممتازة من طبقة العسكريين الذين تزودوا بأعلى مستويات الثقافة الواسعة التى تميز بها ذلك العصر .

وبالرغم من أهمية «الدين» فى الحياة العامة بمصر القديمة ، فلم يتم العثور على أية دلائل توضح لنا طبيعة «النظام التعليمى للتخصص الدينى» .

وكان أهم الألقاب الدينية التى كان يحملها كبار الكهنة ، لقب «خرى - حبت hbt - hry» ومعناه «حامل كتاب الطقوس» . وكان بعض الكهنة الآخرين يحملون لقب «كاتب الكتاب المقدس» . وسنرى فيما بعد أن بعض كبار الموظفين العسكريين كانوا يحملون ألقاباً دينية مماثلة ، كما هو الحال بالنسبة «لامنحتب بن حابو» .

وعلى أية حال فإن هناك دلائل واضحة تؤكد ارتفاع المستوى الثقافى لطبقة الضباط العسكريين ، أو على الأقل بالنسبة لبعض منهم والذين يمكن وصفهم بالعابرة ذوى الثقافة الموسوعية . ولعل أشهرهم المهندس العبرى «سننموت» و «امنحتب بن حابو» .

ويرى «هالك» ان الضباط المحالين إلى المعاش أو الاستيداع ، كانوا يمنحون الوظائف لاعانتهم على استمرار حياتهم بالمستوى اللائق بهم .

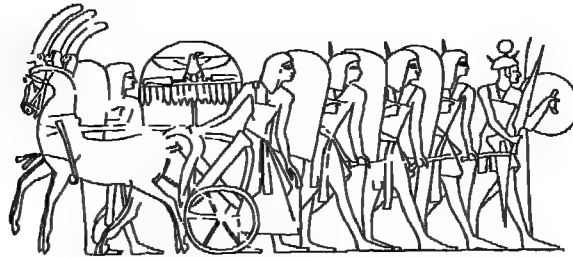
ونحن نختلف مع «هالك» فى ذلك . فإن ما يراه «معاشا» أو «استيداعاً» «ALTERSSTELLUNG» هو فى حقيقة الأمر نظام معقد يعتمد على ضباط الجيش ، فى الوقت الذى يكون فيه الجيش مع الدولة وحدة مندمجة متكاملة .

ويقول «هالك» أن جميع الموظفين العسكريين ، حتى قادة الجيش، قد أحيلوا إلى الاستيداع بعد أزمة العمارة ، مالم يكونوا من أفراد الاسرة المالكة .

ولكن الملك لم يترك هؤلاء العسكريين لممارسة حياتهم فى القطاع الخاص ، وإنما اعتمد عليهم فى تولى العديد من الوظائف والمناصب العليا التى تتناسب مع مؤهلاتهم ومواهبهم الخاصة .

ومن هؤلاء العسكريين ، تم اختيار من يتولون الاشراف على جميع الأنشطة الاقتصادية للدولة . وبذلك تحقق للملك - عن طريق أهل الثقة هؤلاء - أن يسيطر سيطرة كاملة على جميع مكونات الثروة القومية فى جميع أنحاء الامبراطورية .

وهكذا تولى العسكريون المناصب التى تؤهلهم لإدارة ممتلكات الفراعنة ، وممتلكات الحرم الملكى ، وممتلكات أفراد العائلة المالكة ، وممتلكات المعابد . بل ونؤكد أن جميع أوجه الحياة الاقتصادية الخاضعة للملك ، أصبحت تدار بواسطة جهاز إدارى على درجة عالية من الكفاءة ، يتكون بصفة رئيسية من النخبة الممتازة من الطبقة العسكرية الجديدة .



المبحث العاشر

الخلفية التعليمية للضباط

من المسلم به أن التمرينات البدنية والرياضة التي كان يقوم بها «امنحتب الثانى»^(١) في مدينة «منف»^(٢) حين كان ولياً للعهد ويشغل بالتالى منصب «القائد العام للقوات المسلحة المصرية» كانت بطبيعتها تمرينات عسكرية ، مصممة طبقا لخطه التدريب المفروضة على جميع الضباط وجنود الجيش .

ويشير النص الذى جاء به ذكر هذه التمرينات بوضوح ، إلى انها كانت مرتبطة تماماً بالتدريب العسكرى المقرر على وحدات القوات المسلحة ، وأن لها وظيفة تعليمية مرتبطة تماماً مع التدريبات على أعمال القتال والتدريبات الأخرى ذات الصبغة العسكرية البحتة .

وقد وردت نصوص كثيرة في عديد من المقابر الخاصة بضباط المشاة وضباط سلاح المركبات الحربية ، تشير إلى أن هؤلاء الضباط كانوا على مستوى رفيع من الثقافة العامة ، مع معرفة واسعة بمختلف العلوم التي كانت سائدة في عصرهم .

وعلى سبيل المثال فالنصوص المنقوشة على جدران مقبرة الضباط «بارنن PARENEN» الذى كان يتولى منصب «المشرف على الاصطبلات الملكية» تشير إلى أنه كان يحمل ألقاباً أخرى مثل «كاتب الكتب المقدسة بالأرضين - أى بالوجهين البحرى والقبلى» و «كاتب بيت الحياة بالأرضين» و «المشرف على تنظيم أعياد الاله أوزوريس» .

ومن الظواهر الثقافية في الفكر المصرى القديم ، ذلك الارتباط الوثيق بين العلوم اللاهوتية والعلوم الطبيعية الدنيوية الأخرى . ولعل هذا يفسر لنا سهولة الانتقال من منصب وظيفى إلى منصب وظيفى آخر ، أو الجمع بين المناصب ذات الاختصاصات المتباينة في كل

من الجيش والادارة الحكومية والمعابد الدينية ، كما يفسر لنا أيضا القرارات التي اتخذها «حور محب» حين أراد اعادة تعمير المعابد المهجورة التي كانت تعبد فيها الآلهة المصرية القديمة ، والتي أغلقت أيام أزمة العمارة . فقد عين «حور محب» مجموعة كبيرة من الكهنة العاديين والكهنة المرتلين لمباشرة الطقوس الدينية من جديد في تلك المعابد العديدة ، في جميع مناطق وادى النيل المصرى ، من أحراش الدلتا حتى أقصى جنوب البلاد ، وقد تم اختيار جميع هؤلاء الكهنة من بين رجال القوات المسلحة .

وتتضمن بردية «أنستاسى رقم ١» نصاً لرسالة طريفة ، يرجع تاريخها إلى عصر الرعامسة ، أرسلها الضابط الكاتب العسكرى «حورى HORI» إلى ضابط آخر بالجيش اسمه «امنوى AMENOPE» . وفي هذه الرسالة يسخر «حورى» بشدة من الأهمية التي يعطيها «امنوى» لنفسه واحساسه الزائد بذاته ، ويتهكم فيها أيضاً على جهل «امنوى» وادعائه العلم والمعرفة ، وتعتبر هذه الرسالة في عمومها دليلاً على وجوب توافر المعرفة العلمية الواسعة لكل من يشغل منصبا من فئة «الكاتب العسكرين» .

وتعكس هذه الرسالة صورة صادقة من افتخار الكاتب العسكرى «حورى» بنفسه ويمنصبه باعتباره ضابطاً بالاصطبلات الملكية الخاصة «برمسيس مرى - آمون» ،^(٣) وباعتباره أيضاً كاهناً بمعبد مدينة «خمنو HMNW» - الاشمونين بالمنيا - ومشرفاً على أكاديمية تعليم الكتابة ، والمكتبة الملحقة بالمعبد ، وباعتباره ايضاً استاذاً ذا مواهب ممتازة .

وفي بردية «أنستاسى رقم ٣» نجد الضابط «امنوى» يرد على زميله «حورى» فخراً بفخر ، وأخذ يعدد باعجاب ، المناصب التي يشغلها والمستوى العلمى الذى يتمتع به ، فهو «استاذ معلم» كما يشغل منصب «الفارس الأول للملك» ويحمل رتبة «القائد المساعد لسلاح المركبات الحربية» كما يفخر بأنه كان «رسول الملك» للتفاوض مع أمراء سوريا من منطقة «ثارو THARO» حتى منطقة «يوبوا YOPA» قرب دمشق .

وبالرغم من أن هاتين الوثيقتين تنتميان إلى عصر الرعامسة ، إلا أن مضمونها من حيث بيان المستوى العلمى الرفيع لطبقة الضباط العسكرين ، يمكن اعتباره نموذجاً لما كان عليه الحال بالنسبة لضباط الأسرة الثامنة عشر .

وهذا الفخر العظيم بالانتماء إلى طبقة ضباط الفرسان والمركبات الحربية يعطينا صورة واضحة للمستوى الطبقي الرفيع الذى ارتقى إليه الضباط فى عصر الرعامسة ، حتى أصبحوا طبقة ارستقراطية متميزة .

وثمة أدلة عديدة على أن التفاخر بتولى مثل هذه المناصب العسكرية كان شائعاً بين الضباط فى السنوات الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، حيث كانوا يتميزون بما يسمى فى الجيوش الحديثة بروح الفريق ، أو روح الانتماء للوحدة العسكرية «L'ESPRIT DE CORPS» .

وهذان الضابطان اللذان ينتميان إلى عصر الرعامسة ، يعتبران من خلفاء قرنائهما من ضباط سلاح الفرسان والمركبات الحربية ، الذين كانوا يعيشون فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، والذين كانوا يتمتعون أيضاً بمستوى علمى رفيع مماثل . كما أن الألقاب التى كان يحملها هذان الضابطان باعتبارهما من الاساتذة المعلمين ومن الكهنة ، كانت مماثلة للألقاب التى كان يحملها بعض ضباط الأسرة الثامنة عشر .



ومن الرسالة التهكمية التى أرسلها كاتب الجيش «حورى» إلى زميله «امنوى» نتبين ابعاد الصفات والدرجات العلمية التى يجب أن تتوفر فى الضباط طبقاً لطبيعة العصر . لقد أكد «حورى» ضرورة أن يكون الضباط متمكنين من «فن المراسلات الرسمية» وأن يكون على أعلى مستوى فى علوم الجغرافيا ، والطبوغرافيا ، والهندسة ، والمعمار ، والرياضيات .

ونتبين كذلك من رد «امنوى» مدى الخبرة العالية والقدرات العلمية والشخصية التى يجب أن تتوفر فى الضباط الذى يقوم بدور «رسول الملك» الموفد إلى البلاد الأجنبية للقيام بمهام ذات طبيعة دبلوماسية .

ونخلص من الموضوع كله ، بأن طبقة الضباط العسكريين كانت تتضمن الرجال الطموحين الذين لا يكتفون باجادة الفنون العسكرية القتالية فقط وإنما يتطلعون دائماً إلى التزود بالعلم والمعرفة إلى جانب المواهب الشخصية .

ونخلص كذلك بأن الضباط كانوا مؤهلين طبقاً للنظام التعليمي التقليدي لفنون الكتابة ، بالإضافة إلى الخبرات العلمية والضرورية التي تؤهلهم لحمل ما يناط بهم من مسئوليات في المناصب التي يباشرونها ، سواء أكانت مناصب عسكرية أو دبلوماسية أو سياسية أو اقتصادية . وقد بدأ ذلك واضحاً ، على وجه الخصوص ، في فترة النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشر ، كما سنعرضه فيما سوف نشرحه من عناصر هذه الدراسة .



الفصل الثانى

الوضع الاقتصادى والاجتماعى

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الأحوال الاجتماعية للطبقة العسكرية الجديدة فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الثانى : الممتلكات العقارية لطبقة العسكريين .

المبحث الثالث : مركز الرقيق فى مجتمع الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الأول

الأحوال الاجتماعية للطبقة العسكرية الجديدة فى عصر الأسرة الثامنة عشر

من المسلم به لدى كثير من المؤرخين ، حدوث صراع بين كبار كهنة الاله آمون وبين بعض فراعنة الأسرة الثامنة عشر .

غير أننا لا نسلم بهذه الفكرة الشائعة ، ونرى أنها لا تستقيم ولا تتناسب مع الروح التى كانت سائدة فى عصر هذه الأسرة ، ونرى أيضا أنه إذا كان هناك صراع قد حدث فى عصر هذه الأسرة ، فهو صراع نشب بين كهنة آمون بطيبة وضباط الجيش المصرى .

لقد سادت الروح الامبراطورية ذلك العصر بأكمله ، وتكونت الطبقة العسكرية وازدادت قوتها ومستواها العلمى بفضل النخبة الممتازة من الضباط ذوى المكانة العلمية الرفيعة .

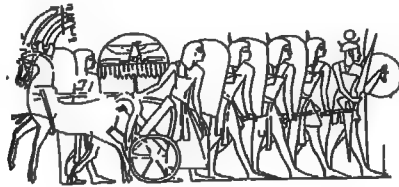
ومن الحقائق الثابتة أن الجيش المصرى فى ذلك العصر كان يتكون كله من الضباط والجنود المصريين الخالص ، الأمر الذى أدى إلى نوع من التجانس ، أدى بدوره إلى تماسك الطبقة العسكرية ، وتمائل مصالحها كطبقة اجتماعية جديدة .

ويؤيد «و.ف. إدجرتون W.F. EDGERTON» النظرية التاريخية القائلة بأن بوادر ظهور وتطور الطبقة العسكرية الجديدة ، انما ترجع إلى بدايات عصر الأسرة الثامنة عشر ، حيث أصبحت لتلك الطبقة مصالح يحتمل تعارضها مع مصالح الطبقات الأخرى ، وخصوصاً طبقة الكهنة .

أما بالنسبة للفرعون ، المستند إلى «حقه الالهي» في الحكم ، ودوره الطبيعي باعتباره القمة العليا لنظام الحكم ، فيقول «إدجرتون» : «مهما كانت طبيعة النظام ، ومهما كانت قوة الحكومة ، فإن كل فرد في الدولة ، كان يسلم تماماً بأن الفرعون هو الملك صاحب السلطة المطلقة ، وإن سلطته تستند - نظرياً - على ألوهيته المفترضة ، ولذلك فقد كان الفرعون يسمى على الدوام «بالاله الطيب THE GOOD GOD» كما كان يطلق عليه لقب «ابن رع إله الشمس» . ولم يكن هذا اللقب مجرد تشریف أو تبجيل للفرعون ، بل كان مقصوداً بمعناه الحرفي . كذلك فإن مفهوم (السلطة المطلقة) التي كان يمارسها الملك في الحكم ، ينصرف معناه إلى أن الملك كان يمارس سلطات واسعة لا حدود لها ولا معقب عليها» .

وهناك فكرة مقبولة لدى كثير من المؤرخين ، مفادها تأكيد وجود «مجموعة من القوانين المكتوبة LAW CODE» كان يجري تطبيقها في عصر الأسوة الثامنة عشر . غير أن «إدجرتون» يؤيد الفكرة المعارضة ، والتي تنفي وجود مثل هذه «المجموعات من القوانين» . والتي تقرر بالتالي أن «القانون الوحيد» الذي كان مطبقاً في ذلك العصر ، هو «الارادة الملكية» للفرعون ، حيث كان يصدر القوانين ، أو يقوم بتغييرها أو تعديلها في أى وقت يشاء ، ومعنى ذلك أنه لم تكن بمصر «مجموعات من القوانين LAW CODES» بالمفهوم الفنى والقانونى الذى كان سائداً في عصر «الرومان» .

وعلى ذلك فإن التشريع أو حق إصدار القوانين ، كان من اختصاص الملك وحده . أما ممارسة «القضاء» فكانت من اختصاص بعض الرجال الذين كانوا يشغلون عادة مناصب عليا ذات طبيعة إدارية .



ومن الوثائق القانونية النادرة التي وصلت إلينا من ذلك العصر ، نتيبن أن «النص القانوني» كان يبدأ عادة بكلمتي «قال الفرعون ...» ثم يعقب ذلك نص القانون أو المرسوم الصادر في موضوع معين . وذلك مثلما جاء « بمرسوم حورحوب »^(١) و «مرسوم ناوري NAURI»^(٢) الذي أصدره «سيتي الأول» . ويتضح من هذين المرسومين أن الفرعون كان صاحب السلطة المطلقة والوحيدة لإصدار القوانين والمراسيم .

ويشير «إدجرتون» أيضا إلى أن عملية اللجوء إلى الآلهة لتلقى الوحي المقدس الذي يقرر أمرا ما^(٣) ، أصبحت عملية نادرة الحدوث في عصر الامبراطورية المصرية . بينما يرى «ل. كاكوشي L. KAKOSY» أن اللجوء إلى طلب الوحي من الآلهة قد عاد إلى الظهور مرة أخرى ، وعلى نطاق ضيق ، وبالنسبة لأمر خاصة قليلة الأهمية ، وذلك في عصر الرعامسة .

ويرى «إدجرتون» أيضا بالنسبة لوضع ومركز المعابد والكهنة في عصر «الدولة الحديثة» أن الكهنة وغيرهم من موظفي المعابد الدينية كانوا يعملون «بالوكالة» عن فرعون ، مثلهم في ذلك مثل غيرهم من ضباط الجيش ، أو من «الجباة» جامعي الضرائب . وأن الفرعون كان صاحب السلطة العليا في تعيين وعزل كهنة المعابد ، كما هو الشأن بالنسبة لجميع وظائف الخدمة العامة في الدولة .

وبالرغم من أن هناك شواهد كثيرة على أن الكهنة كانوا يورثون وظائفهم ومناصبهم إلى ابنائهم ، فإن هذا الحق لم يكن قاصراً على الكهنة وحدهم ، بل كان شائعا أيضا بين موظفي الإدارات الحكومية المختلفة .

ويقول « إدجرتون » انه في خلال عصر الامبراطورية المصرية بأكمله ، لم يوجد أى «موظف رسمي» واحد ، كانت سلطته في الحكم تمتد لتشمل جميع انحاء البلاد المصرية ، أو تشمل سلطته إدارة جميع ادارات الحكومة ومؤسسات الخدمة العامة . وعلى هذا فلم يكن للوزراء حق ممارسة أى نوع من السلطة في بلاد النوبة ، حيث يوجد «نائب الملك» الذي يعتبر مسؤولاً أمام الملك مباشرة ، أو في البلاد والأقاليم السورية التي تخضع في حكمها إلى ضباط الجيش الذين كان يعينهم الملك .

ويتبين من هذا أن فراعنة عصر الامبراطورية ، لم يتخلوا أبداً عن سلطاتهم الكاملة ، ولم يظهر في عهودهم أى «فرد» مهما علا شأنه ، كان يمكنه أن يمثل الملك فى كل مكان أو فى كل الشئون . ويظهر هذا الاتجاه بوضوح فى جميع عهود ملوك الأسرة الثامنة عشر على وجه الخصوص .

ويرى «إدجرتون» انه لم تكن هناك مهن أو وظائف أخرى تعتمد على «الملكية الخاصة» أو «الحرف الخاصة» خارج نطاق الخدمة العامة ، أو القطاع العام التابع للدولة . وكان الطريق المهدد الوحيد أمام الافراد الطموحين من عامة الشعب ، هو الانتماء إلى الأعمال التى تديرها الدولة والمرافق العامة التابعة لها .

ومن «مرسوم ناورى» الذى أشرنا إليه سلفا ، يمكن أن نستنتج أن نظم الضرائب المعمول بها فى الدولة ، كانت تطبق على المعابد ، بمعنى أن المعابد لم تكن معفاة من دفع الضرائب . كما نستنتج أيضا أن «الأفراد» الذين كانوا يعملون بتلك المعابد ، كانوا ملزمين بالعمل بها بصفة شبه جبرية أو الزامية ، وأنهم كانوا يعملون تحت إشراف مباشر من الجيش . وأن ذلك كان يعتبر استثناء من الوضع العام كمييزة منحها الفرعون .

هذا ويفترض «إدجرتون» وجود نوع من «الملكية الخاصة» المشروعة قانونا للأفراد . ومن مقتضى هذا النوع من الملكية للأرض الزراعية ، أن يحق للملاك الافراد القيام بالتصرفات القانونية الخاصة بنقل ملكية هذه الأراضى ، سواء بالبيع أو بالشراء عن طريق نظام التوريث .

وبطبيعة الحال ، وبعد قيام جميع أنشطة الدولة بدفع ما هو مقرر عليها من ضرائب ، فمن المؤكد أن يصبح الملك أغنى أغنياء مصر ، باعتباره المالك الفعلى لجميع الأراضى الزراعية ، وباعتباره المتصرف القانونى فى جميع الممتلكات المصرية ، بما فيها ممتلكات المعابد .

وكان من المعتاد أن يقوم الملك بتقسيم الأراضي الزراعية المملوكة مباشرة للتاج أو المملوكة للمعابد ، وتوزيعها على كبار الموظفين ، سواء من العاملين في الادارات الحكومية ومرافقها ، أو من العاملين في إدارة المعابد الدينية . وذلك على أن يكون لهؤلاء الموظفين الكبار حق «الادارة» فقط لتلك الأراضي دون حق «ملكية الرقبة» .

ومعنى ذلك أن مثل هذه الأراضي الزراعية كان لها مالك مفترض هو «الفرعون» أو «الاله» وكان لها «مدير» يشرف على إدارتها واستغلالها ، على أن يفى للدولة بالضرائب المفروضة عليها ، وهى فى الغالب نسبة مقررة من المحاصيل الزراعية من حبوب أو ثمار أو مخضروات .

ومن المفترض فى مثل هذه الحالة ، أن يعمل «المدير» على زيادة الانتاج الزراعى للأرض الممنوح له حق ادارتها ، لكى يعطى للدولة النسبة المقررة من المحاصيل ، وأن يستبقى لنفسه قدرأ آخر من المحاصيل ، يمثل مكافأته ورجحه .

ونخلص من هذا كله بأن «الحق الالهى» فى الحكم ، المفترض لصاحب عرش مصر ، وهيمنته بالتالى على كل الأمور الدينية والدينية فى طول البلاد وعرضها ، قد ظل سائداً فى فترة عصر الامبراطورية بأكمله ، وفى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر على وجه الخصوص .

ونظراً لأن الفرعون كان يستعين بالضباط العسكريين ، الذين كانوا يعينون فى المناصب التى تتيح لهم التحكم والسيطرة على إدارة جميع الممتلكات ، سواء فى ذلك الممتلكات الخاصة بالفرعون والعائلة المالكة أو ممتلكات المعابد الدينية ، فقد كان من الطبيعى أن يقوى نفوذ طبقة الضباط الجديدة باعتبارها أهم القوى الاقتصادية فى ذلك النظام الاقتصادى الذى يقوم على فكرة اعادة توزيع الثروة .



المبحث الثانى

الممتلكات العقارية لطبقة العسكريين

ذكرنا من قبل أن بداية تكوين طبقة العسكريين الجديدة ، وممارسة دورها كملاك للأراضي أو كمديرين لمرافق الاقتصاد القومى ، ترجع إلى السنوات الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وإلى أيام حرب التحرير .

ومن قصة حياة «أحمس بن أبانا AHMOSE THE SON OF ABANA»^(١) نجد نصاً يقول : «... وعلى هذا فقد منحت خمسة من الرقيق ، بالإضافة إلى خمس «أرورات AROURA»^(٢) من الأرض الزراعية ... كما منحت أيضا سفينة كاملة معدة للاستخدام ...» .

ولقد كانت هناك علاقات مباشرة ، قامت بين الفراعنة وضباطهم العسكريين ، كما يظهر ذلك جلياً فى وصف تفاصيل «مجلس الحرب»^(٣) الذى عقده «تخوتس الثالث» مع ضباطه قبيل نشوب موقعة «مجلو» .

ولاشك أن هذه العلاقات المباشرة بين الفرعون والضباط ، أدت دورها فى تقوية الروح الامبراطورية العسكرية ، كما أدت أيضا إلى تقوية الاحساس بالذات وبالأهمية لدى افراد هذه الطبقة العسكرية الجديدة .

كذلك فقد بدأت هذه الطبقة تلقى التقدير من الفرعون ، الذى أخذ يمنح أفرادها ما يستحقونه من عطايا ومكافآت . وفى قصة «أحمس بن أبانا» نجده قد منح أرضا

زراعية تقع في زمام المنطقة التي كان يعيش فيها ، وهي منطقة «الكاب EL - KAB» بالوجه القبلى . كما منح ايضا سفينة كاملة مجهزة وصالحة للاستخدام .

أما قبطان تلك السفينة ، واسمه «نيسى NESY» فقد منح بدوره أرضا زراعية بمنطقة «منف» .

وعلى أحد النصب التذكارية التي كانت تقام عند حدود البلاد ، نجد نصاً يقول :
أن «تخوتمس الأول» " المحارب العظيم ، قد منح أحد ضباط سلاح المركبات الحربية ،
واسمه «كرج KRJ» مساحة كبيرة من الأرض الزراعية تقدر بمائة وخمسين «أرورا» .

كما منح «تخوتمس الرابع» الضابط «نب آمون NEBAMUN» والذي كان يشغل منصب «حامل الراية» مزرعة كبيرة ، كما عينه رئيساً للشرطة بطيبة الغربية .

كذلك فقد ازدادت حركة تعيين الضباط في الوظائف الادارية العليا بعد تركهم الخدمة العسكرية ، خصوصاً في فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، حتى أصبح ذلك من أوضح مظاهر السلطة والهيمنة التي كانت تتمتع بها تلك الطبقة العسكرية الجديدة .

أما الجنود المحترفون ، فقد انشئت لهم مستوطنات عسكرية كانت تقام قرب القرى مثل المستوطنة العسكرية التي كانت تقيم بها إحدى الوحدات العسكرية في موقع قرب الفيوم ، وهى الوحدة التي دعاها «امنحتب الثالث» لتشاركه في رحلة الصيد التي كان يقوم بها في تلك المنطقة .

وفي بعض الأحوال كانت الأرض الزراعية المملوكة للضباط تعفى من الالتزام بدفع الضرائب . ومثال ذلك الأرض التي منحها «تخوتمس الرابع» إلى «نب آمون» بمناسبة تربيته رئيساً للشرطة ، فقد ذكر انها معفاة من الضرائب .

كذلك فقد قام «امنتخب الثانى» بمنح احد قادة الوحدات العسكرية واسمه «نخت NAKHT» مساحة من الأرض الزراعية .

ومن الواضح أن عمليات منح هذه الطبقة من المحاريين المزيد من الأرض الزراعية قد اتسع نطاقها تماماً فى عصر الرعامسة . ولكن ملكية هؤلاء الضباط للأرض الممنوحة لهم ، لم تكن ملكية كاملة العناصر من الناحية القانونية ، بل كانت نوعاً من الحيابة القانونية تشبه حيازة المستأجر للأرض التى يزرعها .

وهناك أدلة كثيرة على أن هؤلاء المحاريين كانوا يملكون أيضا بعض السفن وحدائق الفاكهة ، التى تقع فى زمام المستوطنة العسكرية التى كانوا يعيشون فيها مع جنودهم .

وكان حقهم فى الإقامة بتلك المستوطنات مستديما ، بمعنى أنه كان يحق لهم الاستمرار فى الإقامة بتلك المستوطنات حتى بعد تركهم للخدمة العسكرية كما كان يحدث فى عصر «رمسيس الثانى» .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن «نظام التجنيد» فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، كان حصيلة منطقية للاتجاه الامبراطورى الذى ساد كل مرافق الدولة ، حيث اصبح «الجيش» هو حجر الزاوية الذى يربط بين العمليات العسكرية الحربية البحتة ، وبين النشاط الادارى للهيئات الحكومية المدنية . وحيث قامت النخبة الممتازة من «ضباط التجنيد» و «الكتاب العسكريين» بتضييق مسافة الاختلاف بين طبيعة الواجبات العسكرية الحربية ، وطبيعة الواجبات والتخصصات الادارية ذات الصبغة المدنية . ومعنى آخر ، يمكن وصف هذا الاتجاه بأنه نوع من «عسكرة» المرافق الادارية للدولة .

وقد لوحظ ان معظم الضباط الذين تركوا الخدمة العسكرية ، وتم تعيينهم فى المناصب والوظائف الادارية العليا ، كانوا يتفاوضون عن الاشارة إلى رتبهم العسكرية التى كانوا يشغلونها أثناء الخدمة .

وقد ادت القوة المتنامية للدولة إلى فرض المزيد من القيود على «ملكية» الأرض . كما أدت إلى وضع الأراضي الزراعية المملوكة «ملكية خاصة» للأفراد تحت الاشراف المباشر من جانب للدولة ، التي قامت بفرض ضرائب عالية جداً على ملكية الأرض . الأمر الذى أدى فى النهاية إلى جعل «الملكية» نوعاً من الحيازة القانونية المفترضة لمستأجرى الأراضي الزراعية بقصد استزراعها . وكان ذلك الحل فى صالح طبقة العمال الزراعيين ، الذين كانوا يفضلون أن يدفعوا الضرائب المقررة عليهم فى شكل جزء من محاصيل الأرض .

ونحن نرى أن خطة الدولة فى وضع الانتاج الزراعى وتنظيمه على مثل هذا النحو ، يعتبر نتيجة للسياسة الانتاجية العامة التى وضعتها الدولة لصالح طبقة صغار الحائزين وصغار المستأجرين . وكان أغلب هؤلاء من طبقة الجنود الذين كانوا يعتبرون جزءاً من الطبقة العسكرية الجديدة .

ويرى «هالك» أن الربيع المتحصل من الأراضي الزراعية ، كان يمثل «الدخل» الرئيسى لملاك الأرض . وأن ملكية الأرض الزراعية كانت خاضعة لقواعد نظام الوراثة ، الذى يتيح نقل المنصب أو الوظيفة من الأب إلى الابن . ويرى كذلك أن الأسرة الثامنة عشر لم تعرف طبقة مستقلة للفلاحين أو الزراع ، وإنما كان هؤلاء الفلاحون يعملون فى الأرض ويستزرعونها لصالح ملاك الأرض وحائزيها .

ومن الضرورى أن نشير هنا إلى أن ملوك الأسرة الثامنة عشر الأوائل ، قد قاموا بتوزيع الأراضي الزراعية التى تم تحريرها فى الدلتا والوجه القبلى بعد طرد الهكسوس من مصر ، على جنود وضباط جيش التحرير ، الأمر الذى يراه «هالك» تغييراً اقتصادياً كبيراً فى صالح هؤلاء الجنود والضباط الذين اصبحوا ملاكا وحائزين لمعظم الأراضي الزراعية فى مصر .

كذلك فقد أصبح الضباط العسكريون يتولون المناصب الخاصة بالاشراف على عمليات التجارة الدولية التى ظلت حكراً على الملك وحده ، ويتولون أمور البعثات التجارية ، والاشراف على جميع الأعمال المتعلقة بالمناجم والمحاجر .

ومن الثابت تاريخياً أن جميع البعثات الدبلوماسية الملكية ، التي كانت ترسل إلى سوريا والنوبة ، كانت تعهد إلى الضباط العسكريين ، وخاصة ضباط سلاح المركبات الحربية .

ومن الثابت كذلك أن عدداً كبيراً من الذين تولوا المناصب العليا وقاموا بأدوار سياسية واضحة ، سواء في الشؤون الداخلية أو الشؤون الخارجية ، كانوا في الأصل من الضباط الذين يحملون رتباً وألقاباً تدل على انتمائهم إلى سلاح المركبات الحربية . وربما كان هذا الاتجاه نتيجة للخبرات الواسعة التي اكتسبها هؤلاء الضباط خلال خدمتهم العسكرية في سوريا ، أو في الأقاليم الأخرى التي أصبحت تابعة للإمبراطورية المصرية ، هذا فضلاً عن العلاقات الشخصية الوثيقة التي كانت تربطهم بالفراغة .



وقد أدى «احتكار» الدولة لكافة المرافق والأنشطة الاقتصادية والانتاجية ، إلى ازدهار ونمو الوضع الاجتماعي لأفراد طبقة العسكريين الجديدة ، باعتبارهم يمثلون المديرين العموميين لمرافق الدولة .

وإلى جانب هذا «القطاع العام» لعب «القطاع الخاص» دوراً محدوداً للغاية في اقتصاديات الدولة ، في فترة النصف الأول من عصر الإمبراطورية المصرية .

وفي آثار «المستوطنة العمالية» الواقعة بمنطقة «دير المدينة»^(٥) بطيبة الغربية ، نجد أدلة قاطعة لا تقبل الشك في أن جميع الأفراد الذين كانوا يعيشون في تلك المستوطنة ، كانوا يعتمدون تماماً على الدولة ، للوفاء بجميع احتياجاتهم في الحياة اليومية ، وأن النشاط الخاص أو القطاع الخاص ، كان محدوداً للغاية وليست له أية أهمية .

وقد أدى هذا الوضع إلى اختفاء فئة «التجار» من أصحاب المحلات الخاصة ببيع السلع والحاجيات المطلوبة من جماهير الشعب ، حيث أصبح الناس يحصلون على كل ما يحتاجونه من سلع ، من جهات التوزيع التابعة للدولة ومرافقها العامة .

وفي بداية عصر الأسرة الثامنة عشر ، تطور نظام «التسويق» خصوصاً في الأسواق التجارية القروية ، حيث كان يمكن تبادل فائض المنتجات المنزلية ومنتجات الرعاة ، عن طريق نظام «المقايضة BARTER» أى تبادل سلعة بسبعة دون واسطة من عملات نقدية .

ثم أخذت في الظهور تدريجياً ، فئة من «التجار» المحترفين الذين أصبحوا يقومون بالعديد من عمليات المبادلات التجارية . وكانت هذه الفئة في الأصل من «الرقيق» التابعين لأسيادهم من أصحاب المناصب العليا بالدولة ، حيث كان هؤلاء «التجار الرقيق» يقومون بمبادلة ومقايضة فائض انتاج المحاصيل ، بما يحتاجه السادة من سلع وحاجيات أخرى .

أما فئة «التجار الأحرار» فقد ظهرت فيما بعد مع «الفينيقيين PHOENICIANS»^(١) الذين لعبوا دوراً تجارياً مع مصر ، أدى في النهاية إلى حدوث «أزمة اقتصادية» في السنوات الأخيرة من عصر «الدولة الحديثة» .

وقد قام الفينيقيون بتصدير أنواع عديدة من السلع الترفيفية الفخمة إلى مصر ، حيث كانت تشتريها طبقة العسكريين وطبقة الكهنة والنبلاء والبلاط الملكي . وكان «ثمن» هذه السلع يدفع «مقايضة» أى في مقابل بضاعة أخرى هي الحبوب بصفة رئيسية . وقد أدت زيادة تصدير الحبوب إلى الخارج ، إلى حدوث ارتفاع كبير في أسعارها في الأسواق الداخلية ، الأمر الذي أدى في النهاية إلى حدوث «التضخم» الاقتصادي المريع ، الذي ظهرت بوادره في أواخر عصر الأسرة العشرين .

ونخلص في النهاية بأن الاستقرار الاقتصادي الذي ساد في خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، إنما يرجع في أساسه إلى سياسة سيطرة الدولة على كل الانتاج الاقتصادي للمجتمع ، قيامها أيضاً بجميع عمليات توزيع هذا الانتاج على افراد الشعب ، دون وساطة تذكر من التجار - أو الموزعين - الأحرار .

المبحث الثالث

مركز الرقيق

فى مجتمع الأسرة الثامنة عشر

كان الرقيق يمثلون أدنى طبقة فى المجتمع المصرى . ونود أن نشير هنا إلى أن المواطنين المصريين الذين كانوا يعملون كخدم طوعية أو بارادتهم الحرة ، لايعتبرون من الرقيق ، ولم يكن من الممكن بيعهم أو توريثهم ، وإن كانوا بدورهم يمثلون طبقة دنيا من طبقات المجتمع المصرى .

ومنذ بداية تكوين الامبراطورية ، أصبح أسرى الحروب بمصدرأ رئيسياً لطبقة الرقيق . وكان ملاك الرقيق الذين يتمون إلى طبقة العسكريين أكثر عدداً من الملاك الذين يتمون إلى اللوآئر المدنية . هذا إلى جانب أن القسم الأكبر من طبقة الرقيق كانوا يعتبرون من أملاك الدولة وأملاك المعابد .

وقد رأينا فى النص الخاص بقصة حياة «أحمس بن أبانا» أن المحاربين كانوا يمنحون أعداداً من الرقيق ضمن مكافآتهم .

ولا يخفى أن الرقيق كانوا يمثلون قيمة اقتصادية كبيرة لساداتهم . ولا شك فى أن الحروب التوسعية التى قام بها ملوك الأسرة الثامنة عشر ، كانت أهم الأسباب التى أدت إلى زيادة الأعداد طبقة الرقيق على نطاق واسع .

ومن الثابت فى أحوال كثيرة أن الرقيق الذكور كانوا يلحقون بممتلكات الفراعنة ، أو يضمون إلى ممتلكات المعابد ، وهذا يؤكد الدور المركزى الذى كان يشغله الملك فى الاقتصاد المصرى .

وبقراءة النصوص التى نقشها «رمسيس الثالث» على جدران مدينة هابو ، وكذا قراءة النصوص المنقوشة «ببردية هاريس رقم ١»^(١) يتبين أن أسرى الحرب كان مصيرهم الاستعباد - لا القتل - وكانوا يعتبرون كغنائم حربية ، كما كان يطلق عليهم «القطيع البشرى الخاص بالملك» .

ونقرأ فى النصوص التى تعود إلى فترة حرب التحرير التى شنها المصريون ضد الهكسوس : لقد حوصرت مدينة «شاروخين»^(٢) لمدة ثلاث سنوات قبل أن يستولى عليها جلالته «وقد قمت بنفسى بالاستيلاء على بعض الغنائم ، وهى امرأتان وید واحدة .. ولقد منحت ميدالية النصر الذهبية .. كما أن الأسرى الذين جلبتهم قد منحوا لى أيضا كرقيق» . وفى «قائمة أسوان» الخاصة بالبلاد الجنوبية نقرأ نصا يقول : «أن سكان تلك البلاد قد أحضروا جميعاً إلى طيبة كأسرى حرب .. وبذلك يكون جلالته قد أوفى برغبة أيه آمون رع .. وأصبح جلالته سيداً على عرش الأرضين ، وأصبحت كل الشعوب الأخرى قطعاناً بشرية تابعة لجلالته ...» [صورة ١١ ، ١٢] .

وكان الجيش المصرى مسئولاً عن هؤلاء الرقيق منذ لحظة أسرهم حتى لحظة توزيعهم للقيام بالأعمال التى تناط بهم .

وفى أسوان عثر على نص منقوش خاص بالملك «امنتب الثانى» يقول : «لقد ظهر جلالته بالشرف الملكية ، واخذ جلالته يستعرض الأسرى الذين استولى عليهم جيش جلالته .. لقد أصبح سكان تلك البلاد الأجنبية - كوش - قطعاناً بشرياً خاصاً بجلالته .. تماماً مثلما كانوا من قبل ..» .

وبسبب زيادة النشاط الحرى ضد البلاد الأجنبية وسيادة الروح الامبراطورية في عصر الأسرة الثامنة عشر ، ازدادت أعداد الرقيق في مصر . وفي عهد «تحتس الثالث» ارتفع عدد الرقيق إلى رقم كبير ، وكانوا كلهم من أسرى وغنائم الحرب .

وقد استخدم الرقيق في العمل بالمعابد ومصانع النسيج ، وكراعة للمواشى ، كما استخدموا أيضا في حث الأرض وزراعة الحبوب . وكان يتم اندماجهم بالتدريج في المجتمع المصرى في عصر الأسرة الثامنة عشر ، وذلك بتعليمهم اللغة المصرية وباعطائهم أسماء مصرية . كما كان يتم تخصيص بعضهم للعمل لخدمة الملك ، حيث كان بعضهم من حملة الدروع وحملة المراوح الذين يتبعون الملك كخدم خاص .

وأصبح الرقيق يشكلون جزءاً لا يستهان به من القوى العاملة في مصر . كما حلوا محل الشبان المصريين الذين كانوا يجندون بالقوات المسلحة المصرية ، وأصبحوا بالتالى أعضاء في الطبقة العسكرية الجديدة .

ومنذ بداية عصر الرعامسة ، أصبح الأسرى الأجانب يجندون بكثرة ضمن أفراد الجيش المصرى .

ونتيجة لزيادة حركة «تمصير» هؤلاء الأسرى وادماجهم بالتالى في المجتمع المصرى ، فقد ازداد تأثيرهم الاقتصادى والثقافى على طبيعة بناء المجتمع المصرى . وقد تسبب ذلك في حدوث تغييرات عميقة في البناء الثقافى والسياسى للمجتمع المصرى فى أواخر عصر «الدولة الحديثة» كما سنرى فيما بعد .



وغنى عن الذكر أن نشير إلى ارتفاع معدل الوفيات فى جميع مجتمعات العالم القديم بصفة عامة .

وبالنسبة لمصر فى خلال عصر الأسرات فالملاحظ أن البحوث «الديموجرافية» المتعلقة بالدراسات الاحصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والأحوال المدنية ، مازالت ضعيلة وضيقة النطاق ، وذلك رغم أن البعثات الأثرية الدولية التى بدأت اعمالها فى مناطق النوبة منذ سنة ١٩٦١ قد زودتنا بمعلومات لا بأس بها فى هذا الخصوص .

وتدل الدراسات الأثرية التى اجريت على البقايا البشرية التى عثر عليها فى الحفريات الخاصة ببعض المقابر القديمة بمنطقة أسيوط ومنطقة الجبلين^(٣) على أن معدل «الخصوبة» بالنسبة للمرأة المصرية كان منخفضا . وهذا يدل بالتالى على أن مصر لم تكن تعاني من مشاكل النمو السكاني ، وأن عدد السكان كان متوازنا إلى حد كبير مع موارد الاقتصاد القومى بالدولة .

وقد أسفرت الحفريات التى قام بها «م. بيتاك M. BIETAK» عن نتيجة مؤداها ارتفاع نسبة الوفيات . كما تدل البحوث التى أجراها «د. أوكونور D. OCONNOR» على الآثار التى عثر عليها بمنطقتي «العثمانية والمطمر ETMANIEH AND MATMAR»^(٤) والتى يرجع بعضها إلى عصر الأسرات ويرجع بعضها الآخر إلى عصر ما قبل الأسرات ، على ارتفاع نسبة الوفيات المبكرة ، أى وفيات صغار السن .

وعلى أية حال ، فإن من الصعب تماماً الحصول على بيانات احصائية دقيقة فى ضوء المعلومات الضعيلة المتاحة عن طبيعة تركيب وتكوين فئات الشعب المصرى فى عصر الأسرة الثامنة عشر . ولكن يمكننا فى الوقت نفسه أن تستند إلى هذه المعلومات - على قلتها - فى تكوين فكرة تصورية عامة فى هذا الخصوص .



هذا ويمكننا ان نخلص فى النهاية بأن هناك طبقة اجتماعية جديدة قد ظهرت إلى حيز الوجود ، وهى طبقة العسكريين . وكانت لهذه الطبقة أهمية اقتصادية كبيرة فى المجتمع المصرى الذى تسيدت عليه الاتجاهات الامبراطورية فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

ومن الثابت أن هذه الطبقة قد أصبحت بالتدريج قوة مهيمنة ومهيمنة ، بفضل العديد من ميزات الاقتصادية والاجتماعية ، باعتبارها طبقة تمثل ملاك الأرض ، وشاغلي المناصب العليا في الدولة ، الذين يسيطرون تماماً على كافة الأنشطة في الحياة الاقتصادية بالدولة .

ويمكننا أن نستنتج أن «الوحدات العسكرية العاملة» كانت تمثل نسبة مئوية ضئيلة من القوات المسلحة التي تم تجنيدها وتدريبها وتجهيزها ، والتي يمكن استدعاؤها للحرب في حالات التعبئة العامة .

وقد عثر على الكثير من الآثار والنقوش بمقابر كبار الموظفين الذين شغلوا مناصبهم في عصر الأسرة الثامنة عشر . وتقع هذه المقابر بمدافن طيبة ، وهي تخص أفراداً من عليا القوم وأصحاب المقام الرفيع في المجتمع المصري ، كان بعضهم يحمل ألقاباً عسكرية ، وبعضهم الآخر كان يشغل وظائف مدنية عليا بعد تركهم للخدمة العسكرية . وهذا يدل على أن نسبة العسكريين ، أو الموظفين المدنيين الكبار من ذوى الأصول العسكرية ، كانت كبيرة بالمقارنة إلى طبقة أصحاب المقام الرفيع في المجتمع المصري .

لقد تم اكتشاف نحو اثنتين وأربعين مقبرة ، تدل على أن أصحابها كانوا يحملون ألقاباً دينية وعسكرية ومدنية رفيعة مثل : كاهن الاله آمون . والمشرف على الخزانة . والمشرف على الأعمال . والمشرف على شئون الأطفال الملكيين . ونائب الملك . والكاهن الأول لجميع الآلهة . وغير ذلك من الألقاب الرفيعة الأخرى .

ومن بين هذه المقابر ، نجد ثلاثاً وعشرين مقبرة خاصة بالضباط العسكريين ، أو تحمل نقوشاً ومناظر عسكرية . وهي المقابر أرقام : ٣٩ - ٤٠ - ٤٢ - ٥٦ - ٦٣ - ٧١ - ٧٢ - ٧٤ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٥ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٣١ - ١٤٣ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٣٩ - ٣٨٣ .

وفى المقابر السبع التالية ، نجد أن أصحابها كانوا يحملون ألقابا مثل : «طفل الحضانة» بالمقبرة رقم ٢٥٨ - و «الكاتب الملكى بحضانة الأطفال الملكيين» بالمقبرة رقم ٢٢٦ - و «الكاهن الأول للاله أونوريس ONURIS» بالمقبرة رقم ١٠٨ - و «كاتب خزانة الاله آمون» بالمقبرة رقم ٣٦٥ - و «المشرف على الأعمال الخاصة بالاله آمون رع» بالمقبرة رقم ١٤٢ - و «مديرة القصر ومرضعة زوجة الاله» بالمقبرة رقم ٢٥٢ - و «المشرف على الخزانة وعلى الأعمال» بالمقبرة رقم ١١ .

وقد ذكرنا من قبل أن كثيراً من الضباط العسكريين كانوا يشغلون وظائف ومناصب إدارية ذات طبيعة مدنية بعد تركهم الخدمة العسكرية . وسوف يتبين لنا فيما بعد أن منصب «المشرف على الأعمال» ومنصب «المشرف على الخزانة» كانا من المناصب التى يقتصر شغلها على العسكريين السابقين .

ويتضح لنا نتيجة لذلك أن أصحاب المقام الرفيع من الطبقة العسكرية الجديدة ، كانوا يمثلون نسبة مئوية كبيرة من علية القوم الذين منحوا الحق فى إنشاء مقابر لهم بمدافن طيبة فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر .

وسنرى فيما بعد الدور الثقافى والسياسى والدينى الذى لعبته الطبقة العسكرية التى هيمنت على الدولة قبيل ثورة العمارنة .

وسنرى كذلك كيف كانت الامبراطورية المصرية فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر وما بعدها بقليل ، تربة صالحة لتراكم عناصر التحلل والتمزق والفساد الذى أدى إلى انهيار هذه الامبراطورية فى نهاية الأمر .

وسنرى أيضا أن «الظاهرة الامبراطورية» التى حدثت بمصر فى خلال عصر «الدولة الحديثة» تشبه إلى حد كبير ما يسميه «أرنولد توينبى A. TOYNBEE» بالحكومة العالمية

الفصل الثالث

الدور السياسى والادارى والأيدىولوجى للطبقة العسكرية الجديدة قبل أزمة العمارنة

ويتضمن المباحث التالية :

- المبحث الأول : أمنحتب بن حابو .
- المبحث الثانى : رعموزا .. الوزير وصاحب المناصب العسكرية .
- المبحث الثالث : ملاحظات اضافية : عن «الكتاب العسكريين» و «الضباط المقاتلين» .
- المبحث الرابع : الدلالات الخاصة بلقب «المشرف على الأعمال» والألقاب المشابهة الأخرى .
- المبحث الخامس : وظيفة «مر - بر - ور» «المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية» .
- المبحث السادس : وظيفة «المشرف على كهنة جميع الآلهة» .
- المبحث السابع : بعض الاعتبارات القانونية .

المبحث الأول

أمنحتب بن حابو

هو نموذج صادق لأحد أفراد تلك النخبة الممتازة من الضباط المثقفين الذين تولوا الوظائف العامة ، في خلال فترة النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وكان «أمنحتب بن حابو AMENOPHIS, THE SON OF HAPU» [صورة ١٣] يتولى منصب «الكاتب العسكري» في عهد «تحوتمس الرابع» ثم في عهد «أمنحتب الثالث»، وكان حكيماً فيلسوفاً وعلى درجة عالية جداً من الثقافة والمعرفة .

وقد شبه «أمنحتب بن حابو» بسلفه العظيم «إمخوتب IMHOTEP»^(١) المهندس الحكيم الطبيب والوزير في عهد «زوسر DJOSER»^(٢) أيام الدولة القديمة . [صورة ١٤ ، ١٥] .

لقد بلغ اجلال المصريين للحكيم «إمخوتب» درجة العبادة ، حتى صار إلهاً معبوداً في أواخر التاريخ المصري القديم . وكان مقر عبادته في مدينة منف . وكان «إمخوتب» بحق عبقرية فذة متفردة وحدها في التاريخ القديم كله ، فقد اعتبر اسطورة هندسية في المعمار وبناء المعابد ، ومخترعاً لا مثيل له في العلوم ، ونصيراً للبائسين والمكروبين ، وصاحب القدرة الفائقة على شفاء المرضى ، حتى أصبح شبيهاً في النهاية بالاله «اسكليبيوس ASKLEPIOS»^(٣) إله الطب الاغريقي الذي عرفته مصر في عصر البطلمة .

ومثلما أله المصريون «المحوتب» وعبدوه ، فقد ألهوا وقدسوا أيضاً «امنحتب بن حابو» وجعلوا له ديانة وعبادة مستقلة ، ظهرت وانتشرت في عصر «الدولة الحديثة» . وقد لعب «امنحتب بن حابو» نفس الدور الذى لعبه سلفه العظيم من قبل ، وهو القدرة الاسطورية المعجزة على التطبيب وشفاء الأمراض ، الأمر الذى كان له تأثير كبير على جماهير الشعب .

وكان الحجاج المصريون الذين يؤدون طقوسهم الدينية بمعبد الدير البحرى ، يؤدون طقوساً أخرى لعبادة «امنحتب بن حابو» باعتباره الشافى من الأمراض ، وصاحب شرف اكتشاف الفصل رقم ١٦٧ من «كتاب الموتى» وهو كتاب مقدس لدى المصريين .

ولعل التناقض بين طبيعة «امنحتب بن حابو» باعتباره ضابطاً في الجيش ويشغل منصب «الكاتب العسكرى» وبين طبيعته كحكيم وعالم طيب يصبح أمراً لا عمل له ، إذا وضعنا في الاعتبار أن بعض الأفراد من النخبة الممتازة من طبقة العسكريين الجديدة ، قد بلغوا أعلى المراتب في العلوم والثقافة العامة . خاصة وأن «امنحتب بن حابو» كان من فئة الكتاب العسكريين التى كانت تتبوأ مكانة رفيعة بين الطبقة العسكرية بصفة عامة ، وكان ينظر إلى هذه الفئة باعتبارها من حملة كتب التراث المصرى التقليدي .

ويقول «كاكوشي» أن «امنحتب بن حابو» صار حكيماً مبجلًا ومعبوداً أثناء حياته ، باعتباره صورة جذابة لفيض المعرفة التابع من الاله «تحت» THOTS h^(١) .

وإذا رجعنا إلى الفصول أرقام : ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ من كتاب الموتى ، نرى أن الاله «تحت» كان يصاحب المتوفى إلى العالم الآخر وهو يقوم بدور الكاتب .

ويضيف «كاكوشي» أن تقديس «امنحتب بن حابو» كان يرجع أيضاً إلى معرفته الواسعة بأسرار العالم الآخر ، بالإضافة إلى قدرته على الكتابة والتعبير بالقلم . ولما كان من الضروري على المصرى ان يكون ملماً بأسرار العالم الآخر ، حتى يستطيع أن يتلمس طريقه هناك ، فقد أصبح يتشفع بالحكيم المصريين «المحوتب» ، وامنحتب بن حابو» لكى يصحبانه إلى العالم الآخر وليستفيد بمعرفتهما بأسراره .

وهذه المكانة الرفيعة التي احتلها هذا الضابط المصرى الذى كان يعيش فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، تبين لنا مدى الدور العظيم المتفرد الذى لعبته طبقة الضباط على وجه العموم ، وفئة «الكتاب العسكريين» منهم على وجه الخصوص .

غير أن «امنحتب بن حابو» قد اعتبر - حتى اثناء حياته - صاحب معجزات وقدرات غير عادية . وكان الناس يؤمنون بأن تماثيله لها قدرة خاصة بالوساطة بينهم وبين إله المعبد الذى توجد به هذه التماثيل .

وقد عثر على تماثيلين له أمام الصرح العاشر بالكرنك ، وعلى أحد هذين التماثيلين نرى نصاً يقول : «أنتم أيها القادمون من الجنوب أو من الشمال .. يا كل العيون التى ترى الشمس .. يا من جئتم إلى طيبة لتشفعوا إلى رب الأرباب .. تعالوا إلى .. فسوف أبلغ كلماتكم إلى آمون إله الكرنك .. وأرفع إليه ما تتلونه من صلوات .. وما تقدمونه من قرابين .. فأنا الرسول الذى عينه الملك .. لأسمع توسلاتكم .. ولأخبره بكل ما يجرى على الأرضين من أحداث ..» .

أما النص المنقوش على تماثله الثانى ، فيتضمن نفس هذه المعانى على وجه التقريب ، مع التأكيد على الإشارة بأنه رسول الاله الذى عينه الملك «امنحتب الثالث» ليخبره ما يقال وما يجرى فى الأرضين .

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى نصوص مماثلة فى المعنى ، قد عثر عليها منقوشة على تماثيلين آخرين لاثنتين من الضباط الذين ينتمون إلى فئة «الكتاب العسكريين» فى نفس العصر وتحت قيادة نفس الملك . وقد عثر على التمثال الأول بمعبد الالهة «موت MUT»^(١) بالكرنك ، ويحمل اسم «مين MBN» الكاتب العسكرى . أما التمثال الثانى فيخص «رايا RAYA» كاتب الجيش .

وهذه النصوص المنقوشة على تماثيل هؤلاء العسكريين ، تؤكد لنا أنهم كانوا يلعبون دوراً دينياً له شهرة وشعبية واسعة . ورغم غموض هذا الدور وعدم معرفة حدوده على وجه اليقين ، فمن الثابت أن عملية تقديس «امنحتب بن حابو» قد بدأت اثناء حياته ، باعتباره حكيماً ذا صفة إلهية معجزة .

ومثل معظم ضباط الجيش في ذلك العصر ، لم يكن «أمنحتب بن حابو» سلباً من إحدى الأسر العريقة بطيبة ، وإنما ولد في «أثريب ATHRIBIS»^(١) وهي المحافظة العاشرة بالوجه البحرى ، ومن أسرة متواضعة الأصل .

ويعارض «هلك» الفكرة التى يقول بها «و.ر. داونس W.R. DAWONS» وهى أن «حابو» والد أمنحتب ، كان يحمل ألقاباً مميزة ، وأنه ينتمى إلى أسرة نبيلة ترجع أصولها إلى أيام احتلال الهكسوس لمصر ، فهذه الفكرة لا تستند إلى دليل قاطع .

ويشير «هلك» إلى أن «أمنحتب بن حابو» قد ولد في بداية حكم «تحوتس الثالث» . وأنه قام بالخدمة العسكرية بالجيش في عهد كل من «تحوتس الثالث» و «أمنحتب الثانى» و «تحوتس الرابع» على التوالى .

ويقول «أمنحتب بن حابو» فى النص الذى يحكى قصة حياته : انه قد تعرف على جميع اسرار الاله «تحوت» .. وأنه أصبح مشهوراً فى البلاد بسبب معرفته «بكتاب الاله» .. وإن نصائحه تستند فى أساسها إلى ما جاء بهذا الكتاب .

وبطبيعة الحال ، فقد بلغ «أمنحتب بن حابو» هذه المكانة بسبب مواهبه الفنية والهندسية التى تظهر آثارها بوضوح على العمائر الدينية الضخمة التى بنيت فى عهد «أمنحتب الثالث» الذى منحه لقب «المشرف على أعمال البناء الخاصة بالملك» . وقد سبق أن أوضحنا أن لقب «المشرف على الأعمال» كان قاصراً بصفة عامة على كبار الموظفين الذين كانوا فى الأصل ضباطاً بالقوات المسلحة المصرية ، كما كان عليه الحال بالنسبة للضباط «سننموت» الذى أصبح المهندس الأعظم و «المشرف على الأعمال» فى عهد الملكة «حتشبسوت» .



ولعل نظام التعليم الأساسى ، الرفيع المستوى والبالغ التعقيد ، الذى كان يتلقاه أفراد طبقة العسكريين ، لتأهيلهم لأداء التخصصات المختلفة التى كانت تفاظ بهم ، هو السبب المباشر الذى أتاح للنخبة الممتازة من هذه الطبقة أن تباشر الوظائف العليا التى كانوا يعينون بها بعد تركهم الخدمة العسكرية ، وهى وظائف تتعدد اختصاصاتها العسكرية والإدارية بل والدينية أيضا ، الأمر الذى ظهر كثيراً فى الألقاب المتعددة التى كان يحملها بعض كبار الموظفين فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

هذا بالإضافة إلى أنه منذ بداية عصر الامبراطورية أخذت تتم بالتدريج عملية «عسكرة» القطاع المدنى بالدولة ، وذلك بسبب اسناد وظائف هذا القطاع إلى عديد من الضباط بعد تركهم للخدمة بالقوات المسلحة . ومن هنا أخذت الشقة تضيق بين القطاع المدنى والقطاع العسكرى ، حتى استولى العسكريون فى النهاية على معظم - إن لم يكن جميع - الوظائف العليا الهامة فى كل مرافق الدولة .

أما الوظائف الدينية ، فقد شغلها العسكريون كذلك بعد أزمة العمارنة ، نتيجة للدور السياسى الفعال الذى قامت به طبقة العسكريين فى أعقاب تلك الأزمة .

ثم أصبح تعيين العسكريين فى الوظائف الدينية يختلف درجاتها اتجاهها عاماً للدولة ، استمر حتى عصر الرعامسة ، ثم أدى فى النهاية إلى حدوث تغييرات جوهرية فى النظام الاقتصادى والسياسى للدولة ، كانت من أهم الاسباب التى أدت إلى تدهور الامبراطورية وانهارها فى نهاية الأمر ، كما سنرى فيما بعد .



وقد منح «أمنحتب بن حابو» الحق فى إقامة معبد جنازى تقام فيه شعائر عبادته فى مكان قريب من معبد «أمنحتب الثالث» بطيبة الغربية .

وقد تجلت مواهبه العلمية والفنية والادارية في العملية الفذة التى وضع خطتها وقام بتنفيذها ، حيث تم نقل الكتل الصخرية الضخمة التى استقطعت من منطقة «الجيل الأحمر» قرب هليوبوليس ، عبر البر والنهر ، حتى أوصلها إلى طيبة ، لتحت منها أضخم التماثيل .

وكان «أمنحتب بن حابو» مدركا تماماً مدى قدراته ومواهبه الخاصة ، فذكر بالنص الذى يحكى قصة حياته : «انه لم يقلد أحداً من قبله ، وأن أحداً لم يقدر على صنع شئ مثل ما صنعه ، منذ أن تم توحيد الأرضين» .

وقد منح «أمنحتب بن حابو» لقباً دينياً رفيعاً ، وهو «الكاهن المرتل SM PRIEST فى بيت الذهب» وذلك بسبب كثرة المباني الدينية التى أشرف على بنائها . وقد منح هذا القب إليه بمفهوم خاص ، مؤداه أن الأشخاص الذين يتمتعون «بقوة إلهية» هم وحدهم القادرون على إنشاء المباني الدينية .

ومن المحتمل أن خطوات الضباط الأولى نحو توليهم المناصب الدينية ، كانت بسبب قيامهم بمثل هذه الأعمال منذ بداية عصر الأسرة الثامنة عشر . ونشير على سبيل المثال إلى الألقاب الدينية التى منحت «لسننموت» مهندس الملكة «حتشبسوت» والذى كان يشغل من قبل منصباً عسكرياً .

كما نشير أيضاً إلى الألقاب الدينية التى كان يحملها «منميسو MENMESU» الذى كان يشغل وظيفة «المشرف على كل المباني الدينية فى الوجه البحرى والوجه القبلى» والذى عمل فى عهد كل من «تحوتمس الثالث» و «أمنحتب الثانى» على التوالى ، والذى تم تعيينه كاهناً أعلى فى كل معبد كان يشرف على إنشائه .

وبمناسبة «العيد الثلاثينى»^(٧) لجلوس «أمنحتب الثالث» [صورة ١٦] ، عهد إلى «أمنحتب بن حابو» بعملية إقامة معبد بمنطقة «صولب SOLEB» بالنوبة العليا . وقد أشار فى قصة حياته إلى هذا التكليف الهام ، فذكر أنه كان مسؤولاً مسئولية كاملة عن بناء هذا المعبد ، وتنظيم الطقوس والصلوات اليومية التى كانت تقام فيه ، وتخصيص الأراضى الزراعية التى توقف عليه ، وإمداده بالرجال الذين يعملون فى مرافقه ، بما فى ذلك تعيين كهنة آمون .

وفي تصوري أن أهم حقيقة وردت في هذا النص ، تتمثل في تكليف «أمنحتب بن حابو» - وهو في الأصل ضابط عسكري برتبة «كاتب الجيش» - بأن يقوم بنفسه باختيار وتعيين «كهنة آمون» للخدمة بهذا المعبد . وهذا يدل بشكل قاطع على أن الصراع الذي احتدم بين طبقة العسكريين وطبقة رجال الدين وكهنة آمون ، قد انتهى بشكل درامى لصالح العسكريين .

ومن النصوص المنقوشة على جدران معبد «صولب» يتبين لنا أن «أمنحتب بن حابو» قد وصف بلقب «رِبتْ t r p» - أى «الأمير الوراثى» ويشير «هلك» إلى أن الدور الذى لعبه «أمنحتب بن حابو» كأمر ورثى - (رِبتْ) - بمعبد صولب ، يماثل نفس الدور الذى لعبه الأمير الوراثى بمعبد «نى أوسر رع NI USER RE»^(١) فى عصر الأسرة الخامسة ، أيام «الدولة القديمة» . وهذا يؤكد مدى أهمية هذه الصفوة من المثقفين المصريين ، الذين وجد فيهم البلاط الملكى خير عون ، باعتبارهم على أعلى مستوى من العلم والخبرة ومعرفة التراث المصرى بابعاده وأعماقه .

وهذا الوله الشديد بالتراث المصرى ، كان طابعاً عاماً مميزاً ، ساد فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وكان له تأثير فعال فى تطوير الأحداث الدينية والتاريخية فيما بعد . وبعد بلغ هذا الاتجاه ذراه ، على يد الأمير «خع - إم - واس KHA EM WISE»^(٢) أحد أبناء «رمسيس الثانى» فى عصر الأسرة التاسعة عشر ، كما سنرى فيما بعد .



ونعود إلى دراسة المكانة الدينية الرفيعة التى وصل إليها «أمنحتب بن حابو» فنرى أنه كتب نصاً على تمثاله ، يصف فيه كيف عينه الملك «رئيساً لاحتفالات الاله آمون» وكيف أنه قام بأداء نفس الطقوس التى كان يؤديها الملك .

ونلاحظ أن هناك حالات أخرى كان يقوم فيها بعض كبار الضباط بتمثيل الملك في الاحتفالات الدينية . والامثلة على ذلك عديدة ، فقائد قلعة «سيلا SILE» المدعو «سيتي SETHOS» قام بتمثيل الفرعون كرئيس لاحتفالات إله منديس MENDES في عصر الأسرة الثامنة عشر . كما قام «تخوتمس الرابع» بتعيين اثنين من كبار الموظفين لتمثيله في رئاسة الاحتفالات الدينية الخاصة ببعض الآلهة ، وهما «مرى رع MERIRE» الذى كان يشغل وظيفة «مر - بر - ور mr - pr - wr» أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية ، و «ماى MAY» الذى كان يشغل وظيفة «المشرف على الخزانة» . وقد رأينا من قبل أن هاتينوظيفتين كانتا تشغلان دائما بالضباط العسكريين بعد انتهائهم من أداء الخدمة .

وقد قام «أمنحتب بن حابو» بتسجيل نص على أحد تماثيله يقول فيه أن «أمنحتب الثالث» قد سمح له «بمحصة من الخبز من العطايا الملكية» وهو شرف كبير منح في عهد «أخناتون» إلى كل من «دودو DUDU» الياور الشهير بالبلاط الملكى في «آخت آتون» و «مرى رع» الكاهن الاول للاله «آتون ATEN» .

وكان تعيين «أمنحتب بن حابو» مشرفا على خزانة الابنة الكبرى للملك «أمنحتب الثالث» الأميرة «ست آمون SETAMUN»^(١٠) [صورة ١٧] هو بداية تنحيه عن السلك العسكرى ودخوله نطاق الوظائف ذات الطبيعة المدنية . ومن الواضح انه لم يصل في المناصب العسكرية إلى رتبة «لواء» أو قائد عام . ومن المحتمل إن حالته من الخدمة العسكرية إلى الخدمة المدنية قد تمت نهائيا بشكل قاطع في مناسبة الاحتفال بالعيد الثلاثينى للملك «أمنحتب الثالث» .

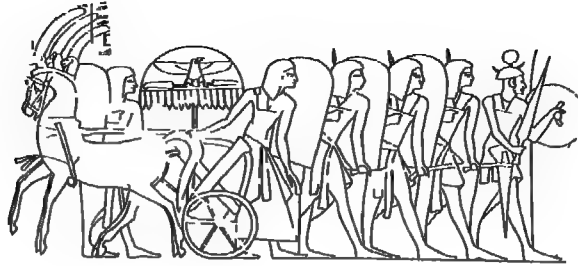
وأخيرا فقد لا تكون هناك أهمية لذكر التقسيم الفئوى الذى قام به «هلك» لطبقة الضباط بالجيش المصرى ، حيث قسمهم إلى «ضباط ميدان أو ضباط مقاتلين» يباشرون اعمالاً واختصاصات عسكرية وحرية بحثة ، وموظفين يشغلون مناصب عسكرية مثل «الكتاب العسكريين» و «كتاب الجيش» و «كتاب التجنيد» . ونحن نرى أن هذا التقسيم لا يقوم على أساس سليم ، وأن الخط الوهمى الذى يبدو وكأنه فاصل بين الفئتين ، يتلاشى تماماً إذا أخذنا فى الاعتبار أن معظم الضباط الذين كانوا يشغلون منصب «كاتب

التجنيد» قد تمت ترقيتهم إلى رتبة «لواء» أو قائد عام ، حيث كانوا يتولون قيادة العديد من الوحدات العسكرية المحاربة المقاتلة، أو العاملة في الخدمة الفعلية . وأكبر مثال على ذلك هو «حور محب» الذى رقى إلى رتبة «قائد عام» وكان من قبل برتبة «كاتب تجنيد» .

ولقد بلغ «أمنحتب بن حابو» قمة حياته الوظيفية حين تم تعيينه فى وظيفة «حامل المروحة على يمين الملك» وهى نفس الوظيفة التى شغلها «آى AY» الذى كان قائداً عاما لسلاح المركبات الحربية فى أواخر عصر الأسرة الثامنة عشر .

أما آخر الألقاب التى منحت «لأمنحتب بن حابو» فهو لقب «المشرف على قطعان آمون بالوجه القبلى والوجه البحرى» . وهذا يعنى أن أحد ضباط الجيش المصرى ، أصبح يشغل منصبا فى غاية الأهمية ، يتيح له التحكم والاشراف على جزء هام جدا من ثروات وممتلكات معابد الاله آمون فى جميع أنحاء الديار المصرية .

وبطبيعة الحال فإن هذا الأمر لم يتم مصادفة ، بل كان تطورا طبيعيا للاحداث والأحوال التى سادت قبيل حدوث أزمة العمارة .



المبحث الثانى

رعموزا : الوزير وصاحب المناصب العسكرية

يعتبر « رعموزا RAMOSE » من أهم الشخصيات الذين تقلدوا المناصب العليا بعد تركهم للخدمة العسكرية وأصبح «وزيراً» فى عهد «امنحتب الثالث» ثم فى عهد «امنحتب الرابع» قبل أن يتسمى هذا الأخير باسم « اخناتون» وينتقل إلى عاصمته الجديدة «آخت آتون AKHET ATEN»^(١) .

وينحدر «رعموزا» من أسرة عسكرية ، رغم أن أباه «حيبى HEBI» كان لا يحمل ألقاباً ، وذكر اسمه مجرداً . أما أخوه الأكبر ويدعى «امنحتب» فقد كان ضابطاً كبيراً برتبة «كاتب التجنيد» قبل أن يحال إلى الاستيداع ويعين بمنصب «مر - هر - ور» أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية بمدينة منف . بينما أخوه الأصغر ويدعى «ماى MAY» قد كان قائداً لسلاح المركبات الحربية .

أما «رعموزا» نفسه فقد كان قبل أن يتولى الوزارة ، شاغلاً لمنصبين عسكريين فى غاية الأهمية ، وهما «قائد الوحدات والفرق الحربية» و «القائد المساعد للجيش» .

وتجدر الإشارة هنا إلى النصوص والنقوش والمناظر التى تزين جدران مقبرته الفخمة بجبانة طيبة ، حيث نرى فى أحد المناظر لوحة للملك «امنحتب الرابع» مرسومة طبقاً للأسلوب التقليدى لفن الرسم الفرعونى القديم . ثم حدث تغيير فجائى فى اسلوب الرسم والتصوير ، حيث حلت الاتجاهات الفنية الجديدة التى تميزت بها ثورة العمارة^(٢) ، محل اسلوب التصوير التقليدى . فعلى الجدران المواجهة لمدخل المقبرة ، نرى «امنحتب الرابع» بعد أن تسمى باسم «اخناتون» ومعه زوجته الشهيرة الملكة «نفرتيتى» وهما مستندين على سور شرقية

القصر ، وفوقهما «قرص الشمس» تخرج منه الأشعة الآتونية المشهورة ، ويقومان بمنح العطايا لبعض حكام الأقاليم ، وهى عبارة عن عقود من الذهب ، بينما وقف بعض كبار الموظفين والخدم الملكيين يشاهدون المنظر .

ويثور التساؤل عن السر فى أن المقبرة الخاصة «برعموزا» قد وجدت غير كاملة البناء والنقوش ، الأمر الذى يضع العديد من علامات الاستفهام عن القدر والمصير الذى آل إليه «رعموزا» فى خلال ثورة العمارنة .

ومع ذلك فمن المؤكد أنه لم يعانى من أى اضطهاد أو سوء معاملة على أيدي اتباع «اخناتون» إبان الثورة . ونستنتج هذا المعنى من ظاهرة عدم المساس باسمه المنقوش مرات عديدة على جدران المقبرة ، بينما وجد اسم الاله آمون نفسه محجواً ومشوهاً أينما وجد على هذه الجدران .

ولا شك أن انتماء «رعموزا» الى عائلة عسكرية ، حيث كان أخواه يتوليان أعلى المناصب العسكرية والادارية بالدولة ، يجعل من الصعب ممارسة أى اضطهاد أو اعتداء عليه . ويرى «سليم حسن» أن «رعموزا» كان ينتمى إلى نفس الأسرة التى كان ينتمى إليها «امنحتب بن حابو» .

وعلى جدران معبد صولب بالنوبة العليا ، نرى نقوشاً تمثل «رعموزا» حين كان مشتركاً فى الاحتفال بالعيد الثلاثينى للملك «امنحتب الثالث» باعتباره «وزير الوجه القبلى» .

ومن قصة حياة «رعموزا» نرى أن منصب «الوزير» قد أصبح يعهد به إلى كبار العسكريين بعد تركهم للخدمة ، وهو الاتجاه الذى أصبح اتجاهاً عاماً فى فترة ما بعد ثورة العمارنة .

والى جانب منصب «الوزير» تقلد «رعموزا» مناصب عليا أخرى ، كمنصب «المشرف على كهنة جميع الآلهة بالوجه القبلى والوجه البحرى» ومنصب «كبير

المشرفين» ومنصب «الكاهن المرتل» . وهذه المناصب كلها تعطينا صورة واضحة عن المكانة التي ارتفع إليها أحد أفراد النخبة الممتازة من طبقة العسكريين ، ومدى اتساع السلطات التي أصبحت تمارسها هذه الطبقة .



المبحث الثالث

ملاحظات اضافية عن : «الكتاب العسكريين» و «الضباط المقاتلين»

أشرنا من قبل إلى التقسيم الذى افترضه «هلك» بين فئة «الضباط المقاتلين» وفئة «الكتاب العسكريين» حيث يقول أن هذه الفئة الأخيرة كانت تبدأ حياتها فى الخدمة العسكرية «كجنود كتبة» فى مختلف وحدات الجيش ، وذلك بعد اجتيازهم لمراحل تعليمية متعددة ، ونحن نرى أن الخط الوهمى الفاصل بين الكتاب العسكريين وضباط الجبهة ليس له ما يبرره . وقد ثبت أن بعض الكتاب العسكريين قد تولوا مناصب عليا بالجيش ، كمنصب «رئيس الكتبة العسكريين» ومنصب «كاتب التجنيد» ، بل وتمت ترقية البعض منهم إلى رتبة (جنرال) «لواء» أو «قائد عام» .

وبالرغم من أن رتبة «لواء GENERAL» تعنى أن شاغلها يتولى قيادة مجموعة من الوحدات الحربية المقاتلة ، إلا أن «هلك» يرى مع ذلك أن ترقية بعض «كتاب التجنيد» إلى رتبة لواء ، لا تعنى بالضرورة أنهم كانوا يباشرون اختصاصات ذات صبغة حربية قتالية .

وفى رأى أن الواقع الذى تفرضه الروح الأباطورية التى سادت ذلك العصر ، يفترض معه أن هذا الخط الواهمى الذى يفصل بين اختصاصات الكتاب العسكريين والضباط المقاتلين ، لا بد أن يتلاشى تماماً فى النهاية ، أو على الأقل حين تتم ترقية الكتاب العسكريين إلى رتبة لواء أو قائد عام ، حيث يتحتم على شاغل هذه الرتبة أن يقود الوحدات المحاربة بالجيش .

ومن الثابت تاريخياً أن الأمير الأول «ولى العهد CROWN PRINCE» كان ينوب عن الملك فى قيادة الجيش ، وكان يشغل منصب «القائد العام لجميع القوات المسلحة» . ولا شك أن جميع لواءات الجيش كانوا يعتبرون مساعدين لولى العهد فى هذا الخصوص .

ومعنى هذا أن منصب «القائد العام لجميع القوات المسلحة المصرية» كان قاصراً على أعضاء الأسرة المالكة . باستثناء «حور محب» الذى تولى هذا المنصب الخطير فى عهد «توت عنخ آمون» وكان بذلك أول من تولى المنصب من خارج الأسرة المالكة . ومن المعروف أن «حور محب» قبل توليه هذه القيادة العامة للقوات المسلحة ، كان يشغل منصب «كاتب التجنيد» فى وقت مبكر أثناء خدمته العسكرية .

وقد لوحظ أن «نائب الملك وحاكم النوبة» فى عهد «امنتحتب الثالث» كان يحمل لقب «القائد العام للقوات المسلحة» . ومن الواضح أن مفهوم هذا المنصب ينصرف إلى قيادة القوات المسلحة المصرية فى منطقة النوبة وحدها ، دون القوات المسلحة المصرية فى بقية المناطق الأخرى .



وفى عصر الأسرة الثامنة عشر ، نلاحظ وجود فئة ممتازة من «المعلمين الملكيين» كان يناط بهم أمر تعليم وتربية الأمراء والأميرات بالعائلة المالكة . وكان جميع هؤلاء المعلمين على وجه التقريب ، يتم اختيارهم من الكتاب العسكريين أو من الضباط المقاتلين . وبطبيعة الحال ، فإن «الأمراء» الذكور كانوا يتلقون نظاماً تعليمياً خاصاً ، يتضمن التدريب على الأعمال ذات الطبيعة العسكرية .

ومن المؤكد أن هؤلاء المعلمين الملكيين كانوا على درجة عالية من العلم والخبرة والدراية الواسعة . وكانوا إلى جانب معرفتهم بالعلوم التقليدية ونظم التعليم التقليدية ، يتمتعون أيضاً بمعرفة واسعة بالعلوم والأفكار الجديدة ، التى ظهرت بوضوح فى عصر الإمبراطورية ،

بعد أن تراكمت عناصرها على مدى نحو قرنين من الزمان ، أى منذ أيام حرب التحرير حتى نهاية عهد «أمنحتب الثالث» .

وقد أشرنا من قبل إلى أن «أمنحتب بن حابو» كان يشغل منصب «المعلم الملكى» للابنة الكبرى «لأمنحتب الثالث» فى وقت من الأوقات .

ونشير فى النهاية إلى ما يمكن اعتباره ظاهرة عامة ، وهى أن معظم أفراد هذه النخبة الممتازة من طبقة العسكريين ، والذين تبوأوا أعلى المناصب فى الدولة ، كانوا ينحدرون من أسر ذات أصول متواضعة ، كما هو الحال بالنسبة لسننموت وأمنحتب بن حابو والوزير رعموزا ونواب الملك حكام النوبة وكثيرون غيرهم .

ونشير كذلك إلى أن المناصب العسكرية كانت تورث فى كثير من الأحيان من الآباء إلى الأبناء ، طبقا لنظم التوريث التى كانت سائدة فى المجتمع المصرى .



المبحث الرابع

الدلالات الخاصة بلقب «المشرف على الأعمال» والألقاب المشابهة الأخرى

هذا التطور الذى حدث بالوظائف الادارية فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، وخصوصاً بالنسبة لوظيفة «المشرف على الأعمال» ، يعطينا صورة واضحة عن طبيعة الصراع الذى خاضته الطبقة العسكرية الجديدة فى سبيل الحصول على المزيد من القوة والسلطات الواسعة ، كما يوضح لنا أبعاد الدور المتفرد الهائل الذى لعبته هذه الطبقة فى الحركة المعمارية العظيمة التى سادت البلاد فى ذلك العصر .

وخير نموذجين نعرضهما فى هذا الشأن هما سنموت وأمنحتب بن حابو ، اللذين شغلا وظيفة «المشرف على أعمال البناء الخاصة بجلالته» ، فى كل من عهد الملكة «حتشبسوت» والملك «أمنحتب الثالث» .

وكانت هذه الوظيفة تسند عادة إلى الموظفين المدنيين الذين كانوا يباشرون أعمال «وزير الخزانة» ، إلى أن تعاظمت قوة وسلطات طبقة العسكريين فابعدوا المدنيين من هذه الوظيفة ، وبدأوا يتقلدونها ويبدعون فيها . ومن الثابت أن العديد من اللوائىات وكتاب الجيش قد عينوا فى هذه الوظيفة ، وحملوا لقب «المشرف على أعمال البناء الخاصة بجلالته» .

ومن الواضح أن حصول العسكريين على هذه الوظيفة الرفيعة الخاصة بالمنشآت المعمارية الضخمة ذات الطابع الدينى ، يعتبر الفصل الأخير فى الصراع الطويل الذى خاضته طبقة العسكريين فى سبيل السيطرة على جميع الأنشطة الهامة بالدولة ، وخصوصاً بالنسبة لعمليات بناء العمائر الدينية الضخمة بكل ما كان لها من دلالات معنوية واقتصادية .

وباستثناء حالة الضابط المهندس «سنتموت» فقد بدأ ظهور لقب «المشرف على الأعمال» في بروتوكولات تعيين ضباط الجيش في الوظائف ذات الطبيعة المدنية في عهد «أمنحتب الثالث» ، حيث كان السائد قبله ، هو اسناد هذه الوظيفة لبعض الكهنة أو بعض كبار الموظفين المدنيين .

وفي عهد «أخناتون» نجد أن معظم لواءات الجيش كانوا يحملون لقب «المشرف على جميع أعمال البناء الخاصة بجلالته» . ونذكر منهم على سبيل المثال اللوامين «ماى» و «با - آتون محب» اللذين كانا يحملان هذا اللقب بمدينة «آخت آتون» .

وفي عهد «توت عنخ آمون» تولى «حور محب» وظيفة «المشرف على أعمال البناء الخاصة بالاله آمون» وذلك إلى جانب وظائفه وألقابه الأخرى باعتباره «كاتب التجنيد» ثم «قائداً عاماً للجيش» .

أما في عهد «أخناتون» فقد كان «حور محب» يحمل لقب «المشرف على أعمال النقل بمحاجر البحر الأحمر» . وهى الوظيفة التى تذكرنا بشاغلها السابق «أمنحتب بن حابو» .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الوظيفة أصبحت رفيعة المستوى في عصر الرعامسة ، حيث كان ولى العهد ، وهو فى الوقت نفسه «القائد العام لجميع القوات المسلحة المصرية» يحمل لقب «المشرف الأعلى على عمليات النقل» .

ولاشك فى أن عمليات بناء وتشبيد العمائر الدينية الضخمة التى تميزت بها الأسر الثامنة عشر ، والتى أقيمت وانتشرت فى دولة ذات حضارة معمارية عظيمة ، تضع المنشآت الدينية موضع الاجلال والتقدير ، جعلت الضباط المنتمين إلى الطبقة العسكرية الجديدة ، يتطلعون إلى السيطرة على عمليات البناء والتشييد الخاصة بالمباني والعمائر الدينية . وقد سيطروا عليها بالفعل .

المبحث الخامس

وظيفة «مر - بر - ور»

«المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية»

من أشهر معالم الصراع الذى خاضته طبقة العسكريين فى سبيل الوصول إلى أعلى مراتب السلطة السياسية والقوة الاقتصادية فى البلاد ، محاولتهم الناجحة فى الوصول إلى وظيفة «مر - بر - ور mr - pr - wr» . وهى وظيفة ذات نفوذ واسع وسلطات عليا ، وتتيح لشاغلها حق ادارة الممتلكات الخاصة بالملك .

ويقول «هلك» ان معظم الذين باشروا تلك الوظيفة الرفيعة وحملوا لقبها ، كانوا يحملون أيضا لقب «المشرف على قطعان آمون» . وقد يعنى هذا أن ممتلكات معابد آمون كانت من الناحية القانونية تدخل ضمن ممتلكات الملك ، كما كانت من الناحية العملية تحت الاشراف المباشر لمديرين تابعين للملك .

ولإلى جانب الاشراف على ادارة الممتلكات الخاصة بالملك ، كانت وظيفة «مر - بر - ور» تتيح لشاغلها أيضا الاشراف على عمليات المبادلة التجارية الدولية للبضائع المنقولة على السفن . وكان الموظفون الكبار الذين يحملون هذا اللقب يقيمون عادة بمدينة منف ، ابتداء من عهد الملك «امنحتب الثالث» .

وقد منحت هذه الوظيفة إلى أحد كبار القادة العسكريين واسمه «قن آمون KENAMUN» فى عهد «امنحتب الثانى» . ومن الجدير بالذكر أن هذا القائد قد حرص على ذكر لقبه العسكرى السابق ، وكان برتبة «قائد» منقوشا على نصب خفى داخل مقبرته .

ويرى «هالك» أن رجال السلك العسكرى الذين شغلوا وظيفة «مر - پر - ور» وهى من أعلى مستويات الوظائف الرفيعة ، كانوا فى غنى عن الافتخار بألقابهم ورتبهم العسكرية التى كانوا يحملونها من قبل . إلا أن بعضا ممن شغلوا هذه الوظيفة ، حرصوا أيضا على ذكر مناصبهم وألقابهم العسكرية التى كانوا يحملونها أثناء خدمتهم السابقة بالجيش . وحدث ذلك بالنسبة «لأمنحتب» الذى شغل وظيفة «مر - پر - ور» أيام الملكة «حتشبسوت» وأيضا بالنسبة «لووسر WOSER» الذى شغل نفس الوظيفة أيام الملك «تحوتمس الأول» وكان كل منهما يحمل اللقب العسكرى «قن kn» ومعناه «القوى» .

ومن الواضح فى حالات كثيرة ، أن بعض من كانوا يشغلون وظيفة «مر - پر - ور» قد كلفوا بالقيام بمهام ذات طبيعة عسكرية ، وكانوا يحملون لقب «شجاع الملك» . وبطبيعة الأمور فإن مثل هذا التكليف يرجح أن شاغلى هذه الوظيفة كانوا فى الأصل من كبار الضباط العسكريين .

وفى فترة النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشر ، تعددت الاختصاصات المسندة إلى شاغل وظيفة «مر - پر - ور» وازدادت الوظيفة نفسها قوة وأهمية . وحتى يقوم شاغل هذه الوظيفة بمسؤولياته فى إدارة الممتلكات الملكية ، فقد كان من المحتم أن يصبح على علاقة مباشرة بالملك ، لكى يتعرف على رغباته وأوامره ، فىقوم بتنفيذها كما ينبغى .

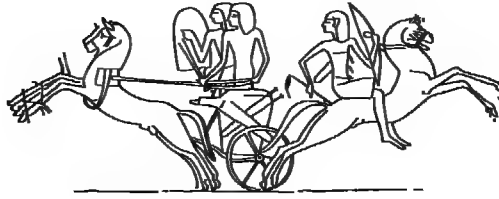
وقد شغل القائد «حور محب» وظيفة «مر - پر - ور» فى عهد «أخناتون» حيث كان يشرف على إدارة جميع الممتلكات الخاصة بالملك . وخلد «حور محب» تقلده لهذه الوظيفة بنص يقول فيه : «لقد اختارنى الملك ليجعلنى (صاحب الكلمة العليا) على جميع انحاء الأرض ، ولكى أقوم بتنفيذ القانون كأمر ورأى HEREDITARY PRINCE» .

ومن الملاحظ أن لقب «صاحب الكلمة العليا THE UPPER MOUTH على جميع انحاء الأرض» أصبح من الألقاب المألوفة التى تمنح لشاغلى وظيفة «مر - پر - ور» منذ أيام «أمنحتب الثانى» حين كان «قن آمون» يشغل هذه الوظيفة فى عهده . كما شغلها

بعده «امنميسو AMENMESU» حامل الراية ، و «نيبي NEPY» قائد منطقة «سيلا SILE» ، وقد شغلا هذه الوظيفة وحملألقابا في عهد الملك «امنحتب الثالث» .

ونشير إلى أن الخلفية التعليمية الثقافية التي يجب أن تتوفر فيمن يشغل وظيفة «مر - بر - ور» يجب أن تكون مساوية على الأقل للخلفية التعليمية لمن يشغل منصب «كاتب التجنيد» بالقوات المسلحة .

وفي فترة العمارنة ، لم يستعمل لقب «مر - بر - ور» بالنسبة لمن شغل وظيفة «ادارة الممتلكات الملكية» ، وإنما أطلق على من كان يشغل هذه الوظيفة لقب آخر هو «صاحب الكلمة العليا في جميع انحاء الأرض» .



المبحث السادس

وظيفة : «المشرف على كهنة جميع الآلهة»

يشير «فون بكرات VON BECKERATH» إلى أن الضباط العسكريين في أواخر عصر الأسرة الثامنة عشر قد حلوا تماماً محل «كهنة آمون» وقرنائهم من كبار موظفي طبعة المدنيين في التمتع بثقة الملك .

وفي عهد «تخوتس الرابع» حدثت أخطر مواجهة في الصراع بين طبعة العسكريين وطبقة كهنة آمون التقليديين . وذلك حين انحاز الملك إلى الضباط ، وجرد كهنة آمون من حقهم التقليدي في شغل وظيفة «المشرف على كهنة جميع الآلهة بالأرضين» ، ومنح الوظيفة للضباط «حور محب» الذي كان يشغل في ذلك الوقت وظيفة «قائد سلاح المركبات الحربية ومعلم الأميرة بنت ملك» ولاشك أن هذا القرار الحاسم الذي أصدره «تخوتس الرابع» هياً للملك السيطرة الكاملة على ممتلكات جميع المعابد بالدولة ، وعلى ثروات جميع الكهنة الذين يعملون بهذه المعابد .

وهكذا يمكن القول بأن قصر التعيين بهذه الوظيفة على طبعة الضباط العسكريين ابتداء من عهد «تخوتس الرابع» قد حسم نتيجة الصراع بين الطبقة العسكرية الجديدة وطبقة الكهنة ، لصالح العسكريين تماماً .

ومن أشهر من تولوا وظيفة «المشرف على كهنة جميع الآلهة» الضباط «رعموزا» في عهد «امنحتب الثالث» . وقد ظلت هذه الوظيفة قائمة في بداية عهد «أخناتون» ، حيث تولاهم الضباط «بارع نوفر PARENNOFER» . ومن المحتمل أيضاً أن «حور محب» قد تولى هذه الوظيفة في عهد «توت عنخ آمون» .

وهناك كثيرون تولوا هذه الوظيفة أو وظائف مشابهة لها ، فقد عين «الكاتب العسكرى سوبك نخت SOBEEK NAKHT» فى وظيفة «المشرف على ممتلكات معبد آمون» . كما عين كاتب عسكرى آخر هو «نخت مين NAKHT MIN» فى وظيفة «المشرف على ممتلكات الزوجة الرئيسية للملك «امنحتب الثالث» وهى الملكة «تى» . كما عين اللواء «سإست SAISSET» فى وظيفة «المشرف على ممتلكات معبد أوزيريس بأبيدوس ، والمعابد الجنائزية للملوك أحمس الأول ونحوتس الثالث ونحوتس الرابع» . وذلك فى عهد «امنحتب الثالث» .

وفى عهد «أخناتون» عين «رعموزا» لإدارة ممتلكات المعبد الجنائزى لأمنحتب الثالث . كما عين أيضا «ها آتون محب PA - ATENEMHAB» للإشراف على إدارة بعض الممتلكات . كما عين اللواء «ماى» لإدارة ممتلكات معبد رع بهليوبوليس .

أما «نبيى NEBY» الذى كان يشغل منصب «قائد منطقة سيلا» فقد عين فى وظيفة «المشرف على إدارة ممتلكات الحرم الخاص بامنحتب الثالث» . كما عين «قن آمون» فى وظيفة «المشرف على إدارة الحقول المملوكة لزوجة الاله » .

ولاشك فى أن هذا الاتجاه الذى ساد فى فترة النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشر ، نحو تعيين الضباط كمشرفين على إدارة ممتلكات معابد جميع الآلهة ، يعتبر تكريسا للطبقة العسكرية الجديدة ، وتعزيزا لها بمزيد من القوة والسيطرة الاقتصادية ، حيث أصبح الضباط يهيمنون تماماً على إدارة جميع ممتلكات الملك ، والمعابد ، وجميع أفراد العائلة المالكة . الأمر الذى جعلهم يشكلون قوة هائلة فى النظام الاقتصادى للدولة فى ذلك العهد ، وكان كما رأينا من قبل ، نظاماً يقوم على فكرة إعادة توزيع الثروة فى المجتمع المصرى على النحو الذى يتمشى مع الاتجاهات الامبراطورية للدولة .

وهكذا سيطرت الطبقة العسكرية الجديدة على جميع المقدرات الاقتصادية بمصر ومستعمراتها فى سوريا والنوبة ، الأمر الذى نتج عنه حلول تغييرات جوهرية فى بنية وطبيعة تكوين المجتمع المصرى .

المبحث السابع

بعض الاعتبارات القانونية

من المتفق عليه بين المؤرخين ، أن المجتمع المصرى فى عصر «الدولة الحديثة» كان يتكون من طبقات مفتوحة ، بمعنى امكانية جواز الانتقال من طبقة اجتماعية إلى طبقة أعلى ، دون أية عقبات أو موانع قانونية أو دينية . وقد سبقت مصر بهذا التطور الاجتماعى ، جميع المجتمعات الانسانية الشرقية الأخرى فى التاريخ القديم .

وكانت جميع الوظائف والمناصب - من الناحية النظرية على الأقل - تعتبر «وظائف» أو «مراكز» للخدمة العامة بالدولة ، التى يتربع على قممها الملك .

وفى معظم فترات وعصور التاريخ المصرى القديم ، كانت هناك قاعدة تقليدية مؤداها انتقال الوظائف والمناصب العامة «بالوراثة» من الآباء إلى الأبناء . بمعنى أن الابن كثيرا ما يخالف أباه فى نفس الوظيفة التى كان يشغلها الأب عند موته . غير أن هذا ليس معناه إغلاق عمليات تقلد الوظائف العامة على أسر معينة ، لأن التعيين فى تلك الوظائف كان مفتوحاً ومتاحاً لكل فرد طموح يمكنه الدخول والانتماء إلى الطبقة العسكرية الجديدة متى حاز مؤهلات الدخول والانتماء إليها .

وقد رأينا من قبل أن هذه الطبقة ، ظهر فيها ضباط ينتمون إلى بعض العائلات العسكرية ، كما هو الحال بالنسبة إلى «رعموزا» فى عهد «امنحتب الثالث» ، كما ظهر فيها ضباط لم ينحدروا من أسر عريقة أو أصول متميزة ، كما هو الحال بالنسبة للواء «ماى» فى عهد «امنحتب الرابع - أخناتون» .

وقد أدى التطور الاقتصادى الذى صاحب الفكر الامبراطورى فى عهد الأسرة الثامنة عشر ، إلى تركيز جميع الموارد الاقتصادية تحت يد الدولة وسيطرتها الكاملة . وبناء على ذلك ، أصبحت «الملكية القانونية» للأرض الزراعية ، مقيدة بقواعد ونظم صارمة . وكان الفلاحون والعمال الزراعيون خاضعين من الناحية القانونية والاجتماعية إلى نظام جماعى مبنى على اخضاع الفرد للدولة ، وعلى سيطرة الدولة الكاملة على جميع مظاهر حياة الشعب وطاقاته المنتجة ، وكانوا مقيدين بالقيام بواجبات والتزامات محددة لصالح الدولة وفى إمكان الدولة أن تقوم بطردهم من الأرض إذا قصرُوا أو أخلوا بالتزاماتهم نحوها .

ويمكن وصف النظام الاقتصادى الذى كان سائداً بمصر فى ذلك العصر ، بأنه نوع من «الاقتصاد الموجه» يقوم أساساً على تركيز ووضع كل الموارد الاقتصادية القومية تحت سيطرة الدولة .

وإذا رجعنا إلى ما ذكره «هيرودوت HERODOTUS» فى حديثه عن مصر ، نجد أنه يقول : «أن طبقة المحاربين كانت تمتح حق استغلال الأرض الزراعية وكان كل محارب يمنح «١٢» أرورا معفاة من الضرائب ، وكان مثل طبقة المحاربين فى ذلك مثل طبقة الكهنة» .

كما ذكر «ديودور DIODORUS» أيضا : «أن رمسيس الثانى قد كون جيشاً هائلا ، منحه أحسن وأخصب الأرا الزراعية» .

وكانت الأراضى الزراعية التى منحت لأعضاء الطبقة العسكرية ، تورث من الأب إلى الابن الأكبر ، طبقا لنظام التوريث الشرعى الذى كان سائداً . وكانت التصرفات القانونية التى تجرى على الأراضى الزراعية تسجل رسمياً لدى الجهة الحكومية المختصة بالشهر العقارى .

ونخلص فى النهاية بأن النخبة الممتازة بأعلى طبقة العسكريين ، أصبحت تمثل «ارستقراطية عسكرية» تسيطر وتهيمن وتدير جميع مرافق «الاقتصاد القومى» بالدولة . وفى نفس الوقت فإن المحاربين العاديين الذين يشكلون القاعدة العريضة لطبقة العسكريين ، أصبحوا فى وضع أكثر امتيازاً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية فى المجتمع المصرى فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

الفصل الرابع

الخلفية الثقافية لطبقة العسكريين

ويتضمن المباحث التالية :

- المبحث الأول : الخلفية الثقافية للضباط وتأثيرهم فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .
- المبحث الثانى : الجيش والمؤثرات الثقافية والدينية الوافدة من الوجه البحرى .
- المبحث الثالث : احياء التراث الثقافى القديم فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الأول

الخلفية الثقافية للضباط وتأثيرهم فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر

قبيل وأثناء فترة العمارنة ، كانت القاعدة العامة أن يتم اختيار الضباط الذين يرقون إلى رتبة «لواء GENERAL» من بين الضباط الذين كانوا يشغلون منصب «كاتب التجنيد» وذلك فيما عدا حالة استثنائية واحدة تتعلق بالضباط «آمون إمنت AMUN EMINT» الذى تمت ترقيته إلى رتبة لواء وكان فى الأصل من ضباط الجبهة المقاتلين .

وهذا يدلنا على أن من الضرورى أن يكون الضباط «الكتبة» على دراية كبيرة بفنون القتال والعلوم الحربية البحتة ، كما أن من الضرورى أيضا بالنسبة لفئة الضباط المقاتلين أن يكونوا على دراية بفنون الكتابة وعلومها .

وعندما تتم ترقية أحد الضباط إلى رتبة اللواء ، فانه يصبح مسئولاً عن قيادة قطاع كبير من الفرق والوحدات الحربية العاملة بالقوات المسلحة . وكان من الشائع أن يعين للجيش «لواءان» أحدهما لقيادة القوات المسلحة بالوجه القبلى ، والآخر لقيادة قوات الوجه البحرى .

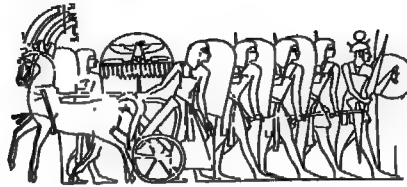
ويرى «هالك» أن ادارة وتنظيم القوات المحاربة لاتقل أهمية عن الأعمال الحربية القتالية نفسها . وكان من المفروض أن يكون الضباط صالحاً لأداء الأعمال والواجبات الخاصة بكل من هذين القطاعين .

وقد ازداد بالتدريج عدد الضباط الذين يشغلون منصب «كاتب التجنيد» في فترة النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشر . وعلى سبيل المثال ، فقد كان عدد الضباط الذين كانوا يشغلون هذا المنصب في عهد تحوتمس الثالث وامنحتب الثاني ، أقل بكثير من عدد الضباط الذين شغلوا هذا المنصب في عهد خلفائهما من فراعنة الأسرة .

كذلك فقد كان الضباط «الكاتب العسكري :نوتف NUTEF» في عهد تحوتمس الثاني لا يحمل إلا لقبه العسكري فقط ، بينما أصبح «الكاتب العسكري :سالست» في عهد امنحتب الثالث ، يحمل خمسة ألقاب ذات طبيعة مدنية ادارية ، ولقبين اثنين من الألقاب العسكرية . كما ازداد في العهد نفسه عدد الضباط الذين كانوا يشغلون هذا المنصب .

ومن الثابت أنه في عهد كل من تحوتمس الثالث وامنحتب الثاني وتحوتمس الرابع ، كان هناك ضابط واحد يشغل منصب «الكاتب العسكري» ، بينما ازداد هذا العدد إلى ثلاثة ضباط في عهد امنحتب الثالث ، وإلى أربعة ضباط في عهد أخناتون .

ونود أن نشير هنا إلى ان اثنين من هؤلاء الكتبة العسكريين الأربعة في عهد اخناتون ، قد ارتقيا عرش مصر بعد موت توت عنخ آمون ، وهما الضابط «آي» والضابط «حور محب» .



المبحث الثانى

الجيش والمؤثرات الثقافية والدينية الوافدة من الوجه البحرى

فى عهد «تختمس الرابع» ازداد تأثير التيارات الثقافية والعقائد والنظريات الدينية التى كانت سائدة فى مناطق الوجه البحرى ، على رجال القصر والبلاط الملكى .

ويعطينا «ى. فون بكرات» صورة واضحة للاتجاهات الثقافية والدينية المتبادلة بين الوجه البحرى والوجه القبلى فى ذلك العهد والعهد الذى سبقه . فمن الوقائع التاريخية الثابتة ، نرى انه منذ عهد «تختمس الأول» تبين لنظام الحكم فى مصر انه لا يمكن إقرار الأمن الاستراتيجى فى البلاد ، وخصوصاً بالنسبة لفلسطين وسوريا ، إلا بأن تتمركز أهم قوة ضاربة فى القوات المسلحة المصرية ، وهى «سلاح المركبات الحربية» فى منطقة منف ، وأن تكون تحت القيادة المباشرة للأمير ولى العهد .

وحتى يتكامل هذا المفهوم الاستراتيجى ، فقد كان من المحتم على نظام الحكم أن يقوم بتعيين وزير مختص يتولى بشئون الوجه البحرى وحدث ذلك بالفعل فى عهد تختمس الثالث .

وفى عهد «امنحتب الثالث» حدثت واقعة تعيين «الكاهن الأول للاله بتاح» - وكان مقره بمدينة منف - فى منصب دينى خطير ، وهو «المشرف على جميع الكهنة فى الأرضين» . الأمر الذى يستشف منه مدى تأثير التيارات الدينية التى كانت سائدة فى شمال البلاد على البلاط الملكى فى طيبة .

ومنذ عهد «تختمس الرابع» ، أصبح من المعتاد بالنسبة للفراعنة ، أن يقضوا جزءاً من وقتهم بمقرهم الملكي المؤقت بمدينة منف .

ويرى «فون بكرات» أن الجانب العقائدى لثورة العمارة ، كان نتيجة مباشرة للتأثير الفكرى والدينى المتزايد الذى كان سائداً فى منطقة هليوبوليس ^(١) والذى زحف إلى جنوب البلاد .

ولاشك أن «الضباط» هم الذين حملوا هذه التيارات الثقافية والدينية لتؤدى دورها فى جنوب البلاد ، وذلك من خلال اتصالاتهم بالقصر الملكى وعلاقاتهم الشخصية بالملوك .

وفى السنة الرابعة من حكم «امنحتب الرابع» - أخناتون - أصدر أمره ببناء مقبرة فى الجانب الصحرى الشرقى من عاصمته الجديدة ، ليدفن فيها «عجل منفيس - MNVIS BULL» وهو الحيوان المقدس فى عقيدة الشمس ، حسب المفهوم الذى كان سائداً بمنف وهليوبوليس .

كذلك فقد قام «امنحتب الثالث» بتعيين أحد ابنائه ، وهو الأمير «تختمس» فى منصب «كبير كهنة الاله بتاح» بمنطقة منف . ومن المعروف أن أقدم المقابر المعروفة «لعجل أبيس BULL APIS» ^(٢) ترجع إلى عهد امنحتب الثالث . وقد عثر على ضريح أقيم فوق أحد هذه المدافن ، وعليه صورة لأمنحتب الثالث ومعه ابنه الأمير تختمس ، وهما يقفان أمام هذا الحيوان المقدس .

وقد عثرت إحدى البعثات الألمانية للتنقيب عن الآثار بمنطقة الجيزة على نصب حجرى تذكارى نقشت عليه صورة الملك امنحتب الثالث فى هيئة طفل عار ، وهو يقدم زهرة إلى «أبى الهول» وفوقه «قرص الشمس» محاطاً باثنتين من حيات الكوبرا . ويرمز هذا النصب إلى نظرية أيديولوجية مفادها أن الملك يشعر بألوهيته منذ صباه .

وكانت «الطبيعة الثنائية» للفرعون باعتباره إلهاً حياً في السموات والأرض ، تتمشى تماماً مع الدور المزدوج الذى يباشره الفرعون في المجتمع المصرى باعتباره سيداً يترفع على قمة الدولة والمعابد الدينية .

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن الفصل بين الدولة والمعبد كان يتنافى تماماً مع العقيدة المصرية . وهذه العقيدة تساعدنا في تفسير وتقييم عملية تعيين الضباط العسكريين في الوظائف المدنية ذات الطابع المدنى أو ذات الطابع الدينى .

ويمكن القول بأن اتجاه الديانة الآتونية إلى نبذ فكرة إقامة تماثيل للإله ، بل وإلى تحطيم تماثيل الآلهة التى كانت موجودة ، كان مستمداً - على نحو ما - من المفاهيم الدينية التى كانت سائدة في هليوبوليس . ومن المعروف أن «معابد الشمس» التى تم بناؤها في عصر الأسرة الخامسة أيام الدولة القديمة ، كانت خالية تماماً من أية تماثيل للآلهة . وكانت «المسلات» التى أقيمت في ذلك العصر ، لا تمثل أكثر من «رمز» على وجود الإله .

وعلى هذا فإن جنود الفكر «التجريدى» في العقيدة الآتونية وفي معابد العمارنة ، ربما تمتد في حقيقتها إلى الأفكار اللاهوتية التى كانت سائدة في هليوبوليس ، حيث لم يظهر الإله رع في شكل أيقونة أو تمثال طوال عصر الدولة القديمة .

ويشير «سيد توفيق» تساؤلاً هاماً حول ما إذا كان الإله آتون نفسه عبارة عن «تجلٍ» للإله رع في صورة جديدة وفكر جديد ، وهو يشير بذلك إلى نصب حجرى تذكارى أقيم في منطقة «جبل السلسلة»^(١) . يصور الملك «امنحتب الرابع» - قبل أن يتسمى باسم أخناتون - وهو يعبد الإله «آمون - رع» AMEN - RĒ والذي يشير الانتباه أن النص الوارد مع هذه الصورة لا يشير إلى الإله آمون - رع ، بل يشير إلى «البن بن BEN BEN» ، وهو الجزء الحجرى المخروطى الذى يتخذ شكل قمة الهرم ، والذي كان يعتبر عرشاً مقدساً لإله الشمس طبقاً لعقيدة هليوبوليس .

ومن الغريب أن لقب «ور - ماو wr-m3w» ومعناه «الرأى الأعظم» والذي كان يحمله عادة «الكاهن الأكبر للاله رع في هليوبوليس» منذ بداية عصر الأسرات ، قد أطلق أيضا على الكاهن الأول للاله آتون بالعمارنة .

كذلك فقد عثر على نص منقوش على الصرح الرمزي للاله آتون بالعمارنة يقول : «الاله الحى الكبير آتون الذى يقيم فى ظل رع» . وهذا يؤكد لنا المزيد من الشواهد على مدى تأثير تعاليم الديانة الآتونية بالفكر الدينى الذى كان سائداً فى منطقة هليوبوليس .

ويشير «سيد توفيق» أيضا إلى أن البنتين الأخيرتين من بنات أخصاتون ، تحملان ضمن أسميهما اسم الاله رع ، بينما البنات الأربعة الأول ، يحملن ضمن اسمائهن اسم الإله آتون

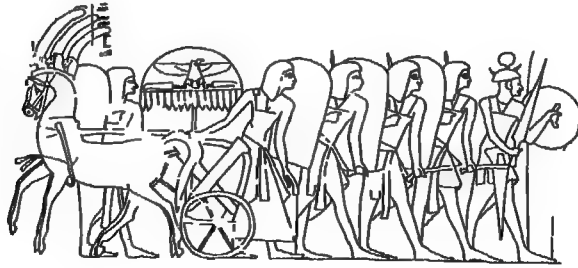
وثمة نقطة مازلت محل جدل وبحث ، تتعلق بدور الالهة «ماعت MAAT» التى كانت تمثل فكرة العدالة المطلقة وسيدة العالم الآخر . فالمفروض أن العقيدة الآتونية كانت تنكر وجود «أوزيريس» باعتباره إله الموتى والعالم الآخر ، ولم يعثر على أى أثر لعقيدة أوزيريس أو الإشارة إلى هذا الاله فى الأدب أو الشعر الدينى الذى يرجع إلى أيام العمارنة .

وطبقا لاسطورة تعود إلى عصر الرعامسة ، وتلور حول الصراع بين «حورس وست» نجد أن العدالة «ماعت» قد ذهبت إلى العالم السفلى [صورة ١٨] .

ومن الثابت أن ايديولوجية ماعت باعتبارها الهة العدالة وسيدة العالم السفلى ، قد لعبت دوراً هاماً فى فترة ما قبل العمارنة . ولذلك فإن من المحتمل أن تكون قد لعبت نفس الدور فى فترة العمارنة ، غير أنه لا يوجد دليل قاطع لتأكيد هذا الافتراض .

ومع ذلك فمن المؤكد أن الطبقة العسكرية الجديدة قد تأثرت بالفلسفات الدينية والأفكار اللاهوتية التى كانت سائدة فى منطقة هليوبوليس ومنف ، حيث كانت المقر الرئيسى للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، والقطاع الأكبر من سلاح الفرسان والمركبات الحربية والوحدات العسكرية الأخرى .

ويقول «هيرودت» عن كهنة هليوبوليس : «أنهم أحكم حكماء الشعب المصرى كله» ، ولا جدال فى أنه قد جمع الكثير من عناصر المادة العلمية لتاريخه ، عن طريق هؤلاء الكهنة وما يدخرونه من المراجع والسجلات التاريخية التى كانوا يحفظونها بمعابدهم .



المبحث الثالث

احياء التراث الثقافى القديم فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر

كان هناك اتجاه واضح نحو عملية إحياء التراث الثقافى والعقائدى المصرى القديم . وقد تعزز هذا الاتجاه بفضل البلاط الملكى الذى أخذ يتأثر بالمأثورات المصرية القديمة التى ظهرت فى «العصور الذهبية» لتاريخ المصريين فى الأزمان الموعلة فى القدم .

وفى رأى أن هذا الاتجاه إلى إحياء التراث المصرى القديم فى فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، إنما يرجع بصفة رئيسية إلى تأثير التيارات الثقافية والفلسفية التى كانت سائدة فى شمال البلاد فى منطقتى منف وهليوبوليس على وجه التحديد . وأن هذا التأثير قد انتقل إلى القصر الملكى بطيبة ، وإلى رجال البلاط ، بفضل تلك النخبة الممتازة من الضباط العسكريين الذين كانوا على صلة وثيقة بكل من الملك ورجال البلاط .

ولاشك أن هذا التأثير بالتيارات الثقافية والدينية الوافدة من الشمال ، قد بدأ وازداد قوة اثناء فترة تكوين الامبراطورية . وكانت أوضح مظاهره هى عملية إحياء التراث الفكرى والعقائدى القديم ، وهى العملية التى قام بها المثقفون من الضباط ، خصوصاً الضباط الذين كانوا يشغلون منصب «كاتب التجنيد» وقد أشرنا من قبل إلى الخلفية الثقافية التى كانت تشكل فكر هؤلاء الضباط .

وكان البحث في التراث المصرى القديم أحد المناحي التى أتجه إليها المثقفون من الضباط ، محاولة منهم لحياء الأجداد القديمة التى خلفتها العصور الذهبية فى تاريخ مصر القديم . ربما كان ذلك كنوع من التقوى بالنسبة لبعض الضباط الذين يرغبون فى الرجوع إلى منابع القديمة للفكر الدينى المصرى ، أو ربما لأن الاتجاه العام كان يتطلب استخدام بعض الطقوس الدينية لتعزيز سيادتهم وسلطانهم ، ورفعة شأن طبقتهم الجديدة .

وفى عهد «امنحتب الثالث» جرت عملية بحث وتنقيب لمحاولة الوصول إلى قبر «أوزيريس» فى منطقة «ايبديوس»^(١) لمعرفة وإحياء المراسم والطقوس الدقيقة التى كانت تجرى عند الاحتفال باليوبيل الثلاثينى للملوك القدماء .

كذلك فقد وجدت ضمن مقتنيات الملكة «تى» الزوجة الرئيسية للملك امنحتب الثالث ، قطعة أثرية قديمة ، عبارة عن مرآة عاكسة مصنوعة من بقايا لوح اردوازى ناعم السطح ، عليه نقوش يرجع تاريخها إلى فترة ما قبل الأسرات ، أو فترة بداية عصر الأسرات على أكثر تقدير . وقد وجد اسم الملكة تى منقوشاً أيضاً على تلك القطعة الأثرية القديمة التى كانت تقتنيها .

وقد أشرنا من قبل إلى الدور الطقسى الذى أداه « كاتب التجنيد امنحتب بن حابو » اثناء الاحتفال باليوبيل الثلاثينى للملك امنحتب الثالث ، الذى أقيم بمعبد صولب بمنطقة النوبة . وذكرنا أنه قد قام بتلك الطقوس على أساس انه «ربعت» - وهو لقب قديم معناه «الأمير الوراثى - أو الرئيس الأول» . كما أشرنا أيضاً إلى أن هذه الطقوس التى أداها «امنحتب بن حابو» كانت صورة طبق الأصل للطقوس التى أداها «ربعت» فى معبد «نى أوسر رع» فى عصر الأسرة الخامسة أيام الدولة القديمة .

ولأن «امنحتب بن حابو» لم يكن سليل أسرة عريقة يمكنه أن يفخر بأصلها وحسبها ، فلم يكن أمامه إلا أن يفخر بنفسه وعلمه ومعرفته الواسعة ، فكتب نصاً فى مقبرته يؤكد فيه أنه لم يصبح مشهوراً بين الناس ، إلا بسبب معرفته بتراث الأقدمين واسرارهم العلمية التى إلت إليه .

وكانت عصور ما قبل التاريخ الموعلة في القدم ، تبدو أمام المصريين القدماء بصفة عامة ، وكأنها عالم اسطوري تسوده «الأفكار اليوتوبية UTOPIAN IDEAS» لتحقيق عالم فاضل تتمتع فيه المساواة والجهد الانساني الدؤوب لتحقيق العدالة .

كما أن من طبيعة المصريين أن ينظروا إلى ماضيهم وتاريخ أجدادهم بنوع من التقديس والاحترام الشديد ، ولذلك فلم يكن من المستغرب أن يقوم قدماء المصريين في عصر الأسرة الثامنة عشر ، بالبحث في التراث المصري القديم لتأصيل وتعزيز احساسهم بالمجد .

وانطلاقاً من هذا المفهوم أيضاً ، يمكن فهم وتفسير النص القديم الذي يرجع إلى عصر «البطالة» والذي يمجّد العصر الذهبي القديم لمصر في فترة ما قبل التاريخ ، والذي يقول :

«... في زمن الآلهة الأولين : هبطت العدالة ماعت من السماء إلى الأرض .. وامتزجت بنفوس الناس الذين يعيشون عليها .. لذلك فقد فاضت الأرض بالخيرات .. وامتلاّت البطون الجائعة .. ولم تكن هناك سنوات عجاف في عهد الآلهة الأولين ..»

ولعل البساطة الشديدة التي كانت تتميز بها حياة الأسرة المالكة وحياة طبقة كبار الموظفين في عهد العمارنة ، والتأكيد الشديد على حب الطبيعة الذي ساد الاحساس الوجداني في ذلك العهد ، يبين لنا إلى حد ما كيف تأثر هذا العصر بالتراث المصري العريق الذي يمجّد «البساطة» . وربما كان هذا هو السبب الذي جعل بعض المؤرخين القدماء مثل «ديودور وبلوتارخ» يشيرون في كتبهم إلى إن المصريين القدماء قد أقاموا في طيبة نصباً تذكاريّاً ، نقشّت عليه بعض اللعنات الموجهة إلى الملك مينا - موحد القطرين - باعتباره أول من أدخل الفخامة والترف ، وتخلّى عن بساطة الاسلاف .

ويقول «ل. كاكوشي» أن فكرة التأثير بميثولوجيا العصر الذهبي القديم قد تسلّطت على المصريين في عصر «الدولة الحديثة» . ومن الدلائل على ذلك ظهور اسطورة فناء العالم أو فناء الجنس البشري ، والتي تلخص في أنه بعد انتهاء العصر الذهبي للآلهة القدماء

الذين كانوا يحكمون الأرض ، حدث فصل بين السماوات والأرض ، وقرر الآلهة افناء هذا العالم الانسانى الذى امتلأ بالرزائل ، وفوضوا «الآلهة سخمت» لتقوم بذلك.وقد حرص المصريون فى عصر الدولة الحديثة على إقامة احتفال سنوى لعيد الآلهة سخمت ، للتذكير بهيبتها وقدرتها المدمرة . ويعتبر مثل هذا الاحتفال السنوى نزوعاً من المصريين القدماء إلى إحياء التراث الاسطورى القديم ، ولتذكيرهم بعبرات الماضى ، وتنبههم إلى ما يكونوا قد ارتكبوه من رذائل الحياة اليومية .

وهناك الكثير من الشواهد التى تدل على أن المثقفين من رجال السلك العسكرى المصرى قد جاهدوا فى بداية عصر تكوين الامبراطورية من أجل إحياء التراث المصرى القديم الذى يدعم وجهة نظرهم فى الدعوة إلى التجانس والبساطة أمام هذا القويض غير المتجانس من التيارات الفكرية والعقائدية التى أخذت تهب على مصر وافدة من الدول والمستعمرات الجديدة التى كانت تخضع لحكم الامبراطورية المصرية .

كذلك فهناك تماثيل كثيرة ترجع إلى ذلك العصر وتمثل «أمنحتب بن حابو» وغيره من كبار الموظفين العسكريين فى الهيئة التقليدية لتمثال «الكاتب المصرى» . وفى رأى أن هذه التماثيل تؤكد أن هؤلاء العسكريين كانوا يفخرون بالمستوى التعليمى والثقافى الرفيع الذى وصلوا إليه ، كما يؤكد جنوح هؤلاء العسكريين أيضا إلى إحياء التراث المصرى القديم ، حيث أن ظهور الشكل التقليدى لتمثال «الكاتب المصرى» الجالس ، يرجع إلى أيام الدولة القديمة [صورة ١٩]

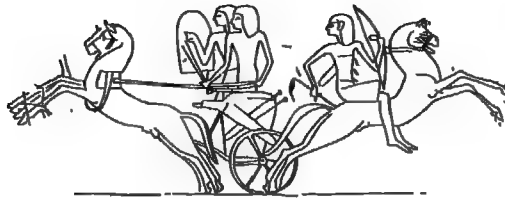
ومن الثابت تاريخيا أن تماثيل الكتبة المصريين بشكلها التقليدى المعروف ، قد بدأ ظهورها منذ عصر الأسرة الرابعة بالدولة القديمة . ولم يتم العثور حتى الآن على أى تمثال للكاتب المصرى الجالس يرجع فى تاريخه إلى عصر «الدولة الوسطى» . ومعنى هذا أن نحت التماثيل فى تلك الهيئة قد اختفى من فن النحت خلال الدولة الوسطى . ثم عاد بعد ذلك ظهور تماثيل «الكاتب المصرى الجالس» فى عصر الأسرة الحديثة ، وبالتحديد فى عهد «أمنحتب الثالث» ، حيث ظهرت التماثيل بتلك الهيئة التقليدية لكل من أمنحتب بن حابو وحمور محب-ويارعمس .

وهذا الاحياء للتراث الثقافى والعقائدى الذى حدث فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، كان دليلاً ومرشداً لعمليات إحياء هذا التراث التى تمت فى عصر الرعامسة بعد ذلك ، والعمليات المماثلة الأخرى التى حدثت فى «العصر الصاوى» (الأسرة السادسة والعشرين) .

غير أن عمليات إحياء التراث القديم التى تمت فى عصر الصاوى كانت على نمط يختلف كثيراً عن عمليات الاحياء التى حدثت فى عصر الدولة الحديثة ، إذ كانت عبارة عن مجرد تقليد ومحاكاة لفنون التراث المصرى القديم دون أن تكون لها رؤية شخصية خاصة ، أو ابتكار فنون متميزة خاصة بها ، حتى ولو كانت متأثرة بفنون التراث القديم .

ويبدو تمثال أمنتحتب بن حابو فى هيئة الكاتب الجالس كما يقول «ج. فاندييه J. VANDIER» وكأن الفنان الذى نحته كان يريد أن يتغلغل داخل نفس صاحب التمثال ويعبر عن مكنونها .

ويمكننا فى النهاية أن نخلص بنتيجة مؤداها أن عمليات إحياء التراث المصرى القديم فى عصر الدولة الحديثة ، كانت تمثل أحد أوجه الانشطة للحياة الثقافية التى سادت فى ذلك العصر ، ولكنها لم تكن أبداً عقبة أمام ظهور العديد من التيارات الثقافية والعقائدية الجديدة التى بدأت فى الظهور تبعاً منذ بداية تكوين الامبراطورية .



هوامش الجزء الأول

هوامش المقدمة

- ١ - الدولة القديمة : الأسرات ٣-٦ . عصر بناء الأهرام . العاصمة في منف . بلغت الحضارة المصرية القديمة أوج مجدها في العلوم والرياضيات والعمارة والفن والدين . السلطة مركزية محورها الملك شبه الآلهة . القيام برحلات استكشافية لأعماق السهول والمناطق الأفريقية وحملات لسياسة للحصول على المواد الأولية .
- ٢ - الدولة الوسطى : الأسرات ١١-١٢ . إعادة وحدة البلاد بعد القضاء على الانقطاع . مشروعات الري الكبرى واستزراع منطقة الفيوم وتحقيق رخاء لم يسبق له مثيل في تاريخ البلاد . نهضة أدبية بلغت الذروة . إعادة التنظيم الإداري للدولة تحت إشراف مركزي حاسم ودقيق . ازدهار النشاط التجاري مع مناطق سوريا وفلسطين وتمتع مصر بنفوذ حضاري وتعاقد مع تلك المناطق . والجيش المصري يضم النوبة نهائياً .
- ٣ - الدولة الحديثة : الأسرات ١٨-٢٠ . العاصمة في طيبة ثم في برعمسيس بالدلتا . ظهور طبقة العسكريين ودورهم البالغ في الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد . إقامة الامبراطورية المصرية من الفرات شمالاً وحتى الجندل الرابع جنوباً . وفي متن الكتاب مزيد من التفاصيل .
- ٤ - كلمة هكسوس في الأصل هي تصحيف للفظ الفرعوني القديم «حقا وخاسوت» أي الحكام الأجانب أو حكام الأراضي الصحيرية الأجنبية . أصلهم من آسيا . وقد استولوا على مصر بالتسلل التدريجي أو بالغزو في أواخر الدولة الوسطى . ثار عليهم الصعيد بزعماء وقيادة أمراء طيبة حتى أحلوه عن البلاد . وتم طردهم وتشريدهم نهائياً في حرب التحرير التي قادها أحسن الأول الذي أسس الأسرة الثامنة عشر .
- ٥ - أشهر الأسرات الملكية في تاريخ العالم القديم وما زالت شهرتها تملأ آفاق العالم الحديث . في عصرها حدثت تغييرات جذرية في الحضارة المصرية . وحدث تطور هائل في نظم الحكم والإدارة والاقتصاد والحياة الاجتماعية لختلف طبقات الشعب . كما حدثت فيها انقلابات في مفاهيم الأدب والفن والدين . وملوكها بالترتيب الزمني هم : أحسن الأول - منحتب الأول - تحوتمس الأول - تحوتمس الثاني - الملكة حتشبسوت - تحوتمس الثالث - منحتب الثاني - تحوتمس الرابع - منحتب الثالث - منحتب الرابع (اخناتون) - سمنخ كارع - توت عنخ آمون - آي - حور محب .
- ٦ - يبلغ عددها نحو ٤٦٤ مقبرة منحوتة في الصخر معظمها من عصر الدولة الحديثة . وترجع أهميتها إلى المناظر البدئية المصورة أو المنحوتة على جدرانها والتي تمثل مناظر للحياة اليومية في مصر ، والوفود الأجنبية التي كانت تحمل الحزينة والهدايا . (راجع الملحق رقم (١) في نهاية الكتاب) .

- ٧ - عصر الانتقال الأول : الأسرات ٧-١٠ . الانقطاع يمزق البلاد ويعم الاضمحلال وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية . وكان الملوك يحكمون لفترات قصيرة جدا ، واحيانا يحكم أكثر من ملك في وقت واحد . حدوث أول ثورة اجتماعية في تاريخ العالم . وازدهار عظيم في الأدب .
- عصر الانتقال (الاضمحلال) الثاني : الأسرات ١٣-١٧ . عصر المحسوس . ظهور العجلات الحربية وتطور التكتيك الحربي ونصر حاسم في أول حرب تحريرية كبرى في تاريخ العالم .
- ٨ - في العام السادس من حكمه ، هجر اخناتون طيبة عاصمة البلاد ومركز عبادة الاله آمون وأقام في «آخت آتون» واتخذها عاصمة جديدة للبلاد . وتبعه مجموعة جديدة من القيادات العسكرية وكبار الموظفين الذين كان الكثير منهم لا ينتمون إلى الأسر العريقة أو طبقة النبلاء في طيبة . وفي خلال الأزمة التي سببتها عقيدة التوحيد - حسب الديانة الآتونية - تغير أيضا ميزان القوى في مناطق سوريا وفلسطين في غمر صالح الامبراطورية المصرية .
- ٩ - جندي ومعماري عظيم كان له نفوذ سياسي وإداري واسع النطاق في عهد الملكة حتشبسوت . تولى تصميم وإنشاء معبد الدير البحري للملكة وأقام مسلتها العظيمتين بالكرنك . زال نفوذه فجأة . ورغم أنه قد بنى لنفسه مقبرتين إلا أنه فيما يبدو لم يدفن في أى منهما . وأولى هاتين المقبرتين بالقرنة بجبانة طيبة ، أما الثانية ففي سفح الدير البحري ، ولها سقف ضخم فخم عليه رسوم فلكية هامة .
- ١٠ - كبرى بنات تحوتس الأول من زوجته الشرعية أحومسى . تزوجت من أخيها تحوتس الثاني . وبعد موته استقلت بحكم البلاد يعاونها حزبها من رجال السياسة والدين وعلى رأسهم سننموت . خلا عصرها من معارك الحرب وتميز بأعمال الانشاءات والتعمير . اشتهرت ببعثتها البحرية التجارية العظيمة إلى بلاد بونت .
- ١١ - انشأته حتشبسوت . ويمتاز بالتناسق الجمالى المعمارى الرائع بين شكله العام وشكل الجبل المقام في حضنه . وعلى جدرانه دونت الملكة تقريراً تفصيلياً مدعماً بالصور الوصفية لتلك الحملة البحرية التجارية الشهيرة التي أبحرت فيها الأساطيل المصرية إلى بلاد بونت . وتعتبر هذه الرحلة التجارية أكبر «الحملة» التجارية التي أوفدها ملوك مصر السابقون لاستيراد حاجيات البلاد من منتجات بونت . وكانت الحملة مجهزة بمجموعة من الرسامين والفنانين الذين قاموا بدور الصحفيين الذين كتبوا أدق ريبورتاج علمى مصور في وصف بلاد بونت سواء من الناحية الطبيعية أو البيئية أو من ناحية جغرافيتها البشرية والأجناس المختلفة التي تسكنها وتقاليدها وعادات الأهالى الذين يعيشون هناك ، بالإضافة إلى دراسة علمية ممتعة لمختلف أنواع الأسماك والأحياء المائية في البحر الأحمر .
- ١٢ - هى أكثر أجزاء جبانة النبلاء بغرب طيبة اكتظاظا بالمقابر . وبها مجموعة كبيرة من أجمل مقابر النبلاء في عصر الأسرة الثامنة عشر مثل مقابر : «منا» و«سن نفر» و«أوسرحت» و«نخت» و«رعموزا» .
- ١٣ - من أعظم الملوك الذين حكموا مصر . وبعد ٧٥ يوماً فقط من تولية العرش بدأ الزحف في سلسلة من الحملات العسكرية المجهزة أحسن تجهيز بلغت ١٧ حملة واستمرت نحو عشرين سنة متواصلة . ويجمع المؤرخون على أنه أول قائد حرى في التاريخ وضع خطة تقسيم الجيش إلى قلب وجناحين . وكان لديه مجلس أركان حرب يتشاور معه

في وضع الخطط الحربية الفذة . وفي عهده سادت مصر وحضارتها في امبراطورية شاسعة الأرجاء ، تمتد جنوباً من مناطق الشلال الرابع في بلاد النوبة ، وتمتد شمالاً وشرقاً حتى مناطق شمال سوريا وبلاد النهرين كما استولى على جميع موانئ سوريا ولبنان وجعلها قواعد لجيوشه، وتدفقت الجزية والغنائم من جميع هذه البلاد المفتوحة إلى الخزائن المصرية فعم الثراء والرخاء جميع البلاد من أقصاها إلى أقصاها . وكان يتمتع إلى جانب عبقريته العسكرية بشخصية قوية تتميز بالبل الرفيع والرجولة والعدالة والتدين والصدق . وكانت سياسته الداخلية تقوم على إقرار النظام ورفاهية الشعب . وتقرن خططه الحربية - في مفهوم الحرب الحديثة - بكثير من خطط الفيلد مارشال مونتهجومري واللورد اللنبي ، بل وبعض مبادئ السياسة الامبريالية للامبراطورية البريطانية . وكانت الحوليات أو التقارير السنوية التي دونها في عهده تشير إلى احساسه بالتاريخ . كما أمر بتصوير أول حديقة نباتية وسيمفونية في التاريخ ، واعتبرت لفظة حضارية سابقة لأوانها .

١٤ - بعد نقل العاصمة في عصر الأسرات ١٩-٢١ من طيبة إلى الدلتا ، حدثت سرقات كثيرة في الجبانة الملكية بغرب طيبة (وادي الملوك) . وقد قام كبار كهنة آمون في الاسرتين ٢١-٢٢ بتجميع الكثير من التوابيت والموميאות الملكية ونقلوها عدة مرات وانتهى الأمر بدفنها في مقبرة جماعية قرب مدخل الدير البحري . وقد اكتشفت هذه المقبرة في النصف الثاني من القرن الماضي وعرفت باسم خيعة الدير البحري .

١٥ - اتخذت الأسرة ٢٦ سايس بالدلتا عاصمة للبلاد . حققت نهضة اقتصادية ثقافية وتحركاً سياسياً وعسكرياً لفترة قصيرة نسبياً في سوريا وفلسطين . تميزت فنونها بظاهرة العودة للقديم وتقليد الأعمال الفنية المصرية القديمة العريقة التي يرجع تاريخها إلى أكثر من ٢٠٠٠ سنة سابقة على تاريخ تلك الأسرة . وفي عهدها تم إنشاء مدينة نقرطيس الشهيرة بالدلتا ، وكانت على النمط الأغريقي .

١٦ - ذكرت هذه البلاد كثيراً في النصوص المصرية القديمة منذ عهد الأسرة الخامسة في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد . وارسلت مصر إليها عدة بعثات طوال هذا التاريخ ، وأشهرها بعثة حتشبسوت . وكان يجلب من بونت الذهب والمر والعاج والبخور والأقزام والزراف وجلد النمر والفهد . وقد قيل أن بونت كانت تقع في الصومال ، وقيل في اليمن ، بل وقيل فيهما معاً . ولكن آخر الأبحاث تشير إلى أنها كانت تمثل مناطق تقع الآن في شرق السودان واثيوبيا .

هوامش الفصل الأول

المبحث الأول

- ١ - آخر ملوك الأسرة السابعة عشر . وقد عثر على لوحتين في الكرنك توضحان كفاحه ضد الهكسوس والدور الذي لعبه لتحرير البلاد منهم .
- ٢ - أول ملوك الأسرة الثامنة عشر ، ويرجع إليه الفضل في التحرير النهائي من الهكسوس حيث حاصر عاصمتهم أواريس في شرق الدلتا ثم تتبعهم وحاصروهم في شاروهين بجنوب فلسطين إلى أن شتتهم تماماً ووضع أحس الأول الصرح الأول للامبراطورية المصرية .
- ٣ - موقع قرب تقاطع طريقين هامين : غزة - دمشق ، وأكو - القدس . ويشرف على ممر ضيق بالكربل . وفي حملته العسكرية الأولى انتصر تحوتس الثالث في مجلدو على تحالف مكون من ٣٣٠ أميراً تحت قيادة أمير قادش . ويرجع الفضل في انتصار الملك إلى جرأته في اتخاذ طريق وعر لمفاجأة الأعداء . ويقول بعض المؤرخين العسكريين أن الخطة الحربية البارة التي اتبعها في عبور ممر عرونا ، هي نفسها الخطة التي اتبعها القائد البريطاني اللنبي وفاجأ بها جيش الأتراك في سنة ١٩١٨ - أي بعد العهد الذي وضعت فيه هذه الخطة بنحو ٣٤٠٠ سنة .
- ٤ - تقع غرب بلاد النهرين . ظهرت كمملكة في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد . وقد ذكرها العالم الفلكي المصري «أمنمحات» المعاصر لعهدى الملكين امنحتب الأول وتحوتس الأول ، بأنها «البلاد التي يطلق عليها ميتاني» وأقوى روابط صلة بين مصر وميتاني كانت في عصر الملك امنحتب الثالث الذي تزوج ابنة ملك ميتاني .
- ٥ - بعد استقرار الحملة الفرنسية بمصر ، خرج نابليون في حملة إلى سوريا في فبراير ١٧٩٩ . ولكن الحملة فشلت واختفت أمام حصون عكا المنيعة ، نتيجة لاختفاق نابليون في تدبير قوة بحرية توازن هجومه البري . وقد يكون من الضروري أن نشير إلى الأهمية الاستراتيجية لموقع «عكا» طوال التاريخ القديم والتاريخ الحديث على السواء . وكانت تؤدي دورها البارز . كنموذج للتحصينات العسكرية طوال تاريخ المنطقة . وقد فتحها العرب المسلمون سنة ٦٣٨م ، ثم احتلها الصليبيون واستعادها العرب سنة ١٢٩١م (عصر المماليك) واحتلها العثمانيون سنة ١٥١٧م ، ثم الجيوش المصرية بقيادة محمد علي سنة ١٨٣٢م ، ثم بريطانيا سنة ١٩١٨م . وقد نص مشروع تقسيم فلسطين الذي اصدرته هيئة الأمم المتحدة على أيلولتها للعرب ، ولكن اسرائيل اغتصبتها لنفسها .
- ٦ - كان يلقب بملك الآلهة . ومركز عبادته الرئيسي في الكرنك . وتحت اسمه جرت حرب التحرير ضد الهكسوس والحمالات العسكرية في سوريا وفلسطين والفرات . وكان له نصيبه من الجزية المتدفقة إلى البلاد فازدادت ثرواته ونفوذه . وفي عصر الرعامسة ، حمل أحد الجيوش اسمه . وفي أواخر الأسرة العشرين وبداية الأسرة الحادية والعشرين ، أصبح كبير كهنة آمون يمثل السلطة الفعلية في البلاد .

- ٧ - ويطلق عليها قاعة الاحتفالات . أمر بنائها تحوتمس الثالث . وهي عبارة عن قاعة مستطيلة طولها ٢٤ متراً وعرضها ١٦ متراً ويقوم سقفها على ٣٢ عموداً مربعاً وعشرين اسطواناً . والأساطين فريدة في تصميمها المعماري الذي يجعلها تمثل دعائم الخيمة .
- ٨ - بينما كانت طيبة عاصمة للإمبراطورية المصرية ، أصبحت منف مقراً للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية . ففيها تمركز قواد الجيش ، وكانت الحملات الحربية المتجهة إلى فلسطين وسوريا يتم تجهيزها وإعدادها في منف التي كانت أيضاً ترسانة لبناء السفن الحربية . وكان الملوك المحاربون مثل تحوتمس الثالث وامنحتب الثاني يقضون بعضاً من العام في تلك المدينة .
- ٩ - يعتبر رمسيس الثالث آخر ملوك الرعامسة العظام . ويذكر له التاريخ دفاعه المجيد عن مصر ضد شعوب البحر . وأشهر آثاره معبد الجنائزى بمدينة هابو في غرب طيبة والذي صورت على جدرانه المعارك البحرية أثناء صد هجمات شعوب البحر . وقد أثبتت أحدث الأبحاث أن أسلوب بناء بوابة مدينة هابو متأثر بتصميم القلاع المصرية التي انشئت في شرق الدلتا وفي الساحل الشمالي الغربي للبلاد ، وليس له علاقة بأي طراز معماري سوري أو فلسطيني .

المبحث الثاني

- ١ - جنرال بالجيش المصري وابن الملك (الفعلى) وحاكم النوبة في عصر أيه حريمحور . وقد خاض غمار معارك الحرب الأهلية التي انسمت بها نهايات الأسرة العشرين ، قبل ارتقاء حريمحور عرش مصر .
- ٢ - قائد الجيوش وكبير كهنة آمون في عصر رمسيس الحادى عشر . وكان الحاكم الفعلى لمصر العليا كما حل ألقاباً ملكية ، حتى اعتلى العرش وأسس الأسرة الحادية والعشرين المعروفة بأسرة الملوك الكهنة الضباط .
- ٣ - يقع في الصحراء الشرقية في منتصف الطريق بين النيل والبحر الأحمر في موازاة وادى حلفا تقريباً ومنذ الدولة الوسطى أصبح هدفاً للبعثات المصرية التي أرسلت لاستغلال مناجم الذهب الوفيرة في هذا الوادى وغيره من الوديان الأخرى بالصحراء الشرقية .
- ٤ - عاصر أحمر الأول وامنحتب الأول وتحوتمس الأول . وفي بداية حياته كان كاتباً وتقلد منصب حاكم بوهن ثم أصبح «نائب الملك وحاكم كوش» .
- ٥ - تقع جنوب وادى حلفا بمجالى خمسة كيلو مترات . وترجع أهميتها كمدينة حدود تقع بمجوار الجندل الثانى وفي النهاية الجنوبية للنوبة السفلى . وعثر بها على مستوطنات مصرية من الدولة القديمة والدولة الوسطى أيضاً .
- ٦ - قلعة مصرية بالقرب من وادى حلفا .

- ٧ - تقع في منطقة الشلال الرابع عند سفح جبل برقل وأسسها على الأرجح تحتمس الثالث ، وأصبحت مقراً لعبادة آمون رع ومركزاً للتجارة مع أفريقيا ، وكانت نانا عاصمة للمملكة الكوشية (الأسرة الخامسة والعشرين) .
- ٨ - موقع أثرى يقع شمال إدفو بحوالى ١٥ كيلومترا . وبه اطلال مدينة ترجع إلى بداية عصر الأسرات يحيطها سور ضخيم من الطوب اللبن . والموقع أهمية دينية . وهناك عدة مصاطب من الدولة القديمة ومقابر من الدولتين الوسطى والحديثة تحوى مناظر ملونة رائعة للغاية .
- ٩ - استمتع بجهود آباءه في انشاء الامبراطورية . وصلت البلاد في عهده إلى قمة الثراء والغنى ، وانصرف الجميع وهو على رأسهم إلى حب التمتع بمناعم الحياة ولذائذها . زوجته الرسمية بنت الشعب الملكة «تى» التى يعتبرها المؤرخون من أعظم نساء التاريخ المصرى ذكاء وقوة شخصية وعزيمة . فجمعت كل زمام الأمور في يدها بعد انصراف زوجها إلى لذائذها ، وأصبحت المتحكمة وصاحبة الكلمة العليا في تسيير امور الامبراطورية الواسعة وفى داخل البلاد وخارجها . ازدهر في عهده الأدب وظهرت اتجاهات جديدة في فنون العمارة والفنون التشكيلية والتطبيقية تمثلت في الآثار التى تركها وأهمها : معبد الأقصر بجماله وجلاله الفائق ، وتمثالا بمنون بضخامتهما وشهرتهما التى طبقت آفاق المعمورة في الزمن القديم والزمن الحديث على حد سواء .
- ١٠ - من ملوك الأسرة الثامنة عشر . وكانت زوجته «تى» مربية للملكة نفرتيتى . وقد لعب أى دوراً هاماً في إعادة الهدوء إلى البلاد في عهد توت عنخ آمون .
- ١١ - كان ضابطاً في عهد اخناتون ثم أصبح القائد العام للقوات المسلحة المصرية في عهد توت عنخ آمون ، وعمل على رد اعتبار مصر في سوريا وفلسطين ، قام بعدة اصلاحات أشهرها قوانينه التى أعادت النظام للبلاد بعد أزمة العمارة .
- ١٢ - ديانة ذات نزعة توحيدية . آتون هو الخالق الأوحد وفى كل المخلوقات قيس من جوهره . ومن المبادئ العظيمة في تلك الديانة العدل والصدق والحقيقة وحب الطبيعة .

المبحث الثالث

- ١ - حملت هذا اللقب بعض زوجات الملوك في الدولة الحديثة كما حملته أيضا بعض الأميرات . وكان يقمن ببعض الأعمال المتعلقة بالطقوس الدينية بالمعابد . وفي الأسرات ٢١-٢٦ لعبت الزوجات الالهيات لآمون دوراً سياسياً هاماً .
- ٢ - يطلق على فترتي الأسرتين ١٩-٢٠ . وفيه انتقلت العاصمة من طيبة إلى بررعمسيس في شرق الدلتا . وفي الجزء الأول من هذا العصر كانت لمصر امبراطورية في سوريا وفلسطين . ويمتاز العصر عمومًا بالضخامة في العمارة والتضخم في الإدارة . وتخللت عصر الرعامسة في أواخره أزمات اقتصادية . وقد ازداد عدد ونوعيات وجنسيات الجنود الأجانب الذين أحقوا بالجيش المصرى ، كما ازداد نفوذ كهنة آمون .

المبحث الرابع

- ١ - مقرهم طيبة . ويرجع إليهم الفضل في تحرير البلاد من الهكسوس . أشهرهم سقن رع وكاموسى وآخرهم أحمس الأول الذى أسس الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الخامس

- ١ - أصله سورى - فلسطينى . وهو حامى البحارة . وقد ظهر فى عصر الهكسوس متحداً مع الآله «ست» . وفى عصر امنحتب الثانى أصبح له هيكل فى «برو - نفر» ميناء منف حيث كان يوجد بعض البحارة السوريين . وقد ذكره هيرودوت ضمن معبودات منف .
- ٢ - إلهة الحرب الآسيوية بمناطق سوريا وفلسطين وكانت لها عبادة فى الدولة الحديثة بمصر ، ولا سيما فى ميناء منف «برو - نفر» وكثيراً ما كان يجيء ذكرها ضمن الآلهة الآسيويين الآخرين مثل بعل وعنات .
- ٣ - على الشاطئ الغربى للنيل مقابل الأقصر والكرنك . وهى جبانة ضخمة تمتد تاريخها عبر فترة تتجاوز ٣٠٠٠ سنة . وبلغت قمة عظمتها فى الدولة الحديثة حيث دفن بها ملوك الأسرات ١٨-٢٠ . وشيدوا بها معابدهم الجنائزية مثل معبد الرمسيم لرمسيس الثانى ومدينة هابو لرمسيس الثالث . وتوجد بالجبانة مئات من مقابر النبلاء . وبها بقايا وآثار مستوطنة عمال الجبانة .
- ٤ - يطلق عليه اسم «اصطبل عتتر» ويقع جنوب بنى حسن بمحافظة المنيا . وهوعبارة عن معبد صخرى صغير كان مختصاً لعبادة الآلهة «بخت» وأهم نصوصه وصف حشيشسوت لما أحدثته الهكسوس من تخريب فى البلاد .
- ٥ - محفوظة بالمتحف البريطانى .

المبحث الثامن

- ١ - كان كاتباً ومعمارياً عظيماً . أشرف على تشييد التمثالين العملاقين لامنحتب الثالث (تمثالاً ممنون بغرب طيبة) . مات فى العام الرابع والثلاثين من حكم امنحتب الثالث . وقد أله امنحتب بن حابو وعبد وأقيمت له التماثيل .

المبحث العاشر

- ١ - ابن تحوتمس الثالث ، وسمى بالملك الرياضى . كان عسكرياً من الطراز الأول فقاد عدة حملات وواصل حروب أبيه

لتدعيم الحكم المصرى فى آسيا وأفريقيا . وتكاد فترة حكمه تعتبر خاتمة للحروب والانتصارات الضخمة التى بدأها جده الأكبر أحمر الأول .

٢ - عاصمة الدولة القديمة وكانت تقع عند التقاء مجرى النيل بالدلتا . وكانت مركزاً تجارياً وصناعياً ولا سيما للأسلحة والسفن . وأهم ما تبقى من آثارها تماثيل رمسيس الثانى الضخمة .

٣ - إسم رمسيس الثانى قبل إعتلاء العرش ، ومعناه رمسيس محبوب الإله آمون .

هوامش الفصل الثانى

المبحث الأول

١ - عثر على نص هذا المرسوم منقوشاً على لوحة بالكرنك . وهو عبارة عن مجموعة من المواد القانونية تتضمن عدداً من الإجراءات الحكومية الجديدة لرفع الظلم عن الشعب ، وللقضاء على القوضى التى حلت بالبلاد إثر أزمة العمارة ، ولإنهاء استغلال موظفى الدولة للناس ، وذلك بفرض عقوبات صارمة على مخالفى التعليمات المنصوص عليها بمواد المرسوم .

٢ - عثر على نصه منقوشاً على لوحة صخرية بمنطقة ناورى ، التى تقع على بعد حوالى ٣٥ كيلو متراً شمال الجندل الثالث . أصدره الملك سبتى الأول (١٣٠٣-١٢٩٠ ق.م) لحماية ممتلكات معبد فى أيدوس ضد أى سوء استغلال أو اختلاسات ، ويفرض عقوبات الضرب والعمل الإجبارى والغرامات .. الخ ، على مخالفى هذه التعليمات .

٣ - هى عملية استيحاء الإله وطلب مشورته بصدد أمر أو قرار معين . وتدل الشواهد التاريخية على أن هذه العملية كانت نادرة الحدوث - علماً بحالات قليلة - فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، ولكنها ازدادت فى عصر الرعامسة وتكررت فيما تلاه من عصور لاحقة .

المبحث الثانى

١ - معاصر للملك أحمر الأول وامنحوب الأول ونحوتس الأول . وترجع شهرته إلى مقبرته بمنطقة الكاب ، التى تروى نصوصها تفاصيل هامة لكفاح المصريين ضد المكسوس ، ومحاصرتهم فى عاصمتهم وطردهم نهائياً من البلاد . كما تروى أيضاً تفاصيل الحملات الحربية المصرية فى سوريا وفلسطين والنوبة . واسلوب النصوص يشير إلى تطور الوعى التاريخى فى بداية الأسرة الثامنة عشر .

٢ - أرورا : مقياس لتحديد مساحة الأرض الزراعية . وتشير بعض الأبحاث إلى أنه كان يساوى نحو ٢٥٦٢٥ متر مربعاً .

- ٣ - اراد نخوتس الثالث أن يصل بمجيوشه إلى سهل مجدو ، حيث تجمعت الجيوش المتحالفة ضده . فجمع الملك ضباطه وعقد مجلساً حربياً . وكان هناك طريق مباشر يؤدي إلى سهل مجدو ، ولكنه طريق وعر وضيق جداً . وهناك أيضاً طريقان طويلان ، إلا أن اجتياز أى منهما كان أسهل بكثير من اجتياز الطريق الأول . وقرر الملك ان يكسب الوقت ويحقق عنصر المفاجأة . فاختار اجتياز الطريق الأول على عكس مشورة أركان حربه . ونجحت خطة الملك وتحقق نصره .
- ٤ - وصلت جيوش مصر تحت قيادته إلى نهر الفرات حيث أقام لوحة الحدود . ووصلت جنوباً حتى تعدت الجندل الثالث . وهو أول ملك أمر باعداد مقبرته في وادى الملوك بغرب طيبة .
- ٥ - تأسست هذه المستوطنة العمالية بغرب طيبة في عهد نخوتس الأول ، حيث سكنها الفنانون وعمال مقابر الملوك . ومازالت بقايا المنازل موجودة . وبالمطقة مقابر عديدة للعمال ، وهي مقابر جميلة وفريدة في نوعها ، وبها مناظر رائعة تصور جوانب كثيرة من الحياة اليومية للعمال .
- ٦ - موطنهم الأصلي بسواحل سوريا وفلسطين . أهم موانئهم بيلوس (جبيل) وصور وصيدا ، ولم شهرة تاريخية في تجارة العالم القديم عبر البحار . أسسوا مستعمرات تجارية في قرطاجة وقبرص وأسبانيا وسردينيا وصقلية ومالطة ، وكانت لهم علاقات تجارية وطيدة مع مصر ، فنشروا المنتجات المصرية في كثير من أرجاء العالم القديم . وكان كيانهم السياسى شديد التأثير بالوضع السياسى والعسكرى للقوى المحيطة بهم .

المبحث الثالث

- ١ - مسماة على اسم تاجر آثار بريطانى فى القرن التاسع عشر ، وتذكر البدية بياناً بالمهابات الجزيلة التى أمر الملك رمسيس الثالث بمنحها للمعابد ولأسيما معبد الآله آمون ، ويرجع تاريخ تحرير البدية إلى عهد رمسيس الرابع . وهى تصور لنا الوضع السياسى الداخلى للبلاد فى عهد رمسيس الثالث وفى بداية الأسرة العشرين .
- ٢ - مدينة تقع جنوب فلسطين . وقد تحصن بها المكسوس بعد طردهم من مصر ، واستولى عليها أحسن الأول بعد حصار استمر ثلاثة أعوام .
- ٣ - منطقة أثرية هامة تقع جنوب الأقصر . بحوالى ٢٨ كيلو مترا . كانت مركزاً لعبادة الآلهة حتحور (ربة الجبلين) . وكانت ذات أهمية عسكرية فى بعض العصور .
- تقع المنطمر فى محافظة أسيوط ، وقد عثر بها على جبانة كبيرة تمتد من العصر التاريخى المبكر وحتى العصر القبطى . وبالمطقة بقايا معبد لرمسيس الثانى .

هوامش الفصل الثالث

المبحث الأول

- ١ - كبير كهنة أون وإمام البنائين والأطباء . ربما كان أول مصري من أبناء الشعب يذكر اسمه ويموز شهرة كالفراغة . لم يكن يحمل ألقاباً رسمية أو ينتمى إلى العائلة المالكة . أصبح في الدولة الحديثة حامياً للكتابة وتجسيدا للعلم والحكمة . هالت سيرته واعماله عظماء الاغريق ، فعندوه إلهاً للطب والسحر والفلك ، وساووه بالههم «اسكليبيوس» . واشتهر بقدرته على الشفاء خصوصاً في العصر المتأخر والعصر البطلمي والعصر الروماني ، ثم عبد كإله ، وانتشرت عبادته في البلاد كواحد من ثالوث منف المقدس .
- ٢ - مؤسس الأسرة الثالثة في الدولة القديمة . في عصره تم تشييد الهرم المدرج بسقارة كأول بناء حجري في العالم . وظل زوسر يشغل جانباً مرموقاً من ذاكرة قدماء المصريين ولا سيما في العصر المتأخر والعصر البطلمي، حيث نسبت إليه قصة انقاذ مصر من المجاعة (لوحة المجاعة) .
- ٣ - اعتبر اسكليبيوس إلهاً للطب عند الاغريق ، وعبدته الجالية الاغريقية في مصر ، منذ بداية عصر البطلمة ، في الاسكندرية وفي البهنسا (بمحافظة المنيا) . وله مع محوتب صفات مشتركة ، وكلاهما بشر ألهموا وعبدوا . وساد الاعتقاد بأن لاسكليبيوس قدرة على الشفاء . وفي العصر البطلمي كان تصويره هو نفسه تصوير محوتب .
- ٤ - إله الحكمة والقوانين والكتب المقدسة . ويمثل برأس طائر ابو منجل (ابو قردان) أو برأس قرد وجسم انسان ، وهو يماثل الاله هرمس لدى الاغريق وكانت الاشمونين (بمحافظة المنيا) مركزاً لعبادة محوت .
- ٥ - شيدته امنحتب الثالث بالكرنك ، وأضاف إليه كثير من الملوك وحتى العصر البطلمي ، ويحيط بالمعبد بحيرة مقدسة على شكل حلوة الفرس وقد حفظ لنا المعبد مئات من تماثيل الالهة سخمت التي كانت الالهة موت تمثل مثلها برأس لبؤة .
- ٦ - عاصمتها تقع شمال شرق مدينة بنها (تل أتريب) ، وعثر بها على آثار ترجع إلى فترة تمتد من الدولة الوسطى حتى العصر البيزنطي ، وأهم الآثار التي مازالت موجودة حتى الآن بقايا بعض الحمامات الرومانية .

- ٧ - يعتبر من الأعياد السياسية . وكان يجرى احتفالاً بمرور ٣٠ عاماً على جلوس الملك على العرش . ثم يعاد نفس الاحتفال كل ثلاثة أعوام بعد الاحتفال الأول . وأهم المناظر التي تصور هذا الاحتفال ، ترجع إلى عهود « نى أوسر رع » و « تحتمس الثالث » و « امنحتب الثالث » و « أوسركون الثانى » .
- ٨ - يعتبر من أكبر معابد الشمس . شيده « نى أوسر رع » (حوالى سنة ٢٤٢٥ ق.م) . وأهم مناظره الاحتفال باليوبيل الثلاثينى لجلوس الملك على العرش . وفيه أيضا مناظر رائعة لمخلوقات مختلفة ، ولفصول السنة ، ولندوى ومثلى مختلف المقاطعات أو الأقاليم المصرية .
- ٩ - أحد أبناء رمسيس الثانى وكان كبيراً لكهنة منف ، واشرف على بناء معبد بتاح . خلف آثاراً كثيرة ، أهمها فى أبيدوس والفيوم وسيرايوم سقارة ، واشتهر بترميم كثير من الأهرامات القديمة . وهذا النشاط الأثرى اسبغ عليه صبغة سحرية فى عصور لاحقة ، وقد حفظت لنا ذلك بعض البرديات التي يرجع تاريخها إلى العصر الرومانى .
- ١٠ - معنى اسمها « بنت آمون » . وهى اكبر بنات امنحتب الثالث من زوجته الملكة فى . يقول بعض المؤرخين أنها ربما تكون أم سمنخ كا رع وتوت عنخ آمون ، ولكن لا يوجد أى دليل على ذلك . ودفنت فى ركن منفصل بمقبرة والدها . وفى المقبرة الصغرى الخاصة بيويا وتويا بوادى الملوك ، عثر على كرسى خاص بالأمية ست آمون وهو كرسى بديع مصنوع من الخشب الأحمر المطعم بالذهب والفضة ونقشت عليه مناظر جميلة ، ويكاد يشبه فى تصميمه كرسى العرش الخاص بتوت عنخ آمون .

المبحث الثانى

- ١ - معنى اسمها « أفق آتون » . وقد أمر اخناتون بتأسيسها فى مكان بكر لم تعبد فيه آلهة أخرى . وتقع على الشاطئء الشرقى للنيل بمحافظة المنيا (تل العمارنة) . وأصبحت عاصمة لمصر فى عهد اخناتون ، حيث تفرغ فيها لعبادة آتون . وقد هجرت المدينة بعد وفاته . وعثر بها على أساسات معبد آتون والقصور الملكية ومساكن عديدة . كما عثر أيضا على الشارع الملكى الذى كانت تمر به المركبات الخاصة بالعائلة المالكة . كذلك فقد عثر فيها على اتيليه الفنان تحتمس الذى وجدت فيه تماثيل كثيرة ، أهمها تماثيل رأس نفرتيتى الشهير .
- ٢ - اتسم عصر العمارنة بأسلوب فنى متميز ، بدأت ملامحه تتضح تماماً فى العام الثانى أو الثالث من حكم اخناتون (حوالى ١٣٧٧ ق.م) . وأهم هذه الملامح الابتعاد عن المثالية وعن الأسلوب التقليدى فى الفن . وقد

وصل ذلك إلى حد التطرف حيث نجد في النقوش رؤوساً مبالغ في أبعادها ومسحوبة الطول ، وفماً بارزاً إلى الأمام ، وجزعاً نحيلاً وأفقذاً ضخمة . وقد اتسم فن العمارة بحب كبير للطبيعة ، فصورت الطيور والحيوانات والازهار والثمار كما لو كانت تشعر بلذة الحياة ، وصورت بخطوط انسيابية رقيقة تعطى احساساً بالفتنة التي تفوق الوصف . وقد انعكست هذه الاتجاهات الفنية على تصوير العائلة المالكة نفسها ، فصورت في اوضاع جديدة ، مثل أن يقوم الملك بتقبيل افراد عائلته أو يبكي مع زوجته وهما يودعان طفلهما الميت . وقد استمرت هذه الاتجاهات الفنية بعد وفاة اخناتون ، حتى أواخر الأسرة الثامنة عشر وبداية الأسرة التاسعة عشر .

هوامش الفصل الرابع

المبحث الثاني

١ - هليوبوليس أو (أون) . تقع في الجنوب الشرقى لرأس الدلتا . وكانت عاصمة المقاطعة الثالثة عشر من مقاطعات الوجه البحري . وكانت مركزاً علمياً وثقافياً ودينياً بالغ الأهمية . عثر بها على عديد من الآثار التي ترجع إلى فترة تاريخية غاية في الطول ، إذ تمتد منذ عصر الأسرة الثالثة بالدولة القديمة وحتى العصر البيزنطي . وأهم هذه الآثار مسلة سنوسرت الأول وبقايا معابد من عصر الرعامسة . وكانت أون مركزاً رئيسياً لعبادة الشمس تحت إسم الآلهة آتوم ، ونخبري ، ورع حور آختي ، بالإضافة إلى عديد من عبادات الآلهة الأخرى . وقد لعب الفلك دوراً هاماً في العبادة بتلك المدينة ، وكان كبير كهنتها يحمل لقب « الرأى الأعظم » دلالة على متابعة النجوم وافلاك السماء .

٢ - يمثل بشكل عجول بين قرنيه قرص الشمس . وهو من ضمن آلهة الخصوبة في مصر القديمة ، وارتبط أيضاً بالاله بتاح والاله أوزيريس ، وعبد منذ الأسرات الأولى . وقد عثر على سيرايوم بسقارة يحوى المقات من عجول أبيس المخطط في توابيتها الضخمة ، ومعها لوحات لتسجيل ذكرى دفن العجل .

٣ - تقع شمالي اسوان بحوالى ٥٦ كيلو متراً وبها أضييق مكان لجرى النيل ، وتوجد بها عدة مقاصير ولوحات ترجع إلى عصور مختلفة ، أهمها المعبد الصخري لحور محب . وكانت منطقة محاجر هامة في العصور القديمة .

المبحث الثالث

١ - تقع جنوب غرب البلينا بمحافظة سوهاج بحوالى ١١ كيلومتراً . وكانت من أهم المراكز الدينية بمصر القديمة ، حيث عبد بها إله الموتى « خنتى امتيتيو » . وكان هناك اعتقاد قديم بأن الاله أوزيريس دفن فيها . وكانت امنية كل مصري قديم أن يحج إلى أيدوس للتبرك . ومن آثار المنطقة مقابر الأسرتين الأولى والثانية ، ومعبد سيتى الأول ، ومعبد رمسيس الثانى .

الجزء الثانى

المشاكل الأيديولوجية والدينية والسياسية بعد أزمة العمارنة

ويتضمن الفصول التالية :

مقدمة

- الفصل الأول : الجيش وأزمة العمارنة .
- الفصل الثانى : النتائج العسكرية لثورة العمارنة .
- الفصل الثالث : النتائج السياسية لثورة العمارنة .
- الفصل الرابع : النتائج الدينية لثورة العمارنة .

مقدمة

لم تستغرق أزمة العمارة سوى فترة زمنية قصيرة جداً ، بالقياس إلى التاريخ المصرى الفرعونى القديم . ومع ذلك ، ففى هذه الفترة القصيرة ، بلغت الأزمة الثقافية والعقائدية أقصى ذراها . وذلك بالرغم من أن هذه الأزمة كانت تضرب بجذورها إلى عهدى الفرعونين اللذين توليا عرش مصر قبل امنحتب الرابع «أخناتون» . واعنى بهما «امنحتب الثالث» ، و «تخوتمس الرابع» من قبله .

ولم يكن من قبيل المصادفة التاريخية أن تظهر بوادر تلك الأزمة الثقافية والدينية فى عهدى هذين الفرعونين ، حيث اكتمل نضج الوعى الثقافى والسياسى والعقائدى لدى قادة وكبار رجال الطبقة الجديدة من العسكريين .

لقد كانت الامبراطورية المصرية الجديدة فى خلال تلك الفترة مهداً ومرتعاً لعدد من التيارات الثقافية والسياسية والدينية ، التى أخذت تظهر تباعاً ، وتؤدى دورها المؤثر فى التغيير والتطوير . وكانت مثل هذه التيارات الجديدة تتنافر بل وتتناقض تماماً مع العقيدة التقليدية المستقرة فى طيبة ، فى خلال فترة المراحل الأولى لتكوين الامبراطورية .

ولاشك فى أن هذا التناقض التاريخى بين تلك التيارات الجديدة والتيارات المستقرة الراسخة ، قد أدى فى النهاية إلى تطوير الأحداث والمواقف التى أدت بدورها إلى حدوث الأزمة .

والحقيقة أن الديانة الآتونية نفسها ، لا يمكن النظر إليها منفصلة عن الاتجاهات الثقافية التى سادت فى خلال فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، خاصة بالنسبة للاتجاه إلى إحياء التراث المصرى القديم ، الذى أدى إلى انتشار الأفكار الايديولوجية

والعقائدية المعروفة بمنطقة هليوبوليس . كما أدى إلى التأثير بالتيارات الثقافية الوافدة من شمال البلاد بصفة عامة .

ويمكن القول بأن بوادر الأزمة الدينية قد ظهرت مع آخر حلقة من حلقات الصراع الذى دار بين دوائر طيبة التقليدية ، وبين القادة العسكريين الذين ينتمون إلى الطبقة الجديدة . وقد ذكرنا سلفاً أنه منذ عهد «تختمس الثالث» ، أصبح كهنة «آمون» الذين كانوا يحملون لقب «المشرف على جميع كهنة الوجه القبلى والوجه البحرى» يباشرون اختصاصاتهم تحت اشراف مباشر من الدولة كما وضعت القواعد لتقييد سلطاتهم والحد من نفوذهم ، وأصبحوا مغلولى الأيدى حتى بالنسبة لحقهم التقليدى فى ادارة ممتلكات المعابد ، إذ انتقل هذا الاختصاص إلى الوزراء الذين أصبحوا يحملون مثل هذا اللقب ويباشرون صلاحياته ، كما هو الحال بالنسبة للوزير «رخميرع» فى عهد «تختمس الثالث» .



الفصل الأول

الجيش وأزمة العمارنة

ويتضمن المبحثين التاليين :

- المبحث الأول : إرهابات الأزمة الدينية والسياسية .
- المبحث الثاني : دور الجيش أثناء ثورة العمارنة .

المبحث الأول

إرهاصات الأزمة الدينية والسياسية

فى نص الحلم الشهير الذى نقشه الملك «تحتمس الرابع» على نصب حجرى تذكارى ، عند تمثال أبى الهول ، نرى أن «حرماخييس HARMAKHIS» ممثل إله الشمس ، قد ظهر «لتحتمس الرابع» - قبل توليه العرش - وطلب منه أن يزيل الرمال المتراكمة على تمثال الاله «تمثال أبى الهول» . وقد قام «تحتمس الرابع» بالفعل بإزالة هذه الرمال من حول أبى الهول تنفيذا لما رآه فى هذا الحلم الشهير .

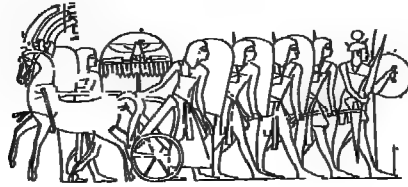
ويفسر «بترى PETRIE» نص هذا الحلم بأنه يمثل انعكاساً للصراع الذى كان ناشبا بين ابناء الملك «امنحتب الثانى» حول من يحق له من بينهم تولى عرش مصر . غير أن هذا التفسير يعتبر محل نظر ، حيث ثبت أن أبناء هذا الملك الآخرين أشقاء «تحتمس الرابع» ، لهم نقوش وصور تمثلهم وهم يقدمون القرابين للاله .

وفى رأى أن هذا الحلم يعطينا صورة واضحة عن مدى تأثير الفكر الدينى العقائدى الذى كان سائداً فى هليوبوليس ، والذى أصبح يشكل تحديا لديانة «آمون» التى كانت تعتنقها الأسرة المالكة .

ولا بأس من أن نشير هنا إلى النصوص المنقوشة على بعض تماثيل «الأوشابتي SHABTIS»^(١) التى يرجع تاريخها إلى عهد «امنحتب الثالث» ، حيث أن صياغة هذه النصوص كانت تتضمن فكراً مختلفاً عما كانت تتضمنه تماثيل الأوشابتي التى ترجع إلى عصور سابقة . كذلك فقد عثر على بعض تماثيل الأوشابتي التى ترجع إلى

عهد «أخناتون» ، وعليها نصوص مضمونها التقليل من شأن بعض المعتقدات المتعلقة بالسحر [صورة ٢٠] .

وفي عهد «تحتمس الرابع» حدث تحول خطير في موقف الدولة من طبقة كهنة «آمون» ، حيث أصدر الملك أوامره بتعيين الضابط «حور محب» - الذى أدى خدمته العسكرية أثناء عهدي «امنحتب الثانى» ووالده «تحتمس الثالث» من قبله - فى وظيفة «المشرف على جميع الكهنة بالوجه القبلى والوجه البحرى» وهى وظيفة كهنوتية مفروض فيها أن تكون قاصرة على طبقة الكهنة وحدهم . أما أن يشغل هذه الوظيفة واحد من طبقة العسكريين الجديدة فهذا هو الشيء الجديد والمستحدث .



ومما لاشك فيه أن نقل السلطة الدينية والتقليدية من طبقة كهنة «آمون» إلى طبقة الضباط العسكريين ، حتى بالنسبة للوظائف الكهنوتية البحتة ، كان فى حد ذاته يمثل تحولاً حاداً فى السلطة أدى إلى تطوير الأسباب والأحداث التى أدت فى النهاية إلى الأزمة .

لقد نجحت طبقة العسكريين فى أخذ السلطة من رجال الدين الذين أحسوا بالمزيد من المرارة والهوان . ولعل أبلغ دليل على تلك المرارة ، ذلك النص الذى وجد منقوشاً على أحد «النصب الحجرية لتعيين الحدود» والذى يرجع تاريخه إلى عهد «أخناتون» ، وهو نص يشجب ويدين تلك الأشياء السيئة التى سمعها «تحتمس الرابع» ورآها فى ذلك الحلم الشهير .

ومن شواهد تأثير التيارات الدينية الوافدة من شمال البلاد ، ذلك القرار الذى اصدره «امنحتب الثالث» بتعيين «بتاح موسى PTAH - MOSE» فى منصب «الكاهن الأول للاله آمون» وهو كما يظهر من اسمه يعتبر من أهالى منف الواقعة فى شمال البلاد .

وحين تزوج «امنحتب الثالث» من الملكة «تى» ، وهى تنتمى إلى أسرة عادية من الشعب ، قام بتعيين والدها «يويَا YUYA»^(١) وأخيها «آى AY»^(٢) كقواد لسلاح المركبات الحربية . وكان هذا القرار ضربة مؤلة لتقاليد طيبة ، وتقاليد كهنتها باعتبارهم القوامين على شئون التقاليد المصرية .

هذا ويمكننا أن نستشف من زواج «امنحتب الثالث» من إحدى أميرات «دولة الميتانى»^(٣) وكذلك امتلاء قصره بمئات من سيدات الحريم الوافدات من الأقاليم الآسيوية الخاضعة لحكم مصر ، أن طبقة الضباط العسكريين ، خصوصاً من كانوا يخدمون بالوحدات العسكرية المرابطة بالأقاليم الآسيوية قد ازداد تأثيرها على الملك وبلاطه .

ونشير كذلك إلى أن تأليه وعبادة «امنحتب الثالث» فى خلال حياته ، سواء فى منطقة صولب بالنوبة ، أو فى طيبة قبيل وفاته ، يعتبر نوعاً من تأثير الأفكار العقائدية القديمة الوافدة من شمال البلاد .

ومن ظواهر الخلاف الأخرى قيام امنحتب الثالث بتعيين «آنن ANEN»^(٤) شقيق الملكة «تى» فى وظيفة «الكاهن الثانى بمعبد الاله آمون ، ورئيس كهنة الاله رع فى معبد آمون بالكرنك» . فقد كان هذا التعيين صدمة قوية لطبقة كهنة «آمون» بطيبة ، الذين فوجئوا أيضاً بلقب «كاهن الشمس» الذى أطلق على شقيق الملكة .

ومما يلفت الانتباه أيضاً ، قيام نفس الملك بتحديد سلطات «مرى - بتاح MERY - PTAH» الذى كان يشغل منصب «الكاهن الأول للاله آمون» ، وكان من حقه أن يحمل لقب «المشرف على جميع الكهنة بالوجه القبلى والوجه البحرى» ، وذلك حين أمر الملك بأن يقتصر لقبه على أن يكون «المشرف على جميع كهنة طيبة» فقط .

والملاحظ أن من شغلوا منصب «الكاهن الأول للاله آمون» في ذلك العصر ، لم يتركوا لنا آثاراً واضحة عدا اسم «من خير رع MENKHEPERRE» «الكاهن الأول للاله آمون» ، الذى وجد منقوشا على جزء من عامود مكسور .

ولعل أكثر الأمور الملفتة للنظر قيام «امنتب الثالث» بتعيين ابنه الأمير «تخوتس» فى منصب «رئيس كهنة الاله بتاح بمنف» . ويشير «هـ. كيس H. KEES» إلى أن هذا الأمير قد أطلق عليه فيما بعد لقب «المشرف على جميع الكهنة بالوجه القبلى والوجه البحرى» الأمر الذى يعنى بالضرورة ازدياد تأثير ونفوذ الاله «بتاح»^(١) وهو من أشهر الآلهة فى شمال البلاد .

ويمكننا أن نخلص فى النهاية بأن هذا التطور السريع الواضح فى الأحداث ذات الطابع السياسى والدينى فى تلك الفترة ، كان نتيجة حتمية للصراع التاريخى المشهود ، الذى نشب بين طبقتين مختلفتين ، تنتمى كل منهما إلى ثقافة مختلفة ، كما تتنافر أيضا مصالحهما الاقتصادية .



المبحث الثانى

دور الجيش أثناء ثورة العمارنة

أود أن أشير بداءة إلى أنى اختلف تماماً مع النظرية التى تقول أن «أخناتون» كان يعارض أى اتصال بينه وبين الجهاز الادارى الواسع النطاق الذى كان يكوّن الأساس الذى تقوم عليه ادارة الامبراطورية بكافة مناطقها و أقاليمها [صورة ٢١] .

ومن الطبيعى أن العزل الفجائى لمجموعة ضخمة من كبار الموظفين ، ثم اختفاء ذكرهم تماماً دون أن يظهر لهم أى أثر ، ثم إحلال مجموعة جديدة أخرى لتحل محلهم ، وتتولى مناصبهم ووظائفهم ، كان أمراً لا يمكن تصوره إطلاقاً فى المجتمع المصرى ، خصوصاً وأن هؤلاء الموظفين الكبار كانوا أبناء أسر متواضعة من الشعب ، ولم يكن بينهم من ينتمى إلى أى من الأسر العريقة النبيلة التى كانت تحتكر المناصب والوظائف العليا بالدولة .

وكانت طبقة العسكريين الجديدة التى رسخت جذورها واتسع نفوذها ، هى «الترسانة» التى أمدت «أخناتون» بكل من كان يحتاجه من الرجال ، تماماً مثلما حدث مع اسلافه السابقين .

ولذلك فمن الصواب أن نقول أن «أخناتون» قد أحاط نفسه بمجموعة جديدة من كبار الموظفين ورجال البلاط ، اختارهم بنفسه دون أن يتقيد بالاشخاص الذين كانوا يشغلون نفس الوظائف فى عهد أبيه ، ودون أن يلحق أى ضرر أو أذى لبلاط أبيه فى نفس الوقت .

كذلك فقد قام «أخناتون» بتعيين بعض أبناء الرجال الذين خدموا في عهد أسلافه ، مثل تعيينه للفنان النحات «بك BEK» وهو ابن للنحات «مين MEN»^(١) . وتعيينه «إيبى IPY» الذى كان أبوه يشغل وظيفة رئيس المضيفين بالقصر الملكى بمنف .

ولإى جانب تواضع أنساب وأصول معظم الأفراد المقربين فى حاشية «أخناتون» ، نلاحظ أيضا تواضعاً شديداً فى اللغة التى عبروا بها عن علاقاتهم بالملك . وربما كان ذلك راجعاً إلى طبيعة العقيدة الآتونية التى أثرت فى أسلوب الكتابة فجعلته أكثر تواضعاً عن أسلوب الكتابة الذى كان سائداً من قبل .

أما «يوياء» والد الملكة «تى» الزوجة الرئيسية «لامنحتب الثالث» [صورة ٢٢] ، الذى كان يشغل من قبل منصب «المشرف على الخيول الملكية» فقد ترقى إلى مناصب أعلى وأخطر شأنًا فى عهد «أخناتون» . وعلى أية حال فيمكن القول بصفة عامة ، أن أفراد الأسرة المالكة وانسابها ، ظلوا يشغلون نفس المناصب التى كانوا يشغلونها قبل أزمة العمارة ، كما ظلوا يشغلونها بعد انتهاء الأزمة .

وهناك نص منقوش على أحد تماثيل الأوشابتي التى يرجع تاريخها إلى منتصف عصر الأسرة الثامنة عشر كما يدل على ذلك أسلوب نحتها الفنى ، وهو معروض حالياً ضمن مقتنيات «متحف المتروبوليتان METROPOLITAN MUSEUM» . ويظهر على هذا التمثال اسم «يأى YEY» الذى يحتمل أن يكون سلفاً «ليويا» ، وكان يشغل منصب «المشرف على الخيول الملكية» أيضا ، كما كان يحمل لقباً غامضاً وهو «الأب الالهى GOD'S FATHER» .

ويشير «ألدريد C. ALDRED» إلى أنه من المحتمل أن «يأى YEY» و «يوياء YOYA» كان ينتميان إلى أسرة عسكرية من أصل آسيوى ، استقرت بمصر منذ عصر بدء استخدام المركبات الحربية .

وقد لوحظ أيضا أن كلاً من «يوياء» و «آى AY» - الذى تولى عرش مصر فيما بعد - كان يحمل هذا اللقب الغامض «الأب الالهى» . كما كانا يحملان أيضا

لقب «الأمير الوراثي HEREDITARY PRINCE» ولقب «المشرف على الخزانة الملكية» .
كذلك فقد تقلد «يويبا» منصب «القائد المساعد لسلاح المركبات الحربية» ، كما تقلد «آى»
منصب «قائد الفرق الحربية» .

وقد قام «آى» بمباشرة صلاحيات وظائفه التى عينه فيها «أخناتون» ، وصحبه إلى
عاصمته الجديدة «آخت آتون - تل العمارنة» بينما استمر «يويبا» فى تأدية نفس الدور الذى
كان يؤديه فى بلاط «امنتب الثالث» والد «أخناتون» .

ونلاحظ أيضا «يويبا» قد منح الحق فى إقامة مقبرة له بوادى الملوك ، كما منح
نفس الحق أيضا «لآى» الذى أقام مقبرة لنفسه بالمدافن المقدسة بغرب طيبة .

كذلك فقد شغل «يويبا» منصب «المشرف على قطعان الاله مين MIN»^(١)
باخميم . كما قام «آى» - فى عهد توت عنخ آمون - ببناء معبد للاله «مين» فى نفس
المنطقة ، التى يحتمل أن تكون مقر أسرته أو محل ميلاده .

ويقول «ألدريد» أن التشابه فى ملامح وتقاطيع الوجه ، وكذا التشابه بين نطق
اسمى كل من «يويبا» و «آى» لم يكن مصادفة عابرة ، وإنما هو يعزز احتمال أن يكون «آى»
ابنا «ليويبا» وبالتالي أخا للملكة «تى» . ويعلق «سير آلان جاردنر SIR ALAN
GARDINER» على ذلك بأن هذه الفكرة قد تكون معقولة ، ولكن ليس هناك سند
يؤكدها .

وفى ضوء هذه الفكرة ، يمكننا أن نفسر حالة الغضب التى انتابت كهنة طيبة ،
حين رفع «امنتب الثالث» إحدى بنات الشعب إلى مصاف الملكات ، باعتبار أن هذا
الاختيار كان خروجاً على تقاليد طيبة ، وربما أيضا باعتبار أن هذه الملكة كانت تنتمى إلى أسرة
عسكرية ، وهذا فى حد ذاته سبب يثير طبقة الكهنة ، لأنه تدعيم مباشر لطبقة العسكريين ،
فى صراعها ضد الكهنة ونبلاء طيبة التقليديين .

وفي عهد «أخناتون» كان الأمير «جحوت موسى DHOUTI MOSE»^(٣) يتولى منصب «القائد العام للقوات المسلحة المصرية» ومقره بمدينة منف . كما كان يحمل لقب «الكاهن - SEM - PRIEST» ولقب «الكاهن الأكبر للاله بتاح» . وكان هذا الأمير آخر من تولى منصب القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية من أعضاء الأسرة المالكة ، قبل أن يتولاه العسكريون من ضباط الطبقة الجديدة وكان «حور محب» أول من تولى هذا المنصب العسكري الخطير من خارج أعضاء الأسرة المالكة . وقد حدث هذا التعيين في عهد «توت عنخ آمون» ، وذلك بناء على توصية من «آي» . وبهذا أصبح واحد من الصفوة الممتازة من طبقة العسكريين لأول مرة «قائداً عاماً GENERAL ISSIMO» للجيش المصرى . ولا يخفى ما لهذا التعيين من دلالة سياسية واضحة .



ومن الشخصيات البارزة في فترة العمارنة ، شخص يدعى «دودو DUDU» . وتختلف فيه أقاويل المؤرخين ووجهات نظرهم . فقد عثر في مقبرته على نقوش تدل على أنه كان يقوم بنفس المسئوليات التي كان يباشرها من يحمل لقب «مر - بر - ور» أى «المشرف على إدارة ممتلكات الخاصة الملكية» . كما منح لقب «را - حرى R - HRY» أى «صاحب الفم الأعلى» أو «صاحب الكلمة العليا THE UPPER MOUTH» ، وهو اللقب الذى كان يحمله من يتولى منصب «مر - بر - ور» في أواخر عصر الأسرة الثامنة عشر .

وقد رأينا من قبل أن «هلك» يؤكد الفكرة القائلة بأن هذا المنصب كان قاصراً على الذين شغلوا من قبل مناصب عسكرية داخل الجيش .

وتدلنا «رسائل العمارنة»^(٤) على أن «دودو» كان شخصية مرموقة ، وكان على دراية واسعة بالشئون الخارجية المتعلقة بسياسة الدولة تجاه ممتلكاتها الآسيوية .

وفى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر ، كانت الشؤون الدبلوماسية قاصرة على العسكريين أو كبار الموظفين الذين كانوا بالسلك العسكرى من قبل تقلدهم الوظائف المدنية ، حيث ثبت أن جميع من شغلوا منصب «رسول الملك إلى البلاد الأجنبية» أو منصب «المشرف الملكى على الأراضى الشمالية» أو منصب «المشرف على شؤون التجارة الخارجية» كانوا كلهم من كوادر السلك العسكرى .

وفى عهد «أخناتون» أيضا ، منح «دودو - صاحب الكلمة العليا» منصبا رفيعا آخر ، وهو «الخادم الأعلى لجلالته فى معبد آتون بالعمارنة» . وهذا المنصب أعطاه الحق فى أن «يأكل» نصيب الملك من القرابين أثناء إقامة طقوس العبادة ، وهو نفس الدور الذى كان يقوم به «امنحتب بن حابو» من قبل .

وبسبب قيام «دودو» بالتفاوض السياسى والدبلوماسى مع الأقاليم الآسيوية ، يرى بعض المؤرخين أنه ربما كان ينتمى إلى أصل أجنبى ، أو انه سليل محارب آسيوى كان قد أسر وأحضر إلى مصر أيام العمليات الحربية فى آسيا . وربما يكون قد جند بفرقة «الياوران» الخاصة بالملك ، والتى تعتبر وثيقة الاتصال بالتالى برجال البلاط الملكى وأمراء البيت الملك .

وقد يكون هذا محتملا بالفعل ، كما قد يكون من المحتمل أيضا ، أن يكون «دودو» مصرى خالصا اندرج فى السلك العسكرى ، وأقام لفترة طويلة بالأقاليم الآسيوية التى دخلت نطاق الامبراطورية المصرية ، الأمر الذى جعله على دراية كاملة بالشؤون الآسيوية ، ورفع من مستوى خبرته وامكانياته فى هذا الخصوص .



هذا ويميل كثير من المؤرخين إلى وصف عهد «أخناتون» بالاتجاهات والميول السلمية ، والتهوين من شأن أية أنشطة عسكرية تكون قد حدثت في ذلك العهد . إلا أنه من الصعب قبول مثل هذه الآراء ، وذلك في ضوء الظواهر والاعتبارات التالية :

كان هناك مركز لعبادة «آتون» أقيم في مكان - مازال مجهولاً حتى الآن - بسوريا . كما تثبت بعض رسائل العمارنة وجود العديد من الوحدات والبعثات العسكرية في مناطق مختلفة في النوبة وبعض الأقاليم الآسيوية . كذلك فقد ثبت ببعض المدونات المحلية المصرية أن عملية تجنيد الجنود وتكوين الوحدات العسكرية لم تنقطع واستمرت قائمة في معظم الأقاليم المصرية . كما تثبت إحدى رسائل العمارنة أن أحد قواد الجيش المصري كان يخاطب أحد أمراء الأقاليم السورية بلهجة آمرة . ومن هذا الوجود العسكري المكثف بالأقاليم السورية ، يتبين لنا عدم صحة الرأي الذي يقول به البعض ، من أن «أخناتون» وضباطه العسكريين قد أقلعوا عن التفكير في شئون الأقاليم التابعة للامبراطورية المصرية [صورة ٢٣] .

وحقيقة الأمر أن «أخناتون» قد انهمك بالفعل في نشر وتدعيم عقيدة «التوحيد» التي آمن بها ، وقد استغرق ذلك كل جهده الفكري ، بحيث لم يتبين حقيقة التغييرات الخطيرة التي حدثت بمنطقة الشرق الأدنى في أثناء عصره ، فقد ظهرت إلى حيز الوجود امبراطورية جديدة «للحيثيين»^(١) على حدود المناطق المتاخمة للأقاليم الآسيوية التابعة للامبراطورية المصرية .

ويقول «سير آلان جاردنر» في هذا الشأن ، أن مسئولية «أخناتون» عن تدهور السلطة المصرية بالأقاليم السورية ، ليست أكبر من مسئولية سلفه «امنحتب الثالث» عن حدوث مثل هذا التدهور في النفوذ المصري .



وكانت مشكلات «الأمن» التي نشأت بسبب دعوة الناس إلى ترك دياناتهم التقليدية التي يتمسكون بها واعتناق الديانة الآتونية الجديدة ، تشكل عبئاً جديداً يقع على عاتق القوات المسلحة ، التي كانت مسئولة باستمرار عن إقرار واستتباب الأمن القومي ، والقيام بجميع أعمال الشرطة ، في كل المدن والأقاليم المصرية . وذلك بالإضافة إلى حراسة وتأمين الطرق العامة والطرق التجارية الممتدة في الصحارى وعلى تخوم الحدود المصرية .

ومن الثابت أن العديد من مراكز الشرطة الرئيسية كانت منتشرة بالعاصمة وكافة المدن والأقاليم المصرية في عصر الأسرة الثامنة عشر . ومن الثابت كذلك أن جميع رؤساء مراكز الشرطة هذه ، كانوا يختارون من بين ضباط الجيش الذين يحملون رتبة «حامل الراية» على الأقل . وكان من اختصاص تلك المراكز أن تقوم بحراسة وتأمين مناجم الذهب بالمناطق الصحراوية والجبلية ، بالإضافة إلى المسئولية عن حراسة المدافن الملكية .

وقد عثر على بعض الشعارات الرسمية التي كانت تتخذها مراكز الشرطة كرمز خاص بها ، وذلك مثل «العلم» الذي عثر عليه بطيبة وعلية صورة «غزال» . وكان هذا العلم رمزاً لأحد مراكز الشرطة بالعاصمة . كما عثر في العمارنة على «درع» عليه رسم يمثل الفرعون وهو يقوم بتأديب رجل من الأعداء ، وكان ذلك أيضاً رمزاً لأحد مراكز الشرطة بالعاصمة الجديدة بالعمارنة .

وكان جنود الشرطة التابعون لهذه المراكز ، يختارون من بين المحاربين المصريين والنوبيين .

وفي العمارنة كانت مراكز الشرطة مكلفة أيضاً بالتعاون التام مع وحدات الجيش لتسهيل عمليات تجنيد الشباب للخدمة العسكرية ، وذلك إلى جانب القيام بالمهام البوليسية التقليدية .

ومن المؤكد أن نظام تموين وامداد الوحدات العسكرية المحاربة بالجيش ، بكل ما تحتاجه من مؤن ومعدات ، كان ينطبق أيضاً على مراكز الشرطة حيث كانت مسئولة امدادها بالاحتياجات تقع على عاتق الدولة .

والجدير بالملاحظة أن العاصمة المقدسة الجديدة «آخت آتون» كانت محاطة بمجموعة من مراكز الشرطة .

وفي مقبرة «ميهو MEHU» رئيس الشرطة «بآخت آتون» ، نرى نصاً يسجل فيه أنه قد عمل على سحق «مؤامرة» ضد العرش . ومن الطبيعي أن يتهدد الخطر هذا الملك الذي كان يريد أن ينشر ديناً جديداً بين دوائر محافظة ، متمسكة بدياناتها التقليدية ، الأمر الذي أغضب هذه الدوائر ودفعها إلى التآمر .



أما عامة الشعب المصري ، فلم تتأثر كثيراً بتعاليم «أخناتون» ودعوته إلى الدين الجديد وهناك دلائل على أن الآلهة القديمة كانت محل عبادة وتقديس بين شعب العمارنة .

ويذكر «ج. سامسون J. SAMSON» أن كثيراً من «التعاويذ الخرفية» التي كان يتزين بمثلها شعب العمارنة ، كانت تؤكد تمسك العامة بالعقائد والديانات القديمة ، وإن كانت في الوقت نفسه لا تنفي أن فئة قليلة من شعب العمارنة قد اعتنقت بالفعل ديانة «آتون» الجديدة .

ونستنتج من هذا كله أن «الجيش» كان المؤسسة الوحيدة التي اعتمدت عليها الدولة ، بعد سقوط طبقة الكهنة بالعاصمة طيبة .

وكانت الحركة العمرانية الضخمة التي تميز بها عهد «أخناتون» ، والتي انتشرت في طول البلاد وعرضها ، من النوبة جنوباً حتى الأقاليم السورية في الشمال ، تشكل بدورها عبأً ضخماً على عاتق الجيش ، الذي أشرف بالفعل على تنفيذ المشروعات المعمارية الواسعة النطاق ، والتي تتمثل في بناء المعابد الجديدة ، وتخطيط وتعمير العاصمة الجديدة «آخت آتون» إلى جانب عمليات تشييد مدافنها .

وقد تقلد اللواء «با آتون محب PAATENMHAB» منصب «المشرف على أعمال آخت آتون». وهذا اللقب يدل على طبيعة الأعمال الانشائية التي أشرف عليها هذا الضابط. فالألقاب في عهد العمارنة كانت تمثل العمل الحقيقي لصاحب اللقب، ولم تكن مجرد ألقاب شرفية. ومن الغريب أن معظم كبار العسكريين الذين تعاونوا مع «أخنتاتون» في العمارنة، كانوا يحملون هذا اللقب، كما سيتبين لنا فيما بعد.

وتتمثل حقيقة وأهمية الدور الكبير الذي لعبه القادة العسكريون في عهد العمارنة في الألقاب التي كانوا يحملونها. وعلى سبيل المثال فإن اللواء «ماي» الذي كان يشغل من قبل رتبة «كاتب تجنيد» قد رقى إلى رتبة «اللواء»، وتولى مجموعة كبيرة من المناصب والوظائف تدل عليها ألقابه التالية: «المشرف على الوحدات العسكرية التابعة لجلالته في الوجه البحرى». ولقب «الكاتب الملكى». ولقب «الأمير الورائى». ولقب «حامل أختام الملك في الوجه البحرى». ولقب «الياور - أو السمير - الوحيد لجلالته». ولقب «المشرف على خزانة قصر أخنتاتون بهليوبوليس». ولقب «المشرف على جميع الأعمال الخاصة بجلالته».

كذلك فقد منح «ماي» مقبرة أقيمت له خصيصاً بمدافن العمارنة. ونلاحظ من النصوص المدونة على جدران تلك المقبرة، أن صاحبها «ماي» قد غالى كثيراً في التأكيد على أنه ينتمى لأسرة بسيطة من أصل متواضع. ولكن يبدو أن ذلك يعتبر تأكيداً للاتجاه الذى كان يدعو إليه «أخنتاتون»، ورغبته في الاستعانة بالوجوه الجديدة.

ويعلق «سير آلان جاردنر» على ما يشاع دائماً من أن «أخنتاتون» كان يريد تقليل حجم الهوة الفاصلة بين الملك والرعية، بقوله أن هذا الاتجاه كان فى أضيق الحدود، حتى بالنسبة للواء «ماي» الذى تفاخر بتواضع أصله العائلى، فإنه فى حقيقة الأمر كان يشغل وظيفة «كاتب تجنيد» قبل ترقيته إلى رتبة «اللواء». ومعنى هذا أنه كان ينتمى اجتماعياً إلى طبقة العسكريين الجديدة التى تضرب بجذورها إلى الأيام الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر. ومن المعروف أن هذه الطبقة العسكرية كانت مفتوحة أمام الأعضاء الجدد الذين يمكنهم الانتماء إليها إذا توافرت فيهم بعض الشروط.

ونود أن نشير إلى أن «ماى» هذا كان يعتبر من المقربين إلى «أخناتون» ، وكان كبيراً فى السن ، ومن المحتمل أنه قد خدم فى عهود أربعة من الفراعنة السابقين أسلاف «أخناتون» ، أى أنه قد بدأ خدمته فى عهد «امنهتب الثانى» .

وكان هناك ضابط آخر من ضباط الفرسان ، وكان اسمه «ماى» أيضا . وكان يشغل منصب «المشرف على الخيول الملكية» . وقد تم تكليفه فى عهد «أخناتون» بمهام دبلوماسية ، ومنح لقب «رسول أخناتون إلى كل الأراضى» .

وهناك ضابط آخر من سلاح الفرسان ، وكان اسمه «رع نفر RA NOFER» وكان يشغل منصب «المشرف على الاصطبلات الملكية» .

وعلى جدران مقبرة «أحمس» وهو أحد كبار الموظفين بالعمارة ، نجد نقوشا تمثل مناظر يقوم فيها الجنود النوبيون والليبيون والسوريون بتولى أعمال الحراسة للأسرة المالكة ، الأمر الذى يؤكد أيضا أن مسئولية تأمين وحراسة الأسرة المالكة كانت تقع على عاتق الجيش المصرى .

ومن المحتمل أن يكون هناك ثلاثة على الأقل من الضباط الذين كانوا يحملون رتبة «كاتب تجنيد» فى عهد العمارة ، وهم على وجه التحديد «ماى» و «رعميسو RAMESSU» و «آى» . وربما يكون «حور محب» هو رابع هؤلاء الثلاثة ، حيث تمت ترقيته إلى رتبة «لواء» ثم إلى رتبة «القائد العام للجيش المصرى» فى عهد كل من «توت عنخ آمون» ، ثم عهد الملك «آى» من بعده ، وذلك قبل أن يرتقى بنفسه عرش مصر .

ولم يلاحظ وجود مثل هذا العدد من الضباط الذين يحملون رتبة «كاتب التجنيد» فى عهد أى ملك آخر من ملوك الأسرة الثامنة عشر .

ومن الجدير بالذكر أن «رعميسس الأول» الذى قام بتأسيس أسرة مالكة جديدة هى الأسرة التاسعة عشر ، والذى تولى العرش بعد «حور محب» ، كان يشغل من قبل منصب المشرف على الحدود الشمالية الشرقية لمصر فى عهد «أخناتون» .

ومن المحتمل أن يكون «حور محب» قد شغل منصب «كاتب التجنيد» في منطقة الدلتا أثناء عهد «أخناتون» وعلى جدران المقبرة التي شيدها لنفسه بمنطقة منف ، نجد نقوشاً تمثله وهو يقوم بالتفتيش على بعض القلاع العسكرية المصرية ، ومن حوله بعض الضباط المقاتلين . وكانت صلاحية التفتيش على القلاع العسكرية من ضمن اختصاصات الضباط الذين يحملون رتبة «كاتب التجنيد» .

وفي خلال عهد العمارنة أيضا ، كان هناك ثلاثة من الضباط على الأقل برتبة «لواء» . وهم بالتحديد «با آتون محب» و «ماى» و «رعميسو» . ومن الملاحظ أن جميع الضباط الذين يحملون رتبة «لواء» أو رتبة «كاتب التجنيد» كانوا يمنحون أيضا لقب «المشرف على جميع أعمال البناء الخاصة بالملك» . وهذا في حد ذاته دليل قاطع على اشتراك الجيش المصرى على أوسع نطاق فى إقامة جميع المباني والانشاءات الدينية والمدنية التى أقيمت بالديار المصرية على وجه العموم ، وفي العمارنة على وجه الخصوص .



وكان اللواء «با آتون محب» مسئولاً عن ادارة جميع ثروات الخاصة الملكية . كما كان اللواء «ماى» مسئولاً عن ادارة «ثروات الخاصة الملكية وممتلكات معبد رع بهليوبوليس» . أما اللواء «رعميسو» فقد تولى فى عهد «أخناتون» «الاشراف على ادارة المعبد الجنائزى للملك امنحتب الثالث» .

ولم يستعمل لقب «مر - بر - ور» - أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية - فى عهد العمارنة ، ولم يمنح لأى من كبار الموظفين فى ذلك العهد ، رغم أن الاختصاصات الداخلة ضمن صلاحيات هذا اللقب كان يياشرها بعض كبار الموظفين بالعمارنة ، مثل «دودو» و «با آتون محب» .

ويقول «هلك» أن القوة الكامنة والنفوذ الواسع الذى كان يتضمنه هذا المنصب الخطير «مر - بر - ور» كان يدعم موقف طبقة العسكريين فى «صراعها الخفى الصامت» ضد الفراعنة طوال عصر الأسرة الثامنة عشر . ولكنى أختلف تماماً مع هذا رأى ، اذ لا يمكن تصور أى نوع من الصراع يكون قد نشب بين العسكريين والفراعنة الأفذاذ الأقوياء فى بداية تكوين الامبراطورية المصرية . أما الصراع الحقيقى ، فقد نشب بالفعل بين الطبقة العسكرية الجديدة ، وبين دوائر الكهنة وطبقة الكتاب التقليديين من الذين كانوا يشغلون الوظائف المدنية العليا فى طيبة .

والجدير بالملاحظة أن عدداً كبيراً من كبار العسكريين الذين تولوا منصب «مر - بر - ور» فى فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، قد تعرضت مقابرهم لأعمال التدمير المقصود . وذلك كما حدث بالنسبة لكل من «سنموت» و «امنحتب» اللذين شغلا هذا المنصب فى عهد الملكة «حتشبسوت» . و «قن آمون» و «تينانا» و «امنمحات - سرر» الذين تولوا هذا المنصب فى عهدى «تحتمس الثالث» و «امنحتب الثانى» على التوالى .

ولاشك أن التبرير المعقول لهذا التدمير الذى لحق بمقابر هؤلاء الضباط كان نتيجة لأن كلاً منهم قد سقط فجأة . وهذا دليل على أن نفوذ طبقة العسكريين لم يكن قد رسخ بعد ، بالمقارنة لنفوذ طبقة الكهنة والموظفين المدنيين التقليديين بطيبة ، بمعنى أن الصراع الذى كان دائراً بين هاتين الطبقتين لم يكن قد حسم بعد وعلى نحو قاطع لصالح الطبقة العسكرية الجديدة .

وغنى عن القول أن نشأة ونمو طبقة العسكريين وازدياد قوتها ونفوذها ، ثم تغلبها على طبقة الكهنة والموظفين المدنيين التقليديين بطيبة ، كان أحد المعالم الرئيسية الهامة للتطور الاجتماعى الذى تميز به عصر الأسرة الثامنة عشر .



وفي عهد العمارنة ، كانت «آخت آتون» هي المقر الرسمي لسلاح المركبات الحربية بالجيش المصري ، حيث يدل على ذلك وجود الثكنات العسكرية التي كانت تشغلها وحدات هذا السلاح ، ووجود أرض التدريبات الحربية التي كانت تتمرن عليها هذه الوحدات .

ولا شك أن اتخاذ العاصمة الجديدة مقراً ومركزاً لسلاح المركبات الحربية ، باعتباره أكبر قوة ضاربة سريعة الحركة في الجيش ، يعتبر دليلاً على مدى الأهمية التي كان يوليها عصر العمارنة للقوات المسلحة المصرية .

وفي نفس الوقت ، فقد ظلت منف هي المقر الرسمي للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، تماماً مثلما كانت طوال عصر الأسرة الثامنة عشر .

أما القاعدة التقليدية الخاصة بتعيين «ولي العهد» في منصب «القائد العام للقوات المسلحة المصرية» فقد استمرت مطيقة حتى بداية عهد «توت عنخ آمون» ، حين عين حور محب ليشغل هذا المنصب ، وكان بذلك أول قائد عام للقوات المسلحة المصرية من خارج أعضاء الأسرة المالكة .

وليس من المؤكد أن الأمير «نخت مين NAKHT MIN» أصغر أبناء «امنحتب الثالث» ، والذي كان يحمل لقب القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، قد باشر بالفعل مهام ومسئوليات هذا المنصب الخطير في عهد «أخناتون» ، وذلك استناداً إلى أن رسائل العمارنة لم تشر إليه اطلاقاً باعتباره القائد العام . وأغلب الظن أن الأمير «جحوت موسى» هو الذي شغل هذا المنصب في عهد العمارنة ، كما كان يشغل في الوقت نفسه منصب «الكاهن المرتل» ومنصب «الكاهن الأول للاله بتاح في منف» . وكان هذا الأمير آخر من تولى منصب القائد العام من أمراء البيت المالكة ، كما يدل على ذلك النص المنقوش على «كرباجه» والذي عثر عليه ضمن مقتنيات مقبرة «توت عنخ آمون» :



وقد ذكرنا من قبل أن «هالك» يفرق بين الموظفين العسكريين وبين ضباط الجبهة المقاتلين . ويرى أن الفريق الأول كان ينتمى إلى العائلات التقليدية فى طيبة والتي كانت تتولى دائما مثل هذه الوظائف . أما الضباط المقاتلين فى نظره فكانوا من «الوجوه الجديدة» التى أخذت تظهر تباعاً بين طبقة العسكريين ، والتي كانت تنتمى إلى أسر ذات أصول متواضعة . وأن اختيار هؤلاء الضباط لتولى أية وظائف أو مناصب عليا ، سواء فى ادارة الدولة ، أو فى البلاط الملكى ، كان يتوقف تماماً على رغبة الملك واراדתه .

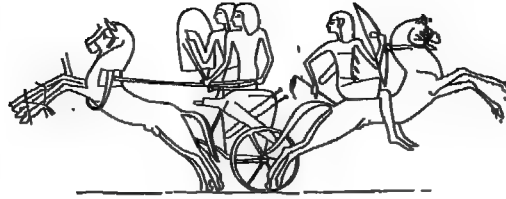
ويُدعم «هالك» وجهة نظره بالقول بأن الضباط المقاتلين الذين تولوا فيما بعد مناصب ادارية ومدنية عليا ، كانوا يغفلون تماماً أية إشارة إلى ألقابهم العسكرية السابقة ، ويهتمون فى الوقت نفسه بذكر جميع الألقاب الأخرى التى منحت لهم بعد ترك الخدمة العسكرية وتوليتهم الوظائف الادارية والكتائية الجديدة .

وفى رأى أن وجهة النظر هذه لا تستند إلى أساس منطقى مقبول ، فقد رأينا من قبل أن «سننموت» - فى وقت مبكر من عصر الأسرة الثامنة عشر - قد بدأ حياته العملية كضابط مقاتل ، كما رأينا أن «التعليم النظرى الموحد» كان يمثل الخلفية الثقافية لجميع الضباط العسكريين ، سواء من كانوا يشغلون منهم وظائف ذات طبيعة كتائية أو ادارية ، أو من كانوا يشغلون مناصب عسكرية فى الوحدات المقاتلة . ولذلك فأنى اتفق مع وجهة النظر القائلة بأن الضباط المقاتلين الذين تولوا المناصب الادارية والكتائية بعد تركهم للخدمة العسكرية ، والذين أغفلوا ذكر ألقابهم العسكرية القديمة وحرصوا فى الوقت نفسه على ابراز الألقاب الجديدة التى منحت لهم بسبب توليتهم تلك المناصب الادارية والكتائية ، إنما كانوا فى واقع الأمر يمارسون التفاخر بالألقاب المدنية التى كانت من الناحية التقليدية ، محل تبجيل واحترام فى مصر القديمة .

وأود أن أشير إلى أن الألقاب العسكرية قد استغرقت فترة طويلة من الزمن ، ربما طوال عصر الأسرة الثامنة عشر بأكمله ، حتى وقفت على قدم المساواة مع الألقاب المدنية التقليدية . وقد بلغ هذا التطور ذراه فى عصر الأسرة الحادية والعشرين فيما بعد ، حين أصبح الملوك أنفسهم يحملون ألقاباً عسكرية جنباً إلى جنب مع الألقاب الكهنوتية .

ويرى «هالك» أن هؤلاء الرواد من الضباط من «الوجوه الجديدة» هم الذين اعتمد عليهم «أخناتون» باعتبارهم الكوادر التي تولت المناصب العليا الجديدة في العمارنة . وذلك بعد أن اعتنقوا الديانة «الآتونية» الجديدة ، وأخذوا يمارسون اختصاصاتهم ويزداد بالتالي نفوذهم دون الادعاء بأي ماض عريق أو حسب رفيع يستندون إليه .

وعلى هذا يمكن القول بأن «نظام العمارنة» قد اعتمد تماماً على ضباط الجيش في استمراره وتثبيت دعائمه . وأن طبقة العسكريين قد خاضت صراعاً طويلاً تطورت فيه الأمور حتى وصلت إلى هذه النتيجة . كما يمكن القول كذلك بأن الظروف التاريخية كانت مهية تماماً أمام هذه الطبقة العسكرية لكي تلعب هذا الدور التاريخي الكبير . كما أن هذه الطبقة من الضباط العسكريين ، كانت تنتمي بصفة عامة إلى العائلات العسكرية القوية ، كما كانت تقبل دائماً دخول «الوجوه الجديدة» طالما استوفت الشروط المطلوبة . وعلى سبيل المثال فإن العائلة العسكرية التي كان ينتمي إليها الوزير «رعموزا» تعتبر نموذجاً لهذه العائلات العسكرية القوية ، حيث كان أخوه الأكبر «امنحتب» يشغل منصب «كاتب التجنيد» ومنصب «مر - بر - ور» في عهد الملك «امنحتب الثالث» في منف . كما كان أخوه الآخر اللواء «ماي» يشغل منصب «قائد سلاح الفرسان» . ومن الملاحظ أن «ماي» قد تظاهر بأنه ينتمي إلى أسرة ذات أصل متواضع ليساير الاتجاه العام السائد في أيديولوجية العمارنة .



وعلى أحد لوحات الحدود التي أقيمت حول مدينة «آخت آتون» ، نقش يسجل قصة مفادها أن «أخناتون» قد استدعى جميع رجال حاشيته وقواد جيشه ، وشرح لهم خططه المستقبلية نحو الدعوة إلى الديانة «الآتونية» الجديدة ، فأجابه الجميع بأن كل البلاد لابد أن تدفع الجزية وتقدم القرابين للاله «آتون» .

وبطبيعة الحال فإن ضباط الجيش وقواده الذين حضروا هذا الاجتماع قد أحيطوا علماً بكافة التفاصيل الخاصة بالديانة الجديدة ، وكل النتائج التي يمكن أن تترتب عليها ، وأنهم آذروا «أخناتون» في موقفه ، بتنفيذ جميع خططه على أفضل نحو مستطاع . ويقول «ج. ويلسون» في هذا الخصوص ، أن الجيش قد وقف في صف «أخناتون» ، وأيد مواجته لكهنة «آمون» ولطبقة الموظفين المدنيين التقليديين في طيبة .

ومن الوصف الأخاذ الذى ذكره «ألدريد» لأحد المناظر المنقوشة على أحد مقابر العمارنة ، نراه يؤكد ازدياد أهمية الدور الذى قام به ضباط الجيش في خلال ثورة العمارنة . ويقول أن الرتب العليا لقادة الجيش قد أصبحوا على الفور أعضاء في حاشية الملك وبلاطه ، لأن منظر الملك وهو محاط بحراسه العسكريين وبضباطه وجنوده الذين اصطفوا صفوفاً كثيفة ، يعطى إحساساً للمشاهد بأن العاصمة الجديدة «آخت آتون» كانت ثكنة عسكرية مسلحة .

ونشير في النهاية إلى أن بلاد النوبة ظلت على حال تبعيتها لمصر أثناء عهد العمارنة . وقد قام «أخناتون» بتعيين الأمير «جحوت موسى» نائباً للملك في حكم النوبة . وقد سجل «جحوت موسى» نصاً مفاده استمرار سيطرة الحكم المصرى على بلاد النوبة دون إضطراب أو انقطاع . وقد عثر على صرح كبير أقيم لعبادة «آتون» في منطقة «كاوا KAWA»^(١) خلف الشلال الثالث بالنوبة .

هذا وقد لاحظنا أن الدراسات الحديثة التى قام بها كل من «ج.ر. هاريس J.R. HARRIS» و«ر. كراوس R. KRAUSS» وآخرين غيرهم ، عن «تاريخ العمارنة» لم يرد بها أى اختلاف أو تعارض للتاريخ العسكرى الذى ذكرناه عن تلك الفترة ، ولذلك فقد صرفنا النظر عن متابعتها في هذه الدراسة .



الفصل الثانى

النتائج العسكرية لثورة العمارنة

ويتضمن المباحث التالية :

- المبحث الأول : الطبيعة العسكرية لنظام الحكم فى عهد «توت عنخ آمون» وعهد «آى» .
- المبحث الثانى : انتقال البلاط الملكى إلى منف بعد ثورة العمارنة .
- المبحث الثالث : آى .. نقطة تحول نحو عصر تاريخى جديد .

المبحث الأول

الطبيعة العسكرية لنظام الحكم فى عهد «توت عنخ آمون» وعهد «آى»

فى عهد كل من الملكين اللذين توليا عرش مصر بعد «أخناتون» ، حدث تحول تدريجى بقصد الرجوع إلى الديانات القديمة ، ومحاولةً لاصلاح الأوضاع البائسة التى انتهت إليها شئون الدولة فى ميادين السياسة والاقتصاد بعد القضاء على ثورة العمارنة .

لقد ظهر «آى» على مسرح الأحداث مرة أخرى ، بعد ارتقاء «توت عنخ آمون» عرش البلاد ، وكان «آى» مزوداً هذه المرة بالمزيد من السلطات والقوة والنفوذ .

وقد عثر على قطعة أثرية فى «بيان الملوك BIBANEL - MOLUK»^(١) عليها نقش يدل على أن «آى» كان يشغل منصب «الوزير» . وأنه كان صاحب نفوذ قوى فى خلال الفترة الضئيلة التى تولى فيها «سمنخ كار SEMENKH KARE»^(٢) [صورة ٢٤] العرش بعد «أخناتون» وقبيل «توت عنخ آمون» . وعلى أية حال ، فقد كان «آى» هو الرجل القوى صاحب النفوذ الأعلى ، سواء بالجيش المصرى أو بداخل البلاط الملكى [صورة ٢٥] .

وفى منظر بديع محفور على صحيفة من الذهب الخالص ، نرى «آى» واقفاً على يسار الملك «توت عنخ آمون» . وهو منظر يكاد يحس الانسان فيه ، مدى الوضع المبعجل لهذا الرجل القوى الذى كان يمارس السلطة الفعلية خلف ملك صغير .

وقد رأينا من قبل أن «آى» كان يشغل منصب «المشرف على الخيول الملكية» فى عهد «أخناتون» ، وهذا المنصب كان يعنى أنه يسيطر على القوى الضاربة بأهم فرع من فروع الجيش ، وهو «سلاح المركبات الحربية» .

ومن المحتمل أن المركبات الحربية التى صاحبت «أخناتون» عند رحيله من طيبة إلى العاصمة الجديدة «أخت آتون» كانت تحت القيادة المباشرة أو غير المباشرة لهذا الضابط صاحب النفوذ القوى بالجيش وبالبلاد .

وفى خلال عهد العمارنة كان «آى» يحمل رتبة عسكرية هى «حامل الراية» و «كاتب الجيش» وذلك قبل ترقيته إلى رتبة «قائد سلاح المركبات الحربية» .

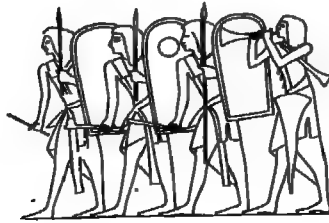
أما مدى إخلاص «آى» للعقيدة الجديدة التى نادى بها «أخناتون» ، فيمكن استنباطه من النقوش المدونة على جدران مقبرته بالعمارنة ، حيث عثر على النص الكامل الوحيد للنشيد الكبير فى عبادة «آتون» ^(٣) ، وهو الترتيل الشعري الذى كتبه «أخناتون» .

وكانت السياسة التى انتهجها «آى» تمثل القوى المتنامية والمتعاضمة لطبقة العسكريين ، وتهدف على وجه التحديد إلى امتصاص الآثار السياسية السيئة التى تركتها ثورة العمارنة ، وذلك عن طريق تقديم بعض التنازلات الدينية المحسوبة المقدار ، بشكل يحقق التوازن السياسى للدولة ولنظام الحكم فيها .

وتطبيقا لتلك السياسة ، كان هناك نوع من التسامح المدروس تجاه الاله «آمون» ، فى خلال الفترة القصيرة التى تولى فيها «سمنخ كا رع» . كذلك فلم يسمح إطلاقا بانزال اللعنات على اسم «أخناتون» أو أسماء غيره من شخصيات العمارنة ، فى خلال الفترة التى تولى فيها «توت عنخ آمون» . بل أن أسماء «سمنخ كا رع» و «نفرتيتى» واسم «أخناتون» نفسه ، وجدت منقوشة بالاحترام اللائق بها على جدران مقبرة «توت عنخ آمون» ودون أن يمسسها أى تدمير أو تشويه .

ومن هذا يتبين لنا أن الأهداف الدينية لثورة العمارنة قد انتهت إلى فشل ذريع ،
بينما تحقق قدر كبير من النجاح لطبقة العسكريين الذين ساندوا ثورة العمارنة ، ووقفوا خلفها
منذ البداية .

أما طبقة الكهنة وكبار الموظفين التقليديين بطيبة ، فلم تتمكن من استعادة
ما كانت تتمتع به - قبل الثورة - من سلطة أو نفوذ .



المبحث الثانى

انتقال البلاط الملكى إلى منف بعد ثورة العمارنة .

مازال هناك خلاف فى وجهات النظر بين المؤرخين حول القرار الذى اتخذ فى عهد «توت عنخ آمون» بشأن الهجرة والخروج من العاصمة الجديدة «آخت آتون» . فبعض المؤرخين يرون ان البلاط الملكى قد انتقل إلى العاصمة القديمة «طيبة» وبعضهم الآخر يرونه قد انتقل إلى العاصمة الأكثر قدماً «منف» ، حيث المقر الرسمى للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، وحيث يتمركز أيضا «سلاح المركبات الحربية» .

ولكن من المؤكد ان «توت عنخ آمون» قبل أن يخرج من «آخت آتون» ، قد قام بتغيير اسمه واسم زوجته ، وتخلّى عن اسم الاله «آتون» الذى كان داخلاً فى تركيب اسميهما ، واستبدل به اسم الاله «آمون» . (كان اسمه : توت عنخ آتون ، وكان اسم زوجته : عنخ إسن آتون ، فأصبح اسمه توت عنخ آمون ، واسم زوجته عنخ إسن آمون ANKH ESEN AMUN) [صورة ٢٦] .

ولاشك أن ذلك التغيير قد تم تنفيذاً لسياسة «آى» فى إعادة سبل الاتصال مرة أخرى بالمؤسسات والعقائد الدينية التقليدية .

وفى رأى أن مدينة «منف» هى التى وقع عليها الاختيار لاقامة الملك وبلاطه ، ولتصبح مقراً لنظام حكمه ، وذلك استناداً إلى المنطق الذى يؤكد أن «طيبة» كانت لم تزل تشكل مقاومة قد تكون خطيرة ضد السياسة الطموحة التى انتهجها الضباط العسكريون .

وعلى نصب حجرى تذكارى ضخم أقيم على شرف «توت عنخ آمون» ، نرى منظراً فريداً صور فيه الملك وهو يتعبد ويقدم القرابين للاله «آمون» والالهة «موت» «MUT»^(١) . ومن الجدير بالملاحظة أن النص المنقوش المصاحب لهذا المنظر ، يصف الملك بأنه «محبوب الاله آتون - حور آختى ATEN - HARAKHTI بهليوبوليس» و «محبوب الاله بتاح بمنف» . ولاشك فى أن هذا الاتجاه يحقق قدراً كبيراً من التوازن بين الاله «آمون» وآلهة الشمال ، بل وجميع الآلهة الأخرى التى تتضمنها الاتجاهات الدينية الرئيسية فى مصر القديمة . وهذه السياسة المتوازنة الدقيقة بين جميع الآلهة الرئيسية فى مصر ، كانت المنهج الذى أخذ به جميع الملوك الذين تولوا عرش مصر بعد «آى» . وظلت هذه السياسة قائمة حتى اختفت فى أواخر الأسرة التاسعة عشر .

ولاشك أيضاً فى أن هذه السياسة كانت تتعارض تماماً مع فكرة انتقال الملك وبلاطه ونظام الحكم كله إلى طيبة بعد الهجرة من «آخت آتون» . فطيبة كما هو معروف تعتبر العاصمة الدينية للاله «آمون» .

ونعود مرة أخرى إلى النص المنقوش على النصب التذكارى الذى أقيم فى عهد «توت عنخ آمون» فنراه يقول :

«حين ارتقى جلالته عرش البلاد كانت جميع معابد الآلهة والآلهات ابتداء من جزيرة الفنتين ELEPHANTINE^(٢) وحتى أحراش الدلتا فى الشمال قد عمها الخراب وسقطت محاريبها المقدسة وأصبحت انقاضاً نبتت فيها الأعشاب الضارة وساءت حال أماكن الصلاة بشكل لم يحدث من قبل أبداً وأصبحت القاعات المقدسة ممرات للمشاة وانقلبت الأرض رأساً على عقب وأدارت الآلهة ظهورها للبلاد ..» .

ويتضح من هذا النص ، أن سياسة الإصلاح التى سادت فى أعقاب ثورة العمارنة ، لم تكن تستهدف ارضاء ديانة «آمون» وحدها ، بل وضعت فى الاعتبار ارضاء جميع الآلهة المصرية الأخرى .

ويتضح من بقية النص أيضا ، ما يعزز الفكرة القائلة بأن الملك وبلاطه قد انتقل إلى مدينة منف ، وليس إلى مدينة طيبة ، بعد الخروج من «آخت آتون» . إذ يشير النص إلى أنه :

«... بينما كان جلالته مقيماً في قصره .. الذى هو بيت عاخير كا رع AA
KHEPERKARE ..⁽⁷⁾ أخذ يتشاور مع قلبه في كيفية ارضاء الاله آمون ..
وبقية الآلهة الأخرى ..» .

ويقول «السير آلان جاردنر» أن قصر «عاخير كا رع» - تحوتمس الأول - الذى كان يعيش فيه «توت عنخ آمون» وأخذ يتأمل فيه خططه المستقبلية كان يقع في مدينة منف .

ومن المحتمل أن يكون «آى» هو الذى أوصى بتعيين مساعده الأول «حور محب» في منصب «القائد العام للقوات المسلحة» . ومقر هذا المنصب عادة هو مدينة منف . وأوصى بتعيينه كذلك في منصب «مر - بر - ور» - أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية «لتوت عنخ آمون» . وهذا يعنى تركيز السلطة العسكرية والنفوذ الاقتصادى في يد واحدة ، الأمر الذى يبين لنا إلى أى مدى بلغ هذا الوضع الفريد المتميز للضباط «حور محب» .

وفي رأى أنه من غير المحتمل أن يتمكن أى فرد يتولى مسئوليات هذين المنصبين بالذات ، وهى مسئوليات تقتضى الاتصال المباشر المستمر مع الملك ، إذا كان الملك يقيم في طيبة في أقصى الجنوب ، بينما يقيم صاحب المنصبين في منف في شمال البلاد . ويفهم من ذلك أن «توت عنخ آمون» كان بالفعل مقيماً في مدينة منف ، في الوقت الذى كان يباشر فيه «حور محب» هذه الاختصاصات من مقره بنفس المدينة .

ولعلنا نذكر أن «دودو» الذى كان يتولى منصب «مر - بر - ور» - أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية في عهد «أخناتون» ، كان مقيماً ضمن البلاط الملكى في مدينة «آخت آتون» .

حتى «هلك» الذى ذكر فى أحد كتبه أن «توت عنخ آمون» قد انتقل إلى مدينة طيبة بعد الهجرة من «آخت آتون»، تراجع عن هذه الفكرة ، وذكر فى كتابه «تاريخ مصر القديمة» أن الملك قد انتقل إلى مدينة منف ، واتخذها عاصمة للملكه .

ويؤكد هذا رأى أيضا ، ما لوحظ من توقف عمليات انشاء المقابر لكبار الموظفين بالدولة فى مدافن طيبة ، وإقامة العديد من المقابر الخاصة بهم فى مدافن «سقارة» وهى شديدة القرب لمدينة منف .

وفى الدراسة التى أجراها «إ. هورننج E. HORNUNG» حول التسلسل الزمنى لأحداث تلك الفترة فى التاريخ المصرى ، نرى اشارة إلى أن مومياء «توت عنخ آمون» قد استغرقت بعض الوقت لتنتقل فيه من مدينة منف ، إلى حيث مقرها الأخير بمدفن الملك بواى الملوك بطيبة .

وينضم «ألدريد» كذلك إلى القائلين بفكرة أن العاصمة «آخت آتون» قد هجرت فى بداية عهد «توت عنخ آمون» الذى نقل عاصمة ملكه إلى مدينة منف ، حيث أعلن من هناك مرسومه الاصلاحى الشهير .

ومما لا جدال فيه ، أن نقل عاصمة البلاد إلى منف ، وهى المقر الرسمى للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، يتمشى تماماً مع الظروف التى كانت سائدة بالبلاد فى أعقاب ثورة العمارنة . ويدل بالتالى على مدى النفوذ الذى وصلت إليه طبقة العسكريين ، وتدخلها المباشر فى تحديد اتجاهات السياسة الداخلية للبلاد فى تلك الفترة .

وقد اتفق المؤرخون على تسمية عهد «حور محب» «بالنظام العسكرى MILITARY REGIME» . وانى أميل إلى إطلاق هذه التسمية أيضا على عهد «توت عنخ آمون» وعهد «آى» . وبلى وأرى أن هذه التحولات التاريخية التى حدثت للقوى السياسية بمصر ، وأدت إلى تركيزها تماماً فى يد ضباط الجيش ، كانت فى عهد «آى» أوضح منها فى عهد «حور محب» [صورة ٢٧ ، ٢٨] .

وقد عرفنا فيما سبق أن «آى» هو الذى رفع «حور محب» إلى تولى أخطر مناصبين فى الدولة ، وهما «القائد العام للقوات المسلحة» و «المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية لتوت عنخ آمون» . بينما احتفظ «آى» لنفسه بمنصب «قائد سلاح المركبات الحربية» حيث كان يتحكم من خلاله فى أقوى الاسلحة الحاسمة والقوى الضاربة للقوات المسلحة المصرية . كما احتفظ لنفسه أيضا بمنصب «الوزير» حيث كان يتحكم من خلاله فى جميع الأنشطة الاقتصادية وثروات البلاد .

أما بالنسبة للأوضاع فى المناطق الآسيوية التابعة للإمبراطورية المصرية ، فكان لابد من تنفيذ سياسة نشطة حاسمة ، لازالة التدهور الذى لحق بالوضع العسكرى بتلك المناطق بصفة عامة ، ولترضية قواد الجيش المصرى على وجه الخصوص .

ولذلك فقد كان من الضرورى أن تتم مواجهة أطماع دولة الحيثيين فى الأقاليم السورية التابعة للحكم المصرى ، وهجوم الحيثيين المتوقع ضد منطقة «أمكا AMKA» .

وحتى يتم وقف هذه التهديدات ، خرج «حور محب» على رأس الجيش المصرى ليضع حداً لها . وقد قام «حور محب» بتسجيل هذه الواقعة على جدران مقبرته التى أقيمت بمنطقة منف .

وعلى ذلك فيمكن القول بأن وضع وتنفيذ سياسة دفاعية لانقاذ المصالح المصرية فى الشرق والمحافظة عليها ، كان هدفاً واجباً أمام واضعى السياسة المصرية وأقطاب النظام . وكان كل من «آى» و «حور محب» من بعده ، يطبق هذه السياسة العسكرية إلى جانب قيامه بتطبيق برنامج الاصلاحات الدينية فى نفس الوقت . وهذا ما تؤكد جميع الآثار المعروفة التى يرجع تاريخها إلى هذين العهدين . ويقول «السير آلان جاردنر» فى ذلك «أن النظام قد اتجه إلى الحرب ، وتحفز لتجهيز الحملات العسكرية» .

ونجد هنا أن نشير إلى أن الضباط العسكريين الذين ساهموا فى أنشطة الدولة فى عهد «حور محب» ، كانوا يشغلون مناصب عسكرية ومدنية عليا فى عهد «آى» بل وفى عهد «توت عنخ آمون» . وعلى سبيل المثال فإن «بارعمسيس PARAMESSES» - الذى

أسس الأسرة التاسعة عشر فيما بعد باسم رمسيس الأول - كان يشغل منصب «المشرف على السواحل ، وقائد قلعة منطقة سيل» وذلك في عهد «آى» .

كما أن اللواء «آمون امينيت AMON EMINET» قد عين في وظيفة «المشرف على المعبد الجنائزى لتحوتس الثالث» في عهد «حور محب» .

كما أن «حور محب» نفسه ، كان قد عين في عهد «توت عنخ آمون» - إلى جانب مناصبه العسكرية - في منصب «المشرف على كهنة جميع الآلهة» ومنصب «المشرف على الأعمال الخاصة بالاله آمون» .

وهناك العديد من الأمثلة الأخرى لكبار الضباط العسكريين الذين عينوا في أعلى الوظائف السياسية والادارية بالدولة في عهد كل من «توت عنخ آمون» و «آى» . وهناك رسم لمنظر نرى فيه «توت عنخ آمون» خلال جولته الملكية للتفتيش على اعمال الاصلاحات الجارية ببعض المعابد ، وإلى جانبه «حارس خاص BODY GUARD» هو أحد ضباط الجيش .

ونشير أخيراً إلى الدراسة الحديثة التى أجريت على «صاحب المقبرة رقم ٢٧١ بالقرنة QURNA» . حيث تبين أنه ضابط كبير اسمه «ناى NAY» وقد تولى عدة مناصب ووظائف عليا بالدولة أثناء الفترة القصيرة لحكم الملك «آى» . كما تبين أنه كان يحمل مجموعة عديدة من الألقاب العسكرية والمدنية ، مثل «كاتب التجنيد» و «الكاتب الملكى» و «المشرف على شئون الحرم الملكى» و «المشرف على الأعمال» و «حامل المروحة على يمين الملك» .

ومن هذه الدراسة نستطيع أن نستنتج بوضوح ، أن الضباط «ناى» كان أحد أفراد النخبة الممتازة من الطبقة العسكرية ، وكان يتميز بمواهب ثقافية واسعة ومتعددة الجوانب ، أهله لكى يقوم بالتخصصات المختلفة التى تفرضها مسؤوليات كل تلك المناصب . مثله فى ذلك مثل غيره من الضباط المثقفين الذين ظهروا بكثرة منذ العقود الأولى من فترة تكوين الامبراطورية المصرية ، فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

المبحث الثالث

آى .. نقطة تحول نحو عصر تاريخى جديد .

كانت وفاة «توت عنخ آمون» الفجائية قد وضعت البلاد فى موقف حرج للغاية . وقد انعكس ذلك فى التصرف والاضطراب الذى صاحب التجهيزات الجنائزية الخاصة بعملية دفن الملك ، حيث نجد أن المقبرة التى دفن فيها مقبرة متواضعة للغاية ، ولم تكن مخصصة فى الأصل لدفنه . كما أن جوانب الضريح المقام فوق تابوته فى غرفة الدفن قد أعدت بسرعة ووضعت بعكس اتجاهها الصحيح .

ومع أن «آى» كان كبير السن فى ذلك الوقت ، إلا أنه كان أقوى رجل فى البلاد يمكنه أن يواجه هذا الموقف . فقد كان الوزير المهيمن على شئون البلاد ، كما كان فى الوقت نفسه مهيمنًا على الجيش . ولذلك فلم يكن من الغريب أن يطلق عليه اللقب الملكى «الوصى على عرش البلاد» أثناء قيادته لمراسم وطقوس جنازة الملك الراحل .

ويقول «هورنوتج» أن الأميرة المصرية التى بعثت برسالة سرية تطلب فيها المساعدة من الحيثيين ، هى «عنخ اسن آمون» وليست «نفرتيتى» كما يعتقد بعض المؤرخين . كما أن «السير آلان جاردنر» يقرر أيضا أن صاحبة هذه الرسالة كانت أرملة «توت عنخ آمون» .

وعلى أية حال فقد قام الجيش المصرى بقتل الأمير الحيثى الذى كان من المفروض أن يتولى عرش مصر بعد زواجه من أرملة «توت عنخ آمون» وذلك أثناء رحلته المشقومة ، وقبل أن يدخل الحدود المصرية .

ولم يكن هناك مفر من نشوب الحرب بين مصر والحيتيين بعد أن تولى «آى» عرش مصر . ولولا التعاون التام الذى كان قائما بين «آى» و «حور محب» الذى كان يتولى القيادة الفعلية للقوات المسلحة المصرية ،لواجهت البلاد العديد من المتاعب والاضطراب فى الداخل وفى الخارج أيضا .

ولم يتم العثور - بين الآثار المصرية - على أى أثر يدل على حدوث أية قلاقل أو اضطرابات داخلية فى تلك الفترة . ولكن الشيء الملفت للنظر ، هو وصف الملك «آى» بأنه «المنتصر على آسيا» . وأصبح بذلك أول فرعون يطلق عليه هذا اللقب منذ أيام «امنحتب الثالث» الذى أطلق عليه لقب مماثل .

والجدير بالذكر أن مستوطنة لأسرى الحرب الحيتيين قد أقيمت فى منطقة قرب منف فى عهد «آى» . وعلى جدران مقبرة «حور محب» التى أقيمت بمنطقة منف ، نرى تسجيلا لنتائج هذا الصراع الحرى الذى نشب بين مصر والحيتيين ، حيث نرى «حور محب» وهو يقوم باستعراض مجموعة كبيرة من أسرى الحرب الحيتيين .

وتدل بعض الآثار التى تركها الحيتيون فى بلادهم ، على أن وباء الطاعون قد انتشر فى منطقة الشرق الأدنى فى تلك الفترة ، الأمر الذى نتج عنه بالطبع تجميد مؤقت للخطر الحيشى فى الفترة التى أعقبت وفاة الملك «آى» . وكان هذا التجميد بمثابة الفرصة التاريخية الذهبية أمام «حور محب» لبدأ اصلاحاته الاقتصادية والادارية التى اشتهر بها عهده فى التاريخ المصرى القديم .



ويتحدث «ك. فلويجر K. PFLUGER» عن نظرية غريبة تتعلق بحدوث ثورة اجتماعية قادها «آى» باعتباره نصيراً لمصالح جماهير الشعب ضد «حور محب» الذى يمثل طبقة النبلاء .

وغنى عن الذكر أن هذه النظرية غير صحيحة على الإطلاق ، ولا تستقيم مع الحقائق الواقعية التى كانت سائدة فى ذلك العصر ، وفى ضوء الوضع الاجتماعى للملك «آى» نفسه .

وحقيقة الأمر أنه كانت هناك طبقة أرستقراطية تتمثل فى نبلاء طيبة . وقد عاصرت هذه الطبقة عصر بداية تكوين الأسرة الثامنة عشر ، وربما ترجع جذورها إلى ما قبل ذلك . ولكن الظروف التى صاحبت ظهور وتكوين الامبراطورية ، لم تنح لهذه الطبقة أية فرصة للنمو أو زيادة النفوذ ، بل وأخذت هذه الطبقة فى الاضمحلال والزوال التدريجى ، أو الدخول إلى منطقة الظل ، بفضل ظهور طبقة اجتماعية جديدة هى طبقة العسكريين .

وقد أدت الظروف الاجتماعية والثقافية التى سادت فى المجتمع المصرى قبيل أزمة العمارنة إلى ظهور طبقة أرستقراطية جديدة هى «ارستقراطية العسكريين» التى أخذت تدعم سلطاتها ونفوذها فى أسرع وقت كان فى مكنها . وبعد انتهاء أزمة العمارنة أصبحت هذه الطبقة الارستقراطية العسكرية صاحبة السيادة والنفوذ على مصر كلها .

ويقول «و. فولف W. WOLF» أن مصر كانت دائما - وخاصة فى عصر الأسرة الثامنة عشر - «دولة موظفين A STATE OF OFFICIALS» . ولم تتوافر فيها الظروف والشروط اللازمة لظهور «طبقة بروليتارية.....PROLETARIAN CLASS»^(١) . ويقول أيضا أن هؤلاء الموظفين كانوا يشكلون طبقة النبلاء الارستقراطيين ، وهى الطبقة التى أخذت تضمحل بالتدرج أمام النفوذ المتنامى لطبقة العسكريين الجديدة ، بكل ما كانت تضطلع به من سلطة ونفوذ ومسؤولية .

وفى ضوء هذا التحليل ، وبالإضافة إلى طبيعة الأوضاع الثقافية والدينية التى كانت سائدة فى المجتمع المصرى فى ذلك العصر ، لا يمكن تصور ظهور «صراع طبقي» بالمفهوم الحديث لهذا المصطلح كما يتصور «فلويجر» .

وبصفة عامة يمكن القول بأن الضغط الدينى ، والأوضاع والحدود الاجتماعية الصارمة التى كانت تسود مجتمعات التاريخ القديم - والمجتمع المصرى على وجه الخصوص - لا يمكن أن يودى إلى ظهور أى احساس «بالوعى الطبقي» بالمفهوم السياسى الحديث .

ومع ذلك فإذا تصورنا امكانية حدوث أحداث مشابهة للصراع الطبقي ، فهى تتمثل على نحو ما فى تلك «الانتفاضات العفوية» التى حدثت فى عصر الاضمحلال الأول بعد سقوط الدولة القديمة ، وعصر الاضمحلال الثانى فى التاريخ المصرى القديم .

وبعضد «فون بكرات» الفكرة القائلة بأن طبقة النبلاء من كبار الموظفين التقليديين بطيبة قد سقطت نهائيا فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، وأن النتائج السياسية لثورة العمارنة ظلت قائمة حتى بعد القضاء على الأزمة . ويرى أيضا أن بعض القلاقل والاضطرابات التى حدثت أثناء وبعد الأزمة ، قد أخذت بعنف بفضل قادة الجيش ، وعلى رأسهم «آى وحور محب» وأتباعهما من كبار الضباط . ويرى كذلك أن الخطر الداهم فى آسيا قد أجبر قادة الجيش على ضرورة توفير الأمن والسلام الداخلى بالبلاد ، حتى يمكن تحقيق وتنفيذ المبادرات الاصلاحية التى قام بها كل من «آى» و «حور محب» . ويشير هنا إلى أن «حور محب» كان يعتبر الرجل الثانى بالدولة فى أعقاب موت «توت عنخ آمون» .

ويستنتج «بكرات» من إطلاق لقب «الأب الالهى GODS FATHER» على الملك «آى» وحرصه على ذكر هذا اللقب ضمن اسمه المكتوب بالخراطيش الملكية ، أن ذلك اللقب يدل على وجود علاقة غامضة تربط «آى» بالأسرة المالكة الحاكمة ، الأمر الذى أضفى نوعاً من الشرعية على مطالبته بتولى العرش .

ومن المحتمل فى رأى أن حرص «آى» على ذكر هذا اللقب ضمن اسمه المكتوب بالخراطيش الملكية ، يعتبر نوعاً من التفاخر بالوضع الدينى الرفيع الذى يشير إليه اللقب .

وقد عقد «ل. كاكوشى» دراسة مقارنة لمقبرتي «توت عنخ آمون» و «آى» ، انتهى فيها إلى اختلاف الأثر الذى تركته البقية الباقية من كهنة «آمون» بطيبة على كل من

هاتين المقبرتين . ففي مقبرة «آى» لا نرى أى أثر للقسم الخاص بالمناظر التقليدية «لأوزيريس» باعتباره إله العالم الآخر ، حيث جرت العادة على رسم صورة للملك المتوفى بعد «تحوله» إلى هيئة «أوزيريس» . كذلك لم يصور الملك كعضو بالتاسوع الالهى .

ومعنى هذا أن كهنة «آمون» قد قللوا من شأن «ألوهية» الملك «آى» . بعكس الحال بالنسبة لتأليه «توت عنخ آمون» . وربما يرجع ذلك إلى أن الكهنة قد وضعوا فى الاعتبار أن «آى» فى نظرهم ، كان معاوناً «لأخناتون» ومن أقرب المقربين إليه .

هذا ويلاحظ أن «توت عنخ آمون» كان الملك الوحيد الذى كان يحمل اسم الاله «آمون» ضمن اسمه فى فترة ما بعد العمارنة . ومن المؤكد أن ذلك يرجع أساساً إلى محاولة ترضية كهنة «آمون» ، خصوصاً بعد انتقال الملك وبلاطه إلى مدينة منف ، واتخاذها عاصمة للحكم بدلاً من طيبة ، التى كانت تعتبر عاصمة للاله «آمون» ، إلى جانب اعتبارها عاصمة للبلاد .

وكانت السنوات التى انقضت منذ سقوط نظام العمارنة وحتى تولى الملك «آى» عرش مصر ، كافية للقضاء على كل الأخطار الداهية التى اعقبت هذا السقوط ، ولتهدة خواطر جماهير المتدينين التقليديين الذين اتخذوا موقف المعارضة ضد الديانة «الآتونية» الجديدة التى نودى بها أثناء عهد «أخناتون» .

ونشير أيضاً إلى ملاحظة هامة ، مفادها أن النشاط المعمارى فى عهد «توت عنخ آمون» كاد أن ينحصر أغلبه فى معبد الأقصر ، وليس فى معبد الكرنك الذى كان يعتبر المقر التقليدى لكبار كهنة «آمون» .



ومن الحقائق الثابتة أن «آى» كان في واقع الأمر وصياً على العرش أثناء حكم «توت عنخ آمون» . كما أن الخطاب السرى الذى أرسلته «عنخ اسن آمون» أرملة «توت عنخ آمون» لطلب المساعدة من ملك الحيثيين ، يدل بشكل قاطع على أن «آى» لم يكن من أعضاء العائلة المالكة .

وربما انتهى المطاف بتلك الأرملة بأن أصبحت ضمن الحرم الخاص بالملك «آى» بعد أن جردت من لقب «الملكة» أو حتى من لقب «الملكة السابقة» . وطوال عهد «آى» ظل لقب الملكة قاصراً على زوجته الأصلية ، وكان اسمها «تى TY»^(٦) ، فهى وحدها التى ظهرت بجانبه فى كافة الرسوم والمناظر المصورة بمقبرته .

ويقول «هورنوخ» أن الخاتم الذى عثر عليه ويحمل اسم «عنخ اسن آمون» مقروناً باسم «آى» لا يكتفى كدليل لاثبات أن الملك قد تزوج من هذه الأرملة . كما أن الافتراض القائل بأن هذا الخاتم يثبت أن الملكة الأرملة قد وافقت على قيام «آى» بالوصاية على العرش ، لا يستقيم أيضاً مع الحقيقة التى تؤكد أن «عنخ اسن آمون» هى 'مرسلة الخطاب السرى إلى «شوپيلولوما SUPPILULIUMA»^(٧) ملك الحيثيين ليرسل لها أحد أبنائه ليتزوجها ويصبح بالتالى فرعوناً على مصر . ولاشك فى أنه لو نجحت خطة هذه الأرملة ، لكان فى ذلك القضاء المبرم على «آى» نفسه .

وهناك رأى آخر مفاده أن «آى» كان جداً «لعنخ اسن آمون» . غير أن هذا الرأى يستند إلى تبرير ضعيف .

أما التبرير الصحيح لارتقاء «آى» عرش مصر بعد موت «توت عنخ آمون» ، فيستند إلى ازدياد أهمية الدور الفعال للطبقة العسكرية فى توجيه السياسة الداخلية للبلاد منذ أيام العمارنة وما بعدها . كما يستند أيضاً إلى مركز «آى» القيادى فى القوات المسلحة ، باعتباره عضواً فى النخبة الممتازة من طبقة العسكريين وأعلامهم منصباً وأقواهم نفوذاً .

وبعضد «هورنوج» الفكرة القائلة بأن «حور محب» قد وصل إلى مناصبه الرفيعة في عهد «توت عنخ آمون» بفضل توصية من «آى» ، الذى كان يعتبره من أقرب معاونيه . تماماً مثلما ارتقى «بارعمسيس» عرش مصر بفضل توصية من «حور محب» .

وكان «آى» هو مخطط ومنفذ الاتجاه الدينى الذى ربما بدأ في عهد «سمنخ كا رع» واستمر في عهد «توت عنخ آمون» الذى أدى إلى تحقيق نوع من التوازن الدقيق بين جميع الديانات والعبادات الرئيسية التى كانت معروفة بمصر في فترة ما قبل العمارنة .

وعندما تولى «آى» عرش مصر ، تجلى هذا الاتجاه فيما بناه من معابد ومنشآت دينية في خلال السنوات الأربع التى استمر فيها حكمه . فقد قام ببناء معبد جنائزى لنفسه في مكان قريب من «مدينة هابو» . كما وجدت له بعض الآثار في معبدى الكرنك والأقصر ، كما بنى معبداً في «إخميم»^(١) تكريساً وتكريماً للاله «مين MIN» . كذلك فقد بنى معبداً جنائزياً آخر في «أيدوس» التى كانت تعتبر المقر المقدس القديم للاله «أوزيريس» ، علماً بأن عبادة هذا الاله الأخير ، كانت قد حرمت تحريماً كاملاً في عهد العمارنة .

وعلى النصب التذكارى الذى يتضمن مراسيم الاصلاح ، والذى أقيم في عهد «توت عنخ آمون» ، والذى اغتصبه «حور محب» في السنة الثانية ، أو ربما في السنة الثالثة من حكمه ، نجد نصاً يقول أن «آى» ومعه معاونيه العسكريين ، كان صاحب المبادرة في وضع سياسة الاصلاح الدينى في خلال عهد الملك الصغير ، «توت عنخ آمون» .

ويشير «هورنوج» إلى جعران - لم يدرس علمياً بعد وموجود الآن ضمن إحدى المجموعات الأثرية الخاصة في سويسرا . ويتضمن هذا الجعران اسم «آى» مسبوقاً بلقبه المعروف «الأب الالهى» ولقب «ولى العهد» ولقب «الأمير الوراثى» . ويؤيد «هورنوج» الفكرة التى قال بها كل من «هالك» و «ك. سيل» و «ب. نيويرى» ومؤداها أن «آى» كان يشغل منصب «الوزير» في عهد «توت عنخ آمون» .

وبالرغم من أن «فون بكرات» يؤيد الفكرة القائلة بأن «آى» - وليس «حور محب» - كان الرجل القوى الذى يقف خلف «توت عنخ آمون» ، إلا أنه حاول أن يقدم شرحاً للصراع الذى يشاع أنه قد حدث بين «آى» و «حور محب» . وهو الصراع الذى اعطاه «هلك» صورة درامية يفترض فيها أن «حور محب» قد قام «بانقلاب» ضد أى أثناء الزيارة التى قام بها هذا الأخير لمقر القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية بمدينة منف .

وبحلول «فون بكرات» أن يجد جذوراً لهذا الصراع المتصور المزعوم ، فى تلك العلاقات التاريخية التقليدية بين الديانات والعقائد المصرية القديمة ، التى كانت سائدة فى كل من شمال وجنوب البلاد . ويقول انه بالرغم من أن «حور محب» قد ولد فى الولاية أو المقاطعة الثامنة عشر من مقاطعات الوجه القبلى^(١٠) ، إلا أن اقامته الفعلية كانت بمدينة منف ، حيث يوجد الجيش وقيادته العامة . ولذلك فقد عاضد «حور محب» المراكز الثقافية والدينية الموجودة فى شمال البلاد . وفى نفس الوقت كان «آى» يمثل التيار الثقافى والدينى الذى كان سائداً فى جنوب البلاد ، والذى كان يقصد - منذ أيام العمارنة - إلى تصفية المراكز الثقافية والدينية الموجودة فى الشمال . وعلى هذا الأساس قام «حور محب» بانقلابه ضد «آى» فى السنة الرابعة من حكمه .

غير أننا نختلف كثيراً مع تلك الفكرة ، ونرى عدم وجود أى سند يؤيد الفرضية القائلة بأن «حور محب» كان يفضل الثقافات والعقائد السائدة فى الشمال أكثر من «آى» نفسه . ذلك لأن كلاهما كان ضابطاً كبيراً بالجيش المصرى . وتلقياً تعليمياً متاثلاً ، أتاح لهما خلفية ثقافية متاثلة كما أن «آى» نفسه كان ينتمى إلى «إخميم» ، وهى مدينة لا تبعد كثيراً عن المقاطعة الثامنة عشر بالوجه القبلى والتى ولد بها «حور محب» .

وقد رأينا من قبل أن النقوش والنصوص التى عثر عليها بمقبرة «آى» تدل على التقليل من إضفاء صفات الألوهية عليه ، وذلك بالمقارنة مع صفات الألوهية التى اسبغت على سلفه كما تثبتها النصوص المنقوشة بمقبرة «توت عنخ آمون» . ولاشك فى أن ذلك التفاوت كان فعلاً مقصوداً تم بمعرفة كهنة «آمون» الذين لم يروا فى «آى» نصيراً لهم أو مؤيداً لخططهم فى إحياء واستعادة سلطاتهم القديمة ونفوذهم الغابر .

ومن الحقائق الثابتة أن المرسوم الخاص بتتويج «حور محب» ، يثبت أنه بالرغم من أن «حور محب» قد اتخذ الاله «حورس HORUS»^(١) راعياً وناصراً له ، إلا أنه قد قام في نفس الوقت بزيارة طيبة حيث لعب «آمون» دوره التقليدى فى احتفال التتويج .



وتدل بعض الآثار التى تركها الحيشون على أنهم سجلوا حوادث الحرب التى نشبت بينهم وبين الجيش المصرى بعد موت «توت عنخ آمون» والتى يرجع سببها إلى قيام المصريين باغتيال الأمير الحيشى الذى كان قادماً إلى مصر لاعتلاء عرشها بعد أن يتم زواجه من «عنخ اسن آمون» أرملة «توت عنخ آمون» .

ونحن نعارض الرأى الذى يقول به بعض المؤرخين بأن دوائر طيبة التقليدية كانت أول من طالب باتخاذ الاجراءات لاصلاح الأوضاع فى ممتلكات الامبراطورية المصرية فى الأقاليم الآسيوية . ذلك لأن مثل هذا القرار كان أولاً وأخيراً بيد الجيش .

ونرى كذلك أن التحول مرة أخرى إلى التمسك بالديانات المصرية الرئيسية ، كان فى حقيقة الأمر قراراً سياسياً اتخذته قيادات الجيش ، لتحقيق نوع من «السلام الاجتماعى» بداخل البلاد ، وذلك حتى يتفرغ الجيش إلى تنشيط الأعمال الحربية فى المناطق والأقاليم الآسيوية التابعة للامبراطورية المصرية .

وبالإضافة إلى ذلك ، فمنذ عهد «امنحتب الثالث» حين كانت لدى كهنة «آمون» سلطات واسعة ، وعلى وجه الخصوص بالنسبة لكل من الكاهنين «مرى بتاح MERI PTAH» و «بتاح موسى PTAH MOSE» اللذين كانا يمثلان كبار كهنة «آمون» فى ذلك العهد ، لم يعد كبار الكهنة فى مصر يتمتعون بمثل تلك السلطات الواسعة ، ولم بعد فى استطاعتهم ممارسة أى دور مؤثر فى أوضاع البلاد .

ومن المرجح أنه في طوال الفترة الزمنية الفاصلة بين عهد «توت عنخ آمون» وعهد «رمسيس الثانى» فى الأسرة التاسعة عشر ، كان كهنة «آمون» لا يتمتعون إلا بقليل من الامتيازات المتواضعة . وهذا يؤكد أن المقاومة كانت قائمة ومستمرة ضد رغبات كهنة «آمون» بطيبة طوال تلك الفترة ، وأن هذه الطبقة من الكهنة كانت مجردة من أية قيادة قوية تأخذ بيدها فى الصراع الذى خاضته لاستعادة سلطاتها ونفوذها السابق .

هذا ولا يمكن إغفال رد الفعل الدينى لدى جماهير الشعب المصرى ضد الديانة «الآتونية» الجديدة أثناء أزمة العمارنة . بل ويمكن القول بأن قرارات الإصلاح الدينى التى اتخذت فى أعقاب فترة العمارنة ، كان يقصد منها أيضا محاولة ارضاء عامة الناس وطمأنتهم . وقد ظل هذا رد الفعل الشعبى آخذاً فى الانتشار بين الناس ، حتى بلغ أوج ذراه بعد جيلين - على الأقل - من موت «أخناتون» .



وقد عثر على نص فريد منقوش على أحد اثار «بانوبوليس PANOPOLIS»^(٧) وقد كتب لتمجيد الملك «آى» ولكنه للأسف مدمر بشدة وفقد بعض أجزائه . ومع ذلك فيمكننا أن نقرأ فيه ما يلى :

«...لقد حدث . وكان (آى) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى هو (نسو - منخ nsw - mnh) (أى الملك الصالح) على كل البلاد . وفى يوم من ذات الأيام . كان جلالته يبحث عن الأشياء الصالحة والمفيدة لكل الآلهة - آبائه - وذلك لكى يزين بها المحارب المقدسة لكل الآلهة ويزين بها معابدهم» .

ورغم أن هذا النص بلا تاريخ يحدد العهد الذى كتب فيه ، إلا أنه بالتأكيد قد كتب بعد موت الملك «آى» وقد كتب بصيغة قصصية تتمثل فى جملة : «وفى يوم من ذات الأيام ، بينما كان جلالته ...» .

ويذكرنا هذا النص بنص مماثل ، كتب على نصب تذكاري يرجع تاريخه إلى السنة الأولى من عهد الملك «أمازيس AMASIS» الذي يحكى فيه كيف انه قام بتكريم سلفه - وعدوه - الملك (أبريس APRIES) ^(٨) ، وأعد له مدفناً يليق به كفرعون كان يحكم مصر . ويقول النص : «أن جلالته قد قام بدفن الملك أبريس مع غيره من (نسو - منخ) - أى الملوك الصالحين» .

وهناك نص آخر ذكرت فيه الأسطورة الخاصة بالولادة الالهية للملكة «حتشبسوت» وجاء فيه : «... أن الملكة ستقوم بدور الملك الصالح على كل الأرض».

وفى « بردية وستكار WESTCAR PAPYRUS » ^(٩) أشير إلى الملوك الشباب الثلاثة الذين سيقون عرش البلاد بأنهم سيؤدون دور «الملك الصالح» .

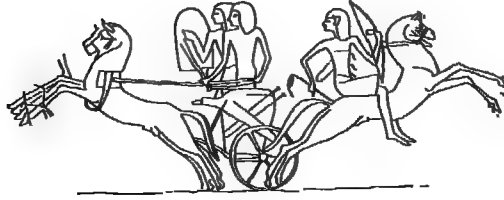
كذلك فهناك النص المنقوش على النصب التذكاري المنحوت من الألبستر على شرف الملك «سيتى الأول» والمقام بمعبد الكرنك ، وقد وصف فيه «سيتى الأول» بأنه «نسو - منخ» - أى الملك الصالح - الذى يصنع كل الأشياء الطيبة .

وفى مصطبة «كاجمنى KAGEMNI» ^(١٠) بسقاره نص آخر وصف فيه الملك «سنفرو SNOFRU» ^(١١) بأنه : «ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سنفرو . المبرأ من كل إثم ، (نسو - منخ) - أى الملك الصالح - على كل الأرض» .

وكان من المعتاد أن يطلق المصريون القدماء لقب «نسو - منخ» أى «الملك الممتاز EXCELLENT KING» أو «الملك الصالح BENEFICENT KING» على كل ملك متميز يروونه أهلاً لمزيد من الحب والاحترام والتبجيل .

وهكذا نخلص من دراستنا لعهد الملك «آى» بأننا أمام ملك كان على قدر كبير من الأهمية ، على الأقل فى عيون معاصريه ، وعيون الجيل الذى تلاه . ومع ذلك فقد تعرض هذا الملك فيما بعد إلى اللعنات ، وذلك فى أثناء كتابة التسجيل التاريخى والزمنى لقائمة الملوك المصريين ، التى دونت فى عصر الرعامسة .

وعلى أية حال فمن المؤكد أن سياسة الإصلاح الدينى التى خطط لها «آى»
وقام بتنفيذها ، والتى تهدف إلى إعادة وإحياء كل الديانات والعقائد المصرية التقليدية
القديمة ، مع تحقيق قدر من التوازن المحسوب بين جميع هؤلاء الآلهة وبين الاله «آمون» ، هذه
السياسة الواعية قد طبقت بمحذافيرها بواسطة جميع الملوك الذين تولوا عرش مصر من بعده ،
والذين كانوا يختارون من بين كبار الضباط أبناء الجيش المصرى .



الفصل الثالث

النتائج السياسية لثورة العمارنة

ويتضمن المبحثين التاليين :

- المبحث الأول : الدلالة التاريخية لنص مرسوم تنويع حور محب .
- المبحث الثاني : سياسة حور محب الإصلاحية .

المبحث الأول

الدلالة التاريخية لنص مرسوم تتويج حور محب .

كان تتويج «حور محب» [صورة ٢٩] فى حقيقة الأمر ، تكريساً وتثبيتاً جلياً للنصر الاجتماعى الحاسم الذى حققته طبقة العسكريين ، بعد صراعها الطويل للحصول على السلطة والقوة والسيطرة الكاملة على كل مقدرات البلاد .

ولاشك أن ثورة العمارنة قد فتحت أوسع الأبواب أمام هذه الطبقة لتحقيق انتصاراتها فى كافة الميادين ، خصوصاً بعد أن قامت الثورة بالقضاء على سلطة ونفوذ كهنة «آمون» وطبقة النبلاء من كبار الموظفين التقليديين بطيبة .

وقد كتب نص مرسوم التتويج على ظهر تمثال محور محب المعروض حالياً بمتحف «تورين» TURIN ، ويتضمن النص فقرة فريدة جاء فيها :
«... لقد أخذ - أى الملك - يبحث عن مرابض ومعابد الآلهة التى أصبحت خراباً . وقام باصلاحها وترميمها حتى أصبحت فى نفس الشكل الذى كانت عليه فى العصور القديمة . وأوقف عليها القرايين المنتظمة التى تقدم إليها كل يوم . كما زين هياكلها بالذهب والفضة . وعين لها الكهنة العاديين والكهنة المرتلين . الذين اختارهم من الصفوة الممتازة من رجال الجيش» .

ولعل هذا النص يذكرنا بنص «مرسوم الاصلاح» المنقوش على النصب التذكارى الذى يعود تاريخه إلى السنة الرابعة من حكم «توت عن آمون» ، والذى يعدد فيه الملك الاصلاحات والترميمات التى قام بها لتعمير المعابد والهياكل الخاصة بآلهة وآلهات مصر ، الأمر الذى يعطينا صورة عن الحالة السيئة والتخريب الذى لحق بالمعابد المصرية كنتيجة لعقيدة

التوحيد التي نادى بها ثورة العمارنة . وقد جاء بنص هذا المرسوم الاصلاحى «لتوت عنخ آمون» مايفيد بأن «كل المعابد من طرف الأرض حتى طرفها الآخر قد هجرت . وسقطت محاربيها وهياكلها وتحولت إلى خرائب ، ولم يحدث لها مثل هذا من قبل أبداً» .

أما الفراغ الذى ملأه «حور محب» بقيامه بتعيين الكهنة العاديين والكهنة المرتلين الذين اختارهم من بين رجال الجيش ، فيبدو أمراً معقولاً فى ضوء ماهو معروف من أن نسبة كبيرة من أبناء الشعب المصرى كانوا ضالعين - كلياً أو جزئياً - فى العمل بالخدمة الدينية .

وبصفة عامة فقد تميز عصر «الدولة الحديثة» بكثرة من عملوا فى السلك الدينى من أبناء الشعب ، وعلى سبيل المثال ، فإن ربع عدد الدفنات فى مقابر منطقة «أبيدوس» على الأقل ، كان أصحابها من الكهنة ورجال الدين .

وفى رأى أن الانتقال والتحول الواسع النطاق من السلك العسكرى إلى السلك الدينى ، قد ترك بصماته على طبيعة تركيب المجتمع المصرى ، وأيضاً على الظروف الاجتماعية والأحداث التاريخية التى صاحبت أواخر عصر «الدولة الحديثة» .



وكان التحول الالزامى إلى اتخاذ سياسة دفاعية فى الأقاليم الآسيوية فى أعقاب ثورة العمارنة ، متزامناً مع الدور المتزايد الذى لعبه الجيش فى الحياة الداخلية بالبلاد .

وكان اضطلاع الجيش بحمل أعباء السياسة الداخلية للدولة ، بالإضافة إلى مواجهة الاضطرابات والمشاكل الدينية ، سواء فى أثناء ثورة العمارنة ، أو فى الفترة التى تلتها ، هو الخيار الوحيد أمام انتهاج السياسة العسكرية الدفاعية فى الأقاليم الآسيوية التى كانت تابعة للإمبراطورية المصرية .

وحتى بالنسبة للهجمات المضادة التى قامت بها القوات المسلحة المصرية فى تلك الفترة ، فهى لا تعدو أن تكون مجرد مواقف دفاعية نفذت فى الاطار العام لاستراتيجية الدفاع التى انتهجتها السياسة المصرية .

وكان السلام الاجتماعى الداخلى ، يعتبر واحداً من أهم الأهداف التى سعى إلى تحقيقها الملك «آى» حتى يمكنه التفرغ لوضع سياسة حاسمة لوقف الاخطار التى تتهدد الأقاليم السورية ، ووضع حد للتدخلات والهجمات التى كان يشنها الحيثيون ضد هذه الأقاليم .

أما «حور محب» فقد أخذ على عاتقه مشروع تحقيق السلام فى المناطق والأقاليم الآسيوية ، وليس من المستبعد انه قد عقد معاهدة مع الحيثيين لتحقيق هذا الغرض .

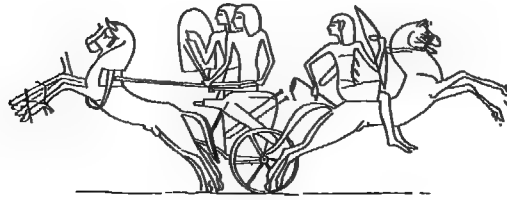


وقد لوحظت قسوة العقوبات الجنائية فى بعض القوانين والمراسيم التى صدرت فى عهد «حور محب» . كما صدرت قوانين جنائية أخرى مماثلة لها فى عصر الرعامسة . ولم تلاحظ مثل تلك القسوة فى انزال العقوبات فى القوانين والمراسيم المصرية التى صدرت فى العصور السابقة .

ولاشك أن صرامة هذه العقوبات الجنائية توضح لنا حدوث مخالفات قانونية خطيرة ضد النظام العام فى خلال ثورة العمارنة وفى أعقابها .

وثمة احتمال كبير فى أن الوضع السياسى الحرج الذى واجهه الملك «آى» وكبار قواد الجيش فى أعقاب أزمة التوحيد ، قد أدى إلى أن تتجاهل السلطة - ولو مؤقتاً - الكثير من المخالفات والجرائم وسوء استخدام السلطة ، التى ارتكبها رجال الجيش والموظفون العموميون .

ولذلك فقد اضطر «حور محب» إلى مواجهة هذه الحالة بشيء من الصرامة ، خاصة وأنه كان يعمل على إقرار النظام العام وإعادة الضبط والربط في فرق الجيش وفروعه . وفي نفس الوقت ، كان يكافئ ضباط الجيش الذين كانوا سنده الحقيقي لاعتلاء العرش - طبقا لما ذكره في مرسوم تنويجه - وذلك بأن أعطاهم الفرصة في تولي الوظائف الكهنوتية بالمعابد المصرية ، الأمر الذى يعنى سيطرتهم على أهم جانب من موارد الاقتصاد القومى بالبلاد .



ويعطينا «السير آلان جاردنر» صورة للكيفية التى تم بها الاحتفال بتتويج «حور محب» فيقول : «ليس من الصعب أن نتخيل صورة تفصيلية لاحتفالات تتويج الملوك التى كانت تجرى بمعبد الكرنك .. فقد تقدم الملك أمام جمع مهيب من ضباط الجيش ، وحكام الأقاليم الرئيسية يصطفون خلفه .. بينما يقوم الكاهن الأكبر بعرض الصورة التقليدية الجميلة للمعبود حورس ...» .

وفي رأى أن عملية ارتقاء «حور محب» عرش مصر ، كانت بداية مرحلة تاريخية مميزة ، تولى فيها المحاربون من أعضاء الطبقة العسكرية ، الاشراف المباشر على أكبر جانب من الموارد الاقتصادية بالبلاد ، وهى الموارد المخصصة للأنشطة الدينية في مصر .

ومن الغريب أن تفسخ الأقاليم التابعة للإمبراطورية في الشرق ، قد أدى إلى تقلص النشاط الحربى المصرى خارج الحدود . وأدى أيضا إلى انغماس الجيش والطبقة العسكرية في الهيمنة على المقدرات الداخلية بالبلاد . وكانت هذه النظرية ظاهرة عامة لونت شكل الحياة الداخلية بمصر ، وكان لها أخطر العواقب والنتائج السيئة في أواخر عصر «الدولة الحديثة» .

ونعيد إلى الذكر ما سبق أن أشرنا إليه من أن «حور محب» كان يشغل مناصب عالية في عهد «توت عنخ آمون» حيث كان الحاكم الفعلي بالبلاد نتيجة لتولية منصب «مر - بر - ور» - أى المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية . إلا أن «حور محب» كان نادراً ما يشير إلى مناصبه ووظائفه المدنية ، وكان يفضل دائماً ذكر مناصبه ورتبه العسكرية باعتباره «القائد العام للقوات المسلحة المصرية فى الأرضين» . ومن المحتمل أن يكون «حور محب» قد تخلى عن مناصبه المدنية واقتصر على شغل مناصبه العسكرية فقط فى عهد الملك «آى» . وربما يرجع ذلك أساساً إلى نشوب الحرب بين مصر والحيتيين فى اعقاب مصرع الأمير الحيتى «زنانزا ZANNANZA» الذى كان قادماً ليتولى عرش مصر بعد أن يتزوج من أرملة «توت عنخ آمون» .

ومن الملاحظ أن «حور محب» قد استعمل فى مرسوم تنويجه لقب «النائب فى حكم الأرضين» وهو لقب لم يظهر أبداً على أى أثر يرجع إلى الفترة السابقة على توليه الملك . ومن المحتمل انه قد استعمل هذا اللقب لتعظيم موقعه وتدعيم حقه فى المطالبة بالعرش . خاصة وأنه لم يشر فى مرسوم تنويجه إلى أى لقب من ألقابه العسكرية . ولكن الشئ المؤكد أن «حور محب» قد اعتمد أساساً على القوة العسكرية للجيش فى تولى العرش .

ويقول بعض المؤرخين أن «حور محب» قد اعتمد على زوجته «الأميرة موت نجمت MUTNEDJMET»^(١) باعتبارها «الأميرة الوراثية» وذلك حتى يعطى لمطالبته بحق تولى العرش صبغة شرعية ، مثلما حدث تماماً من قبل ، حين تزوج «آى» الملكة «عنخ اسن آمون» أرملة «توت عنخ آمون» لتصبغ على توليته العرش صفة الشرعية .

ولكن حتى إذا سلمنا بتلك الفرضية ، فمازلنا فى حاجة إلى معرفة كيف تسنى لهذين الضابطين بالذات ، وهما فى الأصل من أبناء الأسر العادية وليس من سلالة أشراف ونبلاء طيبة ، أن يرتقيا عرش مصر ، واحداً وراء الآخر حسبما تؤكد حداث التاريخ .

ومن المحتمل أن تكون الاجابة الصحيحة على مثل هذا التساؤل ، أن «خط الذكور» فى العائلة المالكة قد انقطع بعد موت «توت عنخ آمون» . وبقي «خط الاناث»

وحده . ومع ذلك فلا يمكن اغفال أن كلاً من «آى» و «حور محب» كان يستند إلى منصبه العسكرى الخطير ، الذى كان يتيح له قيادة جيش ضخّم العدد والعدد ، ليس له مثيل سابق فى التاريخ المصرى ، وأن هذا الجيش كان السند الرئيسى الذى أتاح لكل منهما أن يرتقى عرش مصر .



هذا النصر السياسى المؤزر الذى أحرزته الطبقة العسكرية فى صراعها للحصول على السلطة والنفوذ ، كان لابد أن يؤدى فى النهاية إلى سيطرة هذه الطبقة وهيمنتها على أوجه وأنشطة الحياة الدينية والعقائدية فى جميع أنحاء البلاد . وكانت هذه النتيجة نوعاً من التطور الحتمى لأحداث التاريخ ، وذلك بصرف النظر عن المركز العسكرى القيادى الذى كان يتولاه كل من «آى» و «حور محب» .

أما سياسة إحلال العسكريين محل رجال الدين التقليديين فى الوظائف الكهنوتية ، فتبدو منطقية حسب طبيعة العصر ، حيث لم يكن هناك انفصال قانونى بين الوظائف المدنية والوظائف الدينية ، أى لم يكن هناك فصل بين الدولة والمعبود ، خصوصاً فى عهد الحكام الأقوياء .

وهذا يفسر لنا إلى حد كبير حرص الملك «آى» على أن يشير إلى لقبه الدينى «الأب الإلهى» ضمن اسمه فى الخراطيش الملكية ، وحرصه على تعيين «حور محب» فى وظيفة دينية عليا ، وهى «المشرف على كهنة كل الآلهة فى الأرضين» .

وهذه السياسة قد أخذت تنمو بالتدريج ، مصاحبة للنمو المستمر فى قوة الطبقة العسكرية وسيطرتها على مقدرات البلاد فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر .

وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى النص المكتوب على ظهر تمثال «حور محب» المعروف بمتحف «تورين» ، والخاص بمرسوم تنويجه ملكاً على مصر ، على أساس أنه وثيقة رسمية تثبت التصعيد المستمر لهذه السياسة .

المبحث الثانى

سياسة حور محب الاصلاحية .

كان من الواضح منذ البداية أن سياسة «حور محب» نحو الأقاليم الآسيوية التى كانت تابعة للإمبراطورية المصرية ، تنحصر فى مبدأين : أولاها تحييد الخطر المحتمل من جانب الحشيين . وثانيهما وضع حد للقلق والاضطرابات التى أحدثتها قبائل «الخايبرو KHABIRU» البدو الرعاة فى مناطق فلسطين ، وذلك لكى يتفرغ للتركيز على السياسة الداخلية ، ولإنهاء المشاكل التى تراكمت منذ حدوث الثورة الدينية .

وقد لاحظنا من قبل أن الملك «آى» لم يتمكن من علاج التفسخ الذى لحق بالجهاز الإدارى فى مصر ، كما لم يتمكن أيضا من وضع حد لمخالفات سوء استخدام السلطة التى كان يرتكبها الجنود ورجال الجيش .

وفى القانون الذى أصدره «حور محب» نجد أن خمس مواد من عشرة ، تضع العقوبات المناسبة للجرائم التى يكون المذنب فيها من رجال الجيش ، ورغم عدم دقة ترجمة نص هذا القانون بسبب الحالة السيئة للنقوش وقلة الجانب السليم منها ، فيبدو أن المواد الخمس الأخرى من هذا القانون كانت تنص على العقوبات التى تطبق على مرتكبي الجرائم المشابهة .

ونظراً لأن الوضع السياسى الداخلى بالبلاد لم يسمح للملك «آى» بأن يعيد النظام وال ضبط والربط للقوات المسلحة ، بسبب اعطائه الأولوية للمشاكل الاستراتيجية ، فقد كان من المقدر على «حور محب» أن يواجه جميع هذه المشاكل المؤجلة . وذلك على أساس أن الاصلاحات الداخلية المتعلقة بإقرار النظام العام وإعادة الضبط والربط للقوات المسلحة ، كانت الطريق الوحيد أمام «حور محب» لكى يتمكن من إصلاح الأوضاع الاقتصادية والأوضاع الدينية فى طول البلاد وعرضها .

وقد ذكرنا من قبل أن الاقتصاد المصرى كان يقوم على نظام صارم لعملية إعادة توزيع السلع والاحتياجات بين الناس . وأن هذا النظام كان يضرب بجذور عميقة فى الروح التقليدية التى كانت تسود المجتمع المصرى ، باعتباره من أرقى المجتمعات الانسانية فى التاريخ القديم وأعظمها حضارة .

وفى مثل هذا النظام الاقتصادى البالغ التعقيد ، كان لابد من إعادة التمسك بالتقاليد القويمة التى سادت المجتمع المصرى طوال عصر الأسرة الثامنة عشر ، وانعاشها من جديد .

ونظراً لأن «حور محب» كان يتمتع بعقلية عسكرية ، تساندها خلفية ثقافية وأيدولوجية رفيعة المستوى ، فقد اعتبرت اصلاحاته أساساً قامت عليه سياسة انعاش الروح الامبراطورية ، وما أدت إليه من حتمية إعادة الهجوم العسكرى على المناطق السورية ، فى عهد «الفراعنة المحاربين» الذين قاموا بتأسيس الأسرة التاسعة عشر .

وأياً كانت العلاقة بين «آى» و «حور محب» الذى تزوج من الأميرة «موت نجمت» ، فإن الملاحظ أن «حور محب» لم يتزوج من هذه الأميرة إلا بعد أن أصبح بالفعل ملكاً على مصر .

وقد استمر حكم «حور محب» أكثر من عشرين عاماً ، وعلى وجه اليقين فقد كان حكمه هو الأرض الصلبة التى تمت عليها كل الانجازات الاقتصادية والعسكرية والدينية فى بداية عصر الرعامسة .

وكان خليفة «حور محب» على عرش مصر ، واحداً من الضباط المقاتلين ، وهو «رمسيس الأول» الذى يعتبر سليلاً لأحدى العائلات العسكرية التقليدية . وكان أبوه «سيتى» ضابطاً بالجيش برتبة «قائد وحدات عسكرية» . بينما كان «رمسيس الأول» نفسه يشغل منصب «قائد سلاح الفرسان» فى عهد حور محب ، ثم رقاها «حور محب» فيما بعد إلى منصب الوزير .

وكان هذا التطابق الحرفى فى سياسة كل من «آى» و «حور محب» فى اختيار وتعيين خليفته على عرش مصر ، خير دليل على الطبيعة العسكرية التى سادت نظام الحكم فى مصر بعد سقوط وفشل ثورة العمارنة .



أما القانون الجنائى الذى أصدره «حور محب» فقد لوحظ أنه لم يتضمن أى نص بتأثير أو تجريم «الهرطقة» فى الدين ، أو فرض أى عقوبة مباشرة على مرتكبها . وذلك بالرغم من أن «حور محب» قد شجب الثورة نفسها ، تماماً مثلما فعل «توت عنخ آمون» وسجله على النصب التذكارى الذى يتضمن نص مرسومه الاصلاحى .

ومع ذلك فأننا نلمس أثر العمارنة على نص قانون «حور محب» خصوصاً بالنسبة لمقدمة القانون التى كتبت بلغة مبسطة أقرب ما تكون إلى العامية ، وهو أمر كان نادر الحدوث فى النصوص الرسمية للقوانين والمراسيم .

كذلك فإن القانون بمواده العشرة ، يقرر حماية الطبقة العاملة من أى اضطهاد أو سوء معاملة . الأمر الذى يعنى حدوث عديد من المخالفات وسوء استخدام السلطة من جانب رجال الجيش والموظفين المدنيين .

وكان هذا السلوك التشريعى من جانب «حور محب» محل تقدير كبير لدى المؤرخين القدماء الذين أعدوا «قائمة الملوك المصريين» أثناء عصر الرعامسة ، حيث اعتبروه «أول ملك شرعى» تربع فوق عرش مصر بعد وفاة «امنحتب الثالث» .

ويمكن القول كذلك بأن هذا القانون الاصلاحى الذى أصدره «حور محب» لرعاية جماهير الشعب العامل والناس البسطاء ، وحمايتهم من أى ظلم أو جور ترتكبه السلطة ، إنما يغفر له الهجوم الذى شنّه على الديانة الآتونية فيما بعد ، كما يستبعده تماماً من توجيه أى اتهام له بالكفر أو الهرطقة .

ويرى «ك.فلونجر» أن «حور محب» قد أقام نظام حكمه على أساس وضع حد لسوء استخدام السلطة من جانب بعض رجاله من العسكريين والمدنيين الذين تصرفوا دون وازع من العدالة أو مراعاة الضمير . ويضيف «فلونجر» إلى ذلك ، أنه بالرغم من هذا الموقف العادل من جانب «حور محب» لحماية الضعفاء من الأقوياء المستبدين ، فقد تمت من الناحية الأخرى عملية استبعاد رجال الدين الذين كانوا ينتمون إلى عامة الشعب ، وتعيين بعض أبناء طبقة النبلاء المحليين في الوظائف الكهنوتية لمختلف الديانات والآلهة المصرية القديمة المنتشرة في مختلف الأقاليم المصرية .

ولكننا نلاحظ أن «فلونجر» لم يعين على وجه التحديد العهد الملكي الذى تمت فيه عملية تعيين الرجال الذين ينتمون إلى أسر شعبية متواضعة في المناصب الدينية ، بالإضافة إلى أنه يعتبر أن الطريقة «الرجعية» التى تمت بها اجراءات إصلاح وإعادة تنظيم الوظائف الدينية ، قد بدأت بالفعل في عهد «توت عنخ آمون» . وأصبحت هذه الطريقة هى الأسلوب الذى انتهجه «حور محب» أيضا في اصلاحاته الدينية كما أشار إليها في قانونه ، حيث قام باختيار رجال دين جدد من بين الصفوة من رجال السلك العسكرى ، وعينهم في وظائف الكهنة العاديين والكهنة المرتلين .

وقد حرص «حور محب» على تسجيل اصلاحاته الدينية في نص المرسوم الخاص بتتويجه حيث قال :

«... وقام جلالته بتجديد كل معابد الآلهة . من أحراش الدلتا وحتى منطقة (تو - ستى TO - STI) في الجنوب .. لقد قام بتعمير أماكن الآلهة التى كانت قد تحولت إلى خرائب في هذه الأرض . وأعادها إلى ما كانت عليه في العصور القديمة ..»

وبصرف النظر عن المبالغات التقليدية المعتادة التى وردت في صياغة هذا النص ، إلا أننا يمكن أن نستنتج منه أن قصر الفترة التى قضاها كل من «توت عنخ آمون» و «آي» في الحكم ، لم تتح لأى منهما أن يحقق إصلاحاً شاملاً لجميع العبادات والديانات المصرية القديمة ، فكان من المحتم أن يقوم «حور محب» باستكمال هذه الإصلاحات ، وانعاش الديانات والعبادات القديمة في بقية أنحاء البلاد .

ونحن نرى أن الشهرة والسمعة الطيبة التي اكتسبها «حور محب» وتبوأ بها تلك المكانة الرفيعة في أعين الأجيال التالية لعهدده ، حيث اعتبروه أول فرعون شرعى يتولى العرش بعد موت «امنحتب الثالث» ، كانت بسبب قيامه بهذه الاصلاحات الدينية التي شملت تجديد المعابد والهياكل المقدسة في كل الديار المصرية ، إلى جانب جهوده الموفقة في الاصلاحات الادارية والاقتصادية .

وعلى هذا يمكن القول بأن «حور محب» لم يكن أكثر رجعية من خلفائه من الملوك الذين تجاهلهم واضعو «القوائم الملكية» في عصر الرعامسة .

وبالنسبة للأحوال الاقتصادية والسياسية التي سادت في عهد «حور محب» ، فإن الأمر لا يغير كثيراً في النتيجة التي تحققت بالنصر التاريخي الذي أحرزته الطبقة العسكرية على كهنة طيبة وحلفائهم من طبقة كبار الموظفين من نبلاء طيبة التقليديين في خلال عصر الأسرة الثامنة عشر . هذا النصر الذي أتاح لطبقة العسكريين أن تهيمن على الحياة الدينية في البلاد ، والذي انتهى باعتلاء ممثلي هذه الطبقة عرش البلاد .

ويخلو نص مرسوم تنويج «حور محب» كما يخلو أى نص آخر أو أثر آخر يرجع إلى عهدده ، من أى دليل على حدوث أى استخدام للقوة في انتقال السلطة إلى «حور محب» بعد موت الملك «أى» .



وقد قام «ر. هارى R. HARI» بدراسة أركيولوجية للآثار التي يرجع تاريخها إلى عهد «حور محب» وانتهى فيها إلى بعض النتائج التي قد تتعارض مع بعض ما هو معروف من المعلومات عن هذا العهد . فهو يرى «حور محب» تماماً من أى ادعاء بأنه قد اتخذ أية اجراءات مضادة ضد آثار أسلافه من الملوك . أو أنه قد اتخذ موقفا رجعيا ضد الهرطقة من بقايا أفكار ثورة العمارنة .

وانتهى «هارى» أيضا إلى دحض الفكرة القائلة بأن «حور محب» مدين في توليه العرش إلى كهنة آمون بطيبة ، باعتبار أنهم هم الذين قاموا باختياره وتنصيبه ملكا على مصر ، وانه لأجل ذلك ، أمر بتدمير الآثار التى تركها ملوك العمارة ، ومحو ذكرهم من الوجود بما فيهم الملك «آى» نفسه ، وذلك فيما عدا آثار الملك «امنحتب الثالث» .

وبهنا في هذا الخصوص أن نشير إلى النظرية التى قال بها «د. فيلدونج D. WILDUNG» عن تلك الظاهرة العامة التى كانت تحدث طوال التاريخ المصرى القديم حيث كان الملوك يغتصبون آثار خلفائهم وينسبونهم إلى أنفسهم ، فهو يفسر تلك الظاهرة بأنها نوع من «استمرارية المُلْك والملكية» التى تنتقل من ملك إلى آخر .

ونحن نرى أن هذه الفكرة تتعارض مع الجدل القائم حول اتهام «حور محب» باغتصاب آثار «آى» و «توت عنخ آمون» ونسبتها إلى نفسه .

ويؤكد «هارى» أن «حور محب» ارتقى عرش مصر ، وليس تاجى الوجه القبلى والوجه البحرى ، باعتباره ملكا شرعياً فى أعين معاصريه .

وبالرغم من انى اتفق مع «هارى» فى كثير من وجهات نظره ، إلا انى يختلف معه فيما انتهى إليه من تهوين أمر الدور الذى أداه الجيش فى عملية تنصيب «حور محب» ملكا على مصر . و «هارى» فى هذا الخصوص يعارض وجهات النظر والآراء التى قال بها كل من «ج. هـ. برستد J. H. BREASTED» و «ج. ويلسون J. WILSON» فى إبراز الدور الهام الذى شارك به الجيش فى الأحداث التى أدت إلى تنصيب «حور محب» ملكا على مصر . ولذلك فإن «هارى» يرى أن الوظائف المدنية العليا التى تولاها «حور محب» هى التى لعبت الدور الحاسم والأكبر فى تنصيبه ملكا . ويشير فى ذلك إلى النصوص المنقوشة على المقبرة التى أعدت «لحور محب» فى منطقة منف قبل تنصيبه ملكا ، حيث نجد أنه كان يشغل سبعة وثلاثين منصبا ، من بينها خمس مناصب فقط ذات طبيعة عسكرية .

ولكن هذه الفكرة محل نظر . ونشير إلى ما سبق أن ناقشناه من ظاهرة الزيادة الملحوظة فى المناصب والألقاب الشرفية التى كان يحرص على تسجيلها «الضباط» أو «كتبة

التجنيد» حين كانوا يتولون الوظائف العامة العليا بعد تركهم الخدمة العسكرية . وهو الاتجاه العام الذى ظهر منذ عهد «امنحتب الثالث» . وقد انتهينا من ذلك إلى أن حرص العسكريين على ذكر العديد من مناصبهم وألقابهم المدنية كان دلالة على ازدياد أهمية الطبقة العسكرية وازدياد نفوذها . كما رأينا أن المناصب والرتب العسكرية التى كان يشغلها هؤلاء الضباط وكتبه التجنيد ، قبل توليهم الوظائف العامة العليا ، كانت هى سندهم فى تقلد تلك الوظائف وتمتعهم بالتالى بالعديد من ألقاب التشريف والتبجيل .

وكذلك فإن مقبرة «حور محب» بمنطقة منف ، تتضمن العديد من المناظر العسكرية التى تعطى احساساً لاشك فيه بالمركز العسكرى الرفيع الذى كان يتقلده من انشئت المقبرة من أجله .

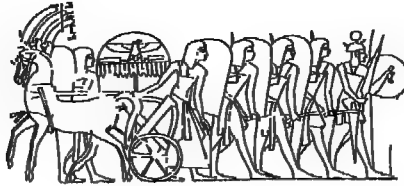
أما ما ذكره «هارى» من أن تقلد «حور محب» لمنصب «الوزير» كان سابقاً على تقلده لمنصب «القائد العام للجيش» فيعتبر مخالفاً للحقيقة التى تؤكد حدوث التطور الذى أدى إلى وصول أحد ضباط الجيش إلى تولى منصب «القائد العام» بعد أن كان حق تولى هذا المنصب قاصراً على أعضاء الأسرة المالكة ، وقاصراً بالذات على «ولى العهد» . إلى أن حدث التطور وتقلد «حور محب» هذا المنصب العسكرى الرفيع ، باعتباره أول واحد من غير أعضاء الأسرة المالكة يتولى هذا المنصب . كذلك فقد رأينا من قبل أن منصب «الوزير» قد أصبح قاصراً على الضباط العسكريين منذ تولى «راعموزا» هذا المنصب فى عهد «امنحتب الثالث» .

وعلى أية حال فإن الملاحظ بصفة عامة أن «هارى» قد استهان كثيراً بالدور الخطير الذى أداه ضباط الجيش . وكان يعتبرهم مجرد «مجموعة من الضباط» دون أن يضع فى الاعتبار الظروف التاريخية والاجتماعية التى أدت إلى ظهور طبقة العسكريين وازدياد أهميتها بالتدريج . ومن الواضح تماماً أنه لم يقدر «حور محب» حق قدره ، باعتباره أحد أقطاب طبقة العسكريين ، وأنه اعتلى منصب «القائد العام للجيش» كما شغل العديد من المناصب والوظائف العليا المدنية . ومع ذلك فقد توصل «هارى» إلى بعض النتائج التى تؤكد توافق سياسة التوظيف فى المناصب العليا بالدولة ، منذ انتهاء أزمة العمارة وحتى تنصيب «حور

محب» ، مع مصالح وأهداف الطبقة العسكرية المتنامية ، والتي أخذت تخطف الضوء من طبقة أخرى أخذ نجمها في الأفول ، وهى طبقة كهنة طيبة وحلفائها من النبلاء من كبار الموظفين التقليديين .

ونود أن نشير فى النهاية إلى نظرية «أرنولد توينبى A. TOYNBEE» فى نشوء وسقوط الحضارات حيث يقول : «أن السمات الأساسية للحضارة المصرية القديمة ، قد أخذت فى الأفول منذ عصر الاضمحلال الثانى - أى بعد سقوط الدولة الوسطى» .

ولكن لو وضعنا فى الاعتبار ذلك الدور الخلاق الذى قامت به الصفوة الممتازة من طبقة العسكريين ، والذى دفع بدماء جديدة تنساب بنشاط فى شرايين الحضارة المصرية ، حتى انهضتها من عثرة «عصر الاضمحلال الثانى» ودفعتها لأن تشق الطريق لتأسيس الامبراطورية المصرية فى عصر «الدولة الحديثة» فإن نظرية «توينبى» تصبح فى النهاية محلاً للمناقشة وإعادة النظر ، لصعوبة قبولها فى ضوء كل هذه الاعتبارات .



الفصل الرابع

النتائج الدينية لثورة العمارنة

ويتضمن المباحث التالية :

- المبحث الأول : مصير عقيدة التوحيد .
- المبحث الثاني : استعادة المركز «الالهى» للملك .
- المبحث الثالث : تفسير المواقف الدينية والسياسية والاجتماعية ضد الديانة الآتونية .

المبحث الأول

مصير عقيدة التوحيد

سقطت عقيدة «التوحيد MONOTHEISM» التي نادى بها الديانة الآتونية ، حين انهارت ثورة العمارنة ، وذلك دون أن يحس بها الشعب المصرى ، أو يدرك مضمونها وفحواها .

كانت الديانة الآتونية عقيدة تداولتها الصفوة المختارة من المثقفين المصريين ، دون أن يعرف الشعب عنها شيئاً . بل وضاعت سدى كل المحاولات التي بذلت لاعادتها إلى الوجود مرة أخرى ، ولو حتى لكى تتعايش مع الديانات والعقائد المصرية الأخرى جنباً إلى جنب [صورة ٣٠] .

ومع ذلك فلا ينفى هذا أن هناك تجديداً قد لحق بديانة «رع» القديمة ، وأدى إلى إعادة تشكيلها وإدماجها - على يد «أخناتون» - في مضامين الديانة الآتونية . ثم قامت الصفوة الممتازة من المثقفين الذين ينتمون إلى طبقة العسكرين بمساندة هذا التجديد الدينى فى العقيدة ، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى نشوب نوع من الصراع بين ديانة «أوزيريس» وغيرها من الديانات والعبادات الشعبية ، وبين ديانات «الشمس» التي كانت تعتنقها الأسرة المالكة والصفوة المثقفة من طبقة العسكرين .

وعلى هذا يمكن القول بأن «عقيدة التوحيد» التي تضمنتها الديانة الآتونية ، كانت مجرد انقطاع تاريخى حدث لفترة قصيرة ، فى التيارات الدينية المتدفقة ، التي كانت تتصف بالديموقراطية والحرية الدينية (حرية العبادة) والتي سادت التاريخ المصرى القديم بأكمله .

وقد لعبت ديانة «آمون» دوراً قيادياً ، وتزعمت الديانات الأخرى في صراعها مع ديانة «آتون» ، تلك الديانة التي يقول عنها «توينبي» : أنها كانت مجرد مبادرة فردية ، قام بها شخص عبقرى واحد هو «أخناتون» الذى قدم فيها نظرية فلسفية لتفسير الحياة والعقيدة وفكرة الألوهية ، إلى جانب رؤية مستحدثة فى الفن



المبحث الثانى

استعادة المركز «الالهى» للملك

فى رأى أن ديانة «آتون» كانت إحياء للصراع الدينى بين عقيدة الشمس ، فى صورتها التقديمية التى تضمنتها ديانة «آتون» ، وبين الديانات والعبادات الشعبية التى شاعت فى مصر منذ عهد الاضمحلال الأول (بعد سقوط الدولة القديمة) . فمنذ هذا العهد ، أصبحت الحقوق الدينية متاحة للشعب بشكل ديموقراطى يقوم أصلاً على فكرة «حرية العبادة» . وقد ظهر ما يثبت هذا الاتجاه ، فيما تضمنته النصوص المنقوشة على التوابيت ، والنصوص المكتوبة فى «كتاب الموتى»^(١) والتى انتشرت فى خلال عصر «الدولة الوسطى» ثم فى خلال عصر «الدولة الحديثة» فيما بعد .

وقد شاع استخدام نصوص «كتاب الموتى» [صورة ٣١] على نطاق واسع فى عصر الدولة الحديثة . وظل هذا الانتشار قائماً حتى فترة نهاية التاريخ المصرى القديم . وهذا الكتاب الذى وضع كهنة «رع» أغلب نصوصه ، يتضمن نوعاً من حلول الوسط ، لتضييق هوة الخلاف بين حقوق الملك وحقوق الرعية فى العالم الآخر .

وعلى هذا يمكن النظر إلى الدعوة إلى عقيدة التوحيد ، باعتبارها إحياء للصراع الدينى القديم الذى حدث فى أواخر عصر «الدولة القديمة» ، مستهدفاً لتحقيق المساواة الدينية فى العالم الآخر .

أما الاله «آتون» نفسه ، فقد ظهر فى نصوص الأدب الدينى ، وظهرت عبادته منذ أيام «الدولة الوسطى» . ولكنه لم يحتل مكانة تذكر فى ضمير الشعب المصرى ، حيث اعتبروه مجرد اسم جديد لاله الشمس .

أما التطور الذى لحق بعبادة «إله الشمس» فى مفهوم الديانة الآتونية ، فقد بلغ قمته فى تحرير إله الشمس - «رع» أو أياً كانت الصور الأخرى التى اتخذها - من الارتباط أو الاقتران بأى إله من الآلهة المصرية الأخرى ، خصوصاً الارتباط الذى قام بينه وبين الاله «آمون» فى شكل الاله «آمون - رع» .

كما أن الديانة الآتونية قد أغفلت ، بل وألغت تماماً الدور الذى كان يؤديه الاله الشعبى «أوزيريس» فى الحياة فى العالم الآخر (فى عالم ما بعد الموت) . وقد تسبب ذلك فى جرح عواطف الجماهير واحساساتها ومشاعرها الدينية .

ولم يحدث طوال التاريخ المصرى القديم ، مثل هذا الذى حدث فى ثورة العمارنة ، حين شمل التحطيم والتدمير جميع الآلهة التقليدية المحبوبة القريبة من عواطف الجماهير ، خصوصاً الاله «آمون» الذى كان رمزاً براقاً يمثل عظمة الامبراطورية المصرية ، ويمثل الشعار الذى بارك كل فتوحات الجيش فى البلاد الأجنبية ، بل والذى كان يعزى إليه أيضاً ، مباركة المحاربين المصريين الذين قاموا بحرب التحرير ، وطردهم الغزاة الهكسوس خارج البلاد .

وقد رأينا من قبل أن نص المرسوم الاصلاحى المنسوب إلى «توت عنخ آمون» يعطينا صورة مأساوية محزنة ، للحالة التى وصلت إليها المعابد وهياكل الآلهة المصرية ، فى أعقاب ثورة العمارنة ، حيث كادت المعابد كلها أن تتوقف عن مباشرة وظائفها الروحية والدينية ، كما غلت أيديها عن مباشرة وظائفها الاقتصادية التى كانت تبشرها من قبل فى طول البلاد وعرضها .

ويرى كثير من المؤرخين أنه طوال تاريخ مصر الفرعونى ، لم يجسر أى فرعون آخر - عدا أخناتون - على معاملة آلهة وآلهات البلاد التقليديين مثل هذه المعاملة الجائرة ، أو يباشر ضدها مثل هذا التدمير والتحطيم والالغاء .



وكان الاعتقاد الدينى السائد بين الناس ، أن للفرعون مركزاً «إلهياً» وطبيعة «إلهية» . وقد لعب هذا الاعتقاد دوراً فى غاية الأهمية طوال عصور الحضارة المصرية القديمة حيث كان تنصيب فرعون جديد فور موت الفرعون الذى كان يحكم ، يعتبر من الناحية الفلسفية ، شرطاً مسبقاً لمنع حدوث كوارث تنصيب الطبيعة بأكملها كما تنصيب الانسان على حد سواء .

وهذا الوضع الالهى الكوفى الذى يكتسبه الفرعون بمجرد توليته عرش مصر ، يدخل فى مجريات الأمور بالحياه اليومية للمصريين . ويقول «سيدل SEIDL» فى ذلك : «فى جميع العقود أو الاتفاقات التى يلتزم فيها أحد الطرفين باداء التزام ما فى المستقبل فإن على الطرف (المدين) أن يقسم باسم الفرعون باعتباره إلهاً ، على أنه سيوفى بالالتزام على النحو المتفق عليه» .

وطبقاً للمفاهيم التى كانت سائدة فى عقيدة «أوزيريس» فإن الاله يتجسد فى الفرعون باعتباره الجالس على عرش «الاله جب GEB»^(١) وعلى هذا فإن القوى الالهية للفرعون إنما تؤول إليه عن طريق الميراث الذى آل إلى أبيه «أوزيريس» فى حضور الاله «جب» .

وعلى أية حال فإن تأصيل وتفسير فكرة ألوهية الفرعون مازالت غامضة ، بسبب ندرة الوثائق القانونية أو المدنية التى تساعدنا فى التفسير والتوضيح . غير أن «هـ. فرانكفورت H. FRANKFORT» يقول فى هذا الخصوص : أن أوضح دليل على ألوهية الفرعون ، هو السلطات المطلقة التى كان يباشرها على الأرض وعلى الناس الذين يعيشون عليها .

وعلى هذا فإن «الملكية الخاصة» للأفراد ، أو المركز أو السلطة التى يتمتع بها فرد ما ، هى فى حقيقة الأمر لاتعدو أن تكون «منحة» من الفرعون لهؤلاء الأفراد .

كذلك فلم يكن هناك وجود مستقل «للعادلة» أو «للقانون» خارج عدالة العرش والقوانين الصادرة عنه . وكان هناك دائماً مبدأ عام متفق عليه ، وهو أن الفراعنة إنما يحكمون طبقاً لمبادئ «ماعت MAAT»^(٢) المرادفة تماماً لفكرة العدل والحقيقة والصدق والصراط المستقيم .

وكانت المسؤوليات الواسعة التي يضطلع بها الفرعون وسلطته المطلقة في الحكم ، تعود جميعها إلى منطق المفهوم التقليدى للألوهية المتجسدة فيه .

وفي نص يشير إلى الملك «امنحتب الثالث» نجد دعاء يقول للملك : «فلتجعل البلاد مزدهرة مثلما كانت في قديم الزمان ، وليكن حكمك طبقا لتعاليم ماعت ..» .

كذلك فقد كان من المسلم به لدى المصريين أنهم يعيشون في رعاية الملك وتحت حمايته ، بل وثبتت بعض الوثائق وجود اعتقاد راسخ بأن للفرعون أثراً كبيراً في حدوث «الفيضان» وأن للفرعون الميت قدرة التحكم في نهر النيل وأحواله .

وهناك كثير من الشواهد التي تشير إلى ظاهرة عبادة الفرعون كإله في عصر الدولة الحديثة ، فهناك مناظر تصور تماثيل الفراعنة وهي تتلقى «القرايين» التي يقدمها «الكهنة المعينون لخدمة تماثيل الملك» . وكما حدث في عصر الأسرة الثامنة عشر ، فقد قام الشعب بإقامة الصلوات الخاصة لعبادة بعض ملوك الأسرة مثل «تحتمس الثالث» و «امنحتب الثالث» على وجه التحديد . ونشير هنا إلى أن هذين الفرعونين بالذات كانا من الفراعنة المحاربين ، وأن البلاد - في عهد كل منهما - قد ازدهرت ازدهاراً كبيراً وامتلاأت بالخيرات .

كذلك فقد قام بعض فراعنة الدولة الحديثة ببناء المعابد المكرسة لعبادتهم ، مثل المعبد الذي بناه «امنحتب الثالث» في منطقة «صولب» بالنوبة ، والمعبد الذي بناه «توت عنخ آمون» في منطقة «فرس FARAS»^(١) بالنوبة أيضاً .



ذكرنا من قبل أن عقيدة التوحيد التي تضمنتها الديانة الآتونية ، والتي ساندتها الصفوة الممتازة من المثقفين الذين ينتمون إلى الطبقة العسكرية ، قد صدمت المشاعر الدينية لجماهير الشعب المصري المحافظة .

ولم يحدث من قبل في التاريخ المصرى القديم ، أن قام أحد فراعنة باستنزال اللعنات على فرعون آخر كان يجلس على عرش مصر فى يوم من الأيام ، ومع ذلك فقد حدث مثل هذا السلوك ضد «أخناتون» حيث أشار أحد الفراعنة فى إحدى الوثائق الهامة إلى أنه «عدو أخناتون» ، وبالتالي فإنه لا يعترف بتعاليمه ، ويعتبرها نوعاً من الهرطقة والكفر والمروق . كذلك لم تتعرض الآثار التى تركها أى فرعون من فراعنة مصر لما تعرضت له الآثار التى تركها «أخناتون» ، والتى لحقها التدمير والتحطيم الغاضب فى جميع المناطق التى أقيمت بها بداخل البلاد .

ومما هو جدير بالذكر ، أن مبدأ «ألوهية الفرعون» كان أحد الاسباب القوية التى منعت الفراعنة الذين تولوا العرش بعد سقوط «أخناتون» وحتى انتهاء عهد «حور محب» من انزال اللعنة على «أخناتون» لأنه كان قبل كل شئ فرعوناً يحكم مصر ، وله مركز الهى لا يس .

ولكن هذه الحالة تغيرت تماماً عندما تولى عرش مصر الفراعنة الضباط الذين قاموا بتأسيس الأسرة التاسعة عشر حيث ظهرت بوضوح الاتجاهات التى تدين «أخناتون» وتلعنه باعتباره مارقا خرج عن حدود الدين .

وهذا الدمار الذى لحقته ثورة العمارة بالروح المعنوية وبالمثل العليا المصرية ، أدى بالتالى إلى دمار مماثل فى الحياة الدينية والثقافية والسياسية التى سادت البلاد فى الفترة التى أعقبت سقوط الثورة . وعلى هذا فيمكن القول بأن فترة العمارة كانت كابوساً ليلياً جثم على صدر البلاد ، ولكن ما أن انقضى هذا الكابوس وانتهى أمره حتى واجهت البلاد عالماً تغير وجهه ، وتغيرت فيه معالم كثيرة .



وفى أعقاب أزمة العمارة ، حرص الفراعنة ، وخصوصاً فى بداية عصر الرعامسة ، على إعادة المركز الالهى للفرعون فى أعين الرعية .

ولعل ذلك هو السبب في حرصهم على انشاء المعابد شديدة الضخامة التي تميز بها هذا العصر . ولأول مرة في تاريخ العمارة الدينية المصرية ، تزين الصروح PYLONS الضخمة لبوابات المعابد بالنصوص والمناظر الحربية التي تسجل المعارك البطولية التي خاضها الملوك ضد اعداء البلاد . ونشير في هذا الخصوص إلى انشاء «قاعة الأعمدة الكبرى» بالكرنك والتي يحتمل أن يكون بناؤها قد بدأ في عهد «حور محب» ، بل وثمة رأى آخر يقول ان بناءها قد بدأ في عهد «امنحتب الثالث» ثم استمرت عملية بناء هذه القاعة الكبرى في عهد «رمسيس الأول» وعهد «سيتي الأول» إلى أن افتتحت بعد أن تم بناؤها تماماً في عهد «رمسيس الثاني» .

وقد تميزت بداية عصر الأسرة التاسعة عشر بعودة الدعوة إلى تأليه «الملك الحي» وعبادته أثناء حياته . وقد ظهر هذا الاتجاه واضحاً في عهد «سيتي الأول» الذي بنى لنفسه معبداً في «أبيدوس» . كما أن «رمسيس الثاني» قد أعلن تأليه نفسه ، وأقام المعابد والآثار الدينية العديدة التي كرست لعبادته في معظم مناطق مصر والنوبة .

وهناك كثير من النقوش والمناظر المرسومة على جدران بعض المعابد التي بناها «رمسيس الثاني» في منطقة النوبة ، نرى فيها الملك باعتباره «الاله رمسيس» . وهناك مناظر أخرى تصور الملك «رمسيس الثاني» نفسه وهو يقوم بتقديم القرابين المقدسة إلى «الاله رمسيس» الذي لا يعدو أن يكون شكلاً «لرمسيس الثاني» في صورته الالهية .

وهناك أيضاً التماثيل المقدسة العديدة التي أقامها «رمسيس الثاني» لنفسه بداخل معظم المعابد التي بناها ، وكانت هذه التماثيل المقدسة على صورة الملك ، وتحمل اسماء خاصة متعلقة بالعبادة . وكانت جميعها محل تقديس وإجلال ، وتقام لها الصلوات بواسطة الملك نفسه ، وبواسطة المتعبدين من رعاياه .

أما التماثيل الجرانيتية الهائل الضخامة ، والذي يصل وزنه إلى أكثر من ألف طن ، والذي أقامه «رمسيس الثاني» لنفسه بمعبد «الرمسيوم RAMESSEUM»^(٥) فقد كان واحداً من العديد من التماثيل المماثلة - وإن كانت أقل ضخامة - والتي كان يطلق عليها اسم

مقدس هو «رع المتأله على الملوك والحكام» . الأمر الذى يعنى بالتأكيد أن هذه التماثيل قد أقيمت لتعبد ولتقام لها الطقوس من كل رعايا الملك .

وفى معبد «أنى سمبل»^(١) نجد تمثالاً «لرمسيس الثانى» وهو يتوسط الثالوث المقدس لآلهة طيبة . هذا بالإضافة إلى العديد من الآثار الأخرى التى ترجع إلى عهده والتى تدل بشكل قاطع على أنه قد أله وعبد اثناء حياته . وعلى سبيل المثال ، المناظر المنقوشة على النصب التذكارية التى أقيمت بمنطقة «قنطير QANTIR»^(٢) بشرق الدلتا ، والتى تصور «رمسيس الثانى» وهو يستمع إلى توسلات الرعية والتماساتها

ويعتبر اتجاه ملوك الرعامسة إلى تأليه أنفسهم ، من أوضح معالم الصراع الأيديولوجى الذى نشب بين الفراعنة وبين كهنة «آمون» . وقد عثر على نقش بمنطقة «دير المدينة» صور فيه «رمسيس الثانى» على قدم المساواة بالاله «آمون» نفسه . بل ولوحظ أن الحروف الهيروغليفية التى كتب بها اسم الملك ، أكبر حجماً من الحروف التى كتب بها اسم الاله .

ومن هذا كله يتبين لنا إلى أى حد كانت عقيدة التوحيد التى تضمنتها الديان الآتونية سبباً فى اهتزاز وزلزلة فكرة المركز الالهى للملوك ، خصوصاً وأن «أخناتون» الذى دعى إلى هذه الحقيقة لم يكن رجلاً عادياً من عامة الناس ، بل كان سليل الملوك الكبار العظام ابناء الأسرة الثامنة عشر .

وحتى تعود فكرة تأليه الملوك إلى سابق عهدها ، لم يكن هناك بد من استئزال اللعنات عليه ، وتجريحه بشكل غير مسبوق فى تاريخ الفراعنة المصريين .

ولم يكن هناك بد أيضاً أمام الملوك الذين تولوا العرش فى بداية عصر الرعامسة ، إلا أن يعيدوا هذا المركز الالهى المقدس التقليدى للفرعون ، على هذا النحو المبالغ فيه ، وأن يجعلوا للفرعون عبادة خاصة تقام فيها الصلوات وتجرى الطقوس .

المبحث الثالث

تفسير المواقف الدينية والسياسية والاجتماعية ضد الديانة الآتونية

كان التحول من الآتونية ، والعودة إلى التمسك بالديانات التقليدية القديمة ، يتم بالتدرج طبقا للسياسة الرسمية للدولة ، وفي نفس الوقت كانت جماهير الشعب قد اسقطت الآتونية من حسابها بصفة عفوية وتلقائيا .

وقد استغرقت «فترة الانتقال TRANSITION PERIOD» هذه بضع سنوات منذ عهد «سمنخ كا رع» حين ظهرت بعض البوادر الأولى لتحقيق نوع من التعايش بين الآتونية وغيرها من الديانات المصرية الأخرى .

وفي المقبرتين رقم «٥٢٥» ، ورقم «٥٢٩» بمدافن العمارنة ، نرى اشارة إلى الاله «آمون» ، بينما كان صاحب كل مقبرة منهما مستظلاً برعاية وبركة الاله «آتون الحى» ويتخذ الالهة «إيزيس» كراعية له .

وقد ظل الاله «آتون» وكبار كهنته محتفظين بقدرهم ومراكزهم حتى السنة الثانية من حكم «توت عنخ آمون» ، كما تثبت ذلك بعض المدونات التى يرجع تاريخها إلى تلك السنة .

وهناك نصب تذكارى معروض بمتحف «برلين» ، يظهر فيه «توت عنخ آمون» باسمه الآتوني - وهو «توت عنخ آتون» - وأمامه الاله «آمون» والالهة «موت» - سيدة الأرضين .

ومن بين الآثار المعروضة بالقاهرة من كنوز «توت عنخ آمون» نجد العديد من الشواهد التي تؤكد محاولة تحقيق التعايش بين الاله «آتون» وغيره من الآلهة التقليدية للمصريين ، فقد نقش رمز الاله «آتون» على كرسى العرش وعلى صولجان الملك .

وفي رأيي أن ذلك كله يؤكد أن التحول الذى قامت به السلطات الرسمية بالدولة من الآتونية إلى العودة للتمسك بالأديان القديمة قد تم بالتدريج ، ولم يكن مصحوباً بأى مظهر من مظاهر العنف ، كما انه استغرق بعض سنوات قليلة ، أجريت فيها محاولات لتحقيق نوع من التعايش المشترك بين الآتونية وغيرها من الديانات المصرية الأخرى .



وليس من الصواب أن نقدم تفسيراً للآثار التى أحدثتها الديانة الآتونية ، دون أن نضع فى الاعتبار الظروف والأحوال العقائدية التى سادت فى البلاد ، فى فترة ما قبل الثورة ، والفترة التالية لها .

وبالنسبة لفترة ما قبل الثورة ، عثر فى مقبرة «تخوتس الأول» على أول اشارة إلى ما يسمى «كتاب ما يحدث فى العالم السفلى THE BOOK OF AMDUAT»^(١) وفيه إشارة واضحة إلى إله الشمس «رع» باعتباره «سيد قرص الشمس آتون LORD OF THE DISK OF ATEN» كما وجد نص يقول : «...إن آلهة الصباح تقوم فى كل يوم جديد برفع قرص الشمس ، لتظهره بالافق الشرق للسماء» [صورة ٣٢] .

كذلك فقد جاء فى هذا الكتاب وصف لعملية «التحول الجسدى» للاله «رع» ، حيث يتخذ شكل كائن جديد وهو الجعل أو «الجعران» الذى يدفع أمامه قرص الشمس .

ويقول «أ. بيانكوف A. PIANKOFF» أن الأسلوب الذى كتب به «كتاب ما يحدث فى العالم السفلى» والأفكار التى يتضمنها ، مشابه تماماً للأسلوب والأفكار واللغة التى يتحدث بها «الموحدون» فى الديانة الآتونية . كما أن كلاً من «عقيدة التوحيد» و «كتاب ما يحدث فى العالم السفلى» قد تجاهل تماماً أية اشارة إلى الاله «آمون» .

ولذلك فإن «بيانكوف» يرى أن الديانة الآتونية لم تتحول إلى «ثورة» إلا بعد أن حدث الارتباط بينها وبين القوى الاجتماعية والسياسية التى تعظم شأنها ، وأثرها فى المجتمع المصرى .

ونحن نؤيد ما ذهب إليه «بيانكوف» من أفكار واستنتاجات ، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أحوال الصراع الاجتماعى الذى نشب بين طبقة العسكريين الجديدة ، وطبقة كهنة «آمون» ونبلاء طيبة ، فى خلال عصر الأسرة الثامنة عشر . فبينما كانت هذه الطبقة الأخيرة تستند فى قوتها إلى الانتماء إلى الاله «آمون» ، كانت الطبقة الأولى تستند إلى الاله «رع» - أو على الأقل فى صورته التى أنتهى إليها فى العقيدة الآتونية .

ولاشك أن هذا الصراع الدينى والأيدىولوجى الذى نشب بين هاتين الطبقتين ، كان المظهر الخارجى للصراع الحقيقى بينهما بعناصره الاجتماعية والاقتصادية .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن النصوص الأدبية فى كل من الديانة الآتونية و «كتاب ما يحدث فى العالم السفلى» ، كانت امتيازاً خاصاً بالملك والطبقة الارستقراطية ، بينما كانت الطبقات والفئات الشعبية الأخرى ، التى اكتسبت حقوقها فى المساواة الدينية والعقائدية منذ فترة عصر الاضمحلال الأول بعد سقوط الدولة القديمة ، تدين بكثير من الأديان والعقائد الشعبية الأكثر شيوعاً ، وعلى الأخص ديانة «أوزيريس» .

وتدل الشواهد على أن جماهير الشعب المصرى قد وقفت إلى جانب كهنة «آمون» ، وساندتهم فى صراعهم المرير ضد الديانة الآتونية ، وما ترتب عليها من آثار حاقت بالاله «آمون» وبقية الالهة القدماء الذين عانوا من نفس الاضطهاد .

وقد استمر ظهور نفس الأفكار والمبادئ التى قام على أساسها «كتاب ما يحدث فى العالم السفلى» فى كتاب آخر هو «كتاب البوابات THE BOOK OF GATES»^(٦) الذى أشير إليه لأول مرة فى مقبرة «حور محب» الملكية فى طيبة الغربية . وهذا الكتاب الأخير يتجاهل أيضا وجود الاله «آمون» .

والجدير بالملاحظة أن التركيز على ذكر «الطبيعة الخفية» للاله «رع» باعتباره القوة التى تتخفى خلف قرص الشمس ، يعتبر نوعاً من التوفيق بين هذه الفكرة النابعة من أيديولوجية هليوبوليس ، وبين الفكرة التى يقول بها كهنة «آمون» ، حول الطبيعة الخفية المتمثلة فى الاله «آمون» باعتباره «الاله الخفى» .

هذا ويعتبر «الرمز» الذى ورد فى «كتاب البوابات» عن كيفية انتقال «القوى الملكية» من الملك المتوفى إلى الملك الذى يخلفه على العرش ، فى غاية الأهمية ، خصوصاً إذا وضعنا فى الاعتبار الظروف السياسية المعاصرة لعملية ارتقاء «حور محب» عرش مصر ، حين لعب الجيش دوره الحاسم فى تاريخ البلاد .

ويرى «ليسكو C.H. LESKO» أن النصوص الواردة فى «كتاب البوابات» تؤكد من جديد حق الملك فى الفوز بالمركز المتفوق فى الحياة الآخرة ، وهو مركز يتيح له التفوق فى المعاملة على جميع من هم دونه من الناس . وبطبيعة الحال فإن هذا الاتجاه يناقض تماماً المبادئ الديمقراطية والمساواة بين جميع الناس فى الحياة الآخرة ، وهى المبادئ التى ورد ذكرها كثيراً فى «نصوص التوابيت COFFIN TEXTS»^(٧) التى يرجع تاريخها إلى عصر «الدولة الوسطى» . ويقول «ليسكو» أيضا أن الملوك لم يعودوا إلى الاهتمام بتدوين «نصوص الأهرام»^(٨) التى شاع استعمالها كثيراً منذ أواخر عصر «الدولة القديمة» .

كما أن التركيز الواضح على الدور الذى كان يؤديه الاله «أوزيريس» فى العالم الآخر ، كما جاء فى «كتاب البوابات» ، يعتبر رد فعل طبعياً للتهوين من شأن هذا الدور فى مفاهيم الديانة الآتونية التى بلغت قممتها فى خلال ثورة العمارنة .

ويلاحظ أن الموضوعات الدنيوية التي كانت تمثل الطابع العام للنصوص والمناظر المنقوشة على جدران مقابر النبلاء التي أقيمت في خلال الفترة الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر ، قد بدأت بالتدرج تأخذ اتجاهاً دينياً يتعلق بالحياة الآخرة ، أكثر مما يتعرض لمناظر الحياة الدنيا التي كان يعيشها النبلاء أثناء حياتهم .

وهكذا تسلت العقائد والطقوس الشعبية التقليدية إلى فكر النخبة الممتازة من المثقفين المصريين ، وهذا ما يفسر لنا ظهور الكثير من الاشارات إلى المعتقدات الشعبية كعبادات الحيوانات ، أو الايمان بالقوى السحرية الكامنة في التماثيل ، خصوصاً بالنسبة لمقابر النبلاء التي يرجع تاريخها إلى فترة النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وعلى هذا فيمكن القول بأن ارستقراطية الطبقة العسكرية الجديدة ، هي التي حملت لواء المعتقدات الشعبية التي دخلت في الدين والعقيدة ، خصوصاً عندما قويت شوكة هذه الطبقة وتفوقها في خلال فترة ما قبل ثورة العمارنة .

ومن الغريب أن هذه المعتقدات الشعبية التي أعتنقتها الطبقة العسكرية ذات النفوذ ، والتي ساندت الديانة الآتونية ، إنما تتعارض تماماً مع «عقيدة التوحيد» وتعاليم دين «آتون» التي لا تعترف بكل الديانات والعبادات الشعبية . وهذا الوضع في حد ذاته ، يمثل أحد أوجه المتناقضات التي حفلت بها تلك الفترة الحرجة من تاريخ البلاد ، كما يصور لنا إلى أى حد حدث الالتباس والاضطراب في العقيدة التي كانت تعتنقها مختلف فئات الارستقراطية العسكرية الجديدة .



ومن الألقاب التي أطلقت على «أخناتون» اثناء حياته ، لقب «العائش في الحقيقة» ، وهو لقب يساعدنا كثيراً في فهم التجديدات التي أحدثتها ثورة العمارنة خصوصاً في ابتكار «الأساليب الفنية» الجديدة . وقد لوحظ أن هذا اللقب لم يكن قاصراً

على «أخناتون» وحده ، بل أطلق أيضا على بعض الملوك الذين خلفوه على العرش ، مثل «توت عنخ آمون» . بل وأطلق أيضا على «رمسيس الثانى» وعلى «مرنبتاح MERENPTAH»^(٢١) من ملوك الأسرة التاسعة عشر .

ولاشك فى أن هذا الاتجاه إلى التجديد فى الأساليب الفنية الذى تميز به عصر العمارنة ، والذى يقوم فى الأصل على فكرة المبالغة الشديدة التى تصل أحيانا إلى حد التحريف أو التشويه ، إنما يعتبر فى حقيقة الأمر طريقة للتعبير عن «حب الحقيقة» الذى كان يدعو إليه «أخناتون» [صورة ٣٣] .

وبعد سقوط ثورة العمارنة ، حدث تغيير وتعديل فى تلك الأساليب الفنية الجديدة . إلا أن آثارها غير المباشرة تنعكس على الأساليب الفنية التى تميز بها عصر الرعامسة فيما بعد . وعلى سبيل المثال ، فإن المناظر التى تصور الحياة العسكرية والمعارك الحربية التى نقشت على الصروح الضخمة التى شيدت فى عصر الرعامسة ، إنما ترجع فى أصولها إلى مناظر مشابهة صورت فوق جدران بعض مقابر العمارنة .

أما التأثيرات المباشرة التى تركها الأساليب الفنية الجديدة التى ظهرت فى عهد العمارنة ، فقد ظهرت بوضوح على ظهر «كرسى العرش» الخاص بالملك «توت عنخ آمون» حيث صور الملك وإلى جانبه الملكة «عنخ اسن آمون» تحت حماية قرص الشمس الذى تمتد منه أيادٍ بشرية ، كما يظهر خرطوشان يتضمنان اسميهما مصحوبا باسم الإله «آتون» [صورة ٣٤] .

ونلاحظ كذلك أن الرسوم المنقوشة على الوجه الخارجى للهيكل الثانى الذى كان يغطى مدفن الملك ، وكذلك الرسم الخاص بمركب الشمس المنقوش على الوجه الداخلى لهذا الهيكل ، قد رسمت كلها طبقا للأساليب الفنية الجديدة التى ظهرت فى العمارنة . كما أن سقف الهيكل الثالث يتضمن وصفاً مختصراً لقرص الشمس .

وبالرغم من هذا التأثير الواضح بالأساليب الفنية المستحدثة في التعبير عن المناظر ذات الطبيعة الدينية في بعض الآثار التي عثر عليها في مقبرة «توت عنخ آمون» فإن نفس المقبرة تتضمن مناظر أخرى كثيرة مصورة بالأسلوب التقليدي للفن المصري القديم ، وتعبّر عن الطقوس والمراسم التقليدية التي أجريت في الاحتفال بدفن الملك . وعلى سبيل المثال ذلك المنظر الذى يصور الملك «آى» باعتباره الملك الجديد ، وقد أخذ صورة الاله «حورس» وهو يقوم باداء طقوس عملية «فتح الفم OPENING OF THE MOUTH»^(١) لجثمان الملك المتوفى .

كذلك فقد لوحظ أن الآثار التى يرجع تاريخها إلى عهد «حور محب» قد ذكر فيها اسم «أخناتون» عشرة مرات .



ونحن نؤيد ما ذهب إليه «بيانكوف» من عدم وجود أية دلائل تشير إلى وقوع العداوة الحادة بين الاله «آمون» والاله «آتون» في الفترة التى أعقبت سقوط «أخناتون» ، الأمر الذى يدل بالقطع على ضعف كهنة «آمون» وقلة نفوذهم .

وقد أصبحت كراهية الديانة الآتونية تشكل سياسة رسمية للدولة في بداية عصر الرعامسة حين أصبح من الضروري أن تتملق الدولة المشاعر والأحاسيس الدينية لجمهور الشعب ، بعد أن استعادت طبقة كهنة «آمون» ما كان لها من نفوذ غابر .

وفي عصر الرعامسة أيضا ، ظهرت بعض «قوائم الملوك» منقوشة على جدران بعض المعابد والمقابر بمنطقتى «أبيدوس» و «سقارة» ، أو مدونة ببعض البرديات مثل «بردية تورين» . وتدل هذه القوائم التى دونت بها أسماء الملوك القدماء الذين حكموا مصر ، على روح الاتجاه الذى ساد في هذا العصر لتخليد الماضى ، وتعظيم التاريخ المصرى التليد .

وقد لوحظ على «قوائم الملوك» التى دونت فى عصر الرعامسة ، أنها أغفلت تماماً ذكر اسماء الملوك الذين تولوا عرش مصر فى فترة العمارنة وهم (أخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون وآي) وأنها بالتالى ذكرت «حور محب» كأول ملك يخلف «امنحتب الثالث» على العرش .

وفى رأى أن الغرض الرئيسى من تدوين تلك القوائم فى عصر الرعامسة ، كان يهدف أولاً وأخيراً إلى انعاش ذاكرة المصريين وإعادة التعظيم والاحلال إلى ملوك مصر السابقين . ونشير فى هذا الخصوص إلى «حركة إحياء التراث المصرى القديم» التى تمت تحت اشراف الأمير «خع - إم - واس KHA EM WISE» الابن الأكبر «لرمسيس الثانى» والذى كان يتولى منصب «الكاهن الأكبر للاله بتاح» بمدينة منف .

ونشير كذلك إلى المواجهة التى جرت فى السنوات الأخيرة من عصر الأسرة الثامنة عشر ، بين طبقة العسكريين وطبقة نبلاء طيبة ، بكل ما كان فيها من صراعات وتناقضات ثقافية وعقائدية ، ساهمت إلى حد كبير فى اشعال حدة الأزمة . ولا يمكن إغفال الدور الحاسم النشيط الذى قامت به النخبة الممتازة من المثقفين الذين ينتمون إلى الطبقة العسكرية ، فى إحياء التراث الثقافى المصرى القديم .

ومن الطريف أن نذكر أن العديد من المناظر الواضحة للصراع الذى نشب بين الأفكار والفلسفات والعقائد الدينية ، تتجلى فى نصوص الأغانى الشعرية المعروفة بأغانى «عازف الهارب» [صورة ٣٥] .

وفى المقبرة رقم «٥٠» من مقابر طيبة ، الخاصة «بنفر حتب» نجد ثلاثاً من هذه الأغانى ، تتعارض نصوصها جميعاً ، وتعبّر كل واحدة منها عن اتجاه فلسفى أو عقائدى خاص . فبينما يعبر نص الأغنية الأولى عن مذهب «النزوع إلى الشك» فى مبادئ الدين الأساسية ، ويؤكد أن معرفة الحقيقة أمر غير مؤكد على وجه اليقين ، نجد أن النص الثانى يعبر عن لوم واضح لهؤلاء الذين لا يأخذون العالم الآخر مأخذ الجد ويسخرون مما يجرى فيه ، فى حين أن نص الأغنية الثالثة عبارة عن شعر تقليدى يعبر عن الايمان التقليدى بالمعتقدات الدينية المتعلقة بخلود الحياة الأبدية فى العالم الآخر .

وفي مقبرة «با آتون محب» التى بنيت فى عهد العمارنة ، نجد نصاً لأغنية «آنتف» الشهيرة التى تعبر عن «مذهب الشك» منقوشاً جنباً إلى جنب مع بعض الصور والمناظر التى يتضمنها الفصل رقم «١١٠» من «كتاب الموتى» مع الإشارة أيضاً إلى الاله «آتون» .

ويشير «كاكوشي» أيضاً إلى أن هذا التناقض الفكرى والعقائدى يظهر كذلك فى مقبرة أحد كبار كهنة «آمون» ، الذى عاش فى القرن الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد ، حيث كتب على جدران تلك المقبرة نصان لأغنيتين من أغاني عازف الهارب ، احدهما تعبر عن مذهب الشك ، والأخرى تعبر عن الاحترام التقليدى للدين .



وهكذا لم يعد «الموت» عبارة عن مجرد انتقال الانسان من الحياة الدنيا ودخوله إلى الحياة الأبدية . ولكن أصبحت فكرة الموت نفسها ، أكثر الأفكار إثارة للخوف والقلق .

وعلى سبيل المثال نذكر تلك المناظر والصور والنصوص المنقوشة على جدران المقبرة رقم «١٥٨» من مقابر طيبة ، الخاصة بـ «تا - نفر» والمأخوذة جميعها من «كتاب البوابات» . وفى رأى أن تقديم مثل هذه الأفكار فى نصوص الأدب الجنائزى ذى الطابع الدينى ، يعتبر انعكاساً للسلبات التى عكرت المزاج النفسى وصفو الروح المصرية ، والتى حدثت نتيجة للأحداث الدينية والسياسية الكبرى التى وقعت أثناء ثورة العمارنة وفى أعقابها .

لقد اختفت تلك الروح الشجاعة المملوءة بالتفاؤل والتى كانت تميز المناظر والنصوص المنقوشة على جدران مقابر النبلاء فى فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وحلت محلها روح قلق ملتناعة ، تعبر عن المخاوف الموهلة التى تمتلىء بها الحياة فى العالم الآخر ، حسبما تعبر عنه كآبة المناظر والصور والنصوص الجنائزية المنقوشة على جدران مقابر النبلاء فى فترة ما بعد سقوط ثورة العمارنة .

وفي هذا الخصوص نشير إلى الملاحظات الدقيقة التى ذكرها «السير آلان جاردنر» عن القيمة الفنية للاتجاه العام الذى ظهر على جدران المقابر فى عصر الأسرة التاسعة عشر بالنسبة للصور والنصوص الجنائزية . ويقول فى ذلك : «أن مقابر طيبة لم تعد تعرض المناظر البراقة المتفائلة التى تتضمنها مظاهر الحياة اليومية ، كما كان الحال بالنسبة لمقابر الأسرة الثامنة عشر ، بل أصبح التركيز على عرض المخاطر البشعة التى يواجهها المتوفى فى العالم الآخر . وأصبحت مناظر (محاكمة القلب) التى يقوم بها الاله (أوزيريس) ، ومناظر العقبات الخفيفة الهائلة الواردة فى (كتاب البوابات) والتى تعترض الطريق الذى يجب أن يجتازه المتوفى فى رحلته الليلية فى العالم السفلى ، هى الصور والنصوص المفضلة لدى أصحاب المقابر التى بنيت فى عصر الأسرة التاسعة عشر» .

وثمة ملاحظة على جانب كبير من الأهمية تتعلق بالتحديد فى أسلوب «التصميم الهندسى» الذى اتبع فى بناء مقبرة «أخناتون» بالعمارنة ، وقد تبين أن هذا الأسلوب قد طبق كثيراً فى هندسة بناء المقابر الملكية التى بنيت فى خلال عصرى الأسرة التاسعة عشر والأسرة العشرين . وقد لوحظ أن هذه المقابر الأخيرة مصممة هندسياً على أساس محور يمتد مستقيماً من أول مدخل المقبرة حتى آخر موضع فيها ، بينما كان التصميم الهندسى للمقابر الملكية الخاصة بملوك الأسرة الثامنة عشر ، يقوم على أساس تعدد المحاور التى تنحنى وتتداخل بزوايا قائمة ، فتتولى بالتالى ممرات المقبرة حتى تصل إلى غرفة الدفن فى نهاية المقبرة ، فنجدها غارقة فى الظلام الذى يوحى بظلام العالم الآخر . أما اختيار «أخناتون» لأسلوب المحور المستقيم الذى يمتد من بداية مدخل المقبرة حتى غرفة الدفن ، فكان نتيجة منطقية للموقف الفلسفى «لأخناتون» الذى كان يرى أن إله الشمس هو رب الأحياء ورب الأموات أيضاً . ولذلك فإن تصميم المقبرة على أساس المحور الممتد المستقيم يتيح لأشعة الشمس أن تدخل من مدخل المقبرة حتى تصل إلى غرفة الدفن فى آخر نقطة فيها . أما التصميم الهندسى على أساس المحاور المتعرجة بزوايا قائمة ، فلا يسمح لأشعة الشمس بالدخول إلى غرفة الدفن التى يشملها الظلام الدامس .

وفى النهاية نشير إلى انه بالرغم من وفرة الدراسات والمعلومات التى تم تحصيلها حتى الآن عن ثورة العمارنة والآثار العميقة التى أحدثتها عقيدة التوحيد فى السلوك النفسى

واخلاقيات الشعب المصرى فى العصور التى تلت سقوط الثورة ، فإن هذه المعلومات مازالت غير كافية لالقاء الضوء على حقيقة تلك الأحداث ونتائجها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة .

ومازال الأمل كبيراً فى اجراء المزيد من الدراسات والتحليلات ، حتى نتعرف على وجه اليقين ، على كافة التأثيرات التى أحدثتها عقيدة التوحيد ، التى نادى بها ثورة العمارنة ، على الحياة والأفكار الدينية بصفة عامة .



هوامش الجزء الثانى

هوامش الفصل الأول

المبحث الأول

- ١ - الشوابى أو الأوشابى : هى (التماثيل المجسمة) أو (التماثيل الجببية) . وهى عبارة عن تماثيل صغيرة كانت توضع فى مقبرة المتوفى على الاعتقاد بأنها تقوم بتلبية حاجياته فى العالم الآخر . وفى الدولة الوسطى كان يوضع تماثيل اوشابى واحد مع الميت . أما فى الدولة الحديثة فقد بلغ عدد التماثيل فى إحدى المقابر نحو ٧٠٠ تماثيل . وكانت تصنع من الحجر أو الخشب أو البرونز أو الفينانس ، فى أشكال رائعة دقيقة الصنع . ومنها ما كان يصنع من الطين أو الطين المحروق .
- ٢ - هو والد الملكة «تى» زوجة امنحتب الثالث . أما زوجته هو فاسمها «تويا» وقد عثر على مقبرة بوياء وتويا ، وهى مقبرة صغيرة بوادى الملوك . أصله من أخميم . وكان كاهناً للاله مين ، وحمل لقب المشرف على خيول الملك (المركبات الحربية) وحمل أيضاً لقب الأب الالهى .
- ٣ - راجع الهامش رقم (١٠) بالمبحث الثانى - الفصل الأول - الجزء الأول .
- ٤ - راجع الهامش رقم (٤) بالمبحث الأول - الفصل الأول - الجزء الأول .
- ٥ - له مقبرة بغرب طيبة (رقم ١٢٠) . وله تماثيل معروض فى متحف تورين .
- ٦ - أحد أهم الهة مصر القديمة . إله منف وإله الخلق . وحامى الفنانين والحرفيين . وقد مثل على هيئة إنسان يقف على قاعدة داخل مقصورة . وكان يمثل الأب فى الثالوث المنفى ، فزوجته هى الالهة سخمت وابنه الاله نفر - أتوم .

المبحث الثانى

- ١ - نحاتان من مؤسسى المدرسة الفنية الحديثة التى عرفت باسم فن العمارة . وعلى نصب تذكارى تحتاه فى صخور البر الشرق للنيل باسوان فى مواجهة جزيرة الفنتين سجل النحاتان قصة الأمر الملكى الذى أصدره لهما امنحتب الثالث ليشتركا فى عمل التماثيل الضخمين الشهيرين اللذين عرفا فيما بعد باسم «تمثالى ممنون» . وفى متحف برلين العربية تماثيل نادر للفنان «ملك» ومعه زوجته .

- ٢ - من آلهة التناسل والخلق ، على رأسه تاج له ريشتان . وكانت أخميم وقط من أهم مراكز عبادته . ونظراً لأن فقط تعتبر المدخل إلى وادي الحمامات (الذي يقع بين فقط والقصر مجتازاً الصحراء الشرقية) فقد أصبح «مين» الها للصحراء الشرقية .
- ٣ - يعتبر هذا الأمير آخر امير ينتمى إلى الأسرة المالكة يتولى منصب القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، وهو المنصب الذى كان قاصراً على اولياء العهد . ثم انتقل المنصب بعد ذلك إلى طبقة العسكريين .
- ٤ - عددها ٣٧٩ رسالة ، مكتوبة على ألواح من الطين المحروق ومعظمها مكتوب بالخط المسمارى باللغة البابلية واثنتان منها باللغة الحثية ، وواحدة بلغة ميتانى . وتشمل المراسلات التى تمت بين ملوك بابل وميتانى وأشور وحثيا ، وبين ملوك مصر امنحتب الثالث وأختاتون وتوت عنخ آمون . كما تشمل أيضا المراسلات التى تمت بين هؤلاء الملوك المصريين وأمراء سوريا وفلسطين . وللمراسل أهمية دبلوماسية تاريخية حضارية كبيرة .
- ٥ - يعتبر الحثيون فرعاً من فروع الشعوب «الهندو - أوروبية» . وقد وفدوا إلى الأناضول فى أواخر الألف الثانية قبل الميلاد . وكانت عاصمتهم «خاتو شاش» المعروفة حالياً باسم «بوغاز كوى» وهى تبعد نحو ٧٠ كيلو متراً شرق أنقرة تركيا . ومن أعظم ملوكهم «خاتوسيل الأول» و «شويلولوما» الذى مد نفوذه فى شمال سوريا وهدد «ميتانى» حوالى سنة ١٣٨٠ ق.م. واستخدم الحثيون لغتين هما : اللغة «النسيه NESITE» وهى لغة البيت المالك والطبقة الأرستقراطية . واللغة «الليفه LUVITE» وهى لغة عامة الشعب . وكانت لهم مدن محصنة تحصيناً قوياً ، ذات أسوار كبيرة وبوابات ضخمة . وقد مهروا فى الزراعة وتربية الحيوان ، واستغلوا المعادن ، وربما كانوا أول من عرفوا صناعة الحديد . وامتدت عناصر حضارتهم إلى ما وراء الأناضول فى شمال سوريا التى تأثرت بعض مدنها بتلك الحضارة وسقطت امبراطورية الحثيين حوالى سنة ١٢٥٠ ق.م وذلك إثر هجمة من هجمات شعوب البحر .
- ٦ - موقع أثري خلف الجندل الثالث شرق دنقله . قام بتأسيسه امنحتب الثالث . وازدهر فى عصر الملك «طهرقا» وأصبح على درجة كبيرة من الأهمية فى عصر المروى ، إذ كان يتحتم على الملوك أن يقوموا بزيارته وهم فى طريقهم لاعتلاء العرش .

هوامش الفصل الثانى

المبحث الأول

- ١ - الاسم الذى يطلقه الأماال بغرب الأقصر ، على الجبانة التى دفن بها ملوك الدولة الحديثة (وادي الملوك) . حيث كشف عن ٦٤ مقبرة منحوتة فى الصخر ، ضمنها مقبرة توت عنخ آمون بكنوزها الضخمة الشهيرة . ومن أجل مقابر الجبانة المقابر الخاصة بامنحتب الثانى وحمور محب وسيتى الأول ومرنبتاح ورمسيس الثالث والسداس والتاسع .

- ٢ - (١٣٥٠ - ١٣٤٧ ق.م.) وهو الملك الذى خلف اخناتون على العرش وتزوج ابنته مريت آمون ، وربما كانت موميائه هى التى عمر عليها فى المقبرة التى اعدت للملكة « تي » زوجة امنحتب الثالث .
- ٣ - حفظ لنا نشيد «آتون» الذى صاغه اخناتون شعراً فى كثير من مقابر تل العمارنة . وبالإضافة الى النص الكبير الشامل ، ورد النشيد فى بعض المقابر مكتوباً فى صيغة مختصرة .

المبحث الثانى

- ١ - كانت فى الأصل تمثل بالرحمة ، ثم مثلت فى هيئة أنثى . وهى زوجة الاله آمون وأم الاله خونسو . وهى بذلك تعتبر عضواً بالتالوث الطبيى . وقد عُبِدت فى اماكن كثيرة ، وكان لها معبد بالكرك .
- ٢ - جزيرة بمجرى النيل أمام أسوان . كانت عاصمة المقاطعة الأولى للوجه القبلى . وحمل حكامها لقب «حارس البوابة الجنوبية» الذى يمشى مع دور الجزيرة كتقطة انطلاق للأعمال العسكرية والتجارية بالنوبة . وبها آثار عديدة ترجع إلى فترة تاريخية طويلة تمتد من عصر ما قبل التاريخ وحتى العصر البيزنطى .
- ٣ - أحد ألقاب تحوتمس الأول (١٥٢٨ - ١٥١٠ ق.م) راجع الهامش رقم (٤) بالمبحث الثانى - الفصل الثانى - الجزء الأول .

المبحث الثالث

- ١ - يرجع مفهوم هذه التسمية إلى روما القديمة حيث كان «البروليتارى» فى المجتمع الرومانى القديم هو الشخص المواطن الذى لا يملك شيئاً ، وليس له دخل مضمون أو ثابت ، وتنتصر فائدته للدولة فى انجذاب الذرية وزيادة العدد . أما النظرية الماركسية التى فصلها وتوسع فيها لينين ، فهى تقول أن انهيار النظام الاقطاعى أدى إلى ظهور طبقة معدمة من الفلاحين الذين اجبروا على بيع «عملهم» لقاء «الأجر» فى المراكز الصناعية . وهى تتادى بأن «البروليتاريا» لابد أن تنتزع السلطة من الطبقة الرأسمالية ، وتحقق «دكتاتورية البروليتاريا» التى يجب أن تستمر فى الحكم إلى أن تحقق المجتمع اللاتبقى .
- ٢ - الزوجة الرئيسية للملك آى . وكانت مرضعة للملكة نفرتيتى . وهى غير الملكة «تي» الزوجة الرئيسية لامنحتب الثالث .
- ٣ - من أهم ملوك الحيثيين . وكان اعتلاؤه العرش (حوالى عام ١٣٨٠ ق.م.) إيذاناً بانتهاء فترة ضعف مرت بها دولة الحيثيين . وقد صاحب والده الملك تود خالياش الثالث فى عدة حملات . وأغلب الظن أنه هو الذى شيد الحائط الضخم جنوب خاتوشاش العاصمة . حارب ميتانى وانقض على عاصمتها وتقدم إلى سوريا فى صراع مع النفوذ المصرى .

- ٤ - تقع شرق مدينة سواهج . كانت عاصمة للمقاطعة التاسعة للوجه القبلى . لم يبق من آثارها سوى القليل ، وتوجد فى شمالها مقصورة صخرية بها نقوش للملك آى .
- ٥ - ورمزها يمثل بصقر فى مركب «عتى nty» . وكانت عاصمتها «حوت نسو» - أى معبد الملك - وتقع جنوب الكوم الأحمر سوارس ، حيث يوجد معبد بطلمى ومقابر صخرية من عصر الدولة القديمة ، وحدها الشمالى بحوار قرية القيس وشمالاً حتى مركز بيا الحالى جنوب مدينة بنى سويف .
- ٦ - يمثل عادة برأس صقر وجسم انسان . ويمثل أحياناً فى شكل صقر . وكان الملك أو الفرعون يمثل الاله حورس كابن لأوزيريس وإيزيس . وقد اتحد حورس مع الاله رع (رع - حور - آختى) . ويعتبر حورس من أقدم وأهم آلهة مصر القديمة . ومن صوره : حورس الأكبر ، وحربو قراط ، وحرمانخيس . وقد عثرت فى مناطق كثيرة أهمها إدفو .
- ٧ - منطقة إخمى .
- ٨ - (٥٨٩ - ٥٧٠ ق.م) وهو رابع ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وفى عصره هرب كثير من اليهود من فلسطين إلى مصر خوفاً من الملك البابلى «نبوختنصر» . وقد أرسل إيزيس مجموعة من الحملات العسكرية ضد صوره وصيندا فى الشمال الشرق وضد ليبيا فى الغرب . وفى عصره التهب حماس المصريين ضد النفوذ اليونانى ، وانتفى ذلك بمقتل الملك إيزيس واعتلاء أمازيس «أحمس الثانى» العرش بمعاونة المصريين .
- ٩ - سميت منذ القرن الماضى باسم مشتريها البيطالى هنرى وستكار . وتتضمن مجموعة من القصص التى استمتع إليها الملك خوفو من إبنائه الذين كانوا يتلون لها عليه . ونصوص اليدوية تعكس بعض جوانب التاريخ والحضارة المصرية القديمة ، مثل علاقة الآلهة بالبشر ، وكيفية انتقال الحكم من الأسرة الرابعة إلى الأسرة الخامسة ، وتقاليدها القصر الملكى وأدب الحوار .
- ١٠ - كان كاجمى وزيراً للملك «نتى» (أول ملوك الأسرة السادسة حوالى ٢٣٢٠ ق.م) . وقد بنى مصطبه شمال هرم مليكه بسقارة ، وتماز بحمال نقوشها ولاسيما مناظر الراقصات ومناظر الصيد فى أحراش الدلتا .
- ١١ - (٢٦٨٠ - ٢٦٥٦ ق.م) من أهم ملوك الأسرة الرابعة بالدولة القديمة . شيد هرمين بدهشور . أوفد أسطولاً مكوناً من ٤٠ سفينة لاحتضار أخشاب الارز من لبنان . ارسل حملة عسكرية إلى بلاد النوبة وعدة حملات للتعدين إلى سيناء .

هوامش الفصل الثالث

المبحث الأول

- ١ - زوجة الملك حور محب . وربما كانت هي التي حملت في العمارنة لقب «أخت الملكة» مما دعا بعض المؤرخين إلى اعتبارها أخت الملكة نفرتي . وفي الغالب تزوجها حور محب قبل أن يعتلي العرش . ولكن هناك رأى آخر يقول بأن الزواج قد تم بعد اعتلاء العرش .

هوامش الفصل الرابع

المبحث الثاني

- ١ - ظهرت نصوص كتاب الموتى في شكل برديات أو لفائف من الجلد ، مكتوبة بالهيراغليفية أو الهيراغليقية أو الديموطيقية . وكانت توضع مع الميت في صندوق ، أو تحشر في لفائف المومياء . وهذه النصوص تعكس الكثير من المعتقدات المصرية القديمة عن العالم الآخر ، وتشمل مثلاً قوائم من «التعاويذ» تكملها «مناظر الايضاح» . وكان يقرأها كاهن أثناء موكب الدفن . وتحوى على سبيل المثال عبارات تؤكد «حرية حركة الميت» . ويمكن تقسيم كتاب الموتى إلى فصول عديدة ، ويضم هذا الكتاب موضوعات مختلفة منها اناشيد تمجد الشمس ، والوسائل التي تكفل اتحاد الميت مع الاله أوزيريس ، وكسب جانب حراس البوابات في العالم الآخر بنذائهم باسمائهم .. الخ . وهناك تعاويذ تمنح الميت قلباً نقياً عند المحاكمة في العالم الآخر ، وكل هذه الاحتياطات كانت ضرورية لحماية الميت في العالم السفلى .
- ٢ - يمثل الاله جب في هيئة انسان . وهو إله «الأرض» وزوج «موت» إلهة «السماء» ، وقد فصل عن السماء بواسطة «شو» إله الفضاء ، وكان يطلق على الملك لقب «وريث جب» .
- ٣ - تعنى «ماعت» في الأصل «النظام» كأساس للعالم والحياة البشر . وكانت لمبادئ ماعت أهمية قصوى لدى المصريين ، فالآلهة والبشر ولاسيما الملك «يعيشون على الماعت» . وقد نبعت الحاجة إلى نظام الملكية في مصر القديمة انطلاقاً من أن الملك هو الشخص الوحيد الذى يدرك متطلبات «الماعت» ويستطيع بدوره توصيل ذلك إلى الآخرين .
- ٤ - تقع شمال وادى حلفا بالسودان وعثر بها على حصن يرجع تاريخه إلى عصر الدولة الوسطى ، ومقصورة يرجع تاريخها إلى بداية الدولة الحديثة للالهة «حتحور» ، وقد قام بتوسيعها كل من توت عنخ آمون ورمسيس الثانى . ولتوت عنخ آمون معبد آخر صغير قام بتشييده «حوى» نائب الملك في النوبة الذى ربما كان مقيماً في «فرس» ، وبالمناطق آثار عديدة أخرى ترجع إلى عصور مختلفة .

٥ - الاسم اللاتيني الذى أطلقه علماء المصريات فى القرن التاسع عشر على معبد رمسيس الثانى الجنازى بغرب طيبة . ويقع فى سفح هضبة الجبانة . وتدل بقاياه وآثاره على مدى ضخامة تماثيله ومنشأته المعمارية . وقد نقشت على حدرانه الكثير من المدونات المدنية والتاريخية ، كما نقشت مناظر كثيرة وبديعة عن معركة قادش . وقد عثر فى بعض المخازن والمنشآت الملحقة بالمعبد والمبينة من الطوب اللبن ، على مجموعة كبيرة من البرديات التى تعتبر من الوثائق التاريخية الهامة .

٦ - ابو سمبل : منطقة يبلاد النوبة تبعد بنحو ٢٨٠ كم جنوب أسوان . وبها معبدان منحوتان فى الصخر بناهما رمسيس الثانى . وقد خصص المعبد الأول «الأكبر» لعبادة الآلهة : رع حور آختى ، وبتاح ، وآمون رع ، ورمسيس الثانى بعد أن قام بتأليه نفسه . كما خصص المعبد الثانى «الأصغر» لعبادة الآلهة حتحور ، وتكرهما للملكة نفرتارى زوجة رمسيس الثانى . وقد اكتشف المعبدان العالم السويسرى «يوهان لودفيج بورخاردت» لأول مرة فى سنة ١٨١٢ م ، ثم قام الإيطالى «جيوفانى بلزوى» بإزالة الرمال التى كانت تغطى المعبد الكبير على مدى نحو ٣٠٠٠ سنة فحفظته بحالة جيدة ، إلى أن ظهرت التماثيل الأربعة الضخمة الشهيرة التى تمثل رمسيس الثانى جالساً ، والتى يبلغ ارتفاع كل منها نحو ٢٠ متراً . وللمعبد الكبير مدخل رائع ، وعلى أحد جوانبه سجل رمسيس الثانى قصة زواجه بابنة ملك «خيبتا» التى تعتبر وثيقة هامة تسجل مظاهر وأوجه الحياة الاجتماعية والسياسية التى كانت سائدة آنذاك . وقد حفر المعبد نفسه فى عمق الصخر بنحو ٥٥ متراً ، وبه صالة رئيسية على جانبيها ٨ تماثيل لرمسيس الثانى فى هيئة أوزيريس ، بالإضافة إلى العديد من الحجرات ذات الجدران العالية والسقوف المرتفعة ، وتزدان بنقوش تصور الملك وهو يقوم ببعض الطقوس الدينية ، ومناظر أخرى من معركة قادش وغيرها من المعارك الحربية المظفرة التى قادها الملك فى زمانه . أما المعبد الثانى فلا يبعد كثيراً عن المعبد الكبير ، وتقف على واجهته ستة تماثيل ضخمة يرتفع كل منها نحو عشرة أمتار ، منها تماثلان للملكة نفرتارى والتماثيل الأربعة الأخرى لزوجها رمسيس الثانى .

٧ - شمال مركز فاقوس بشرق الدلتا ، راجع الهامش رقم (٤) فى المبحث الثانى - الفصل الأول الجزء الثالث .

المبحث الثالث

١ - ويتضمن مجموعة من النصوص تصف تصور المصرى القديم للعالم الآخر والكائنات التى به ودورها . وهو يزود الميت بمعلومات عما يحدث فى العالم السفلى بعد غروب الشمس . والنصوص والمناظر مقسمة إلى اثنى عشر جزءاً تمثل ساعات الليل الاثنى عشرة ، وموزعة طبقاً للمجرات الأصلية الأربع . ومن أمثلة ذلك وصف رحلة الشمس الليلية والحديث عن الحية الحامية ، والانتصار على عدو الشمس اللندو أبوفيس . وقد ازدانت مقابر ملوك الدولة الحديثة بهذه المناظر والنصوص ، ونجد أكملها فى مقابر تحتمس الثالث وامنحتب الثانى وامنحتب الثالث .

٢ - يعتبر من الكتب التى تعكس تصور المصرين القدماء للعالم الآخر . ويصف الطريق الذى يسلكه إله الشمس فى رحلته الليلية من الغرب إلى الشرق فى العالم الآخر . ويركز على «البوابات» التى يجرسها الجان والحيات التى تنفث النيران . وهناك تفاصيل أخرى مثل تصوير قاعة المحاكمة وميزان العدالة ، حيث الإله أوزيريس ، أو بزوغ

الشمس من المياه الأزلية . وقد ازدانت مقابر ملوك الدولة الحديثة بمناظر من «كتاب البوابات» وصورت أجزاء كثيرة منه في مقبرة الملك حور محب ، إلا أن بعض المناظر صورت أيضاً في مقابر غير ملكية مثل مقبرة سننموت من عصر حتشبسوت .

٣ - نصوص تكتب عادة على جوانب التوابيت الخشبية بالخط الهيراطيقى ، وجزء منها مستقى من نصوص الأهرام بعد إجراء بعض التعديلات ، وفي نفس الوقت انتقلت أجزاء كثيرة من نصوص التوابيت إلى كتاب الموتى بعد كثير من الإضافات والتغييرات ، وتعالج نصوص التوابيت موضوعات شتى ، فمن الأشكال المختلفة للخير وأقوال الآلهة ، إلى نصوص السحر التي يراد بها منفعة المتوفى . وعادة ما تذكر النصوص على لسان المتوفى كمتكلم .

٤ - مجموعة صيغ قصيرة كانت أصلاً مستقلة عن بعضها ، هدفها منفعة الملك في العالم الآخر ، وأقدمها وجد في هرم ونيس (أوناس) بسقارة ، وهو آخر ملوك الأسرة الخامسة . قد استمر تدوين هذه النصوص في أهرام ملوك الأسرة السادسة ، كما دونت أيضاً في بعض أهرام الملكات . وقد وصلت إلينا من هذه النصوص أكثر من سبعمائة تعريف ، احتفى بعضها بتطهير الملك الميت وتقديم القرابين إليه وحمايته من الجوع . وبعضها نصوص سحرية ضد الحيوانات الشريرة ، وبعضها يهدف إلى ضمان تحوال سعيد للملك في العالم الآخر وصعوده إلى السماء .

٥ - ابن رمسيس الثانى . راجع الهامش رقم (٥) بالمبحث الثالث - الفصل الأول - الجزء الثالث .

٦ - طقوس الغرض منها أن تدب الحياة في التماثيل أو الصور أو المومياءات ، وهناك بعض الاشارات إلى إقامة شعيرة فتح القم في الدولة القديمة ، ولدينا خمسة وسبعون منظرًا تصاحبها النصوص الخاصة بشعائر فتح القم ، يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الثامنة عشر وحتى القرن الثانى بعد الميلاد . وكان الكاهن المرتل يلعب دوراً هاماً في طقوس فتح القم .

الجزء الثالث

الامبراطورية المصرية فى عصر الرعامسة

ويتضمن الفصول التالية :

- الفصل الأول : إعادة تنظيم الامبراطورية .
- الفصل الثانى : الظاهرة العسكرية فى عصر الرعامسة .
- الفصل الثالث : تدهور الامبراطورية المصرية .
- الفصل الرابع : الحياة الدينية فى عصر الرعامسة وانهيار الامبراطورية .

الفصل الأول

إعادة تنظيم الامبراطورية

ويتضمن المباحث التالية :

- المبحث الأول : ارتقاء رمسيس الأول عرش مصر .
- المبحث الثاني : الشؤون الخارجية .
- المبحث الثالث : ملاحظات حول معركة قادش .
- المبحث الرابع : التحصينات العسكرية المصرية على طول الشاطئ .

المبحث الأول

ارتقاء رمسيس الأول عرش مصر

لا جدال في أن ارتقاء اللواء «بارعمسيس» عرش مصر ، يؤكد مرة أخرى استقرار نظام الحكم العسكري ، بعد أن وصل كبار قادة الجيش إلى ذروة سيطرتهم على كل ميادين النشاط بالدولة ، وأصبحوا يسيطرون على القطاع الكهنوتي ، كما أن مصير العرش الملكي قد أصبح في أيديهم بصفة نهائية .

وتدل «لوحة الأربعمائة سنة» الشهيرة ، التي عثر عليها في «تانيس»^(١) ، على أن «بارعمسيس» كان ينتمي إلى أسرة عسكرية محترفة ، خدم أعضاؤها ، ومنهم «بارعمسيس» نفسه ، كضباط مقاتلين في الجيش المصري .

وهذا المنشأ الاجتماعي يماثل تماماً منشأ «حور محب» الذي كان يعتبر بدوره سليل أسرة عسكرية ترجع إلى أيام حكم «تحوتمس الرابع» . كما يماثل أيضاً منشأ «آي» الذي كان ينتمي إلى أسرة عسكرية نشأت في «الخميم» بصعيد مصر .

ويلاحظ أن هؤلاء الثلاثة (آي ، وحور محب ، وبارعمسيس) قد جمعوا بين منصب الوزارة إلى جانب اضطلاعهم بمهام مناصبهم العسكرية ، وهو تقليد يرجع إلى عهد «امنحوتب الثالث» حين تولى «رعموزا» منصب الوزارة . وعلاوة على ذلك فإنهم جميعاً كانوا قد شغلوا منصب «كاتب التجنيد» وكانوا يعتبرون من المثقفين الذين ينتمون إلى الصفوة الممتازة من طبقة العسكريين .

وقد عين «بارعمسيس» نائباً للملك في عهد «حور محب» . وهو نفس المنصب الذى شغله من قبل كل من «حور محب» و «آى» . وقد رأينا أن هذا المنصب كان يتضمن كل عناصر السلطة والنفوذ ، التى كان العسكريون السابقون الذين شغلوا منصب «مر - بر - ور» يكافحون للحصول عليها بطريقة غير قانونية ، وذلك من خلال فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وقد عثر بالكرنك على تمثالين يصوران «بارعمسيس» فى هيئة الكاتب المصرى ، وقد حفرت عليها ألقابه الكهنوتية جنباً إلى جنب مع رتبه وألقابه العسكرية ، وأهمها لقب «قائد جيش سيد الأرضين» .

وعندما تولى «بارعمسيس» عرش مصر ، أسقطت أداة التعريف من اسمه ، وأصبح يعرف باسم «رمسيس الأول» [صورة ٣٦] . وكان آتخذ متقدماً فى السن ، فلم يستمر حكمه إلا عاماً واحداً أو أكثر قليلاً . ومع ذلك فإن انتقال العرش بطريقة هادئة إلى ابنه «سيتى الأول»^(١) - وكان بدوره ضابطاً مقاتلاً - يدل على مدى النفوذ الاجتماعى والسياسى الذى أصبح يتمتع به بالفعل القادة العسكريون .

ولقد كانت صفات «حور محب» كجندى محارب - رغم أنها لم تظهر فى أى نصر عسكرى كبير - ضرورية له حتى يتمكن من تنفيذ خططه الشهيرة فى الإصلاح الإدارى ، ووضع أسس حكم سلمى طويل . وهناك نص يشير إلى «حور محب» بهذه العبارة : «أنظر .. إن جلالته يقضى كل الوقت فى العمل على رخاء مصر ...» .

وبعد استقرار الأوضاع بالبلاد على هذا النحو ، أصبح من الضرورى على ملوك الأسرة التاسعة عشر ، أن يعدوا ترتيب الأوضاع فى الجبهة الداخلية بالبلاد حتى يتمكنوا من أحياء سياسة الفتوحات الامبراطورية فى الشرق . وبهذا أصبح من المقدر على «سيتى الأول» أن يستخدم مواهبه العسكرية كضابط مقاتل ، فى إعادة سياسة الفتوحات العسكرية من جديد ، الأمر الذى يدل على أن المغامرات العسكرية والاصلاحات السلمية على السواء ، كانت بحاجة إلى مواهب ومؤهلات العسكريين [صورة ٣٧] .

المبحث الثانى

الشئون الخارجية

سنتناول فى دراستنا للشئون الخارجية ، علاقة مصر بالأقاليم الآسيوية من امبراطوريتها السابقة ، وكذلك علاقتها بالامبراطورية الحيثية الجديدة ، التى قفزت إلى مسرح التاريخ كقوة عسكرية كبيرة منذ أيام العمارنة ، وأثرت على نحو خطير فى التوازن الاستراتيجى للعالم القديم .

أما فى النوبة ، فإن سياسة التمهير مضت بنجاح متواصل ، ولم تتوقف النوبة عن أن تكون مصدراً هاماً للقوة البشرية بالنسبة للجيش الامبراطورى المصرى ، كما استمرت فى إمداد مصر ، بعدد من المواد الاقتصادية الافريقية والنوبية الثمينة ، ولاسيما الذهب ، وذلك حتى فى خلال الأوقات اثناء أزمة العمارنة .

وتتضمن «رسائل العمارنة»^(١) المراسلات الدولية التى تمت فى عهد كل من «امنحتب الثالث» و «أخناتون» - ومن المحتمل أيضاً - فى عهد «توت عنخ آمون» .

وتمدنا هذه الرسائل بمعلومات كثيرة عن التدهور التدريجى للأوضاع بالملكيات المصرية فى سوريا حيث حدثت تغيرات عميقة فى الجغرافيا السياسية للأقاليم السورية ، نتيجة للنشاط العسكرى والدبلوماسى للملك «شوبيلوليوما» (ملك الحيثيين) ضد الدويلات الصغيرة فى شمال سوريا . وكانت هذه التطورات معاصرة لفترة العمارنة ، حين أصبحت مناطق نفوذ الحيثيين فى سوريا تقوم أساساً على حساب المصالح الاستراتيجية لكل من دولتى مصر وميتانى .

وقد أدى اختفاء دولة ميتاني كقوة كبرى في الشرق الأدنى إلى تجريد مصر من حليف قوى ، في أواخر حكم «أخناتون» ، وتسبب في مزيد من التدهور .

ونعرف من «حوليات شوبيلولوما» التي سجل فيها تاريخه ، أن رد الفعل المصرى حدث في نهاية حكم «توت عنخ آمون» أو على الأرجح في أيام حكم «آى» ، حين هاجم المصريون «أيتاكاما AITAKAMA» - وهى محمية حيثية بمنطقة «قادش KADESH» . ورد «شوبيلولوما» بهجوم خاطف على المصريين في منطقة «أمكا AMKA» واحتل «قرقميش KARKEMISH» .

ومن المحتمل أن تكون الإشارة المصرية إلى هذه المعركة ، هى ما سجلته مقبرة «حور محب» في منف ، حيث صور وهو يستعرض أسرى الحرب الحيثيين . كما ترتبط بهذه الأحداث أيضا الإشارة إلى انشاء مستوطنة لأسرى الحرب الحيثيين بالقرب من منف في زمن حكم «آى» . وبما له دلالة كبيرة في هذا الصدد ، استخدام «آى» للقب «الذى أوقع الهزيمة بآسيا» وكان بذلك أول ملك مصرى ، منذ أيام «امنتحتب الثالث» يستخدم هذا اللقب .

وتذكر سجلات الحيثيين حدوث وباء كاسح ، انتشر في كل أنحاء الشرق الأدنى ، الأمر الذى أدى إلى تجميد مؤقت للخطر الحيثي بعد اعتلاء «حور محب» عرش مصر ، مما اعطاه فرصة تاريخية ليبدأ اصلاحاته الاقتصادية والادارية ، التى جعلته ذا شهرة واسعة في التاريخ المصرى . وفى نفس الوقت كان الصراع المرير بين الدويلات الصغيرة في سوريا وفلسطين مستمرا . كما لم ينقطع البدو «الخايبرو HAPIRU»^(٦) عن إثارة المتاعب العسكرية والسياسية في كل المنطقة التى تفصل مصر عن الحيثيين في آسيا .

ويمكننا أن نقول أن الخسائر الثقيلة التى منيت بها الامبراطورية المصرية في آسيا ، لاترجع إلى ظهور الخطر الحيثي ، بقدر ما ترجع إلى عدم الاستقرار الداخلى والتدهور العام للامبراطورية المصرية التى ظهرت بوارده في نهاية الأسرة الثامنة عشر ، وبدت مظاهره واضحة قرابة نهاية عصر الأسرة التاسعة عشر .

ومع ذلك فإن المد الذي احرزته القوة الحثيثة في سوريا قرابة النصف الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أرغم مصر على انتهاج استراتيجية الدفاع كبديل وحيد أمام قادتها العسكريين .

ومن المحتمل أن يكون «شويلوليوما» قد مات اثناء وباء الطاعون الذي اجتاح الشرق الأدنى ، وخلفه ابنه «مورشيلي MURSHILI» ، الذي عاصر حكمه عهد «حور محب» وامتد في الغالب حتى نحو السنة الخامسة من حكم «رمسيس الثاني» .

ومما لاشك فيه أن إعادة تنظيم الشؤون الداخلية في مصر ، خلال حكم «حور محب» الطويل ، قد أمد الضباط الفاتحين الذين أسسوا الأسرة التاسعة عشر ، بجهة داخلية قوية ، كانت ضرورية لانعاش استراتيجية مصر التوسعية في الشرق .



وقد رفع «سيتي الأول» شعار «إعادة الميلاد» بمعنى «النهضة RENAISSANCE» . وأشار إليه في السجل السنوي الخاص بأحداث الستين الأولى والثانية من حكمه ، كما أشار إليه أيضا باسمه الحورسي^(٣) . الأمر الذي يدل على أنه كان ينظر إلى نفسه كحاكم مكرس لإعادة هبة مصر التي تدهورت منذ فترة العمارنة .

كذلك فلم تكن الحملة التي قام بها «سيتي الأول» في السنة الأولى من حكمه ، موجهة ضد الحثيين مباشرة ، بقدر ما كانت تهدف بصفة رئيسية إلى ضمان أمن مصر ، ضد أى خطر محتمل في فلسطين ، وفرض السيطرة على الطرق الاستراتيجية والتجارية مع لبنان وماوراء لبنان .

ويقدم النصب التذكاري الذي أقيم في «بيسان BEISAN» ، والذي يتضمن سجلاً بأحداث العام الأول من حكم «سيتي الأول» صورة واضحة لاتجاه العمليات الحربية ، فنجد أن «فرقة آمون» قد وجهت صوب حماه ، وأن «فرقة رع» كانت معسكرة في

بيسان (وهى مركز عسكري مصرى منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد) . أما «فرقة ست» فكانت مكلفة بصد أى هجوم مضاد من الحيشين ، يحتمل أن يأتى من جهة الشمال .

ونعرف من نقوش الكرنك ، أن «سيتى الأول» فى السنة الثانية من حكمه ، استأنف عملياته الحربية فى اتجاه الشمال . فهاجم «قادش» ، المدينة الاستراتيجية الهامة على نهر «العاصى ORONTES» . ونجح فى إعادة فتح الطرق المؤدية إلى وادى العاصى الأعلى .

ثم قام «سيتى الأول» بحملة ثالثة ضد جيش الحيشين ، أكدت على الأقل سيطرته على «كانتا QANTA» و «تونيب TUNIP» ونتيجة لذلك ، فمن المحتمل أن تكون قد وقعت «معاهدة» بين «سيتى الأول» والحيشين ، تم فيها الاعتراف بمناطق النفوذ المصرى جنوبى «قادش» .

وكان بناء عاصمة جديدة باسم «بر - رمسيس PER - RAMSSES» (مكان تانيس أو ربما فى مكان قنطير QANTIR) - ^(١) وهى المدينة التى ورد ذكرها فى التوراة - ضرورة استراتيجية بالنسبة «لرمسيس الثانى» الذى كان يهدف ، مثل أبيه ، إلى احياء الامبراطورية المصرية فى آسيا [صورة ٣٨] .

ولتحقيق هذا الهدف كان من المحتمل شن هجوم كبير على الحيشين . وفى العام الرابع من حكمه ، تحرك «رمسيس الثانى» للقيام بعمل عسكري فى سوريا ، إذ يشير نص عن أحداث العام الرابع ، نقش على نصب تذكارى أقيم عند «نهر الكلب» بالقرب من بيروت ، إلى حملة عسكرية لا نعرف كثيرا عن تفاصيلها بسبب التشوه الشديد الذى حدث بالنقوش .



المبحث الثالث

ملاحظات حول معركة قادش

نظراً لما تتمتع به معركة قادش من أهمية بالغة ، باعتبارها نقطة تحول في الموقف السياسي الجديد في الشرق الأدنى ، وقمة للفن الحربي في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فإنها تستحق أن نكرس لها عدة صفحات بهدف توضيح بعض النقاط المتعلقة بمغزاها العسكري .

من الجدير بالذكر أن المنجزات التي حققها النشاط العسكري «لسيتي الأول» في سوريا ، كان لها أثر مباشر عشية معركة قادش ، فإن ملك بلاد «امورو AMURRU»^(١) بشمال سوريا ، فضل أن ينحاز إلى جانب القوات المصرية ، في المعركة التي نشبت بالقرب من «قادش» في وادي نهر العاصي ، في العام الخامس من حكم «رمسيس الثاني» .

وقد كانت القوات التي استخدمت في معركة قادش كبيرة العدد ، بحيث تعطينا شعوراً وتصوراً لما سبق المعركة من «التعبئة الوطنية» في كل من الجانبين المتحاربين .

وقد شاركت في المعركة عشرون ولاية على الأقل من الولايات والمحميات التابعة للحيثيين في مناطق آسيا الصغرى وعلى سواحل البحر الأبيض ، وكانت قواتها جميعاً تحت قيادة «مواتاليس MUWATALLIS» .

وتقدر المصادر المصرية أن الموجة الأولى من الهجوم الذي شنّه سلاح المركبات الحربية لجيش الحيثيين ، قد شاركت فيها «٢٥٠٠» مركبة حربية . كما اشتركت في الموجة الثانية «١٠٠٠» مركبة حربية . ويقدر «شتورم J. STURM» أن عدد «المشاة» الحيثيين كان

يتراوح ما بين ١٦ ألفاً و ١٨ ألف جندي . بالإضافة إلى «٣٥٠٠» مركبة حربية بينما يقدر «سير آلان جاردنر» عدد جنود المشاة الحيثيين بنحو ٣٧ ألفاً ..

أما القوات المصرية فكانت تتكون من أربع فرق ، كل منها يحمل اسم إله من آلهة المصريين الرئيسيين وهم : (رع . آمون . بتاح . ست) . ويبلغ عدد قوات هذه الفرق نحو ٢٠ ألف محارب ، باعتبار أن كل فرقة كانت تتكون من خمسة آلاف جندي ، طبقاً للتنظيم المعهود الذي كان معمولاً به في تكوين الفرق والوحدات العسكرية في عصر الرعامسة .

وإذا وضعنا في الاعتبار «القوات الخاصة» التي كانت تعسكر في بلاد «أمورو» والتي عبرت نهر «إيلوثيروس ELEUTHEROS» لتنضم إلى الجيش المصري ، بالإضافة إلى الوحدات الأخرى التي كانت معسكرة في المراكز العسكرية المصرية بمناطق فلسطين وسوريا ، وكذلك القوات المصرية التي كانت تلازم مؤخرة الجيش المصري لحمايته من أى غارة أو هجوم يقوم به «البدو» اثناء تقدم القوات إلى قادش ، فإن العدد الكلى للقوات المصرية ربما يفوق بكثير العشرين ألفاً . وهو تقدير قال به كل من «كريستوف L.A. CHRISTOPHE» و «برستد J. H. BREASTED» .

وقد سجلت معركة قادش عدة مرات ، وروايات مختلفة ، في المصادر المصرية ، مما يعكس الأهمية التي كان ينظر بها المصريون إلى اهدافها الاستراتيجية . فقد كانت المشكلة الكبرى المتعلقة باحياء الامبراطورية المصرية في آسيا ، والتي تأجلت رغم إرادة المصريين منذ أزمة العمارنة ، لا يمكن ان تحل - في نظر حكام مصر العسكريين ، إلا عن طريق حشد الامكانيات القومية المصرية على نحو هجومي .

ولذلك فقد كان هدف الخطة المصرية ، هو القضاء على قوة الحيثيين بهجوم مفاجيء ، يتم فيه الاستيلاء على قادش ، وهى المركز الاستراتيجى بالقرب من مخرج «وادي البقاع» بين لبنان وسوريا . وتدل على ذلك السرعة الهائلة التي تقدمت بها الجيوش المصرية ، حيث وصلت إلى التلال المشرفة على قادش بعد شهر واحد من عبورها حدود مصر الشرقية عند منطقة «سيلا SILE» [خريطة ٢] .

وفي اعتقادي أن الخطط الاستراتيجية المصرية كانت دقيقة بصفة عامة ، في خطوطها العريضة ، حتى من وجهة نظر الفكر العسكري الحديث ، فلم يكن هناك بديل آخر للتقدم الاستراتيجي إلى ميدان المعركة ، حيث كان على الجيش أن يجتاز وادي البقاع ، ليتجنب الطريق الساحلي الضيق الذي تعترضه مصبات الأنهار على طول الشاطئ الفينيقي .

أما الفكرة التي قال بها «شتورم» و «فولكنر R. O. FAULKNER» بأن القوات المصرية قد وصلت إلى وادي نهر العاصي عن طريق ممر قديم يقطع لبنان على طول خط الساحل متجنباً وادي الليطاني ، فإنها لا تتفق مع مواقع الفرق المصرية عشية المعركة ، طبقاً للتصور الذي قدمه «إيديل E. EDEL» . وهو التصور الذي أصبح مقبولاً بوجه عام في خطوطه الرئيسية .

وإذا افترضنا أن الفكرة التي قال بها «شتورم» كانت صحيحة ، فإن معنى ذلك أن إرسال تعزيزات من «القوات الخاصة» إلى شاطئ «أمورو» - ومن المحتمل أن يكون ذلك قد تم عن طريق البحر في شكل عملية برمائية - يصبح مجرداً من أى مغزى استراتيجي . فما دام أن هناك طريقاً معبداً ، فسوف تنتفي الحاجة إلى العملية البحرية . وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا التحرك كان من شأنه أن يعرض ميمنة القوات المصرية لأية غارات أو هجمات محتملة من جانب البدو المحليين ذوى الروح العدائية ، بينما الحال كان على العكس من ذلك ، حيث كانت جنابات ميمنة القوات المصرية محمية بغابات «را - ب - وى RA - B' - WI» التي تمتد حتى منطقة «شبتونا SABTUNA» على بعد نحو ١٠ كيلو مترات جنوبى قادش . وقد أيد «ويلسون J. WILSON» وجهة النظر القائلة بأن وصول القوات المصرية إلى وادي نهر العاصي قد تم خلال وادي الليطاني .

أما «مواتاليش» فقد تقدم بقواته جنوباً حتى مشارف قادش . واحتل بلاد «أمورو» . فجرد بذلك «رمسيس الثانى» من هذه الأرض الصديقة في مؤخرة قواته ، وحرمه كذلك من المساعدة العسكرية الكاملة من حليفه «بنتشينا BENTESINA» ملك الأموريين .

وجمع «مواتاليش» قواته الرئيسية إلى الشرق من تل «نيمند NEBIMEND» الذى تقوم عليه قادش ، واستخدم نهر العاصى كخط دفاع طبيعى ، مما اعطى ملك الحيثيين ميزة التحرك فى الوقت المناسب ، وطبقا لتطورات العمليات فى ميدان المعركة ، من تكتيكات الدفعا إلى الهجوم أو بالعكس . وهذه المرونة التكتيكية التى استخدمها «مواتاليش» مكنته من أخذ المبادرة فى اختيار أرض المعركة ، وكذلك تحديد موعد بدئها .



ان عدم مقدرة قوات الاستطلاع والتجسس المصرية على تحديد مواقع العدو تحديداً دقيقا ، أمر لا يمكن مغفرته ولا يمكن تفسيره ، حتى فى ضوء الثقة البالغة بالنفس التى كان يشعر بها الفرعون الشاب «رمسيس الثانى» .

وحتى المعلومات التى انتزعت من الجاسوسين الحيثيين عن المواقع الجديدة للقوات الحيثية وحلفائها شرق قادش ، فقد أمكن الحصول عليها فقط بعد أن عبرت فرقة «آمون» بقيادة «رمسيس الثانى» مخاضة نهر العاصى ، وعسكرت على مسافة بضعة كيلو مترات إلى الشمال الغربى من قادش حيث تتمركز القوات الحيثية الضاربة . وكان الوقت متأخراً جداً بكل المعايير بالنسبة للمصريين لأن يدخلوا أية تعديلات على مواقع فرقهم [صورة ٣٩] .

ولذلك فقد شن الحيثيون أول موجة قوية من الهجوم بواسطة المركبات الحربية فى اتجاه الجنوب ، على فرقة «رع» وهى تتقدم شمالاً وأثناء عبورها نهر «شبتونا» . وهذا الهجوم الخطير غير المتوقع ، كان من الممكن أن ينتهى بكارثة للجيش المصرى ، لولا ثلاثة عوامل منعت تعرض الموقف العسكرى المصرى للتدهور الكامل .

أول هذه العوامل كان ذا طبيعة استراتيجية : فإن فرقتي «بتاح» و «ست» اللتين كانتا تضمان نصف القوة الضاربة للجيش المصرى ، كانتا لا تزالان فى طريقهما نحو مسرح العمليات الحربية . وفور وصول المعلومات الصحيحة عن المواقع الحقيقية لقوات الحيثيين ، إلى القيادة العامة للقوات المصرية حين كانت فى منطقة الشمال الغربى من قادش ،

أرسل «رمسيس الثانى» وزيره على عجل إلى الجنوب لتنظيم تدخل هاتين الفرقتين فى القتال . وهكذا فإن ما بدأ فى أول الأمر كخسارة تكتيكية ، نتيجة لغياب فرقتى «بتاح» و «ست» عن أرض المعركة ، لم يلبث أن ثبت أنه كان ميزة استراتيجية حاسمة [خريطة ٣]

ومن الواضح أن ملك الحيثيين الماهر ، قد أدرك أنه ليس فى موقف يمكنه من استخدام كل قوته الضاربة فى الموجة الأولى من الهجوم ضد فرقة «رع» على طول نهر العاصى . ولذلك فعندما شاهد الموقف الاستراتيجى للجيش المصرى وقواته الاحتياطية الجديدة الضخمة فى الجنوب ، لم يستطع أن يهجم بكل مركباته الحربية ، واضطر إلى ابقاء احتياطيه خارج المعركة .

ثم قام ملك الحيثيين باستخدام هذا الاحتياطى من المركبات الحربية فى هجومه الثانى ، عندما بدأ الهجوم المضاد المنظم لرمسيس الثانى ضد الجناح الشرقى الهزيل للمركبات الحربية المعادية على طول النهر ، يأتى بنتائج حاسمة .

ولكن بعد اللقاء بكل قوات الاحتياطى من المركبات الحربية فى القتال الفعلى ، وبعد وصول فرقة «بتاح» إلى ميدان القتال فى نفس ليلة المعركة ، أدرك «مواتاليش» بوضوح أنه فقد آخر فرصة فى احراز نصر حاسم . ولذلك فقد أمر بسحب مركباته إلى مدينة قادش .

أما العامل الثانى الذى أدخل بالخطط التكتيكية للحيثيين ، فكان وصول التعزيزات ، التى ربما كانت قد نقلت بطريق البحر وهبطت على شاطئ «أمورو» ، وهى نجدة من شباب «نع - رو - نا N - RU - NA» وصلت إلى ميدان المعركة تحت إمرة ضباط مصريين ، قادمة من الشمال عبر وادى «اليوثيروس» وشاركت فوراً فى الهجوم المصرى المضاد الذى قاده «رمسيس الثانى» بنفسه ، مما أدى إلى منع المركبات الحربية من الاستفادة بنصرها المؤقت الذى أحرزته فى الهجوم الأول على فرقة «رع» .

ولاشك أن ظهور هذه القوات الجديدة قد ساهم على نحو كبير من رفع معنويات القوات المصرية بصفة عامة ، وقوات فرقة «رع» بصفة خاصة ، الأمر الذى مكن ضباط هاتين الفرقتين من انجاز المهمة العسيرة الخاصة باعادة تنظيم طوايرهم المشتتة .

وهذا الموقف الاستراتيجى يمكن مقارنته بموقف القوات المتحالفة فى «معركة ووترلو WATERLOO» ضد «نابليون بونابرت» ، إذ بعد أن قام الفرنسيون بهجومهم العام ، تحدد مصير المعركة بوصول قوات الاحتياطى «البروسية» بقيادة الجنرال «بلوخر» .

ولعله من المفيد أن نذكر أن «تخوّمس الثالث» كان قد استخدم نفس هذه الخطة ، عندما أرسل قوات برمائية ، نقلت بطريق البحر ، ونزلت عند نقطة فى عمق أراضى العدو . ففى الحملة العسكرية الأولى التى قام بها «تخوّمس الثالث» فى سوريا ، وكذلك فى حملة العام الثالث والثلاثين من حكمه ، أرسلت قوة ضاربة خاصة بطريق البحر حتى وصلت إلى حلب . (وهى نفس الخطة الاستراتيجية التى استخدمها رمسيس الثانى فى قادش) .

أما العامل الثالث الذى ساهم فى تخفيف حدة الهجوم التكتيكى المفاجئ للقوات الحيثية ، فكان يتمثل فى الطريقة التى تصرف بها القيادة المصرية العامة والفرعون «رمسيس الثانى» . فقد أبدى رمسيس وقواته بسالة نادرة فى اقتحام جيش العدو ، مع التوقيت الدقيق لشن الهجوم المضاد على الطابور الهزيل من المركبات الحربية الحيثية على طول نهر العاصى ، بدلاً من مواجهة جيش العدو المحتشد على الضفة الغربية ، مما أعطى القوة المقاتلة المصرية فى الشمال ، وفرقة «بتاح» فى الجنوب ، الوقت الكافى والملائم للتدخل فى المعركة [صورة ٤٠] .

وفى اعتقادى أن نجاح الهجوم المصرى المضاد عبر مخاضة نهر العاصى ، انما يرجع بصفة أساسية إلى خفة المركبات الحربية المصرية ، بالمقارنة بثقل المركبات الحربية الحيثية . فالمركبات المصرية الخفيفة ، كانت مزودة باثنين فقط من المقاتلين ، فى حين أن كل مركبة حيثية كانت تحمل ثلاثة محاربين ، مما جعل المركبات المصرية قادرة على المناورة السريعة [صورة ٤١ ، ٤٢] .

وقد وصف «برستد» التكتيكات التي استخدمت في معركة قادش بقوله : «ان سهول سوريا ، قد شهدت في ذلك الزمان البعيد ، نماذج بارزة من ذلك العلم الذى نفترض فيه الحدائة ، والذى بلغ به نابليون قمة الاكتمال ، وهو علم احراز النصر قبل أن تبدأ المعركة» .

كما أن العدد الكبير من المركبات التي استخدمها كل من الجانبين المتحاربين في معركة قادش (٣٥٠٠ مركبة لدى الحيثيين وحدهم) إذا قورنت بالألف مركبة التي استخدمها الميتانيون والمصريون معاً قبل ذلك بنحو مائتى عام في معركة «مجدو»^(١) ، فإنه يعكس مدى التطور الكبير الذى تم ادخاله على سلاح المركبات الحربية في العالم القديم ، خاصة بعد انفصاله عن سلاح المشاة ، وأصبح فرعاً مستقلاً من فروع الجيش .

وطبقاً للمصادر المصرية ، فقد طلب الحيثيون «الهدنة» في اليوم التالى للمعركة . ومن الممكن أن يكون ذلك صحيحاً في ضوء النتائج العامة العاجلة التي أسفر عنها القتال ، فإن الخسائر الجسيمة على الجانبين ، بالإضافة إلى الموقف العام للقوات ، لابد أن تكون قد أقتعت كلاً من «مواتاليش» و «رمسيس الثانى» بأن من المستحيل تحقيق أى هدف استراتيجى حاسم .

ونحن لسنا مضطرين لقبول ما زعمته «الواح بوغاز كوى BOGHAZKOY TABLETS»^(٢) [صورة ٤٣] عن هزيمة المصريين . فالمصادر المصرية تشير إلى وصول رسالة من «مواتاليش» يطلب فيها السلام . ولم يتم انسحاب الجيش المصرى إلا بعد المفاوضات التي أعقبت المعركة .

وفي منطقة «أوب UPE» بالقرب من دمشق ، أعيد تنظيم القوات المصرية قبل أن تبدأ رحيلها عائدة إلى مصر .. حقا لم ينجح المصريون في احراز نصر حاسم ، ولكن الحيثيين أيضا ادركوا انهم يواجهون طموحات مصرية جديدة ، لانشاء حكم مصرى في آسيا ، كما ادركوا تماماً أن السياسة المتخاذلة اثناء فترة العمارنة ، قد ولت وحلت محلها سياسة ذات طابع هجومى .

وفي فلسطين ، كان لابد من مواصلة الجهود العسكرية الكبيرة ، خلال العام السادس أو السابع من حكم «رمسيس الثانى» لاختتام الثورات التى قامت بها بعض المدن الصغيرة ضد السيطرة المصرية نتيجة للمؤامرات الدبلوماسية التى دبرها الحيثيون .

وبعد سنوات قليلة على معركة قادش ، استؤنف الصراع مرة أخرى فى العامين الثامن والعاشر من حكم «رمسيس الثانى» فى شمال «بيلوس» (جبيل) وطرابلس . ومن الواضح أن هجمات الحيثيين التى شنوها من قادش على بلاد «أمورو» لم تحرز أى نجاح . وفى نفس الوقت قام المصريون بهجمات مضادة على بعض المدن فى «نهارينا» و «خاتى» (بلاد الحيثيين) .

ويمكننا أن نشير إلى عملية برمائية قام بها الجيش المصرى على شاطئى سوريا الشمالى بالقرب من «أمورو» ، مكنت «رمسيس الثانى» من أن يتغلغل بعمق فى دفاعات الحيثيين ، حتى غزا «قطنه QATNA» و «قادش» فى الشمال الغربى .

ومع ذلك فإن الجهد التاريخى الكبير الذى بذل لاسترداد مجد الامبراطورية المصرية كما كان فى خلال فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، والذى غطى فترة زمنية تبلغ حوالى ٣٥ عاماً خلال حكم كل من «سيتى الأول» و «رمسيس الثانى» ، لم يحقق نجاحاً حاسماً . وبهذا توصلت الدولتان الكبيرتان فى النهاية ، إلى ضرورة وضع حد للعداوة والعمليات الحربية ، وعقد معاهدة سلام تحدد العلاقات فيما بينهما .



لا جدال فى أن التفاهم الضمنى على تقسيم مناطق السيادة والنفوذ بين الامبراطوريتين المصرية والحيثية ، والشروط المتبادلة فى المعاهدة التى وقعت بينهما فى السنة الحادية والعشرين من حكم رمسيس الثانى ، إنما يعكس التوازن الاستراتيجى العام بين الجانبين .

ومن هذه الزاوية ، فإن «معاهدة قادش» تختلف كيفياً عن الاتفاقات التقليدية التي كانت تعقدها الدول الكبرى في ذلك العصر مع غيرها من الدول الأخرى . مثل تلك المعاهدة التي عقدت في عهد «تخوتمس الثالث» بين مصر والمدن السورية . أو مثل تلك المعاهدات التي عقدت بين خيتا (بلاد الحيثيين) والدويلات الصغيرة في آسيا الصغرى وسوريا .

وقد لوحظ في «معاهدة قادش» عدم التركيز على شخصية الملوك المتعاقدين كما كان شائعاً في معاهدات العالم القديم ، وكما كان يظهر دائماً في الصياغة الدبلوماسية لهذه المعاهدات ، وكان التركيز في معاهدة قادش منصباً على بنود المعاهدة ، التي قصد منها أن تستمر سارية المفعول ، حتى بعد وفاة الملوك المتعاقدين .

وكان انتقال السيادة تبعاً بين مصر وخيتا ، على مناطق النفوذ في سوريا ، قبل توقيع المعاهدة ، قد أدى إلى حالة من عدم الاستقرار في الشؤون الداخلية والحياة السياسية للدويلات السورية الصغيرة ، وإلى تذبذب ولاء هذه الدويلات بالتالي بين الامبراطوريتين المسيطرتين . ولكن بمقتضى المعاهدة ، لم يعد اللاجئين السياسيون مهما كان مركزهم الاجتماعي ، يعاملون كمجرمين عند تسليمهم من جانب إلى الجانب الآخر .

وعلاوة على ذلك فإن «معاهدة قادش» تعد أكثر من مجرد ميثاق بعدم الاعتداء ، فقد رُتبت على الطرفين التزامات بالمساعدة العسكرية المتبادلة ، في حالة تعرض أحدهما لعدوان خارجي .

ونتيجة للمعاهدة أيضاً ، فقد «طُبعت» العلاقات بين مصر والدويلات الصغيرة التي كانت قد تحالفت مع الحيثيين ضد مصر .

وكان الجانبان حريصين ، بعد توقيع المعاهدة ، على تطوير «السلام السيكلوجي» بينهما ، على حد تعبير «هالك» .

وبالرغم من عدم تحديد الحدود التي تفصل بين منطقتي النفوذ لكل من الامبراطوريتين تحديداً دقيقاً ، إلا أن المصادر الأثرية دلت على أن «أوب» بالقرب من دمشق ، والمناطق الواقعة على الشاطئ السوري حتى «سيميرا SIMYRA» احتفظ بها المصريون ، في حين استعاد الحيثيون قادش .

هناك أيضاً ما يدل على نشاط حركة التجارة بين الدولتين ، بعد دخول المعاهدة مرحلة التنفيذ ، فقد ذكر أن «هيشميشارما HISMISARMA» ابن ملك الحيثيين قد اصطحب في عودته إلى بلاده ، بعد أن زار مصر سفناً مليئة بالقمح المصدر إلى خيتا .

كذلك فقد توثقت عرى الصداقة بين الأسرتين المالكتين ، بالزيجات التي حدثت في العام الرابع والثلاثين من حكم «رمسيس الثاني» . وتعطى الوثائق المصرية معلومات تفصيلية عن أحداث زواج «رمسيس الثاني» بالأميرة «ماع نفرو رع MA' NEFRURE» ابنة الملك «خاتوسيليس HATTUSILIS» . كما تم زواج آخر بين «رمسيس الثاني» وابنة ثانية لملك الحيثيين ، بعد العام الرابع والثلاثين . مما يؤكد زيادة الألفة والمودة بين الامبراطوريتين وأسرتيهما الحاكمتين .

ومن المحتمل إلى حد كبير ، أن تكون المعاهدة التي وقعت بين مصر وخيتا في العام الحادى والعشرين من حكم «رمسيس الثاني» وما تلاها من علاقات ودية بين الدولتين الكبيرتين ، قد أملت لها الضرورة التاريخية ، نتيجة لتراكم سحب المخاطر المقبلة من «شعوب البحر»^(٤) .

وفي تقدير «هلك» ان خيتا قد سقطت نهائياً تحت ضربات «شعوب البحر» في أواخر حكم الملك «مرنبتاح»^(٥) (منفتاح) تقريباً . ويرفض «هلك» الفكرة التي قال بها «مالامات A. MALAMAT» من أن الانهيار النهائى للامبراطورية الحيثية قد حدث أثناء حكم «رمسيس الثالث» . وعلى أية حال فهناك من الشواهد ما يدل على أن «شعوب البحر» قد ظهرت بالفعل في العام الثامن من حكم «رمسيس الثالث» على الحدود السورية بعد أن غزت خيتا ، واستقرت بعض الوقت في بلاد «أمورو» .

ومن المهم أن نلاحظ في هذا الصدد أن «مرنبتاح» أمر بإرسال شحنات من القمح المصرى إلى خيتا ، لمواجهة المتاعب الاقتصادية التى كانت تحيط بالحيثيين فى ذلك الوقت . وأكثر من ذلك فإن من المحتمل أن يكون «مرنبتاح» قد أرسل قواته للدفاع عن «أوجاريت UGARIT»^(١) ضد «شعوب البحر» تنفيذا لنص الدفاع المشترك فى المعاهدة المصرية الحيثية التى وقعت فى العام الحادى والعشرين من حكم «رمسيس الثانى» .

هذا التحول الاستراتيجى بين سياسة الحرب ودبلوماسية السلام ، يمكن فهمه فى ضوء الموقف السياسى الجديد فى آسيا . فقبل ذلك كانت القوة الكاسحة للإمبراطورية المصرية خلال النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وخاصة أثناء حكم «تخوتمس الثالث» لا تتطلب استخدام هذا الأسلوب . ولكن هذه الاستراتيجية جاءت نتيجة للظروف الداخلية والدولية الحرجة التى أعقبت الأزمة الدينية فى مصر ، واستطاع أن يستخدمها بنجاح الزعماء العسكريون الذين برعوا فى الشؤون العسكرية كما برعوا فى الشؤون السياسية على حد سواء .

وفى معركة قادش يبدو تقدم الفن العسكرى واضحاً ، فى المناورات الاستراتيجية المتطورة ، وفى الاستخدام المكثف لسلاح المركبات الحربية .

ومن ناحية أخرى ، نجد أن المناورات الدبلوماسية التى تكللت بعقد معاهدة العام الحادى والعشرين ، قد وصلت إلى قمة من «البراجماتية» السياسية لا نكاد نجد لها مثيلاً فى التاريخ القديم .

وهذا التوفيق الدقيق بين الدبلوماسية والعسكرية ، يمكن أن نعتبره بمثابة إرثاثة مبدئية لفكر «مكيافيللى MACHIAVELLI» السياسى فى كتابه الشهير «IL PRINCIPE» ذلك الفكر الذى تطور فى الميدان العسكرى على يد «فون كلاوزفيتس C. VON CLAUSEWITZ» فى كتابه المعروف «فن الحرب» والذى أصبح بمثابة نظرية تهتدى بها بعض الحكومات الأوربية منذ القرن الماضى .

المبحث الرابع

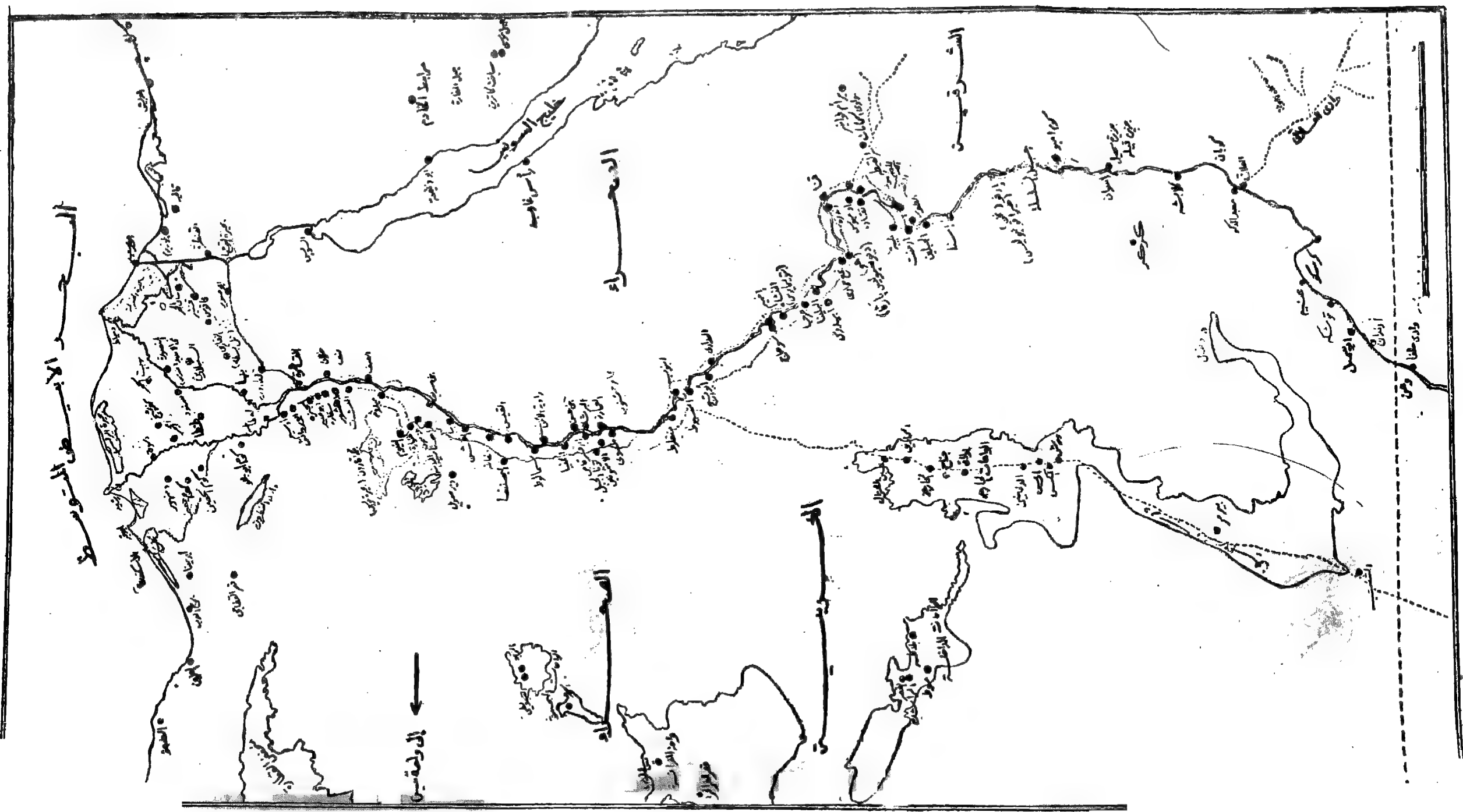
التحصينات العسكرية المصرية على طول الشاطئ الغربي

على النصف الغربى للحائط الشمالى الخارجى من قاعة الاعمدة الكبرى فى الكرنك ، تظهر مناظر لمعركة حربية ضد «التحينو TJEHNYU» الليبيين ، حدثت فى عهد «سيتى الأول» . وهى صورة لا نكاد نجد لها نظيراً منذ بداية الأسرة الثانية عشر (فى عصر الدولة الوسطى) .

وفى وادى السبوع بالنوبة ، نرى مناظر أخرى لأسرى الحرب التحينو الليبيين ، وهم يستخدمون فى بناء معبد «لرمسيس الثانى» .

ولعل هذا يوضح لنا الخطر الذى كانت تتعرض له الحدود الغربية لمصر ، منذ السنوات الأولى للأسرة التاسعة عشر ، وهو الخطر الذى كان ينذر بالتهديدات المحتملة مستقبلاً من جانب القبائل الليبية : «الليبو LIBU» و «كهيك KEHEK» و «مشوش MESHWESH» وحلفائهم من «شعوب البحر» الذين ظهروا لأول مرة على مسرح التاريخ فى العام الخامس من حكم «مرنبتاح» .

وهؤلاء الغزاة الذين ظهروا فى العام الخامس من حكم «مرنبتاح» والذين أوقفوا عند الحدود الغربية للدلتا ، كانوا ينوون الاستقرار بصفة دائمة فى وادى النيل ، مثلهم فى ذلك مثل حلفائهم المعروفين فى التاريخ باسم «شعوب البحر» ، والذين كانوا يهدفون إلى نفس الشئ عند قيامهم بهجراتهم الكبرى .



البحر الابيض المتوسط

البحر الاحمر

الخليج الفارسي

إلى ولاتين

الدولة العثمانية

المملكة المتحدة



وهكذا اضطرت مصر اثناء حكم «مرنبتاح» و «رمسيس الثالث» إلى اتخاذ موقف الدفاع مرة أخرى ، كما كان الحال اثناء أزمة العمارنة . ولكن الظروف السياسية الثقافية لمصر وكل العالم القديم ، كانت تختلف اختلافاً أساسياً بين الحقتين . وفي عهد «رمسيس الثالث» ومن قبله «مرنبتاح» كان الخطر يستهدف مصر بكل معنى الكلمة .



وتدل سلسلة التحصينات التي أقامها «رمسيس الثاني» على طول شاطئ البحر المتوسط لحماية الحدود الشمالية الغربية لمصر ، على أن هذا الخطر الوشيك كان بالفعل متوقعاً في زمن «رمسيس الثاني» . بل ولعله كان عاملاً اضافياً وراء الجهود التي بذلت لتحقيق السلام مع الحيثيين .

وقد أشار «دى كوسون A. DE COSSON» في دراسته عن «الحياة الزراعية في مريوط» التي وضعها عام ١٩٣٥ ، إلى وجود عمود من الجرانيت لا يبعد بأكثر من ستين كيلو متراً إلى الغرب من الاسكندرية . وعلق عليه بقوله : «ان هذا العمود لم يفحص من قبل فحصاً دقيقاً ، ولم يوصف ولم يصنف في قائمة» . وقد عثر إلى جانب العمود على أطلال لأسوار كانت مبنية بالطوب اللبن المجفف بالشمس ، مما يدل على أن العمود كان يقوم في بناء مقام بهذه المادة ولم يجلب إلى هناك من موقع آخر . وهذا العمود مزين بالنقوش على جميع جوانبه ، وله ثلاثة صفوف ، بكل صف منظران . وفي كل منظر منهما يبدو «رمسيس الثاني» وهو يقدم القرابين إلى أحد آلهة الشمس الذي يباركه .

وإذا سرنا بضعة كيلو مترات تجاه الغرب ، فائنا نصل إلى منطقة العلمين التي اشتهرت بالعمليات الحربية الكبرى التي دارت فيها اثناء الحرب العالمية الثانية . ومما يثير الاهتمام ذلك التوافق في اختيار هذا المكان بالذات لاقامة الخطوط الدفاعية عن مصر ، سواء في الأزمنة القديمة أو الحديثة . فهذا المكان يتحكم تماماً في الطريق الوحيد الممكن ، الذي يؤدي إلى وادى النيل ، حيث يوجد البحر المتوسط في الشمال ، والتلال الرملية الخطرة في الجنوب ، مما لا يسمح بوجود أى طريق بديل آخر .

وهناك ، عثر على أطلال قلعة فرعونية قديمة ، بها بقايا أسوار من الطوب اللبن والحجر الجيري والجرانيت . ويمكن للقارىء الحصول على معلومات كافية عن هذه القلعة من نتائج الدراسات الحديثة التى قام بها الدكتور لبيب حبشى .



الفصل الثانى

الظاهرة العسكرية فى عصر الرعامسة

ويتضمن المبحثين التالين :

- المبحث الأول : الطبيعة العسكرية للعصر .
- المبحث الثانى : الحالة الاجتماعية لأفراد الجيش .

المبحث الأول

الطبقة العسكرية للعصر

كان ارتقاء «رمسيس الأول» لعرش مصر ، استمراراً لتقليد بدأه «آي» . وقد اختير «رمسيس» من البطانة العسكرية «لحور محب» . وهى التى كانت تمثل النخبة الممتازة لطبقة العسكريين . هذا ولايمت رمسيس بأية رابطة عائلية بحور محب ، كان فقط مساعده ، وكان الاثنان يمتنان مهنة الحرب . ويعد اعتلائه العرش أمراً بالغ الدلالة بالنسبة للتطور الاجتماعى العام للطبقة العسكرية خلال قرنين ونصف قرن من الزمان ، منذ انشاء الامبراطورية فى الدولة الحديثة .

ومن المستحيل افتراض أن تعاقب ثلاثة زعماء عسكريين على العرش المصرى خلال الثلاثين سنة الاخيرة التى مرت منذ وفاة «توت عنخ آمون» ، كان مجرد مصادفة تاريخية ، أو نتيجة لنفوذ فردى لبعض ضباط الجيش .

وكذلك فإن خلفاء «رمسيس الأول» الذين ينحدرون من أسرة من الضباط المقاتلين ، كانوا بالضرورة متأثرين نفسياً بهذه النشأة العسكرية . وكان العصر بأكمله مصبوغاً بالطابع العسكرى العميق ، حيث كانت تجرى عبادة الفراعنة المحاربين بعد وفاتهم ، بالإضافة إلى زيادة نمو الطبقة العسكرية نتيجة للحروب الهجومية والدفاعية الواسعة النطاق والتى حدثت فى عصر الرعامسة .

وقد سجلت المناظر العسكرية على الصروح الضخمة ، وتغطى مساحات كبيرة من جدران قاعات معابد الآلهة والمقابر فى أيدوس والأقصر والكرنك والرمسيوم ومدينة هابو والنوبة ، ويبدو فيها الفرعون فى قمة قوته .

ولاجدال فى أن هذه المناظر تعكس اتجاه العصر الذى يذخر بالنفض العسكرى فالمعبد فى الدولة الحديثة ، وبخاصة فى عهد الأسرة التاسعة عشر ، كان يستلهم فى عمارته ونقوشه وتخطيطه الروح العسكرى البارزة .

وفى رأى أن التعبير التقليدى عن عظمة الفرعون ، أصبح يقترب قصداً بكبرياء هذه الروح الجديدة التى ظهرت فى المناظر الحربية المرسومة على الصروح الضخمة والجدران ، بحيث تعطى تأثيراً قوياً فى المشاهدين ، حتى ولو على حساب القيمة الفنية للمنظر المرسوم .

وفى الجانب الشرقى للحائط الشمالى لقاعة الأعمدة الكبرى بالكرنك ، نرى أقدم مثال على تصوير ما يبدو كخريطة عسكرى كبيرة ، ويبدو فيها الطريق الذى اخترقه «سيتى الأول» وجيشه فى الزحف إلى شمال سوريا ، بما فى ذلك المحطات الحصينة المقامة على منابع ومصادر المياه فى هذا الطريق العسكرى ، التى كان لا غنى عنها للجيش ، وهى تظهر فى المنظر بشكل واقعى .

كذلك كانت المؤلفات الأدبية المتعلقة بالحرب والبطولة ، والتى تدور حول الشجاعة العسكرى فى ميدان القتال ، وما يشبه ذلك من موضوعات ، تنسخ وتقرأ على نطاق واسع ، وتمثل جزءاً من البرنامج التعليمى للتلاميذ . فمثلاً من بين الموضوعات المحببة فى أدب الرعامسة ، قصة «الاستيلاء على يافا JOPPA» التى تعود إلى زمن الفتوحات العظيمة «لتحوتمس الثالث» وكذلك قصة «سقن رع وأبوفيس» التى تسجل أحداث حرب التحرير الوطنية الكبرى ضد الهكسوس .



وفى مرسوم «ناورى NAURI» الذى أصدره «سيتى الأول» نلاحظ كثرة عدد الضباط والمسؤولين العسكريين ، بالمقارنة بالمسؤولين الآخرين الذين يخاطبهم المرسوم . ومن هذه الوظائف والمناصب التى ورد ذكرها فى المرسوم : «الوزير . وكبار الموظفين . ورجال البلاط . والقضاة . ونائب الملك فى كوش . وقادة الوحدات العسكرية . والمشرفون على الذهب . والعمد ورؤساء القرى فى مصر العليا والوجه البحرى . ورجال سلاح المركبات الحربية . ورؤساء الاصطبلات الملكية . وحملة الرايات . وكل عضو فى بيت الملك . وكل شخص مرسل فى بعثة إلى كوش» .

وقد رأينا من قبل أن منصب الوزير كان يحتله - منذ عهد «امنحتب الثالث» - مسئولون عسكريون مثل «رعموزا» الذى شغل هذا المنصب لدى «امنحتب الثالث» و «امنحتب الرابع» قبل انتقاله إلى العمارة وتغيير اسمه إلى «أخناتون» . ومنذ عهد «توت عنخ آمون» كان القائد العام للجيش ، يقوم بأعمال الوزير إلى جانب واجباته العسكرية .

ومن الطبيعى فى مجتمع يعيش فى حالة شبه دائمة من تجنيد قواه البشرية وحشد موارده الاقتصادية لخدمة الحرب ، أن يشغل منصب الوزير مسئولون لهم خلفية عسكرية سابقة . وفى هذا الصدد نشير إلى الدور العسكرى البحث الذى قام به الوزير الذى كان يرافق القوات المصرية فى قادش ، والذى أرسله «رمسيس الثانى» إلى الجنوب فور اكتشافه الموقع الحقيقى للقوات الحيثية خلف تلال قادش ، كى يقوم بتنظيم فرقة «آمون» وغيرها من الفرق التى كانت تقترب من ساحة القتال .

كما ذكرنا فى موضع سابق ، كان هناك بعض «نواب الملك فى كوش» أثناء عصر الأسرة الثامنة عشر ، يحملون ألقابا عسكرية . وفى عهد «توت عنخ آمون» كان نائب الملك «حوى HUY» محارباً قديماً فى سلاح المركبات الحربية . وكان أبنائه الثلاثة ضباطا فى نفس السلاح . وكذلك فإن المدعو «ستاو SETAU» وكان يشغل منصب نائب الملك فى كوش فى عهد «رمسيس الثانى» قد ذكر فى تاريخ حياته أنه كان «على رأس قواته» .

وقد شارك ضباط الجيش كقضاة في المحاكمات الرسمية الهامة ، فتدلنا بردية « تورين TURIN » على أن عدداً من ضباط الجيش كانوا من بين القضاة الذين كلفوا بالتحقيق في المؤامرة التي دبرت ضد «رمسيس الثالث»^(١) .

وفي بردية «أبوت ABBOTT» نجد أن من بين أعضاء إحدى المحاكم قائداً مساعداً بالجيش ، وحامل راية لسفينة الطوارئ .

وتذكر بردية «ميونيخ MUNICH» تشكيل محكمة قضائية للتحقيق في قضية رفعها نفر من المشاة ضد مسئول كبير ، فألى جانب وزيرين في رئاسة المحكمة نجد أن عضويتها شملت اثنين من القادة المساعدين بالجيش ، وقائد وحدة عسكرية ، واثنين من حملة الرايات ، وأربعة من جنود المشاة الذين ينتمون إلى وحدة عسكرية تدعى «نجمة منف» .

وهذه القضية التي رفعها جندي مشاة بسيط ، ضد مسئول كبير ، ونظرت أمام محكمة تضم مثل هذا العدد الكبير من المسؤولين والضباط العظام ، تدل على مدى الحماية الاجتماعية التي كان يتمتع بها المحاربون في عصر الرعامسة .

وكذلك فقد اختير قائد مركبات وضباط من رتبة «حامل الراية» كأعضاء في المحاكم التي شكلها «رمسيس التاسع» للتحقيق في حوادث سرقة القبور التي حدثت في عهده .

وفي بردية «بتلر BUTLER ٥٣٤» (المحفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم ١٠٣٣٣) نجد مجموعة من المسؤولين عددهم ٢١ شخصاً وهم يقدمون القرابين إلى «أوزيريس - خنتي - امتي OSIRIS - KHENTY - AMENTI» . وذكر أن منهم حامل راية ، وقائداً مساعداً بالجيش ، واثنين من قادة الكتائب ، وسبعة من جنود المشاة . وجميعهم مذكورون برتبهم العسكرية ، بينما الآخرون مذكورون بأسمائهم المجردة . ويلاحظ أن محتويات هذه الوثيقة، غير العسكرية ، تلقى مزيداً من الضوء على زيادة تمثيل العسكريين ، بالمقارنة بغيرهم من المسؤولين في ذلك العصر .

وفى معبد «سبيوس أرتيميدوس SPEOS ARTEMIDOS» المكرس لالهة الحرب «بخت PHT» فى اقليم الغزالة^(٦) نجد أن خرطوش اسم الملكة «حتشبسوت» قد رفع وحل محله خرطوش باسم «سيتى الأول» مما يدل على رغبة الأخير فى تسجيل اسمه فى معبد إلهة الحرب ، كما فعل من قبل القائد العسكرى العظيم ، سيد الامبراطورية ، «تخوتمس الثالث» .

وعلى النصب التذكارى الذى أقامه «سيتى الأول» فى «بيسان» نجد أن الفرعون يلقب «بالقائد الشجاع للجيش» وهو لقب لم يستخدمه من قبل سوى الفرعونين المحاربين العظيمين «تخوتمس الثالث» و «امنحتب الثانى» .

وملحمة قادش لم تكتف بتسجيل ما أبداه «رمسيس الثانى» من بطولة فحسب ، وإنما تحدثت أيضا عن قدراته العسكرية على النحو التالى : «أنه هو الذى أنقذ مشاة جيشه فى يوم القتال . المعقل الحصين ل سلاح مركباته الحربية . الذى عاد بكل تابعيه سالمين . منقذ جيشه ..» [صورة ٤٤] .

وهناك من الشواهد ما يدل على أن «رمسيس الثانى» كان يرافق والده «سيتى الأول» فى حملاته العسكرية ، عندما كان ولياً للعهد .

وهناك مجموعة من النصب التذكارية فى متحف «هلدهسهايم HILDESHEIM» تصور «رمسيس الثانى» كملك مؤله فى شكل تمثال على هيئة إله الحرب «مونت MONT» وقد عثر عليها أصلاً فى «هوربيط HOREBEIT» وفى «قنطير QANTIR»^(٧) ، وهى المستعمرة العسكرية التى أقامها الرعامسة فى شرق الدلتا ، وفيها كان الفرعون الحى المؤله ، يعبد أيضا فى شكل إله الحرب الشهير ، بواسطة جنوده المقيمين فى هذا المركز العسكرى بالقرب من حدود مصر الشرقية .

وهناك جزء من عضادة باب محفوظة بمتحف «فيكتوريا» فى أوبسالا ، ينتمى فى الغالب إلى هوربيط أو قنطير ، بسبب اسلوبه ومحتواه . وعلى هذا الجزء خرطوش للفرعون المؤله «رمسيس الثانى» مع لقب عسكرى لضابط غير معروف هو «قائد المركبات الأول

لجلالته» وأيضاً «المبعوث إلى كل أرض أجنبية» ، مما يدل على أن التقليد الذى كان متبعاً فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، بتكليف الضباط العسكريين بمهام سياسية ودبلوماسية إلى البلاد الأجنبية ، ظل متبعاً أيضاً فى عصر الرعامسة .

ويبدو النفاق للملوك جلياً فى أناشيد النصر التى كان ينشدها جنود كتبية المشاة التى قادت أسرى الحرب الحيثيين ، وقامت بتسجيل مركباتهم بعد الاستيلاء عليها ، فقد كانوا يتغنون «بالصحبة العظيمة لأوسيم ر ع USIMA RE وستين ر ع SETPEN RE^(١) ذى السيف القوى» .

وأكثر من ذلك فإن روح العصر تبدو واضحة فى بردية «اناستاسى الثالثة (3) ANASTASI» التى تمتدح إقامة «مرنتاح» فى الدلتا ، حيث «مكان تصميم الخطط لمركباتك الحربية . مكان احتشاد جنودك . مكان رسو سفنك» .

وتعطى بردية «هاريس الأولى (1) HARRIS» صورة واضحة عن مدى «عسكرة MILITARIZATION» مصر تحت حكم «رمسيس الثالث» . إذ يقول الملك : «لقد جعلت مصر تنبض فى قلوب طبقات كثيرة من الشباب ، وخاصة خدم القصر ، وكبار الموظفين ، ومئات الألوف من المشاة ، وراكبى المركبات الحربية ، والشريدان والكيهيك SHERDEN AND KEHEK^(٢) الذين لا يحصيهم العد ، وتابعهم بعشرات الألوف» . ومن الجدير بالذكر أن «رمسيس الثالث» يشار إليه فى نقوش مدينة هابو بلقب «السيد البطل القوى ، العداء» .



وقد انتهج «رمسيس الأول» نفس التقليد الذى كان متبعاً فى عصر الأسرة الثامنة عشر حتى نهاية حكم «امنحتب الثالث» ، والخاص بتعيين «ولى العهد» فى منصب «القائد العام للجيش» . فأصدر «رمسيس الأول» قراره بتعيين ابنه «سيتى» فى هذا المنصب .

وعلاوة على ذلك فإن الألقاب العسكرية العليا التى كثيراً ما كانت تمنح للأمرء الملكيين فى الأسرتين التاسعة عشر والعشرين ، تعكس النزعة العسكرية للبلاط الملكى . فنجد فى معبد الأقصر ، على الحائط الجنوبي للقاعة الأولى الخاصة «برمسيس الثانى» صوراً لحفلة دينية أقيمت فى الغالب بمناسبة الاحتفال بعيد «أوبت OPET»^(٦) ونرى على رأس موكب الاحتفال ثلاثة من أبناء «رمسيس الثانى» المذكورين بألقابهم العسكرية ، وهم يقودون الشخصيات الأخرى ، وأمامهم صورة تمثل معبد الأقصر .

ونلاحظ أن الأمير الأول واسمه «آمون - حر - خبش إف AMON HER KHEPSHEF» ، والأمير الثانى واسمه «رمسيس» يحمل كل منهما لقب «قائد الجيش» بينما الأمير الثالث واسمه «با - رع - حر - ونم - إف PA RE HER WENEM EF» كان يحمل لقب «قائد المركبات الحربية» . ومما له دلالة فى هذا الشأن أيضاً أن اثنين من أبناء «رمسيس الثانى» كانا يرافقان أباهما فى معركة قادش .

وعلى الجدار الغربى لمقبرة الأمير «آمون - حر - خبش إف» (وهو ابن لرمسيس الثالث) نرى صوراً لهذا الأمير الصغير فى صحبة والده . وقد أشير إلى أن الأمير كان يحمل لقب «قائد سلاح المركبات الحربية» . وكذلك فى المقبرة رقم «٤٢» من مقابر وادى الملكات^(٧) ، وهى المقبرة الخاصة بالأمير «با - رع - حر - ونم - إف» وهو ابن آخر «لرمسيس الثالث»^(٨) نرى صوراً تمثل هذا الأمير وقد أشير إلى أنه كان يحمل لقباً عسكرياً هو «المشرف على اصطبلات رمسيس ، وحاكم أون ، وأمير البلاط ، الابن البكر لجلالته» . ويشار إلى أبناء «رمسيس الثالث» عادة بأنهم «يرافقون المركبات الحربية والحراس الشخصيون الذين يتبعون الملك إلى ميدان القتال» .

وعلى بعض جدران «مدينة هابو»^(٩) نرى مناظر تصور «ولى العهد» متقلداً منصب «القائد العام للجيش» وهو على رأس ضباطه العسكريين ، ويقوم بتوزيع الأسلحة عشية المعركة ضد «شعوب البحر» . وكان يهتف فيهم بصيحات الحماسة والشجاعة والاقدام ، وهم يردون عليه هاتفين «سوف نفعلها .. (أى سننتصر) .. سوف نفعلها» .

كذلك نجد الأمير «منتو - حر - خبش إف MONTU HER KHEPESHEF» وهو ابن «رمسيس التاسع» مصوراً في مقبرته بمدافن طيبة ، وأمامه إلهة الحرب «سختمت SHMT» . وقد أشير إلى أن هذا الأمير أيضاً كان يحمل لقب «القائد العام للجيش» .



ولقد وصل الفن العسكري إلى قمته في عصر الرعامسة ، وخاصة أثناء الأسرة التاسعة عشر ، إذ تعتبر معركة قادش نموذجاً رائعاً لتكتيكات الكر والفر ، وهي المعركة الكبرى التي استخدمت فيها الاستراتيجية الجديدة والمناورات التكتيكية للمركبات الحربية . كما أن المعارك الدفاعية الكبرى التي وقعت في شمال الدلتا تحت قيادة «رمسيس الثالث» ضد شعوب البحر ، تعتبر أول عملية حربية كبرى لمواجهة «الابرار البحري» للعدو ، في التاريخ القديم .

كذلك فإن الحياة بأكملها ، كانت تنضح بالروح العسكرية الواضحة ، ونتيجة للحروب الطويلة في ذلك العصر ، أخذت مصر مظهر «الدولة العسكرية» .

وعلى سبيل المثال ، نجد أن «اللغة» العسكرية قد تغلغلت في النصوص الأدبية التي كتبت في ذلك العصر . فصيغة «إو - تو tw - tw» التي كانت مستخدمة فقط أثناء عصر الأسرة الثامنة عشر ، على النصب التذكارية التي تسجل الأحداث العسكرية ، قد أصبحت تستخدم في عصر الرعامسة في تسجيل الأحداث غير العسكرية . فاللوحة الشهيرة التي تسجل زواج «رمسيس الثاني» بالرغم من طابعها المدني ، فإنها تتضمن الصيغة العسكرية سابقة الذكر . وهناك لوحة أخرى «لرمسيس الثاني» تشير إلى بداية مباحثات السلام مع الحيثيين ، بعد انتهاء معركة قادش ، وتستخدم أيضاً صيغة «إو - تو» بالرغم من أنها لا تسجل حدثاً عسكرياً .

وفي عهد «رئيس الثاني» تكونت فرقة عسكرية إضافية جديدة . وأصبح الجيش المصري يضم أربع فرق رئيسية هي : «آمون ، ورع ، وست ، وبتاح» . وكل فرقة كانت تضم «٥٠٠٠» محارب .

وفي اعتقادي أن هذه الفرق كانت تشكل فقط من الوحدات المقاتلة في ميادين المعارك الفعلية . وكانت هناك بالضرورة وحدات أخرى ذات طابع اداري ، تتكفل بتقديم المؤن والمهمات التي تحتاجها الوحدات المقاتلة .

وفي نص عمر عليه «بوادي الحمامات»^(١٠) نرى تسجيلاً لبعثة «لرئيس الرابع» مكونة من وحدة عسكرية كانت تضم «٢٠٠» شخص . ويمكن أن نستخلص من اسمها الطبيعة الادارية التي كانت تختص بها تلك الوحدة ، إذ أشير إليها بأنها «جنود فرقة الصيادين في المقر» . وهناك ألقاب عسكرية لها دلالات ادارية واضحة مثل : «الكتبة العسكريين ، وكتبة التوزيع ، وأمناء الامدادات والتموين ، والمعاونين» . مما يدل على وجود عناصر عسكرية معينة كانت مكلفة بهذه الخدمات المحددة .

وبالإضافة إلى ذلك فهناك بعض الوحدات التي أنيطت بها خدمات دائمة ، كالمرابطة في القلاع والحصون المقامة على طول الشاطئ الشمالي ، أو في مدن الحدود الشرقية ، أو في النوبة . بالإضافة إلى الحاميات الدائمة والمراكز العسكرية اللازمة للمحافظة على الأمن القومي ، سواء داخل مصر نفسها ، أو في الأقاليم السورية ، منذ الأيام الأولى للإمبراطورية .

ونلاحظ على تقدير «كريستوف L. A. CHRISTOPHE» انه لا يشمل الوحدات البحرية التي تعمل في النيل وفي أعالي البحار ، خاصة في البحر المتوسط ، ولا الوحدات البرمائية المعدة المدربة على عمليات الابراز البحري . وكذلك يمكننا أن نضيف القوات «شبه العسكرية» ذات الطبيعة الادارية والبوليسية ، والالزمة لحماية طرق التجارة في الصحارى المصرية . وبناء على ذلك فإن رقم ٢٠ ألف جندي الذي قدره «كريستوف» وغيره من علماء الآثار ، لا يمثل كل الجيش المصري ، بما كان يضمه من قوات عسكرية وشبه عسكرية .

وكان الجيش والضباط العسكريون يكلفون أحيانا بمهام نقل النصب التذكارية والأحجار اللازمة لاقامة مشروعات الفرعون ومعابده . وقد ازدادت هذه المهام في عصر الرعامسة . وفي البعثة التي أشرنا إليها آنفاً ، والمسجلة في وادى الحمامات ، نجد أدلة على النشاط المتزايد للجيش في الأنشطة الادارية والمعمارية . كما أن وجود الكاهن الأكبر للاله «آمون» مع البعثات العسكرية ، قد يؤكد العلاقات القوية بين الجيش والمعابد ، أو بمعنى آخر بين طبقة الضباط وطبقة الكهنة ، وذلك نتيجة للتطور الذى لحق بسلطات ونفوذ الطبقة العسكرية .

ونعرف ، استقراء لآثار ذلك العصر ، أن قائداً بالجيش يدعى «هاتاي» HATIAY كلف بمهمة عمليات النقل في «أيدوس» ، إذ نقرأ فوق لوحته ما يشير إلى انه كان «المشرف على أعمال البناء الخاصة برمسيس - ميامون في بيت أوزيريس» و «المشرف على الأعمال في مكان الحقيقة» و «قائد رماة السهام في الجيش الشجاع» و «القائد الكبير للجيش» .

وفي تقرير كتبه أحد الكتاب إلى رئيسه يبلغه فيه بانجاز عمل معين متعلق بالجيش ، وهو جلب تمثال الفرعون إلى «بيت بتاح» ، يقول الكاتب : «لقد سمعت الرسالة التى أمر بها سيدى : إعط المؤن إلى الجنود وإلى العائرو - الأجانب الذين يجلبون الأحجار إلى بناء (بجن BHN) الكبير فى ... رمسيس - ميامون له الحياة والقوة والسعادة . تحت إشراف رئيس المدجأى (أمن أمينت AMEN EMINET)» . فمن الواضح هنا ، أنه كانت هناك واجبات إضافية ذات طبيعة مدنية ، مكلف بها رئيس المدجأى هذا .

وفي نقش آخر بوادى الحمامات ، نرى قادة الفرق وهم يشرفون على الأعمال فى المحاجر وفى مناجم الذهب . ويشير النص المكتوب بأعلى المنظر إلى أن «العاملين فى فريق غسل الذهب مائة شخص» الأمر الذى يعطى انطباعاً بأن أعمال التعدين فى مناجم الذهب فى النوبة ومصر العليا ، كانت تحت الاشراف المباشر من الجيش .

وهذا ما يؤكد أيضاً نقش «الرديسية REDESIYEH»^(١١) الذى يهيب فيه الملك بقادة الفرق العسكرية المصرية أن يشرفوا على «فريق غسل الذهب» .

وبالإضافة إلى كل تلك المهمات التي كان يقوم بها الجيش ، فقد كانت الوحدات العسكرية تدرب على القيام بعمليات «جباية الضرائب» الخاصة بالتاج . ففي بردية «هاريس» يقول الفرعون : «لقد خصصت لك سفينة مجهزة ومزودة بضباط (مشكب mskb) الذين دربتهم على عمليات جباية الضرائب من الأرضين ، ونقلها إلى معبدك» .

وكانت السلطات العسكرية المركزية تمارس نفوذها على العاملين في المعابد وغيرها من الأجهزة المدنية . ففي بردية «بولونيا» ورد نص يشير إلى تجنيد ثلاثة شبان في الجيش ، وكانوا يعدون أصلاً ليكونوا كهنة في أحد المعابد . ويقول النص «أحضر الوزير ثلاثة شبان وقال : ضعوهم ليكونوا كهنة في معبد (حطب - حر - ماعت - مربتاح) له الحياة والقوة والسعادة ، في بيت بتاح ، ولكنهم أخذوا وأرسلوا إلى الشمال ، وقيل انهم سوف يكونون من رجال «المشاة» .

وفي نفس البردية نقرأ نصاً آخر عن ثلاثة أشخاص آخرين ، كانوا عاملين في حقل ، من الواضح انه يخص أحد المعابد ، ثم جندوا في الجيش . إذ يقول النص : «قلت لهم : جندوا هؤلاء الثلاثة العاملين في حقل الرب ، ليكونوا مشاة في الجيش» .

وعلى ذلك يمكننا القول بأن التقليد المبكر الذي اتبع في عصر الأسرة الثامنة عشر ، والخاص باستخدام الجيش في أعمال الإدارة الداخلية ، سواء على مستوى كبير أو مستوى فردى ، قد استمر بكثافة في عصر الرعامسة . وأن نواحي النشاطات المختلفة في مصر ذات الطبيعة الإدارية والاجتماعية ، قد أخذت طبيعة عسكرية أكثر مما كان لها من قبل .



المبحث الثانى

الحالة الاجتماعية لأفراد الجيش

على نصب تذكارى أقامه «سيتى الأول» فى منطقة السلسلة^(١) ، سجل الملك بياناً بكميات المؤن التى أمر باعطائها إلى ألف من جنود الجيش أثناء مهمة كانوا يقومون بها ، وهى نقل آثار أبيه «آمون - رع - أوزيريس»^(٢) مع تاسوعه الالهى .

وتدل هذه الكميات التى تبدو كريمة نسبياً ، على المستوى الاجتماعى المرضى الذى كان يتمتع به الجنود العاديون ، بصرف النظر عما كان يتمتع به الضباط من مزايا أخرى .

وتتضمن قائمة السلسلة بياناً بأنواع السلع والعطايا التى منحت لهؤلاء الجنود ، مثل : «الزيت ، ولحوم البقر ، والفاكهة ، وكميات كبيرة من الخضروات بلا حدود : وكل رجل منهم (قد أعطى) عشرين «دين DEBEN»^(٣) من الخبز كل يوم ، وثمار ، وخضر ، ولحوم محمرة ، و ... (هيكات)^(٤) من القمح كل شهر ... لقد أخذوا لحوم بقر ، وزيت الأبدية المعطر ، وزيت سد sd ، وتيناً ، وعنباً ، وأسماكاً ، وخضروات كل يوم ، وكذلك الهدايا العظيمة من الزهور والنباتات التى وصلت إلى جلالته من معبد الاله «سوبك SOBEK»^(٥) إله السلسلة التى فرضت عليها الضرائب كل يوم ، والأقمشة الكتانية التى جاءت إلى مخزن حامل راية جيش جلالته» .

وإذا قمنا بإجراء أية دراسة مقارنة بين المركز الاجتماعى للجنود والضباط فى عصر الرعامسة ، وغيرهم من قطاعات الطبقات الاجتماعية مثل الفلاحين وانباء الطبقة العاملة ، فسوف تبدو الفروق الاجتماعية واضحة جلية .

وقد قام «تشيرنى J. CERNY» بدراسة حول «مستوطنة دير المدينة»^(١) تضمنت تحليلاً اجتماعياً لفئات الوظائف والمراكز المتصلة على نحو مباشر أو غير مباشر بالعاملين في بناء المقابر الملكية لفراغة عصر الرعامسة في جبانة طيبة .

ولاشك في أن هؤلاء العاملين في بناء المقابر الملكية بدير المدينة كانوا يحيون حياة مميزة نسبياً ، نظراً لأهمية العمل الذي كانوا يقومون به ، والذي كان يشرف عليه الوزير شخصياً ، بحكم لقبه «المشرف على الأعمال في أفق الأبدية» .

ومع ذلك فقد كانت المئون التي تصرف يومياً لهؤلاء العمال وأسرانهم ، تقتصر على الجعة والطعام وكميات محدودة من الاسماك . وكانت هذه الاشياء تدفع لهم كأجور عينية ، بينما كانت اللحوم تقتصر على غذاء الأثرياء في ذلك العصر ، كموظفي المعابد .

وكانت الأعمال المساعدة في المقابر الملكية ، يقوم بها «عمال السخرة» . وبالرغم من أن هؤلاء العمال كانوا ملحقين بالمقبرة ، إلا أنهم كانوا لا يشكلون جزءاً من مجتمع عمال المستوطنة . ولابد أنهم كانوا أساساً من الفلاحين . وكانوا على حد ملاحظة «تشيرنى» أفقر من أن يحصلوا لأنفسهم على مكان خاص بهم بين مقابر عمال دير المدينة .

وهؤلاء العاملون بالسخرة ، كانوا يقومون بوظائف وأعمال متنوعة ، فمنهم زارعو البساتين ، وقاطعو الأخشاب ، وحاملو المياه ، والصيادون ، والحمالون ، والفلاحون . وفي هذا الصدد نشير إلى وثيقة من عصر الرعامسة تقدم صورة درامية للأحوال الاجتماعية التي كان يحياها الفلاح العادي . إذ نقرأ في هذه الوثيقة : «.. لقد نزل جاني الضرائب على شاطئ النهر . سوف يقوم بتسجيل المحصول . الحراس يحملون العصي . والسود (نحسى NEHESY) معهم الحبال المجدولة من ألياف النخيل . وقالوا : قدم قمحاً .. ولكن لم يكن هناك شيء منه . ولذا فانهم ضربوه (الفلاح) بشدة» [صورة ٤٥] .

وهناك أدلة كثيرة تشير إلى أن بعض أعضاء مستوطنة عمال البناء في دير المدينة ، كانوا ينتمون إلى الطبقة العسكرية . فاللقب العسكري «وعو W W» كان يطلق على كثير من العمال والكثير من رؤسائهم . وهذا اللقب في تفسير «فولكنر R. O.

FAULKNER» يعنى «الجندى» . وهو يطلق على الجندى البسيط ولا يطلق على الضابط .
ولاشك فى أن إطلاق هذا اللقب على العمال وبعض رؤسائهم ، يدل على أنهم كانوا جنوداً
سابقين أنها خدمتهم العسكرية بالجيش .

ويعتقد «تشيرنى» أن هبوط قوة العمل فى بناء المقابر بدير المدينة فى السنة الثامنة
من حكم «رمسيس الحادى عشر» يرجع إلى تجنيد هؤلاء الرجال للمشاركة فى الحرب الأهلية
التي نشبت فى ذلك الوقت .

وهناك احتمال آخر يمكن اقتراحه فى ضوء الطبيعة العسكرية لتنظيم مجتمع دير
المدينة والظروف التاريخية التى نشأ فيها بعد فترة العمارنة . فهذا المجتمع العمال أعيد تنظيمه
بعد أحداث العمارنة ، فى عهد «حور محب» وأطلق عليه اسم «إيسوت ISWT» ، وهو
تعبير معناه «طاقم المركب» . ويقول «تشيرنى» أن إطلاق تعبير ملاحى على هذه المجموعة من
العمال يدل على الطبيعة العسكرية لهذه المجموعة على وجه الخصوص ، كما يدل على الاتجاه
العام نحو عسكرة مختلف جوانب العمل الإدارى للدولة بعد أزمة العمارنة .

وما له دلالة كبيرة فى هذا الشأن ، أن نجد رئيس عمال فى دير المدينة
يدعى «نفر حتب NEFER HOTEF» له ثلاثة أبناء ضباط فى الجيش ، بينما الابن الرابع وهو
الأكبر ، انضم إلى فريق العمل فى منصب أيه . وكان أحد هؤلاء الأبناء يحمل لقب «كاتب
جيش سيد الأرضين والضابط فى جيش جلالته» . وكان الابن الثانى يخدم كضابط «نقل» .

وكان هؤلاء العمال ، ويطلق عليهم «أولاد المقبرة» يجندون أحياناً فى صفوف
الجيش . إذ نجد أن أحد كتبة الجيش يشكو من أن عدداً من «أولاد المقبرة» قد تغيبوا عن
الحضور ، ويطلب احضارهم لاعادة تجنيدهم فى الجيش على حد اعتقاد «تشيرنى» .

ويمكننا طبقاً لذلك ، أن نفترض أن التجنيد فى الجيش كان إجبارياً ، لا تعفى
منه أية شريحة اجتماعية . وانه كان مفروضاً كخدمة عامة بلا تمييز ، بالإضافة طبعاً
إلى «التطوع الاختيارى» فى صفوف الجيش .

تمدنا بردية «ويلبور WILBOUR» ، التى كتبت فى عهد «رمسيس الخامس»
بمعلومات عن نظام الملكية الزراعية للطبقة العسكرية فى عصر الرعامسة . وهذه البردية تعد
أطول نص مصرى غير دينى ، وتسجل نتائج عمليات المسح الزراعى فى منطقة زراعية تمتد من
شمال الفيوم إلى «طهنة TIHNA» أى على طول ١٤٠ كيلو مترا تقريباً .

وقد قام «السير آلان جاردنر» بترجمة هذه الوثيقة ، وهى تسجل أسماء الملاك
وظائفهم ، وأمام كل منهم القطعة الزراعية التى يمتلكها . وهذه الحقول كانت فى الأصل
منطقة زراعية يمتلكها أحد المعابد ، أو ربما كانت أوقافاً دينية ، ثم منحها الفرعون لأفراد أدوا
خدمات للدولة .

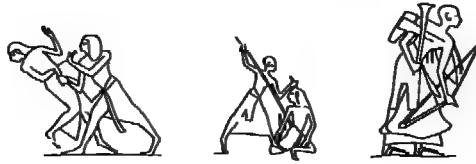
ومن الملاك العسكريين الذين منحوا قطعاً زراعية : جنود مشاة ، وراكبو مركبات
حرية ، ورؤساء اصطبلات ، وجنود أجانب من الشردن SHERDEN ممن تم تجنيدهم فى
الجيش المصرى .

وتتراوح مساحات القطع الزراعية التى منحت لهؤلاء الملاك العسكريين ، ما بين
ثلاث وخمس «أرورات» . وبالرغم من أن هذه المنح لم تكن ملكية فردية بالمعنى القانونى
الدقيق ، إلا أنها كانت تخضع لقواعد التوريث المعمول بها فى المجتمع المصرى فى ذلك العصر .
وكان التوريث قاصراً على «حق الانتفاع» بالأرض .

ومن بين المنتفعين بهذه القطع نجد بعض أسماء لنساء ، ربما كن أرامل ، وأسماء
لأبناء صغار (من أسر شهداء المعارك) . وقد كتبت أسماءهم جنباً إلى جنب مع أسماء المنتفعين
العسكريين ، كما وزعت عليهم مساحات مماثلة للمساحات الممنوحة للعسكريين ، الأمر الذى
يؤكد أن هؤلاء النساء والأبناء كانوا أرامل وأيتام الجنود الذين سقطوا فى ساحات القتال خلال
الصراع الطويل ضد شعوب البحر ، أو فى الحروب الأهلية التى نشبت نتيجة للصراع على
العرش بعد موت ، أو ربما اغتيال «رمسيس الثالث» .

وهناك معلومة أخرى ذات دلالة ، يمكن اشتقاقها من بردية «ويلبور» تتعلق بتلك العلاقة العضوية بين المنتفعين العسكريين والممتلكات الخاصة بالمعابد ، وكما سنرى فيما بعد ، فإن وظائف الكهنوت في المعابد المصرية ، أصبح يحتلها العسكريون بصفة متزايدة منذ عهد «حور محب» وربما منذ عهد «آي» . مما يدل على ازدياد الاتجاه نحو سيطرة الطبقة العسكرية على كل مصادر الثروة .

وثمة نوع آخر من القطع الزراعية ، نصت عليه الفقرة «ا» من بردية «ويلبور» يتميز بصغر مساحته المقاسة بالذراع المربع (الذراع المربع يساوى $\frac{1}{16}$ من الأور أو الفدان) . وتتراوح هذه القطع الزراعية ما بين ستة إلى مائتين ذراع مربع . وقد منحت لفئات مختلفة من الناس ، معظمهم من الكهنة والكتبة والعمال الزراعيين . ويبدو الفرق الاجتماعي واضحاً ، إذا أجريت أية مقارنة بين هؤلاء الموظفين المدنيين والمنتفعين العسكريين ، وغيرهم من أرامل وأيتام العسكريين الذين شملتهم الفئة الأولى .



ويشير «شولمان» إلى أنه في زمن السلم ، كان العسكريون يحالون إلى الاحتياطى ، ويستدعون إلى الخدمة العاملة في زمن الحرب فقط ، ولم يكونوا دائماً تحت السلاح . وتبين بردية «ويلبور» أن الجندى العادى كان يحتل الأرض الممنوحة له ويزرعها بنفسه .

ويقول «مولر W. M. MULLER» أن نقوش «حور محب» في الكرنك ، تبين أن جنود مصر كانوا قسمين كبيرين ، وأن تصنيف المحاربين في الفترة المتأخرة من التاريخ المصرى إلى قسمين (هما كلاسيريان KALASIRIANS وهرموتيبان HERMOTYBIANS) على النحو الذى أشار إليه «هيروودوت» يرجع على الأقل إلى الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر .

وكان الابن الأكبر يرث المنصب العسكري الذى كان يحتله أبوه ، بكل الامتيازات الملحقه بهذا المنصب . وفى حالة عدم وجود وريث مناسب ، فإن الحكومة تعين شخصا آخر يحتل المنصب . ويؤكد «شولمان» أن المناصب العسكرية أصبحت وراثية عادة ، بشرط أن تتحقق شروط معينة تتعلق باللياقة لأداء الخدمة العسكرية .

وقد تدعم مبدأ الوراثة هذا مع مرور الزمن ، حتى أصبح فى الفترة المتأخرة أمراً معتاداً ، على النحو الذى وصفه المؤرخون الأغريق القدماء . ويشير «مولر» إلى أن هذا النظام العسكري فى جوانبه الاجتماعية ، يشابه إلى حد ما النظام العسكري الذى كان سائداً فى عصر المماليك فى مصر خلال القرون الوسطى .

ويلاحظ أن النظام القائم على المحارير المحترفين كان مطبقاً بمصر منذ أيام الفراعنة العظام فى الدولة الوسطى . ولكن من الواضح أنه لم يكن هناك وقت كافٍ كى يتطور ، ولذا فإنه لم يصمد أمام غزو الهكسوس الكاسح . ومع ذلك فإن استمرار هذا النظام خلال الفترة الانتقالية الثانية فى الأقاليم الجنوبية من مصر العليا ، وفر الظروف العسكرية والاجتماعية الاساسية لأمرأة الأسرة السابعة عشر ، لشن حرب التحرير الكبرى ضد الهكسوس .

وقد تطورت نواة هذا النظام بسرعة اثناء عصر الأسرة الثامنة عشر ، على النحو الذى شرحناه آنفاً ، حتى وصل إلى النضج الكامل فى عصر الرعامسة . ونحن نعرف من بردية «سالييه SALLIER رقم ١ ، ٧ ، ٣» أن تعبير «العسكرية المتوارثة» كان كثيراً ما يستخدم . إذ تذكر البردية اسم «مالك اصطبل» يمثل الطبقة العليا من «القوات المتوارثة» . وتشير البردية إلى انه فى حالة ما إذا «تركته خيوله» فإنه ينتقل إلى «الطبقة المتوارثة» . وهى هنا المشاة .

كما أن «القوة المتوارثة» للفرعون ، قد ذكرت فى بردية «بولونيا» ، كما ذكرت أيضاً ضباط «القوات المتوارثة» وهناك مناظر منقوشة فى مدينة هابو تشير فى الغالب إلى الجنود المتوارثين وهم يتعلمون كيفية اداء واجباتهم على أيدي بعض الكتبة العسكريين .

ولاشك أن الدرجة الكبيرة من الرخاء التي بلغت مصر في النصف الأول من عصر الرعامسة ، والتي بلغت ذروتها في عهد «رمسيس الثاني» ، إذا أخذنا ضخامة المعابد كـمـعيار لـازدهار المملكة ، ترجع بصفة أساسية كما هو واضح إلى حالة الاستقرار الداخلى ، وتفوق القوة الثقافية في بداية عصر الرعامسة ، وتحسن الموقف في آسيا . فقد كان لكل ذلك انعكاساته الاجتماعية . وتمدنا النصب التذكارية الخاصة والنقوش الكثيرة التي يرجع تاريخها إلى تلك الفترة ، بأدلة إضافية على حالة الرخاء التي كانت تتمتع بها الطبقة المتعلمة على الأقل [صورة ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨] .

ويمكننا التحقق من درجة ثراء الطبقة العسكرية ، وبخاصة كبار ضباطها وقادتها . ففي نقش على النصب التذكاري المعروف بـمتحف «شتراسبورج» تحت رقم «١٣٧٨» ، يسجل أحد الضباط تبرعه بمساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، إلى معبد «آمون رع» على النحو التالى : «لقد أعطيت حقلاً مساحته ٥٠ أرورات كقربان مقدس «لآمون رع» فى قلعة (بجن BHN) ... كما أعطيت حقلاً مساحته ٢١ أرورات لعمال السخرة (?) .. وبالمثل حقلاً من عشر أرورات بالإضافة إلى ثلاثة أرورات لعمال السخرة (?) (الهاتياى HATIAI)» .

ويعبر أحد مدرّى المركبات الحربية عن مستوى حياة الضباط العسكريين ، والكبراء التي توحى بها مهنته ، فى خطاب أرسله إلى زوجته يقول فيه : «الآن ، انظرى ، عندما كنت أعلم جيش فرعون له الحياة والقوة والسعادة ، وأدرب رجال مركباته الحربية ، جعلتهم يزحفون على بطونهم من أجلك ، وهم يحملون كل شئ طيب ، من أجل أن يقدموه إليك» .

وما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد ، أن الرتب والألقاب المستخدمة فى سلاح المركبات الحربية ، بدأت تظهر فى بروتوكولات تعيين الضباط منذ عصر العمارنة وكان من أكبر طموحات الشبان المصريين ، أن يصبحوا من مقاتلى المركبات الحربية باعتبار أن ذلك من أرفع وأميز المناصب العسكرية .

وتدل أكثر من وثيقة من عصر الرعامسة ، على تفوق المناصب العسكرية ، وخاصة مناصب الضباط ، على المناصب المدنية . إذ جاء في النصب التذكاري المسجل عليه زواج «رمسيس الثانى» ، نص العبارة التالية : «... وبعد أن تلقى الملك الانباء . أعد جيشه وكبار الموظفين . لتلقى واستقبال الوفود الاجنبية» . فهو هنا يذكر الجيش قبل كبار الموظفين .

وأكثر من ذلك ، فإن الهدايا والهبات الكبيرة التى كانت تمنح لآلهة مصر ، وفى مقدمتهم جميعا الاله «آمون» تعكس بالضرورة وبطريقة غير مباشرة ، رخاء الطبقة العسكرية . فمثلا كانت الوحدات البحرية العاملة فى البحر المتوسط ، متخصصة فى نقل الجزية من الأقاليم الآسيوية فى عهد «رمسيس الثانى» ، إلى معبد «سيتى الأول» فى «أييدوس» .

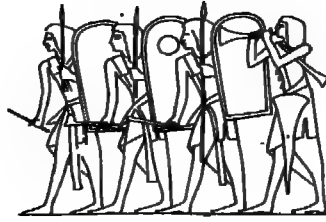
وكانت هناك مجموعة من الأساطيل مخصصة لمعابد «آمون ورع وبتاح» ، وتقوم بحلب الجزية من سوريا وبلاد بونت . وفى بردية «هاريس» الأولى ، يسجل «رمسيس الأول» أنه أمر ببناء سفن وقوارب مزودة بالمحاريين المسلحين والضباط ، من أجل معبد الالهة «موت» فى الكرنك . كما كانت الوحدات العسكرية مكلفة بحراسة ثروات وممتلكات معابد «رع» وغيره من الآلهة فى هليوبوليس .

هذا المستوى المتميز لمعيشة أفراد الطبقة العسكرية فى مجتمع الرعامسة ، أدى بالضرورة ، وخاصة فى زمن السلم ، إلى التوسع فى تجنيد الأجانب فى الجيش المصرى ، كما سنبين فيما بعد .

وفى اعتقادى أن بعض الأعمال الأدبية فى عصر الرعامسة التى تتضمن نصوص الشكوى من متاعب الحياة فى الجيش ، لم تكن تؤخذ مأخذاً جدياً . ومثل هذه التصريحات المتعلقة بمشقة الحياة العسكرية ، لم تكن تركز فقط على المشاة ، وإنما تمتد كذلك إلى سلاح المركبات الذى كان يضم النخبة الممتازة من طبقة العسكريين .

ولاشك أن جنود المشاة كان لهم الحق في الشكوى ، لأنهم يعيشون مع التراب والعرق والدم . وفي الغالب أدت الرفاهية النسبية وطريقة الحياة السهلة ، إلى التأثير في القدرة على تحمل النظام الصارم والحياة العسكرية الشاقة ، خاصة بعد أن خبت عظمة الامبراطورية ، وولى عصر الأجداد والانتصارات الحربية ، بعد أن تحقق النصر على شعوب البحر .

ويعتقد «شولمان» أن الاشارات الخاصة بجوانب الشقاء في الحياة العسكرية ، مبالغ فيها إلى حد ما ، فالنظام العسكري لم يكن يقوم على القسوة بالرغم من العقوبات التي كانت توقع أحياناً كالضرب المبرح الذي ظل معمولاً به في الجيوش الحديثة حتى أوائل القرن العشرين .



الفصل الثالث

تدهور الامبراطورية المصرية

ويتضمن المباحث التالية :

- المبحث الأول : تغيرات عنصرية وجيوبوليتيكية فى خريطة العالم القديم .
- المبحث الثانى : الطبقة العسكرية والمعابد فى عصر الرعامسة .
- المبحث الثالث : الأمراء والوزراء العسكريون .
- المبحث الرابع : تقلد الضباط للوظائف الادارية والكهنوتية فى المعابد ، ونمو الطبقة الكهنوتية العسكرية .
- المبحث الخامس : أسرة «رمسيس نخت» كبير كهنة آمون .
- المبحث السادس : تجنيد الأجانب فى جيش الرعامسة .
- المبحث السابع : الأزمة الاقتصادية فى أواخر الدولة الحديثة .

المبحث الأول

تغيرات عضوية وجيوبوليتيكية (١)

فى خريطة العالم القديم

مما لاشك فيه أن الموارد الاقتصادية لمصر قد أنهكت إلى حد كبير ، خلال الكفاح الدفاعى المستميت ، ضد الهجمات العنيدة المتوالية لشعوب البحر .

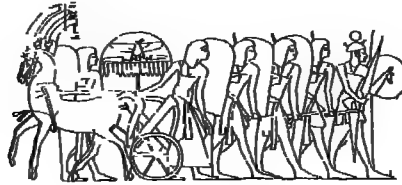
ولم تكد مصر تنجو من هذا الخطر ، حتى بدأت هبة الامبراطورية المصرية فى الهبوط بسرعة فى عهد «رمسيس الثالث» . إذ تدل لوحة «مرنبتاح» - التى ورد فيها ذكر اسرائيل لأول مرة - على أن الأقاليم السورية كانت بالفعل خارج السيطرة المصرية . ولم تذكر فى هذه اللوحة من الأقاليم التابعة لمصر ، سوى الأقاليم والمدن الفلسطينية .

ويمكننا أن ندرك مدى خطورة الموقف الذى تسببت فيه حركة الهجرة للشعوب القادمة من الشمال ، من كلام «رمسيس الثالث» نفسه ، إذ يقول مشيراً إلى هذا الاجتياح : «لم يستطع أحد أن يقف أمامهم من خيتا ، وكود KODE وقرقميش ، وارفد ARVAD ، وألسا ALASA .. لقد تبعثروا ...» [صورة ٤٩] .

لقد تأثرت كل منطقة الشرق الأدنى تأثيراً عميقاً ، نتيجة لغزوات وهجرات شعوب البحر ، وحدث تغيير مفاجئ فى الخريطة العنصرية والجيوبوليتيكية للعالم القديم . وقد تعرضت مصر لغزوتين كبيرتين من شعوب البحر ، كانت أولاهما فى عهد «مرنبتاح» ، وحدثت الثانية بعد ذلك بنحو ثلاثين عاماً ، حيث ظهر الخطر على حدود مصر الشرقية والغربية ، بالاضافة إلى الشواطئ الشمالية . وهذا كانت مصر فى موقف بالغ الخطورة .

وإلى جانب ما أصيبت به مصر من جراح خطيرة مست حيوتها في صراعها المرير من أجل الحياة ، بدأت أيضا عوامل التدهور الداخلى تتغلغل في هيكل الحضارة المصرية ، فتحول الدور الإيجابي الذى قامت به النخبة الممتازة من طبقة العسكريين فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، إلى نشاط سلبى يقتصر على استغلال موارد مصر الداخلية الدينية والاقتصادية .

وحاول أجناب كثيرون - كانوا بصفة اساسية مجندين فى الجيش - أن يندمجوا ثقافياً فى المجتمع المصرى . وبدأت التغيرات العنصرية تطرأ على الحياة الدينية والاقتصادية ، وتؤدى إلى حالة من القلق السياسى الدائم ، إلى أن تدهورت القيم الاخلاقية فى النهاية . كما أدت الفتن والحروب الأهلية إلى انحلال وحدة الجيش ، وتفكيك الدولة وسلطتها المركزية .



المبحث الثانى

الطبقة العسكرية والمعابد فى عصر الرعامسة .

ذكرنا فيما سبق أنه كان هناك مثالان استثنائيان فقط ، فى فترة النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، حاول فيها العسكريون احتلال المناصب الكهنوتية .

ولكن منذ قيام الأسرة التاسعة عشر ، حدث تغير هام فى هيكل طبقة الكهانة المصرية . وفى اعتقادى أن نص تنويج الملك «حور محب» يمثل أول مظهر رسمى لنشأة هذا النظام الجديد ، إذ أن هذا النص يعلن شغل كل المناصب الدينية الشاغرة فى المعابد والأضرحة المقدسة للآلهة ، فى كل أنحاء مصر ، بواسطة الكهنة العاديين والكهنة المرتلين الذين جاءوا من صفوف الجيش .

والواقع أن جنود هذه السياسة الدينية الجديدة للدولة تكمن فى فترة العمارنة ، عندما أدى الاضطهاد الذى انصب على آلهة مصر وبخاصة الإله «آمون» ، إلى تصفية الطبقة العليا للكهانة التقليدية المحافظة .

ومن المحتمل أن الطبقات الدنيا من الكهنة انضموا إلى الجيش بحثاً عن ملجأ بين صفوفه وعندما بدأت العودة إلى النظام المحافظ القديم ، وأعيد افتتاح وتنظيم المعابد ، اقترن ذلك بحركة واسعة النطاق من جانب العسكريين ، لشغل الفراغ فى المناصب الكهنوتية .

وبطبيعة الحال فإن زعماء الطبقة العسكرية الذين كانت لهم السلطة العليا في البلاد منذ عهد «آي» كانوا يدركون أن السيطرة الكاملة على الأنشطة الكهنوتية أمر لا غنى عنه لدوام سيادتهم في مصر .



وبالإضافة إلى ذلك ، فإن سياسة الرعامسة كانت تهدف إلى فرض التوازن بين الآلهة الرئيسية في مصر ، لتجنب عودة «آمون» إلى نفوذه القوى القديم ، ولمنع طبقة الكهنة في طيبة من الحصول على النفوذ المطلق . ولذلك فقد أقيم مركز ديني ثان للاله «آمون» في مدينة تانيس ، لتحقيق التوازن مع آمون» في طيبة . كما أن تكريس معبد رائع جديد للاله «أوزيريس» في أييدوس ، كان خطوة أخرى في هذا الاتجاه من أجل استغلال الشعبية الكبيرة التي كان يتمتع بها إله العالم الآخر في أوساط الجماهير الشعبية الوريعة .

ويلاحظ «أنثس R. ANTHES» أنه بالرغم من أن الاله «آمون» قد استعاد مركزه كإله للدولة ، فقد كان عليه أن يشارك النفوذ مع «رع - حور - آختي» في هليوبوليس و «بتاح» في منف .

وبما له دلالة في هذا الشأن أن ملوك الرعامسة ، مثلهم في ذلك مثل كل فراعنة ما بعد فترة العمارنة ، لم يضيفوا اسم «آمون» إلى اسمائهم ، باستثناء وحيد هو «توت عنخ آمون» .

وكان تتويج الملوك منذ «حور محب» لا ينفرد به «آمون» في طيبة ، وإنما يلعب فيه الاله «حورس» أيضاً دوراً لا يقل أهمية . وفي معبد «سبيوس ارميدوس» نص يشير إلى أن تتويج «سيثي الأول» لعب فيه الاله «تحتوت THOT» دوراً معيناً . كما أن الاله «بتاح» هو الذي وعد الملك «مرنبتاح» بالنصر على الليبيين ، مع أن تلقى الوحي من الآلهة كان قاصراً من قبل على الاله «آمون» وحده .

وسوف نبحث فيما بعد ، تنفيذ سياسة الرعامسة فيما يتعلق بتوظيف ضباط الجيش في وظائف الكهانة المصرية ، والخطر الذي نشأ عن الخلط بين المؤسستين الكبيرتين في الدولة ، وهما الجيش والمعابد . ذلك الخلط الذي أصبح واضحاً في نهاية الدولة الحديثة .

ومن المؤكد أن ظهور الضباط في وظائف الكهنة أثناء عصر الرعامسة ، كان المقدمة التاريخية لظهور «الملوك الكهنة» و «الدولة الثيوقراطية THEOCRATIC STATE»^(١) في الأسرة الحادية والعشرين .



المبحث الثالث

الأمراء والوزراء العسكريون

إلى جانب قيام «سيتى الأول» بواجباته العسكرية «كقائد عام للجيش» في عهد أبيه «رمسيس الأول» كان أيضا يحمل هذه الألقاب : «المشرف على كهنة كل الآلهة» و «الكاهن المرتل للآلهة أوتو UTO»^(١) و «بذرة أبيه الآلهة سوكر SOKAR»^(٢) وهو لقب كان يمنح لكبار كهنة منف . وذكر أيضا باعتباره «رئيس احتفال منديس» والذي قام بالمراسم الدينية في هذه المناسبة . كما قام بنفس الدور الديني في عيد الآلهة «ست» في تانيس ، كما تشير إلى ذلك لوحة الأربعمئة عام .

ومن المحتمل إلى حد كبير أن «خع - إم - واس» ابن «رمسيس الثانى» كان له دور سابق قبل أن تستغرقه نشاطاته الدينية والأثرية ، فقد اشترك هذا الأمير في الاحتفالات اليوبيلية «حب - سد HEB - SED» في الأعوام «٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢» من حكم أبيه . وكان يشغل منصب الكاهن الأعلى في منف . في حين أن أخاه الأمير «مرى - آتوم MERIATUM» عين كاهناً أعلى للآلهة رع في أون (هليوبوليس) .

وقد قام «خع - إم - واس» بنشاط بارز في مجال المحافظة على التراث وترميم الآثار والمعابد القديمة ، مثله في ذلك مثل سلفه الضابط العسكرى الكبير «أمنحتب بن حابو» ، إذ رم عددًا من المعابد والمباني الدينية التى يرجع تاريخها إلى زمن الدولة القديمة ، مثل هرم «أوناس UNAS» بسقارة ، وهرم «ساحو رع SAHU RE» ومصطبة «شبسسكاف SHEPSES KAF» . بالإضافة إلى منشآت أخرى يرجع تاريخها إلى الدولة الوسطى . كما ساهم في انشاء معبد مدينة «بر - رعمسيس» في الدلتا^(٣) ، حيث كان يقيم ملوك الرعامسة . وهذا المعبد يحمل سمات المعابد القديمة .

ويشير نص بطلمي ، إلى أن الكتب التي نسخت بواسطة «أمنحتب بن حابو» قد اكتشفت بواسطة «خع - إم - واس» . وعلى هذا فإن الاهتمام الثقافي بالآثار ، الذي ظهر في فترة النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشر ، قد تضعف في عصر الرعامسة . وكان «خع - إم - واس» أبرز الشخصيات في هذا المجال .



وفي الأسرة التاسعة عشر ، كان كل الوزراء يمثلون الفراعنة في أداء المراسم الدينية في عيد الاله «آمون» . وكان كل واحد منهم يحمل لقب «رئيس احتفال آمون» . وهو دور قام به من قبل «سننموت» في عهد الملكة «حتشبسوت» وكان ضابطاً مقاتلاً في عهد «تخوتمس الأول» و «تخوتمس الثاني» . وقام بنفس الدور أيضاً «أمنحتب بن حابو» في عهد «أمنحتب الثالث» .

كما أن «باسر PASER» ، وكان وزيراً في طيبة في عهد «سيتي الأول» قد عين فيما بعد «كاهناً أعلى للاله آمون في أون الجنوبية» وأصبح يحمل لقب «ور - ماو - wt m3w»^(١) ولقب «الكاهن المرتل للاله بتاح» في طيبة .

وكان «نب - آمون NEB AMUN» وزير «سيتي الأول» في منف سليل أسرة من الكهنة . وكان أخوه يشغل منصب الكاهن الأعلى في أييدوس .

كما أن الوزير «رع حتب RA HOTEF» في عهد «رمسيس الثاني» كان في الغالب ضابطاً عسكرياً سابقاً كما يدل على ذلك لقبه «مبعوث الملك إلى بلاد الحيشيين» . وهو لقب كان يحمله الضباط العسكريون . ويعتقد «كيس H . KEES» أن من المحتمل أن يكون «رع حتب» قد أشترك في مباحثات معاهدة الصلح التي وقعت في العام الحادي والعشرين من حكم «رمسيس الثاني» .

وينتمى «رع حتب» إلى واحدة من أقوى العائلات نفوذاً في عصر الرعامسة . وكان أعضاؤها يشغلون مناصب عليا في الجيش والكهنوت . وهي ظاهرة مميزة للأسر الكبيرة في عصر الرعامسة . وكان هو شخصياً يحمل ألقاب «الكاهن الأعلى» و «الكاهن المرتل للاله بتاح» في منف ، و «كبير كهنة رع - آتوم RE ATOM» . وقد دفن «رع حتب» في مقبرة أسرته في «جبل سيدمنت GEBEL SEDMENT»^(٥) بجبانة «هيراكليوبوليس HERAKLEOPOLIS» مع عدد من أعضاء أسرته ، ومع أخيه «با - رع حتب PA RA HOTEP» ، وكان أيضاً وزيراً في عهد «رمسيس الثانى» . ومن بين أعضاء أسرته أيضاً ، ضابطان بحريان يحمل كل منهما لقب «قائد سفينة» ، وضابط ثالث يحمل لقب «قائد الفرسان» وضابط رابع يحمل لقب «مبعوث الملك» وهو لقب عسكري .

والتقليد الذى بدأته الأسرة الثامنة عشر بشأن منح لقب «المشرف على كهنة كل آلهة مصر العليا والسفلى» للشخصيات العسكرية ، مثل كاتب التجنيد «حور محب» في عهد «تحوتمس الرابع» ، ومثل «رعموزا» في عهد «امنحتب الثالث» ، قد استؤنف في أوائل الأسرة التاسعة عشر . فقد لوحظ أن القائد «با رعمسيس» وزير «حور محب» ومؤسس الأسرة التاسعة عشر ، كان يحمل هذا اللقب المنقوش على تمثاله الشهير بالكرنك .

كذلك فقد كان «سيتى الأول» كقائد عام للجيش ووزيراً في عهد أبيه «رمسيس الأول» يحمل نفس اللقب في لوحة الأربعمئة عام .

وكذلك «نفر - رع - نبت NEFER - RE - NPT» الذى شغل منصب الوزير حتى العام الستين من حكم «رمسيس الثانى» كان يحمل نفس اللقب إلى جانب ألقاب أخرى مثل «الكاهن الأعلى» و «الكاهن المرتل للاله بتاح» و «رئيس احتفال آمون» . وكذلك فإن «نب نيترو NEB NETRU» الوزير والكاهن الأعلى للاله «آمون» ، كان يتمتع بنفس اللقب ، وربما كان أخاً «لباسر» وزير منف .

وكانت هذه السياسة الدينية متبعة منذ عهد «تحوتمس الرابع» وهى تعكس احتدام الصراع بين الضباط العسكريين ونبلاء طيبة خلال فترة النصف الثانى من عصر الأسرة الثامنة عشر .

وقد استؤنفت هذه السياسة في بداية عصر الرعامسة ، فكان ملوك الأسرة التاسعة عشر يعملون على فرض سيطرتهم المباشرة على القطاع الدينى ، ويريدون فى نفس الوقت أن يحدوا من النفوذ التقليدى لكهنة «آمون» . وبما له دلالة فى هذا الصدد أن الكاهن الأكبر للاله «آمون» ، كان يعين وزيراً للملك أثناء فترة الرعامسة .



المبحث الرابع

تقلد الضباط للوظائف الادارية والكهنوتية فى المعابد ونمو الطبقة الكهنوتية العسكرية

أصبح توظيف الضباط فى المعابد ، سواء فى المناصب الادارية أو فى المناصب الدينية المقدسة ، تطبيقاً شائعاً ، ظهرت آثاره الخطيرة فى أواخر الأسرة العشرين .

وقد استقرت فى العاصمة وفى الأقاليم المصرية ، عائلات يرتبط فيها العسكريون والكهنة برباط الدم ، وأصبح ذلك الأمر ظاهرة مميزة للمجتمع المصرى فى عصر الرعامسة . وكانت تقوم بين هذه العائلات المختلفة روابط قوية عن طريق التزاوج بين أعضائها . وبالتالى فقد نشأت طبقة جديدة قوية تتمتع بسيطرة حاكمة .

ومن المعروف أن تنظيم المعابد والألقاب الكهنوتية يرجع إلى أقدم العصور الفرعونية ، فى حين أن الألقاب العسكرية العديدة مثل كتبة التجنيد ، وكتبة الجيش ، والألقاب المتعلقة بمستويات الخدمة بسلح المركبات الحربية ، ظهرت فقط فى عصر الامبراطورية .

وعلى ذلك يمكننا أن نتوقع أن المسئولين العسكريين بعد أن عينوا فى وظائفهم الكهنوتية الجديدة ، كانوا أكثر افتخاراً بهذه الألقاب الكهنوتية التقليدية المحترمة . وقد كانت الجندية والكهانة ، هما المهنتين المفضلتين لدى الطبقة المصرية الحاكمة فى عصر الرعامسة .

وهكذا كان فراعنة أواخر الأسرة العشرين ، يواجهون طبقة كهنوتية ذات طبيعة مختلفة تماماً ، إذ تؤيدها عناصر عسكرية متصلة بها بروابط الدم أو العلاقات الطبقيّة ، وفي نفس الوقت ، فقد هؤلاء الفراعنة حليفهم القوى المتمثل في الطبقة العسكرية الطموحة ، على نحو ما كان عليه الحال في الأسرة الثامنة عشر .

وهكذا استوعب الكهنة المصريون ، وخاصة كهنة «آمون» ، الدرس التاريخي لأزمة العمارنة . وأخذوا يسعون للسيطرة على الحكم بأنفسهم ، وهذا ما تحقق بقيام الأسرة الحادية والعشرين التي أسسها الكاهن الجنرال «حريحور» والتي أقامت في طيبة حكماً «ثيوقراطياً» - دينياً - للملوك الكهنة . ولقد كانت هذه نتيجة تاريخية لتطور الطبقة العسكرية ، وتحولها إلى طبقة مختلطة جديدة من الكهنة والعسكريين في أثناء عصر الرعامسة .

كما أن عادة استخدام الضباط والموظفين العسكريين في إدارة المعابد واملأها في الأسرة الثامنة عشر ، قد ازدادت بشكل واضح في عصر الرعامسة . مع فارق هام ، هو أن الألقاب العسكرية أصبحت ترتبط غالباً بالوظائف ذات الطبيعة الادارية . وهي ظاهرة تدل على تزايد نفوذ العسكريين ، حتى لقد أصبح من العسير أحياناً ، أن نعرف ما إذا كان هؤلاء الموظفون العسكريون لا يزالون في الخدمة العسكرية العاملة أم أنهم قد تركوها نهائياً بعد أن احيلوا إلى الاستيداع أو التقاعد . ولكن في بعض الحالات يمكننا أن نتأكد من أن حامل اللقب العسكري لا يزال في الخدمة العاملة ، إذا كان مكلفاً بأداء مهمة معينة ، وتحت قيادته وحدات عسكرية .

في عهد «حور محب» ، كان القائد العام للجيش المدعو «آمون إمونيت AMEN EMONET» يحمل ألقاباً تدل على نشاطه الاداري في مختلف المعابد ، فهو «المشرف على أعمال بيت رع» في هليوبوليس ، و «المشرف على المعبد الجنائزي لتحوتمس الثالث» و «المشرف على الخزانة الملكية» .

وهناك مسئول آخر يدعى «حويا HUYA» ، كان قائداً لقوات الشرطة في عهد «رمسيس الثاني» وربما استمرت خدمته أيضاً حتى عهد «مرنبتاح» . وكان يحمل

ألقاب «المشرف على أملاك بيت رمسيس» في منف ، و «المشرف على مباني جلالته» في أحد معابد منف على الأرجح .

وهناك ضابط شرطة آخر يدعى «آمون إموبيت AMEN EMOPET» في عهد «رمسيس الثانى» كان مكلفاً بمسؤوليات إدارية في بعض المعابد بالنوبة . وضابط آخر يدعى «حيكا - إن - حاب HEKA EN HAB» ، يعتقد أنه كان «مشرفاً على الأعمال» في منف ، و «رئيساً لاحتفال الاله بتاح» . فهناك أيضاً «تى - يا TI YA» وهو كاتب ملكى كان ينتمى إلى أسرة عسكرية في عهد «مرنبتاح» وكان والده «كاتب تجنيد» وكان هو نفسه موظفاً عسكرياً . كما كان هناك ضابط يحمل لقب «حامل درع الفرعون» اسمه «حورى HORI» وكان ينتمى إلى أسرة من الكهنة .

وقد قام «رمسيس الثانى» في مناسبة الاحتفال بعيد «أوبت» بالكرنك ، في السنة الأولى من حكمه ، بأداء المراسم الدينية التى يقوم بها الكاهن الأعلى «لآمون» ، وكان يحمل لقب «الكاهن الأول لآمون ملك مصر العليا والسفلى رمسيس» .

وفي وقت مبكر جداً من حكمه ، عين «رمسيس الثانى» «نب - ونن - إف NEB WENEN EF» في منصب الكاهن الأعلى «لآمون» في طيبة ، بعد استيحاء الاله وطلب مشورته . ونلاحظ أن تعيين الكاهن الأعلى بعد استشارة الاله ، كان تقليداً يعمل به في بعض الأحيان . فنحن نعرف مثلاً أن «مرى بتاح MERY - PTAH» قد عين في عهد «حور محب» في منصب الكاهن الأعلى للاله بتاح ، بعد استيحاء إرادة الاله وطلب مشورته . ومع ذلك فإن «نب - ونن - إف» لم يتم اختياره من بين مجموعة كهنة «آمون» في طيبة .

بل وقد لاحظنا أيضاً أن «نب - ونن - إف» كان يتبع اسمه بلقب عسكري هو «القائد» أو «الجنرال» . ومن المهم أن نذكر في هذا المجال أن لقب «قائد الجيش» كان من ضمن قائمة المرشحين التى قدمت إلى الاله في مناسبة تعيين «نب - ونن - إف» في منصب الكاهن الأعلى للاله «آمون» .

يعد اقتران اللقب العسكري «القائد» أو «الجنرال» بالألقاب الدينية لكبار كهنة «آمون» وغيره من الآلهة ، بمثابة نعمة جديدة تذكرنا بالتقليد القديم الذى كان يتبعه أمراء الأقاليم المصرية فى الدولة الوسطى ، عندما كانوا يقدمون فرقهم العسكرية إلى الفرعون فى زمن الحرب .

ولأول مرة منذ الدولة القديمة ، عندما كان كبار كهنة هليوبوليس ، يسمى الواحد منهم «قائد الجنود» استؤنف هذا التقليد القديم الذى يربط بين الألقاب العسكرية والألقاب الكهنوتية . وهذا يدل على بداية علاقة «ديناميكية» جديدة بين الجيش والمعابد ، خاصة فى زمن الحملات العسكرية الكبرى فى آسيا ، فى السنوات الأولى فى الأسرة التاسعة عشر .

لقد قامت رابطة قوية بين المؤسستين الكبيرتين فيما يتعلق على الأقل بتقديم المؤن والمهمات وتجنيد الجنود للجيش . ونحن نعرف ضابطاً عسكرياً كبيراً هو الجنرال «أمون - إم - أوبت» كان يحمل لقب «المشرف على المجندين فى أملاك آمون» .

وهناك كاتب تجنيد كلف بالقيام بواجباته فى تجنيد الاشخاص والخدم فى معبد الرمسيوم . وكان «ريجا RIGA» وهو كاتب تجنيد يشغل مناصب ادارية ودينية فى أبيدوس وقفت . وثمة كاتب تجنيد آخر أمضى جزءاً من خدمته العسكرية فى البحرية وسلاح المركبات الحربية ، كان يشغل منصب « الكاهن الأكبر لأونوريس فى ثنيس (طينه) THINIS » ويرى «كيس» أن الكاتب الملكى «ندجم NUDJEM» كان ضابطاً عسكرياً على أساس انه كان يحمل لقب «مبعوث الملك إلى كل بلد أجنبى» وكان يشغل مناصب إدارية فى الرمسيوم فى عهد «مرنتاح» .

وكان «بتاح موسى» الكاهن الأعلى للاله بتاح فى عهد «رمسيس الثانى» يحمل لقب «القائد العام» . وهناك مسئول عسكري يدعى «سن -نوفر SEN NUFER» كان - فى تقدير كيس وهلك - كاهناً أعلى «لآمون» فى «حنت - نفر HNT - NFR» ، وهى مركز لعبادة «آمون» بالقرب من منف ، وكان يحمل لقب «رئيس احتفال بتاح» ولقب «المشرف على كهنة (مين) سيد إخميم» .

ومن المحتمل ، فى اعتقادى ، انه كانت هناك علاقة عضوية فى عصر الرعامسة بين الجيش والمعابد ، كذلك القائمة بين الضباط والكهنة . ومثل هذه العلاقة كانت تطوراً منطقياً حدث داخل نظام ذى طبيعة عسكرية ، وكنيجة للتوسع فى توظيف الضباط فى الوظائف الدينية والادارية فى المؤسسات الدينية .

ونشير فى هذا الصدد إلى الوحدات البحرية المسلحة التى كانت تلحق أحياناً بإدارة المعابد ، فمن المعروف أن «رمسيس الثانى» أمر بتخصيص بعض السفن لنقل الجزية من سوريا إلى معبد «سيتى الأول» فى أبيدوس .

وفى بردية «هاريس» الأولى ، يذكر «رمسيس الثالث» أنه أمر بتخصيص بعض السفن والقوارب المزودة بالمحارين وحملة السهام والضباط البحريين للمعابد . وعلاوة على ذلك ، كانت المعابد المصرية فى عهد «رمسيس الثالث» تملك أكثر من «٥٠٠» ترسانة لصناعة بناء السفن .

وكان «ون - نوفر WEN NOFRE» الكاهن الأعلى «لآمون» فى عهد «رمسيس الثانى» ينتمى إلى أسرة نمطية لعصر الرعامسة ، يشغل أعضائها مناصب فى الكهانة وفى الجيش . فأخوه «مين - موسى MIN MOSE» كان كاهناً أعلى للاله «مين» والالهة «إيزيس» فى إخميم ، ومن المحتمل انها مسقط رأس عائلته . بينما كان أخوه الثانى يشغل منصب «قائد حملة السهام» فى النوبة .

وكان «حورى» ابن «ون - نوفر» يشغل منصب «الكاهن الأعلى» فى تانيس . بينما كان ابنه الثانى «خع - إم - واس» يحمل لقب «كاتب وحى الاله» فى معبد «آمون» . وكان ابنه الثالث «امون - إم - أوبت» يحمل لقب «قائد قوات الشرطة» ولقب «المشرف على الاعمال الخاصة بعمائر ومباني جلالته» ربما فى معابد النوبة .

كذلك فقد كان «ون - نوفر» له إبن أخ أحدهما يدعى «أمون - إم - أوبت» وهو كاهن أعلى فى هليوبوليس ، ويدعى الثانى «باسر» وكان «نائباً للملك فى كوش» وضابطاً على الأرجح ، كما تدل على ذلك وظيفته .

ومما يستحق الذكر كذلك أن زوجة «ون - نوفر» كانت تنتمي لأسرة مختلطة من الضباط وكهنة «آمون» .

ونذكر في هذا المجال أيضا أسرة وزير «رع حتب» ذات النفوذ القوى في عهد «رمسيس الثاني» . وقد كان أعضاؤها يتقلدون أيضا مناصب في الجيش والسلك الكهنوتي ، كما تدل على ذلك مقبرة الأسرة في «جبل سيد منت» .

وقد بدأ «باك - إن - خونس BEK EN KHONS» الكاهن الأكبر الشهير «لآمون» في عهد «رمسيس الثاني» حياته كجندي في قوة التدريب بسلاح المركبات الحربية ، قبل أن ينخرط في السلك الكهنوتي «لآمون» بالكرنك . ويؤكد «إنجلباك R. ENGELBACH» و «كيس» انه ينتمي إلى أسرة عسكرية ، وان والده هو الجنرال «أمون - إم - أويت» الذي كان «مشرقا على التجنيد» في مقاطعات «آمون» على نحو ما ذكرنا آنفا .

وكان «راما - راى RAMA-RAY» الذي شغل منصب الكاهن الأكبر «لآمون» قرب نهاية الأسرة التاسعة عشر ، يحمل اللقب العسكري «قائد آمون» كما كان يحمل لقب «المشرف على كهنة جميع الآلهة في مصر العليا والسفلى» . كما يعتقد «برستد» و «كيس» انه كان ابن أو حفيد «باك - إن - خونس» كبير كهنة «آمون» في عهد «رمسيس الثاني» مما يدل على المنشأ العسكري لأسرة «راما - راى» حيث أن مؤسسها الأكبر هو الجنرال «امون - إم - أويت» . وقد شغل ثلاثة من أبناء «راما - راى» مناصب عليا في كهنوت «آمون» .

ويبدو من المحتمل أن معظم الأسر العسكرية الكهنوتية في مجتمع الرعامسة ، تنحدر من أجداد ذوى أصل عسكري ، كحالة أسرة «باك - إن - خونس» ، وأسرة «راما - راى» اللتين توليتا كهانة «آمون» . وتؤكد هذا الافتراض ثلاث حقائق تاريخية رئيسية في هذا العصر :

الحقيقة الأولى هي ما يحشاه آتفا ، وهي أن معظم المسؤولين في عصر الرعامسة الذين تقلدوا مناصب كهنوتية ، بما في ذلك كهانة «آمون» ، كانوا ينحدرون من أصول تنتمي إلى منف أو إلى مناطق الوجه البحرى ، وذلك طبقا لسياسة الرعامسة الدينية في الأسرة التاسعة عشر .

والحقيقة التاريخية الثانية ، هي التوسع في توظيف الضباط في المناصب الخالية بالمعابد للكهنة المرتلين والكهنة العاديين ، بعد أزمة العمارة ، كما يدل على ذلك نص تنويج «حور محب» . وإذا وضعنا مبدأ الوراثة في الاعتبار ، يمكننا أن نقول باطمئنان أن ذرياتهم كانوا يتوارثون هذه المناصب .

أما الحقيقة الثالثة ، فهي اختفاء طبقة كهنة «آمون» التقليدية في طيبة ، التي كانت قائمة قبل فترة العمارة ، كنتيجة لاضطهاد «أخناتون» لها ، والانتصار النهائى للطبقة العسكرية في كفاحها الطويل للوصول للسلطة .

ونشير في هذا الصدد إلى دراسات الأنساب التي تحلل التكوين الأفقى والعمودى المتشابه لك بعض العائلات المصرية في عصر الرعامسة . وفيما أعلم ، لا يوجد حتى الآن أى بحث في هذا المجال يمكنه أن يزعم امتداد أصول أية أسرة إلى فترة ما قبل العمارة ، باستثناء حالة واحدة . فدراسة الأنساب التي قام بها «بييربرير M. L. BIERBRIER» لعائلات كبار كهنة «آمون» في طيبة ، أو عائلات بعض أعضاء مستوطنة دير المدينة ، تدل بوضوح على انه لم يكن هناك تسلسل أنساب بين هذه العائلات التي عاشت في أواخر أيام الدولة الحديثة ، وبين العائلات القديمة السابقة ، إلا في حالة واحدة تم فيها التعرف على جد لحدى العائلات النبطية المختلطة في عصر الرعامسة ، إذ كان أعضاؤها من العسكريين والكهنة في أحد الأقاليم ، وثبت أن هذا الجد كان يعيش في عصر «امنحتب الثالث» ، وكان ضابطاً يدعى «نب ماهي NIB MAHE» ويحمل اللقب العسكرى «حامل الراية» ، وهو الجد الأعلى للمدعو «خونس - تو KHONS - TO» كبير كهنة المعبد الجنازى «لتحوتس الثالث» في «هيرمونتيس»^(١) في عصر «رمسيس الثانى» .

وقد صوّر «خونس - تو» على جدران مقبرته مع عدد من أعضاء أسرته ، منهم «أخان» وابن «لخونس - تو» كانوا يشغلون مناصب كهنوتية في المعابد الجنائزية لكل من «تخوتس الثالث» و «امنحوتب الثاني» .

هذا وقد تم التعرف على عدد من الضباط من أعضاء أسرة «خونس - تو» وهم : ضابط في سلاح المركبات الحربية يدعى «رى - يا RIYA» في عهد «رمسيس الثاني» وحامل راية يدعى «أوسر مونت USER MONT» وضابط آخر في البحرية . وقد صوروا جميعاً مع جدّهم حامل الراية «نب - ماهى» في المقبرة الخاصة بأسرة «خونس - تو» .

وبالإضافة إلى ذلك ، هناك ضابط عسكري يدعى «امون موسى AMEN MOSE» ينحدر من أسرة عسكرية ، وكان له ابن يدعى «يوبا YOBA» اشترك في الاحتفال اليوبيل «حب سد» الذى تم في العام الرابع والخمسين من حكم «رمسيس الثاني» وكان يحمل لقب «المشرف على الخزانة» ولقب «رئيس احتفال آمون» .

وفي «أيديوس» كان «ون - نوفر» الكاهن الأعلى «لأوزيريس» رأساً لأسرة من الكهنة والضباط في عصر الرعامسة ، وكان ابنه «رعموزا» يحمل اللقب العسكري «كابتن المركبات الحربية» وله أبناء آخرون وأحفاد يشغلون مناصب عسكرية وكهنوتية .

وكان «تى جاي TI JAI» الذى يحمل لقب «الكاهن الأعلى لحورس» ولقب «أعظم الخمسة في معبد تحوت» ابناً لضابط شرطة في «هرموبوليس HERMOPOLIS»^(١) يدعى «باكا PAKA» .

وكان المسئول العسكري والكاتب الملكى «آمون - ان - محب AMEN EN MHAB» في عهد «رمسيس سبتاح»^(٢) يشغل وظيفة ادارية في ممتلكات معبد «رمسيس الثاني» . وهو أيضاً ابن «سيتى» نائب الملك في كوش . وهناك أيضاً كاهن أعلى لحورس وأوزيريس في قفط و «الأب الالهى لآمون» كان ابناً لقائد في الجيش .

وهناك أيضا «ون - تو - وات WEN TU AUT» وهو ضابط عسكري كان يشغل منصب «الكاهن الأعلى في الرمسيوم» قرب نهاية الأسرة العشرين ، إلى جانب منصب «قائد مركبات المقر» . وكان أخوه يشغل أيضا منصباً كهنوتياً عالياً في نفس المعبد .



ويقول «كيس» أن الألقاب الكهنوتية أصبحت لها قيمة كبيرة ، وصارت تجب الألقاب الدنيوية التي لم تعد مطلوبة . وأكثر من ذلك يشير «كيس» إلى أن سلطة كهنة «آمون» ، امتدت إلى كهنة الأقاليم الذين أصبحوا يخضعون لهم .

وفي هذه المرحلة من التطور ، بدأت الطبقة العسكرية التي تكونت في الأسرة الثامنة عشر والتي تحولت في عصر الرعامسة إلى عائلات كبيرة ذات طبيعة مزدوجة ، تفقد تماسكها بالتدريج . كما أن السلطة المركزية التي يمثلها الفرعون نفسه ، والتي تواجه طبقة الكهنة والضباط القوية ، أخذت تضعف بشكل حاد ، حتى أن الكاهن الأعلى «لآمون» في عهد «رمسيس التاسع» قد منح حق جمع الضرائب مباشرة من الرعية . وبذلك يكون قد اغتصب اختصاص التاج في هذا المجال .

وعلاوة على ذلك فإن الثروات الهائلة التي وهبت لمختلف المعابد — وخاصة معابد آمون — كما تدل عليها بردية «هاريس» الأولى ، أدت إلى إضعاف السلطة المركزية للدولة لصالح العائلات الكهنوتية العسكرية القوية . ونلاحظ أن خاتمة بردية «هاريس» الأولى الموجهة إلى المسؤولين والضباط العسكريين تحثهم على الولاء للفرعون الجديد «رمسيس الرابع» مما يدل على بداية تدهور المركز المقدس للملك ، حتى أن حادثاً بسيطاً كابتعاد وزير في «اتريب ATHRIBIS»⁽¹⁾ أثار المتاعب للسلطات المركزية .

وبما لاشك فيه أنه كان هناك نوع من المنافسة الاجتماعية داخل هذه الأسرة المختلطة ، وداخل أجهزة الدولة نفسها ، كما تدل على ذلك الحوادث التاريخية منذ عهد «رمسيس الثالث» . وهذه العائلات المختلطة القوية كانت الارهاصة الاجتماعية والسياسية للدولة الدينية التي أقامت الأسرة الحادية والعشرون في طيبة ، والتي أسسها ممثل إحدى العائلات في عصر «الكهنة الضباط» .

لقد زالت الطبيعة الدنيوية للضباط كما عرفته الأسرة الثامنة عشر ، وحلت محلها طبيعة دينية . واختفت القيم والفضائل الاخلاقية التي كان يتحلّى بها المحاربون القدماء ، وبدأ «الكهنة الضباط» الجدد ينغمسون في المغامرات الداخلية الطموحة ، وكانوا يعيشون حياة الرفاهية ، ولا يتحلون بالصفات الاخلاقية للضباط العسكريين المثقفين الذين عرفتهم الأسرة الثامنة عشر .

وقد أجرى «كيس» مقارنة بين «امنحتب بن حابو» والضابط الكاهن «حريحور» مؤسس الأسرة الحادية والعشرين في طيبة ، تصور بطريقة درامية الفروق الجوهرية بين هذين النوعين من الضباط الذين تفصل بينهم حقبة الرعامسة . وأصبح أهم ما يشغل بال الطبقة الحاكمة الجديدة أن تستغل الثروات المحلية بقدر ما تستطيع ، لا سيما بعد ضياع الممتلكات الآسيوية ، التي فقدت اثناء حكم «رمسيس السادس» .

وقد انغمس الزعماء العسكريون في الصراع على السلطة والثروة في أواخر أيام الدولة الحديثة ، ولم يعودوا بمثابة نخبة مثالية ممتازة تلهم من هم تحت قيادتهم من الجنود والناس ، بل تدهورت لديهم القيم الاخلاقية ، حتى اننا نجد ان كاتباً في الجيش واخاه قد حقق معهما بتهمة التآمر على سرقة مقبرة .

وتدل بردية «أبوت ABBOTT» وبردية «أمهرست AMHERST» على أن سرقة المقابر أصبحت شائعة في أواخر الأسرة العشرين . ونجد سؤالاً مكتوباً على قطعة شقافة صغيرة في دير المدينة ، كان موجهاً إلى كاهن وحي (متنبئ بالغيب) يقول : «هل سرقها رجال من الجيش ؟» . وفي رأيي أن هذا سؤال هام يعكس الأزمة الاخلاقية وانعدام الثقة في الجيش .

المبحث الخامس

أسرة «رمسيس نخت» كبير كهنة آمون

شغل «رمسيس نخت RAMESSE NAKHTE» منصب الكاهن الأعلى «لآمون» في طيبة منذ السنوات الأولى من حكم «رمسيس الرابع» ، واستمر في منصبه على الأقل حتى العام العاشر من حكم «رمسيس التاسع» أى حوالى سبعة وعشرين عاماً .

وكان أبوه كاتباً ملكياً و «مشرفاً على كل كهنة هرموبوليس» ويدعى «مرى باستت MERI BASTET» ويحمل لقب «ع - إن - شت 3nst» الذى يدل على علاقة بالعمل في المحاجر أو بالضرائب طبقاً لما اقترحه «السير آلان جاردنر» .

ومن المحتمل أن تكون أسرة «رمسيس نخت» قد حصلت على مركزها المتفوق نتيجة الجهود الأب «مرى باستت» في المحاجر ، ومساهمته في إنشاء مدينة هابو في عهد «رمسيس الثالث» عندما كانت كل الامكانيات الوطنية مكرسة للنضال البطولى ضد شعوب البحر . بل ومن المحتمل أيضاً أن «مرى باستت» كان ضابطاً سابقاً ، ثم كلف بمهام جديدة كما هو المعتاد بالنسبة للموظفين العسكريين في تلك الفترة .

وكان «رمسيس نخت» أيضاً يشغل قبل تعيينه كاهناً أعلى «لآمون» ، عدة مناصب ادارية من تلك التى يقوم بها الضباط ، حيث كان يحمل لقب «المشرف على الأعمال» في الكرنك . وكانت له علاقة بادارة ممتلكات معبد الرمسوم . وتحت اشرافه قامت حملة إلى محاجر وادى الحمامات في العام الثالث من حكم «رمسيس الرابع» كانت لها طبيعة عسكرية مميزة أكثر من أية حملة أخرى ماثلة سابقة . فقد كانت هذه الحملة تضم رجال

مركبات حربية ، وكتبة جيش ، وقادة فرسان ، وامناء امدادات وتموين بالجيش وقوات «مدحاي MEDJAI» . أى أن نسبة كبيرة جداً من أعضاء البعثة عسكريون ، وهذه البعثة تؤكد مرة أخرى العلاقة العضوية بين الجيش والمعابد في عصر الرعامسة .

ومن المحتمل أن يكون «نسى آمون NESI AMUN» ابن «رمسيس نخت» قد خلف أباه في منصبه . أما ابنه الثانى ويدعى «امنحتب» فكان أول ظهوره ككاهن أعلى «لآمون» ، في عهد «رمسيس الحادى عشر» . ومن الواضح أن منصب الكاهن الأعلى «لآمون» أصبح وراثياً منذ أسرة «باك - ان - خونس» وأسرة «راما - راي» .

وقد تميزت الفترة الزمنية التى تسلطت فيها أسرة «رمسيس نخت» بالقلق الاجتماعية والاضرابات ، وانتشار سرقة المقابر والحروب الأهلية والتضخم الاقتصادى الحاد . وهذه كلها مظاهر تعكس أزمة الامبراطورية المصرية قرب نهاية الدولة الحديثة .

ولم يعد الفرعون الحى يبدو فى أعين رعاياه ذا طبيعة مقدسة ، كما كان عليه الحال من قبل ، بدليل أن «امنحتب» كبير كهنة «آمون» ، صور على جدران معبد الكرنك فى نفس حجم الفرعون «رمسيس التاسع» وهى اساءة لم يرتكبها أحد الرعايا من قبل ، وتتناقض على طول الخط مع المبادئ المستقرة فى الدين والفن بمصر القديمة .

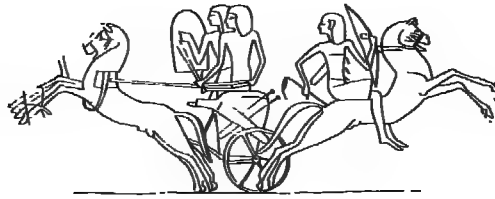
وهناك اشارات متفرقة فى بردية «ماير - أ Mayer - A» إلى «حرب الكاهن الأكبر» و «الحرب فى الأقليم الشمالى» . و عندما دمر «بانحسى PINHASI» «هرداى HARDAY» . وكلها تشير إلى الفوضى التى نشبت فى حوالى العام الخامس عشر من حكم «رمسيس الحادى عشر» . ومن الواضح أن سببها هو الصراع الداخلى على السلطة والنفوذ ، حيث كان كهنة «آمون» ورجال الجيش يقومون بالأدوار الرئيسية فى هذا الصراع .

ومن المحتمل أن يكون خفض عدد العمال فى مستوطنة دير المدينة فى العام الثامن من حكم «رمسيس الحادى عشر» يرجع إلى تجنيد هؤلاء الرجال للاشتراك فى الحرب الأهلية التى تفجرت فى نهاية الأسرة العشرين .

وقد أسس «حريحور» HERIHOR الأسرة الدينية في طيبة ، التي دفعت إلى عرش مصر «بالكهنة الملوك» حكام الأرض الجنوبية ، والمعروفة بالأسرة الحادية والعشرين .

وتؤيد دراسة «كيتشن K. A. KITCHEN» عن الكهنة الضباط في الأسرة الحادية والعشرين ، الطبيعة العضوية للعلاقة بين الكهنة والضباط ، وبين المعابد والجيش ، خاصة قرب نهاية الدولة الحديثة . فقد كان والد الملك «بى نجم الأول PINUDJEM» المدعو «بى عنخ PI ANKH» يشغل عدة مناصب منها «الكاهن الأعلى لآمون» و «قائد الجيش» و «القائد» فى العام السابع من (عصر النهضة) فى عهد رمسيس الحادى عشر - ويعادل العام الخامس والعشرين من حكم ذلك الملك .

ومنذ عهد «حريحور» الذى جمع بين الألقاب العسكرية والدينية ، أصبح ذلك عرفاً سائداً اتبعه من جاءوا بعده من الملوك الآخرين .



المبحث السادس

تجنيد الأجانب فى جيش الرعامسة

أصبح التقليد الخاص بتجنيد أسرى الحرب فى الجيش المصرى ظاهرة معتادة فى عصر الرعامسة . وقد كان هذا التجنيد ضرورياً لزيادة عدد قوات الجيش ، نتيجة لتكوين فرقة جديدة فى أوائل حكم «رمسيس الثانى» هى فرقة «بتاح» وذلك بمناسبة المشروعات العسكرية الكبرى فى آسيا .

وقد ذكر اسم «شردان SHERDEN» لأول مرة فى بداية حكم «رمسيس الثانى» باعتبارهم «قراصنة» كانوا يأتون بسفنهم الحربية من وسط البحر ، وتم أسرهم وتجنيدهم فى الوحدات العسكرية المصرية منذ عهد «رمسيس الثانى» وصوروا فى النقوش وهم يوقعون الهزيمة بالعدو فى معركة قادش .

وتذكر بردية «اناستاسى» الأولى ، التى كتبت فى عهد «سيتى الثانى» وجود هؤلاء المجندين الأجانب فى سياق اشارتها إلى مسألة حساية : إذ تفترض أن وحدة عسكرية تضم «١٩٠٠» جندي مصرى ، و «٥٢٠» شردان ، و «١٦٠٠» كهيك ، و «٨٨٠» زنجيا ، و «١٠٠» مشوش . ويقول «كريستوف» أنه بالرغم من أن هذه الوثيقة تقدم ترميناً حسائياً ، إلا أنه من المحتمل أنها مبنية على حقائق تاريخية من ذلك العصر .

ويعتقد «سير آلان جاردنر» أن معظم هؤلاء الجنود الأجانب ، كانوا أسرى حرب ، أو أبناء أسرى حرب تمت تربيتهم فى مصر ، وليسوا من المرتزقة الذين لم يكونوا قد استخدموا بعد فى الجيش المصرى فى ذلك الوقت .

وبما لاشك فيه أن إدخال هذه العناصر الأجنبية في الجيش ، وبالتالي في المجتمع ، لم يكن فقط نتيجة للعمليات العسكرية المتعاقبة في الأسيرة التاسعة عشر وبداية الأسيرة العشرين ، وإنما يرجع أيضا إلى مرحلة التطور التي بلغت الطبقة العسكرية في عصر الرعامسة حيث كان الضباط والجنود المحاربون يوظفون على نطاق واسع في إدارة المعابد والممتلكات ككهنة وكتبة ومشرفين على الأعمال وإداريين وحراس .. الخ .

وعلى ذلك فقد كان من الضروري أن يحل محلهم جنود أجنبية . هذا بالإضافة إلى التوسع في مشروعات بناء المعابد والمدافن والمراكز العسكرية الجديدة والمحطات الحربية ، وإقامة عاصمة جديدة في تانيس ، مما استتبع بالضرورة استخدام وحدات عسكرية كاملة تحت قيادة الضباط ، للعمل في المحاجر وللقيام بعمليات النقل وأنشطة البناء . كما أننا نعلم أن الضباط والحراس المسلحين كانوا يلحقون بالمعابد للدواعي الأمن الواجب توفيرها للمنشآت الكبيرة ، كما يدل على ذلك «مرسوم ناورى» الصادر في عهد «سيتى الأول» .

كذلك فقد كان أسرى الحرب يستخدمون كرقيق في أعمال البناء والتشييد تحت إشراف الجيش . وتسجل نقوش معبد «رمسيس الثانى» «في وادى السبوع» والذي أقامه في العام الرابع والأربعين من حكمه ، أن أسرى الحرب «التيمنحو TEMHU»^(١) قد ساهموا في إقامة المعبد .

وقد اشترك الجنود الأجانب ، وبخاصة «الشردان» الذين قدموا من البحر ، في الحروب الدفاعية الكبرى في الأسيرة التاسعة عشر وبداية الأسيرة العشرين . وإليهم تشير بردية «أناستاسى» الثانية بهذه الكلمات : «ان الشردان الذين جاءوا من البحر الأخضر الكبير وأصبحوا أسرى لجلالته ، له الحياة والقوة والسعادة ، قد تزودوا بكل أسلحتهم في القاعة الفسيحة» .



والواقع أن حركة الهجرة الكبيرة لليبيين وشعوب البحر الذين كانوا يهدفون للاستقرار في مصر مع عائلاتهم ، كانت مصدراً هائلاً للأسرى بالإضافة إلى ما تم استرقاقه من أبنائهم وزوجاتهم . ويقول «رمسيس الثالث» في هذا الصدد : «لقد تسببت في أنهم (أى الليبيين) توقفوا عن أن يطنوا حدود مصر . والذين نجوا من سكينى ، سقتهم كأسرى عديدين مربوطين كالطيور أمام خيولى ومعهم زوجاتهم وأبنائهم بمئات الألوف . لقد أوقعتهم في الأسر . وجعلت منهم رقيقاً . ودمغتهم باسمى . وفعلت بنسائهم وابنائهم نفس الشيء . وقدمت قطعانهم إلى بيت آمون ، ليكونوا له كالماشية إلى الأبد» .

وهكذا كان هؤلاء الأسرى بمثابة مستودع استراتيجى للقوة البشرية لمصر ، كى تستخدمهم في المعابد وفي الجيش .

ويعتقد «ويلسون J. WILSON» أن الأجانب قد جنّدوا في الجيش المصرى لسد النقص فى المحاربين الوطنيين الذين أصبحوا ملاكاً للأراضى الزراعية وأصبحوا يكرسون اهتمامهم فى ادارة اقطاعياتهم وأراضيتهم .

كما استخدم الأجانب أيضا فى بناء المعابد والقيام بخدمتها ، خاصة مع ازدياد نفوذ الكهنة منذ الأسرة العشرين . وإلى هذه الحقيقة يشير «رمسيس الثالث» فى بردية «هاريس» الأولى بقوله : «لقد بنيت لكم (يخاطب الآلهة) صروحاً ومعابد منقوشة عليها اسمائكم إلى الأبد . واعدت لكم فرقا من العاملين . وزودتها بأناس عديدين . اننى لم آخذ عمالاً من معابد الآلهة كما كان يفعل الملوك لتجنيدهم فى سلاح المشاة أو سلاح المركبات الحربية» .

ونحن نعرف أن بعثة وادى الحمامات ، التى كانت تحت قيادة «رمسيس نخت» الكاهن الأعلى للاله «آمون» فى عهد «رمسيس الرابع» كانت تستخدم «٨٠٠» من «العابرو APIRU» ، و «٥٠» من «المدجائى» .

وفى بردية «هاريس» الأولى ، تصرّح «لرمسيس الثالث» يلقي مزيداً من الضوء على الأعداد الكبيرة للجنود الأجانب فى الوحدات العسكرية المصرية . إذ يقول النص : «لقد جعلت مصر تتواجد فى طبقات كثيرة من الشباب : خدام القصر . وكبار الموظفين . واعداد غفيرة من رجال المشاة ورجال المركبات الحربية بمئات الألوف . والشردان والكهيك بلا عدد : وتابعين بعشرات الألوف . وفرق العمل الخاصة بمصر» .

ولانكاد نعثر على أى منظر عسكرى منذ بداية عصر الرعامسة ، يخلو من صور الوحدات أو الجنود الأجانب . وكانوا يشكلون جانباً من الحرس الشخصى للفرعون سواء فى زمن الحرب ، كما فى قادش ، أو حتى فى زمن السلم ، حيث صوروا وهم يرافقون الفرعون فى رحلة صيد الأسود .

وفى مدينة هابو ، بمناسبة الحرب الليبية الثانية ، صورت أربعة طواير من الجنود : الطابور الأول من المصريين ، والثانى من النوبيين ، والثالث من الشردان والفلسطينيين الجنوبيين ، أما الطابور الرابع فيتألف من مجموعة غير معروفة من الأجانب .

ولاشك فى أن استخدام هؤلاء الأجانب فى الحروب المصرية منذ قادش ، وبالذات فى الحروب الدفاعية الكبرى فى عهد «مرنبتاح» و «رمسيس الثالث» قد قوى مراكزهم ونفوذهم داخل البلاط الملكى ، وفى الجيش ، وفى المجتمع المصرى فى عصر الرعامسة على وجه الاجمال ، فلقد حاربوا جنباً إلى جنب مع القوات الوطنية المصرية فى سوريا وفلسطين كما يبدو ذلك من صورهم فى معركة قادش ، وفى الاستيلاء على بعض المدن الفلسطينية مثل «ديبر DEBER» و «كيد KEDE» ، وفى القتال ضد شعوب البحر .

وقد تم اندماج هؤلاء الأجانب بالتدريج فى الطبقة العسكرية المصرية وأصبحوا يمنحون قطعاً من الأرض الزراعية ، وتحولوا من الناحية الاجتماعية إلى ملاك أراضى .

ويمكننا أن نعرف ظروفهم الاجتماعية كمحاربين من عبارة «رمسيس الثالث» التى يقول فيها : «... لقد سمحت لرجال المشاة والمركبات الحربية بالاقامة فى منازل فى عهدى . والشردان والكهيك فى مدنها ينامون ملء جفونهم . وليس لديهم سبب للخوف» .

وفى مقبرة الأمير «مونتو - حر - خبش - إف MONTHU HER KHEPSH EF» ابن «رمسيس التاسع» فى وادى الملوك ، نجد علامة «ور wr» من المجموعة الهيروغليفية «اميرا - مشع - ور imy - r - ms - wr» والتى تشير إلى منصبه العسكرى الرفيع «كقائد عام للجيش» . وكان الأمير مصوراً كأجنبى ، بملابس أجنبية ، وملاح ولحية أجنبية ، وفوق رأسه الريشة التى كان يحملها الأجانب أصلاً . وهذه الصورة الغريبة تبين مدى الدور الهام الذى كان يلعبه الأجانب فى الجيش المصرى .

وبالتدريج أيضا ، أصبح هؤلاء المحاربون الأجانب يشغلون المناصب المدنية سواء فى الادارة أو الكهانة ، وهذا تطور آخر له دلالة فى نطاق الطبقة العسكرية . ففى تانيس ، تعود «رمسيس الثالث» أن يشغل المناصب الكهنوتية فى منشآت الدينية بأبناء الأجانب الذين جلبوا واعدوا للخدمة العسكرية .

ومن المعتقد أن «أمون موسى AMEN MOSE» «حامل المروحة على يمين الملك» و «المشرف على الأعمال فى مدينة هابو» فى عهد «رمسيس الثالث» كان ينتمى إليهم .

وفى حالة «نفر - رنبت NEFER RNPET» وهو وزير «لرمسيس الثانى» فإن اسم أبيه غير معروف ، ولكن اسم أمه «كفلث KAFLITH» يدل على أصلها الأجنبى ، وكان يشغل مناصب فى كهانة «بتاح» و «آمون» على السواء .

وهناك كاتب تجنيد فى سلاح المركبات الحربية ، ومترجم للملك ، يشغل منصب الكاهن الأعلى «لأوزيريس» فى «ثينيس THINIS» ، من المحتمل أيضا انه كان أجنبيا حسبا يعتقد «كيس» . وقد أقام مقبرته بالقرب من معبد يحتمل أنه كان يشغل فيه منصبه .



وكان فراعنة الرعامسة يجلبون الآلهة الآسيوية ويرغبون في الحصول على قواهم الخارقة للمساعدة في اخضاع شعوب الجزء الآسيوى من الامبراطورية المصرية . ففي عهد «سيتى الأول» أعطيت وحدة عسكرية لإسم «عنات راضية ANAT IS SATISFIED» (وعنات هى إلهة الحرب الآسيوية) .

كذلك فقد أشار «رمسيس الثانى» إلى نفسه فى إحدى الحالات باعتباره «تلميذ عنات» ربة الحرب الآسيوية .

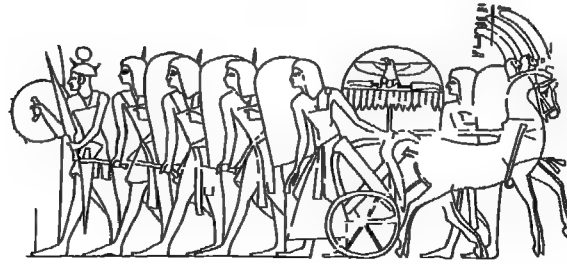
كما أن الدور الهام الذى لعبه «ست SETH» الاله الرئيسى لمقر رمسيس فى تانيس بالدلتا ، يعود إلى زمن الهكسوس ، عندما كان يعبد فى صورة الاله الآسيوى «بعل BAAL» .

وقد دخلت الآلهة الآسيوية المعابد المصرية فى عصر الدولة الحديثة ، كما تدل على ذلك النصب التذكارية الكثيرة التى أقيمت تكريماً لها ، وإشعاراً بانتشار نفوذها ، حتى اننا نجد مصرياً يدعى «باشيد PASHED» ابن «حورى HORI» الكاهن الأعلى الشهير للاله «بتاح» ، كان يشغل منصباً كهنوتياً فى معبد الاله الآسيوى «بعل» فى منف .

وهذا المركز الرفيع ، يرجع إلى التغلغل الكبير للأجانب فى الجيش والمجتمع المصرى . كذلك فقد دخلت العبارات الكنعانية فى اللغة المصرية ، كما انتشرت الأساطير والأدبيات السورية بين الشعب المصرى .

ولكن مما لاشك فيه ، أن الثقافة المصرية الأكثر تطوراً ، كانت أكبر تأثيراً فى الأجانب الذين استقروا فى مصر ، فقد اعتنقوا الديانة واللغة والاسماء والتقاليد المصرية ، وأصبح من الصعوبة بمكان تقصى أصولهم الأجنبية .

وقد أمدتنا البعثة الأثرية الألمانية التي وصلت إلى مصر في عام ١٩١٢م بقيادة «بورخاردت L. BORCHARDT» لتسجيل آثار الشعوب الأجنبية على الآثار المصرية ، بمعلومات ثمينة في علم الأجناس ، معظمها يتعلق بالدولة الحديثة ، وخاصة في عصر الرعامسة .



وفي اعتقادي أن دخول الأجانب في الجيش والمجتمع المصري ، كان من العوامل الحاسمة التي أدت إلى الانحطاط التدريجي للإمبراطورية والمجتمع المصري . وإلى جانب الآثار السلبية التي أحدثوها في الاقتصاد والحياة السياسية الداخلية ، والتي سنبحثها فيما بعد ، نجد أن تسللهم إلى الجيش والمجتمع المصري ، وهم يحملون ثقافات أقل تطوراً ، قد ساهم في الانحلال العام للقيم الأخلاقية والمعنوية للمصريين . وقد كان هذا الانحلال الثقافي نتيجة حتمية لتطور الدولة العالمية للدولة الحديثة وشكلها الإمبراطوري .

ان شخصاً سورياً يدعى «بيجا Bija» كان رجلاً سياسياً ذا نفوذ كبير عاش قرب نهاية الأسرة التاسعة عشر ، وقد لعب دوراً معيناً في إسقاط الملك «سى بتاح SI PTAH» ، وذلك في زمن كثرت فيه القلاقل الداخلية . كما أن هناك إشارة إلى «حرب» ما ، وكان «بيجا» يحمل لقب «هذا الذي أجلس الملك على مقعد أبيه» . وهو لقب له دلالة كبيرة ، إذ من المؤكد تقريباً على حد اعتقاد «سير آلان جاردنر» أن هذا الموظف الأجنبي في البلاط الملكي ، كان هو «صانع الملك» الحقيقي .

ونحن نعرف أنه منذ عهد «رمسيس الثانى» دخلت الأميرات الحثيات والنساء السوريات إلى البلاط والحريم الملكى . وكانت هناك أميرة مصرية تدعى «بنت عنات BENT ANAT» ، لها بالرغم من اسمها الثانى ، أم مصرية تدعى «إيزيس - نوفرت - ISIS NOFRET» .

وهناك مشرف على الحريم من المحتمل أنه كان أجنبياً من «تو - رو - ش - TU - S» وهى قبيلة من شعوب البحر التى كانت متحالفة مع ليبيا ضد مصر ، فى العام الخامس من حكم «مرنپتاح» . ولاشك فى أن هذه الأوضاع أدت إلى زيادة نفوذ الأجانب فى البلاط الملكى وفى دوائر الدولة ، كما تدل على ذلك الأحداث التاريخية قرب نهاية الأسرة التاسعة عشر .



وخلال الفترة الانتقالية التى تفصل بين سقوط الأسرة التاسعة عشر وقيام الأسرة العشرين ، لعب الأجانب دوراً رئيسياً فى القلاقل السياسية التى حدثت فى تلك الفترة ، بل أن شخصاً سورياً يدعى «أرسو ARSU» استطاع أن يغتصب السلطة ويفرض حكمه على مصر ، إلى أن تمكن الفرعون القوى «ست نخت SETH NAKHTE» من إنهاء الاضطرابات وسفك الدماء وأسس الأسرة العشرين .

ومن المفيد أن نقبس هنا بعض العبارات التى ذكرها «رمسيس الثالث» والتى تشير إلى هذه الأحداث الدرامية : «.. كانت مصر كالسفينة الغارقة تترنح بلا هدى . وكل رجل كان يصنع قانونه بنفسه . ولم يكن لديهم قائد لسنين كثيرة سابقة . حتى جاء زمن آخر تمزقت فيه أرض مصر بين الأمراء ورؤساء القرى . وكان الرجل يذبح زميله سواء أكان أعلى منه أو أقل منه . ثم جاء بعد ذلك زمن آخر من السنين الفارغة . حيث كان (أرسو) السورى قد أعلن نفسه أميراً . وجعل البلاد كلها تحت سيطرته» .

والتفاصيل المعقدة المتعلقة بهذه الفترة ، نجدها في بعض الوثائق من عصر الرعامسة ، وأولها بردية متحف «تورين رقم ١٨٧٥» ، والتي تقص أحداث المؤامرة ضد الفرعون «رمسيس الثالث» والتي أدت على الأرجح إلى اغتياله ، وهي تعكس حالة التدهور السياسى والأخلاقي التي سبقت الأزمة العامة في آخر عهد الأسرة العشرين .

ومن الأمور ذات الدلالة ، أننا نجد بين المتآمرين والقضاة الذين كلفوا بتحقيق المؤامرة ، عدداً من الأجانب . كذلك فقد اشتركت في هذه المؤامرة عناصر أجنبية مثل قائد عسكري يدعى «بايس PAIS» خطط لاثارة ثورة في النوبة . بالإضافة إلى لفيف آخر من المتهمين منهم الزوجة الملكية «تي TIYE» وابنها الأمير «بتاو رع PENTAWERE» وبعض النساء في الحریم ، وساقى من خدم القصر ، ومسؤولون في البلاط ، وقائد قوات من كوش ، وكتبة ، ومشرف على الأعمال وبعض مساعديه ، ورجال بلاط من أصل أجنبي . وجميعهم شاركوا في المؤامرة ضد فرعون .

كما عوقب اثنان من القضاة ، واثنان آخران من المسؤولين ، بعقوبات شديدة بتهمة الفساد والانحراف في تنفيذ واجباتهم المتعلقة بالتحقيق في المؤامرة ، كما تعرض ضابط برتبة «حامل راية» للتوبيخ الرسمي كذلك .

وقرب منتصف الأسرة العشرين ، أخذ التغلغل الليبي يبدو واضحاً في مصر ، بل لقد وصل الليبيون حتى مصر العليا ، كما تدل على ذلك صور جنود «المشوش» و «الليبو» في منطقة طيبة . وهذا التغلغل كان على الأرجح سلمياً على وجه الاجمال .

وقد احتل الليبيون غرب الدلتا ، وأقاموا هناك عدة امارات تحت حكم رؤسائهم . وخلال حكم الأسرتين العشرين والحادى والعشرين ، أخذوا يتغلغلون بكثرة في صفوف الجيش ، وزاد نفوذهم تبعاً لذلك زيادة هائلة ، حتى تمكنوا أخيراً من اعتلاء العرش الفرعوني وتأسيس الأسرة الثانية والعشرين

ويعتقد «كيس» أن المؤرخين المحدثين لم يعطوا هذا التغلغل الليبى فى الجيش والمعابد اثناء عصر الرعامسة ما يستحقه من الاهتمام ، مما جعل اعتلائهم عرش مصر يبدو كمفاجأة .

وهناك نصب تذكارى فى «أبيدوس» ، يلقى الضوء على شجرة أنساب مؤسسى الحكم الليبى ، فهو يذكر أن «نمرود NEMRUT» ، والد «شيشنق الأول SHESHENK 1» قد سمح له فى عهد «بسوسينيس الثانى PSUSENNES» أن يضع تمثلاً جنازياً فى حرم معبد «أوزيريس» فى «أبيدوس» ، وأن أربعة أجيال على الأقل قبل «نمرود» - وهم «الرؤساء» الليبيون أو «عظماء ما MA» كانوا يحملون اللقب الكهنوتى «خادم الاله» «هارسافس HARSAPHES» . وعملوا تحت «الملوك الكهنة» فى طيبة ، وهم الملوك الذى اسسوا الأسرة الحادية والعشرين «كقادة للجيش» فى اقليم «هيراكليوبوليس HERAKLEOPOLIS» .

ومما هو جدير بالذكر ، أن هؤلاء الامراء الليبيين فى الأسرة الحادية والعشرين ، كانت لهم نفس السمات المميزة للطبقة الحاكمة فى عصر الرعامسة ، كالعائلات المختلطة من الكهنة والضباط ، وكانوا يحملون بدورهم ألقاباً كهنوتية وعسكرية . ولكن يبدو أن صفاتهم العنصرية كانت قد اختفت إلى درجة ما ، وانهم قد «تصبروا» بالكامل تقريباً فى الأسرة الحادية والعشرين ، مما يعنى أن وجودهم فى مصر يمتد إلى آخر عصر الرعامسة .

كذلك فقد لعب الأجانب دوراً معيناً فى الحرب الأهلية التى نشبت أثناء حكم «رمسيس الحادى عشر» عشية قيام الدولة الدينية فى طيبة (الأسرة الحادية والعشرين) . والغالب أن القائد العسكرى «بانحسى PANEHSI» نائب الملك فى كوش ، الذى تدخل على رأس جنوده لصالح الفرعون ، ضد الكاهن الأعلى للاله «آمون» المدعو «امنحتب» ، كان مواطناً من أبناء «عنيبة ANIBA» بالنوبة ، حيث عثر هناك على قبر أعد له .

وهذه الأحداث الجسام التى شهدتها تلك الفترة مرتبطة بصفة عامة بالاشارات إلى القوات الأجنبية التى اشتركت فى القتال الذى كان ممتداً من منطقة طيبة إلى مصر الوسطى .

المبحث السابع

الأزمة الاقتصادية فى أواخر الدولة الحديثة

من المستحيل التعرف على سمات الأزمة الاقتصادية التى حدثت أثناء المرحلة الأخيرة من الدولة الحديثة ، ما لم نحاول أولاً أن نتفهم طبيعة الهيكل الاقتصادى للمجتمع المصرى ، وخاصة فى مرحلته الامبراطورية .

ويجب أن نذكر أولاً : أن النقوش الفرعونية لا تمدنا بالكثير من المعلومات عن النواحي الاقتصادية ، كما لاحظ ذلك بحق «ويلسون» و «يانسن» لأن المصريين القدماء ركزوا بصفة أساسية على صميم طبيعة حضارتهم ، أى الديانة والأدب والادارة ، ولا تعطى مصادرهم سوى معلومات ضئيلة للغاية عن الشؤون الاقتصادية .

ونذكر ثانياً : أن الوثائق الادارية اللازمة لأية بحوث اقتصادية ، تكون مليئة فى الغالب بالأرقام غير الدقيقة ، ويستبعد «يانسن» امكان اعتماد البيانات الاقتصادية التى يمكن العثور عليها من الأزمنة التاريخية المتأخرة ، البطلمية أو الرومانية ، لمعرفة الأوضاع الاقتصادية فى العهود الفرعونية حيث أنه قد حدثت تغييرات أساسية منذ الأسرة العشرين ، خاصة فى مجال الملكية الزراعية .

وعلى أية حال ، فإن مرحلة التطور الاقتصادى للمجتمع الفرعونى ، تحمل بعض السمات الشائعة ، مما يسميه العلماء «بالنظام الاقتصادى الاشتراكى للمجتمعات الفلاحية» كذلك الذى كان سائداً فى الهند والصين قبل أن يتأثرا بالنفوذ الأوربى .

وما لاشك فيه أن عقلية المصريين القدماء كانت أيضاً عاملاً هاماً للغاية فيما يتعلق بالشئون الاقتصادية ، فبغض النظر عن بعض الأفكار المعينة مثل الفكر الاسطوري الشاعري ، وظاهرة ما يسمى بتعدد المداخل ، والروح الجماعية العامة التي تناقض الفردية ، وفكرة «ماعت» البالغة العمق في الاخلاقيات المصرية ، فإن كثيراً من جوانب الحياة الروحية للحضارة المصرية القديمة لم يفهم بعد كما يجب .

ومع ذلك ، ففى رأى أن هناك معيارين يمكن تطبيقهما بقدر من الاطمئنان ، فى تناول الظاهرة الاقتصادية الفرعونية وهما : اقتصاد العظمة PRESTIGE - ECONOMY ونظرية اعادة التوزيع التى قال بها «مورينز S. MORENZ» و «يانسن» . فالمعياران يتجاوبان مع جوانب هامة للاقتصاد والحضارة المصرية .

أما المعايير الاقتصادية الأخرى مثل عامل الربح ، وانتاج السلع ، والعرض والطلب ، فلم يكن لها مثل هذه الأهمية الكبيرة التى تتمتع بها فى الاقتصاد المعاصر . ويرجع ذلك بصفة خاصة إلى نظام احتكار الدولة ذى الطبيعة المتشددة .

وليس ثمة دليل كاف يشير إلى احتمال وجود نشاط تجارى فردى على مستوى كبير . والأدلة الضعيفة التى تذكر وجود تجار معينين فى خدمة المعابد وكبار المسؤولين ، تشير كما هو محتمل إلى الأنشطة التجارية المتعلقة بتلك المعابد وغيرها من مؤسسات الدولة .

ويعتقد «منير مجلى M. MEGALLY» و «مورينز» أن التجارة الداخلية كانت احتكاراً للدولة . أما فى حالة التجارة الخارجية ، فاننا نواجه هنا فكرة أن هذه البضائع ما هى إلا جزية يجلبها الاجانب للفرعون ، وهى وجهة نظر اسطورية وهمية تتمشى مع اعتبار أن الفرعون يحكم العالم .

لقد كانت كل أجهزة الدولة ، الدينية والعسكرية والادارية ، تعتمد على خدمات يؤديها جيش هائل من الموظفين والعمال من مختلف القطاعات ، وهؤلاء كانوا يتلقون أجورهم «عيناً» ، وكان هذا بالطبع يتطلب عمليات معقدة تسجل جمع البضائع وثباتها فى وثائق وسجلات مكتوبة بواسطة الدولة وأجهزتها المختلفة .

كما أن هذا النظام كان يتطلب تعاوناً وثيقاً بين الدولة والمعابد ، فمثلا المؤن المطلوبة للعمال في الجبانة الملكية غرب طيبة ، كانت تجلب من مخازن الحبوب الملكية ومخازن المعابد الجنائزية على السواء .

وعلاوة على ذلك ففي مجتمع يلعب فيه الدين مثل هذا الدور الهام ، لابد أن يتأثر الهيكل الاقتصادي بالرغبة العميقة في اشباع الحاجات الروحية للطبقة الحاكمة والشعب .

وفيما يتعلق بالأزمة الاقتصادية التي حدثت في أواخر الدولة الحديثة ، علينا أن نفرق بين نوعين من العوامل الاقتصادية : النوع الأول عوامل ذات طبيعة ثابتة أو بيئية ، مثل نظام الري ومساحة الأرض المزروعة ، ووسائل النقل وهذه بطبيعتها عوامل ليست معرضة لتغيرات كبيرة . وعلينا أن نعتمد في تحليل هذه الأزمة على النوع الثاني من العوامل ذات الطبيعة المتغيرة ، مثل كثافة السكان ، ونفقات الدولة ، والسياسة العسكرية .. الخ .

لقد استمرت مشروعات البناء الطموحة العظيمة في كل أنحاء أرض مصر ، ولكن بمعدل متضائل تدريجياً ، طوال عصر الرعامسة . وكان الهدف من إقامة هذه المباني الدينية إظهار العظمة وإتاحة التعبد للجماهير ، وتجنب المتاعب السياسية بارضاء الكهنة الأقوياء ، خاصة في عهد «رمسيس الثالث» .

وعلى ذلك فقد أقيمت المعابد في كل أنحاء مصر والنوبة ، وكذلك في الصحارى والواحات ، لضمان تقديم خدمات العبادة في كل مكان ، وتأكيداً لنفوذ الفرعون على رعاياه .



ومنذ عهد «تحتمس الثالث» حدث تغير جوهري فيما يتعلق بطبيعة ثروات المعابد والمنح الملكية ، فنحن نعلم أن «احمس» قد وهب معبد الكرنك هدايا بسيطة مثل الأواني الفضية والتماثيل الخ ، ولكننا نقرأ على البرج الجنوبي للصرح السادس في الكرنك قائمة المنح

التي أهداها «تخوتمس الثالث» إلى الاله «آمون» وتشمل ثلاث مدن في آسيا ، وضيعة زراعية ، مما يدل على تغير أساسى فى نوعية المنح والعطايا الملكية وممتلكات المعابد .

ومن الواضح أن السياسة الدينية للرعامسة ، كانت امتداداً لسياسة «تخوتمس الثالث» فى هذا المضمار . وكانت المعابد الاقليمية تحصل أيضا على نصيبها من الثروات التى تمنح للآلهة المصرية ، فالذهب الذى كان يمنح فقط «لآمون» أثناء عصر الأسرة الثامنة عشر أصبح فيما بعد يمنح أيضا للآلهة الآخرين على السواء .

وقد أمر «سيتى الأول» فى «مرسوم ناورى» الذى أصدره ، باعطاء انتاج مناجم الذهب فى «وادي عباد ABBAD» فى النوبة ، إلى معبد «أوزيريس» . فى «أبيدوس» [صورة ٥٠] .

وفى تقدير «ويلسون» ان ممتلكات المعابد فى عهد «رمسيس الثالث» تمثل ما بين ٢٠٪ و ٣٠٪ من مجموع الأراضى الزراعية فى مصر ، كما تسيطر على ما بين ١٥٪ و ٢٠٪ من القوة العاملة . وقد بلغت حصة «آمون» من القمح ٢٠٥ آلاف «خار KHAR»^(١) وذلك بمناسبة أعياده السنوية فى عهد «رمسيس الثالث» .

وكانت مؤسسات المعابد ، وخاصة معابد «آمون» ، تملك مصانعها ومناجمها وترساناتها البحرية وضياعها الخاصة . ومن الواضح أن هذه النفقات الباهظة لتمويل مثل هذه الأنشطة العمرانية الضخمة ومنح هذه الثروات الكبيرة ، قد أثقلت بشدة موارد الاقتصاد المصرى .

وعلاوة على ذلك ، فإن زيادة الخدمات الدينية تطلبت التوسع فى استخدام الكهنة والاداريين والعمال من مختلف الأنواع ، وهؤلاء كانوا يتلقون أجورهم عينا من الثروات التى تمتلكها المعابد .

وتلقى وثيقة من أواخر عصر الرعامسة الضوء على زيادة نسبة شاغلي المناصب الكهنوتية في المجتمع ، فهي تذكر أسماء «١٨٢» من ملاك المنازل في طيبة الغربية ، منهم «٤٢» كاهناً . ونحن نعرف ما لا يقل عن مائة لقب من ألقاب الخدم والموظفين في معبد «آمون» بالكرنك .

ومن الواضح أن هذا القطاع الكبير نسبياً من السكان الموظف في الخدمات المتصلة بالمعابد ، لم يكن له دور انتاجي في اقتصاد مجتمع الرعامسة ، مثله في ذلك مثل طبقة الجند من الوطنيين والأجانب على السواء .

ولم يكن الرقيق في مصر يستخدمون في الزراعة على نطاق واسع ، لأن هذه المهمة كانت متروكة للفلاحين الوطنيين المرتبطين بالأرض ، والذين لا يستطيعون تغيير مركزهم الاجتماعي ، أو الانتقال إلى مكان آخر .



وفي عصر الرعامسة كان الرقيق يستخدمون أساساً في مشروعات البناء وفي صناعة السلع الترفية اللازمة للبلاط الملكي والمعابد والطبقة الحاكمة الجديدة . وكان الرقيق ، ذكوراً وأنثاء ، مملوكين لأعضاء الطبقة الحاكمة ، بل وأحياناً كانوا مملوكين لأعضاء الشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة .

وفي أواخر الدولة الحديثة ، بدأ الليبيون يتسللون إلى مصر دون أى التزام عليهم بالالتحاق بفرق السخرة أو العمل الجبري ، وذلك نتيجة لضعف السلطة المركزية للدولة . وهكذا ظهرت طبقة جديدة من الرقيق والأجانب ليست لها طبيعة انتاجية ، مما شكل عبئاً إضافياً على الاقتصاد في عصر الرعامسة .

وتدل الدراسة التي أجراها «أوكونور D. O'CONNOR» على محتويات بردية «ويلبور» على وجود تركيز في استيطان العمال الزراعيين حول عواصم الأقاليم ، وذلك نتيجة لسياسة متعمدة من جانب الحاكم من أجل السيطرة على الزراعة ، وتسهيل جمع فائض المحاصيل .

وهذا التوزيع المنظم للسكان يدل ، في رأيي ، على الأهمية الكبرى لنظام جمع السلع والمنتجات ، وإعادة توزيعها بين السكان ، مما يشكل العمود الفقري للعملية الاقتصادية في مصر القديمة .

كما أن هناك ما يدل على أنه بالرغم من قلة معلوماتنا عن عواصم الرعامسة مثل بر رعمسيس ومنف وطيبة ، كانت هناك أحياء سكنية خاصة بالعمال والصناع في منف وطيبة . وهذا التركز للطبقة الحاكمة النامية وتابعيها في العواصم ، أدى إلى زيادة صعوبة النظام المركزي الخاص بإعادة التوزيع .

ولا شك في أن تمزق مركزية الدولة نتيجة لتدهور قوتها وتدهور المركز المقدس للفرعون ، خاصة قرب نهاية الأسرة العشرين ، وظهور مراكز قوى جديدة يمثلها كهنة «آمون» في طيبة ، كانت له نتائج خطيرة على الاقتصاد الذي يعتمد على نظام مركزي لجمع السلع وإعادة توزيعها بين موظفي الدولة وبقية السكان .

وكانت الملكية الزراعية في نظام احتكار الدولة في العصر الإمبراطوري مجرد وظيفة اجتماعية . وهذه حقيقة تدل على أن الملاك كانوا ، على نحو أو آخر جزءاً من نظام إعادة التوزيع الاقتصادي .

وقد بين «ويلسون» أن التضخم الذي أثر بشدة على أسعار القمح ، كان السبب الرئيسي لسقوط الأسرة العشرين . ويمكننا أن نشير في هذا الصدد إلى اضطرابات عمال دير المدينة في عهد الأسرة العشرين ، بسبب قلة مخصصاتهم الشهرية من المؤن . ولم تنته هذه الاضطرابات إلا بتدخل الوزير «تو TO» . ومع ذلك فإنه لم يستطع أن يقدم إلا نصف الكمية

المطلوبة . وتقول النصوص أن العمال كانوا «كسالى» لأن مخصصاتهم من القمح تاخرت شهرين ، وأنهم كانوا «جوعى» .

ونحن نعتقد أن الأزمة الاقتصادية التى حدثت فى أواخر الدولة الحديثة ، كانت ترجع بصفة أساسية إلى نقص السلع ، وخاصة القمح ، نتيجة لزيادة احتياجات الطبقات غير المنتجة التى نمت فى مجتمع الرعامسة من جانب ، وانحلال نظام جمع السلع وإعادة توزيعها من جانب آخر .



وهناك أسباب إضافية للأزمة الاقتصادية ، ترجع إلى عوامل اقتصادية أخرى ، فأثناء عصر الرعامسة ، وبعد التدهور التدريجى للامبراطورية المصرية فى آسيا بدأت مصر تستخدم الذهب لتمويل تجارتها الخارجية مع سوريا وجزر البحر المتوسط ، فى حين أن الذهب وغيره من السلع ، كان على العكس يحمل إلى مصر أثناء عصر الأسرة الثامنة عشر كجزية من الممتلكات الآسيوية .

وفى نفس الوقت ، حدث انخفاض حاد فى الانتاج المحلى من الذهب فى مناجم النوبة وقطع بمصر العليا فى عصر الرعامسة ، بالمقارنة بالكميات التى كانت تنتج فى عصر الأسرة الثامنة عشر .

ويدل على ذلك أن «تخومس الثالث» قدم أثناء حكمه إلى معبد «آمون» بالكرنك كمية من الذهب تبلغ نحو ١٤ ألف كيلو جرام ، استخرجت طبقا لسجلاته من مناجم النوبة ، فى حين أن كل كميات الذهب التى قدمها «رمسيس الثالث» إلى معابد مصر بما فيها معبد «آمون» ، لم تتجاوز طوال فترة حكمه «٢٣٢٧» كيلو جراماً فقط .

وكذلك النحاس الذى كان معياراً معتاداً للقيم فى عصر الرعامسة ، لم يعد من المستطاع الحصول عليه بكميات اقتصادية نتيجة لاجهاد مناجم النحاس القديمة فى سيناء ، إلى درجة أن سلاحاً نحاسياً كان محلاً لدعوى قضائية فى أواخر الدولة الحديثة .

وهذا التقرير المؤثر الذى قدمه المسئول الطبي «ون آمون WEN AMUN» عن بعثته إلى سوريا فى أواخر عهد الأسرة العشرين ، للحصول على الأخشاب اللازمة لصنع سفينة الاله «آمون» المقدسة بالكرنك ، يلقي الضوء على مدى تدهور الأحوال المالية لمصر ولمركزها فى سوريا على السواء ، فإن عدم الأهتمام الذى تلقى به أمير جيل (بيبلوس BYBLOS) شكاوى مبعوث «حريحور» الكاهن الأعلى «لآمون» ، يؤكد أن المجد الامبراطورى لمصر قد زال ، وأن مصر أصبحت تقف آنفذاً فى عالم مختلف تماماً .

وعلاوة على ذلك فإن الحروب الدفاعية الكبرى التى خاضها «مرنبتاح» ضد الليبيين ، والتى خاضها «رمسيس الثالث» ضد الليبيين وشعوب البحر ، كانت لها بالضرورة آثارها السلبية على اقتصاديات الرعامسة . ونذكر فى هذا الصدد المعاهدة التى وقعها «رمسيس الثانى» فى العام الحادى والعشرين من حكمه مع الحيثيين ، وما نصت عليه من الالتزام بالدفاع المشترك فى مواجهة أى تهديد بالخطر ، مما ألزم «مرنبتاح» بإرسال قواته للدفاع عن شمال سوريا ، وإرسال شحنات من القمح إلى آسيا الصغرى لمساعدة الحيثيين فى صراعهم المرير ضد شعوب البحر .

ويعتقد «ويلسون» أن بداية استخدام الحديد أثناء الأسرة العشرين ، كان من العوامل الحاسمة فى سقوط الدولة الحديثة ، فإن انهيار امبراطورية الحيثيين تحت ضغط «الفريجيين PHRYGIANS»^(٣) الذين ينتمون إلى شعوب البحر فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وكذلك سقوط الامبراطورية المصرية فى شمال سوريا ، جعل من المستحيل بالنسبة لمصر ، كما يقول «ويلسون» أن تبادل الحبوب والذهب فى مقابل الحديد الذى تنتجه «خيتا» (بلاد الحيثيين) . ويقول «ويلسون» أن هيبة مصر الامبراطورية فى آسيا ، كانت معاصرة لسيطرة النحاس فى العالم القديم .

وفي اعتقادي أنه من الصعب أن نجد أية علاقة بين تدهور قوة مصر في الأسرة العشرين ، وبين بداية عصر الحديد ، إذ ليس هناك دور واضح للحديد في أواخر الدولة الحديثة ، حيث أن المصادر الأثرية التي يرجع تاريخها إلى تلك الفترة ، لا تذكر شيئاً في هذا الصدد .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن هجمات شعوب البحر ضد مصر قد فشلت تماماً ، بالرغم من أن المهاجمين كانوا يستخدمون على الأرجح الأسلحة الحديدية . في حين أنهم نجحوا في اجتياح آسيا الصغرى ، حيث كان الحيشيون ينتجون الحديد .

ومن المعروف جيداً أن خام الحديد كان موجوداً بمصر ، ولم يكن من العسير على المصريين القدماء أن ينشئوا صناعة الحديد بمساعدة فنية من حلفائهم في آسيا الصغرى ، إذا كان الحديد له مثل هذه الأهمية الاستراتيجية الحيوية في ذلك الزمن .

ومن الأوفق أن نعزو تدهور قوة مصر بصفة رئيسية إلى الانحلال الداخلي التدريجي للحضارة المصرية أثناء عصر الرعامسة كنتيجة للتطور العام في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والأيدولوجية . لقد انهارت مركزية ووحدة الديانة والثقافة والدولة ، كما كانت في العصر الامبراطوري السابق ، وانحلت السلطة المركزية للدولة نتيجة لعوامل التطور سالفة الذكر .

وما لاشك فيه ، أن طبقة العسكريين التي نشأت في عصر الأسرة الثامنة عشر ، والتي تحولت إلى طبقة حاكمة طموحة في عصر الرعامسة ، وبدأت تمتزج مع الكهانة المصرية في طبقة اجتماعية واحدة ، كانت عاملاً بارزاً في هذا التطور الطويل البالغ التعقيد .



الفصل الرابع

الحياة الدينية فى عصر الرعامسة

وانهيار الامبراطورية المصرية

ويتضمن المباحث التالية :

- المبحث الأول : الصراع بين العسكريين وكهنة طيبة .
- المبحث الثانى : التوحيد وتعدد الآلهة فى الامبراطورية المصرية .
- المبحث الثالث : عبادة أوزيريس فى عصر الرعامسة .
- المبحث الرابع : العرافة والعقائد الشعبية فى عصر الرعامسة .
- المبحث الخامس : نفوذ الكهنة وملامح الحكم الدينى فى أواخر الدولة الحديثة .

المبحث الأول

الصراع بين العسكريين وكهنة طيبة

في الصفحات التالية سوف نعالج بعض مشاكل الحياة الدينية ، ذات الصلة الوثيقة بالتطورات السياسية والظروف الاجتماعية المعاصرة لعصر الرعامسة . أما تقديم صورة شاملة للديانة في هذا العصر ، فأمر يخرج عن نطاق هذه الدراسة . ولذلك فسوف نركز على الاتجاهات التي تمثل تغيرات أساسية ، بدأت منذ عهد «امنحتب الثالث» سواء في الدين نفسه ، أو في السياسة الدينية بصفة عامة . والواقع أن فهم ديانة الرعامسة يتطلب الرجوع تاريخيا إلى عدة عقود سابقة على عهد «أخناتون» .

وقد أشرنا من قبل إلى أن المظاهر المبكرة للأزمة الدينية في فترة العمارنة ، ترجع إلى أيام حكم «تحتمس الرابع» . وهي في اعتقادي ، نتيجة للصراع الاجتماعي والأيدولوجي بين فئتين اجتماعيتين رئيسيتين ، هما : العسكريون الذين قامت الامبراطورية على اكتافهم ، وكهنة «آمون» في طيبة في عصر الأسرة الثامنة عشر . وكانت هذه الخصومة الأيدولوجية بين الجانبين تخفى وراءها الصراع الحقيقي بينهما ، والذي يتمثل في الحصول على الخطوة لدى الملك ، والتمتع بالمراكز الرئيسية في ادارة الدولة والمعابد ، مما كان يعنى السيطرة على الحياة السياسية والاقتصادية والروحية في مصر .

ولاشك أن هذا الصراع الذي بدت مظاهره في صورة تغير أيدولوجي عميق ، يمثل علامة بارزة في مجرى التطور الديني والثقافي والاجتماعي في عصر الرعامسة . وقد تأثر هذا الاتجاه فيما يبدو ، بالتأثيرات الأيدولوجية القادمة من هليوبوليس ومنف في الشمال .

وتدل الشواهد على أن الاله «آتون ATEN» قد ذكر كثيراً في النقوش الخاصة بالمسئول العسكرى الكبير «أمنحتب بن حابو» الذى كان وزيراً «لامنحتب الثالث». كما كان لعبادة «آتون» مكان إلى جانب عبادة «آمون» فى البلاط الملكى وفى طيبة فى عهد نفس الملك .

ومما هو جدير بالذكر ما أشار إليه «كاكوشى» من أن كبار كهنة منف ، كان لهم دور فعال فى تصعيد هذه الخصومة الدينية فى عصر الأسرة الثامنة عشر . تماماً مثلما فعلوا فيما بعد أثناء ازدهار عصر الرعامسة . مما يعد نقطة تحول أخرى فى التطور الدينى للدولة الحديثة .

ومن المعروف أن الأمير «تحوتس» ابن «امنحتب الثالث» كان كبيراً لكهنة منف ، وأنه كان يبدى تعاطفاً ازاء الديانات والعقائد الشعبية .

كذلك نجد فى أحد الأناشيد البديعة الموجهة إلى الاله «رع» والتي تعود إلى عهد «امنحتب الثالث» أدلة على الاتجاهات والأفكار التوحيدية ، وهو النشيد المنقوش على النصب التذكارى الخاص بالأخوين المهندسين «سوتى SUTI» و «حور HOR» فى طيبة .

وقد رأينا من قبل أن الموظفين العسكريين فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، كانوا ينتمون إلى أصول اجتماعية متواضعة ، وأنهم قد ساهموا كمتقنين فى الحركات الدينية التى سبقت عصر العمارنة ، بل وكانوا مسئولين أيضاً عن ادخال الديانات والعقائد الشعبية تدريجياً فى النشاط الدينى الرسمى للدولة .

وهذا التغيير الاجتماعى والثقافى العميق الذى أحدثته هذه الطبقة خلال تطورها فى عصر الرعامسة ، مع تحول شريحتها العليا إلى أرستقراطية جديدة ذات طبيعة كهنوتية عسكرية مركبة ، قد أدى فيما بعد إلى تمهيد الطريق نحو انحلال الدولة الحديثة وانهارها فى النهاية . وقد حملت هذه الطبقة ، عبر نفوذها المتنامى ، مسئولية ظهور أول حكومة «ثيوقراطية» (دينية) فى التاريخ المصرى .

المبحث الثانى

التوحيد وتعدد الآلهة فى الامبراطورية المصرية

قامت الدولة بتشجيع الاتجاهات التوفيقية داخل «البانثيون PANTHEON» (مجمع الآلهة) المصرى ، وذلك كنظير دينى لمركزية الدولة الفائقة المتمثلة فى المركز الشخصى المقدس للفرعون .

وقد رفع الاله «آمون» ، باعتباره إله البيت المالك فى طيبة ، إلى مستوى الاله الأكبر ، ولكن دوره الرئيسى فى حياة الامبراطورية أثناء عصر الأسرة الثامنة عشر ، كان منسجماً بصفة عامة مع غيره من الآلهة ، داخل الاطار العريض لأفكار «الوحدانية الناقصة HENOTHEISM» (أى عبادة إله واحد دون انكار لوجود الآلهة الآخرين) .

وكان معبد الاله «آمون» فى طيبة ، يحتل مكاناً مرموقاً فى الحياة الدينية ، يعادل نفس مركز البلاط الملكى فى عاصمة البلاد .

وهناك نشيد «لآمون» مسجل بالبردية رقم «٥٨٠٣٨» المحفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة ، والتي يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الثامنة عشر ، وهى تحمل سمات مشابهة للاتجاه التوحيدى فى نشيد «آتون» الشهير ، وفى النشيد المدون بتلك البردية ، يمتدح الاله الأكبر «آمون» باعتباره صاحب السلطة العليا ، والقوة الخالقة للحياة ، فهو : «أقدم من فى السماء ، وأول من وجد على الأرض» وهو «إله كل ما يكون ، الباقى فى كل شىء» . وهو «الفريد فى طبيعته ، والذى يسرى فى كل الآلهة» . وهو «الاله الحق والأب لكل الآلهة» . وهو «الذى صنع البشرية وخلق الوحوش» .

وهكذا كانت الطبيعة العالمية للاله «آمون» تناسب تماماً دوره الجديد في العصر
الامبراطورى ، فالآلهة الأجنبية تخضع له كما تخضع له الآلهة المصرية ، وإليه يعزى الفضل في
قمع الثورات التي كثيرا ما كانت تنشب في الممتلكات المصرية في آسيا والنوبة .

وفي هذا الخصوص يقول النشيد : «أن كل البلاد الأجنبية تهتف
بانتصارك» .. «أن آلهة بابل في ابتهاج» .. «أن أتباعهم يهللون في سرور وهم يرون القضاء
على التمرد» .. «أن عينه هي التي تقضى على التمرد» .

وحصل «آمون» على وظائف وسمات الاله «رع» التي أصبحت بمثابة صفاته
الخاصة ، مؤكدة بذلك مبادئ «الوحدانية الناقصة» التي سادت في عصر الأسرة الثامنة
عشر .

وأصبحت مخاطبة الاله «آمون» تتضمن عبارات مثل : «أنت الواحد الأحد
الذى صنع الكل» .. «من عينيه جاءت البشرية ، ومن فمه خرجت الآلهة» .

ومن الجدير بالملاحظة أن دور «أوزيريس» في العالم الآخر ، الذى ألغى تماماً في
ديانة العمارنة ، كان يقوم به «آمون» أيضا ، إذ يقول عنه النشيد : «أنه رب الخلق في أرض
الصمت» .

وفي هذا النشيد وضع اسم «آمون» داخل خرطوش ملكى ، وهو نفس ما اتبعه
«اخناتون» فيما بعد ، حيث كان يضع اسم «آتون» داخل خرطوش ، بل ان المركز الدينى
«لآمون» ازداد توسعاً ، إذ يقول النشيد : ان الآلهة تخدمه كالكلاب» . ومع ذلك
فإن «الوحدانية الناقصة» فيما قبل فترة العمارنة ، وبالرغم من قوتها الظاهرة ، لم تكن
متعارضة مع التقاليد الدينية المصرية .

ويرى «هورنوخ» ان المصرى القديم ، عندما كان يصلى لأحد الآلهة ، كان يعزو
إليه كل صفات العظمة والقوة ، بغض النظر عن وجود أى إله آخر . ومع ذلك وبالرغم من

نعت الشاء التى كانت تكال للآلهه ، كانت قوى الآلهه ، ينظر إليها فى مصر على أنها ، محدودة فى المكان والزمان .



ومنذ عهد «امنحتب الثالث» كما يلاحظ «ويلسون» أخذت الظروف العالمية والاتصالات الدولية تدفع العقيدة المصرية نحو التوحيد ، فانشئت عبادة «لاتون» فى طيبة فى عهد «امنحتب الثالث» . ومن أوضح الأمثلة على ذلك الاتجاه الراديكالى ، كما ذكرنا آنفا انشودة إله الشمس للأخوين المهندسين «سوتى» و «حور» . وهذا الاتجاه المبكر نحو الوحدانية كان لا يزال مما يسمح به فى نظر الكهنة والشعب فى طيبة ، مادام انه لا يهاجم الأفكار الدوجماتية المتعلقة بالبانثيون المصرى .

ولاشك أن أوجه الشبه بين نشيد «آتون» وسابقه نشيد «رع» للأخوين المهندسين جلية واضحة . ولكن عندما فرضت الوحدانية «الآتونية» غير المتسامحة وجودها ، تراجعت الوحدانية الناقصة المتسامحة مؤقتا إلى خلفية الصورة .

وكما ذكرنا فيما سبق ، كانت هذه الوحدانية الناقصة مقترنة ومتلازمة مع النظام الامبراطورى للدولة . وعندما سقط هذا التلازم ، كان المسمار الأول فى نعش الامبراطورية المصرية قد دق بالفعل . وهذا هو الجانب المأساوى فى تاريخ الطبقة العسكرية ، التى أنيطت بها تلك المهمة العظيمة ، وهى إقامة الامبراطورية ، فقد كان قدرها أن تكون هى نفسها الطبقة المسؤولة عن بداية انهيار الامبراطورية .

ومن الواضح أن المراكز الثقافية فى الشمال ، فى محاولتها استعادة نفوذها الذى تضاعل نتيجة لوحدانية طيبة الناقصة وجدت فى طبقة الضباط المثقفة ، حصان طراودة الذى يسهل لها النفاذ بأفكارها التقليدية إلى البلاط الملكى .

ومع ذلك فإن هذا الهدف لم يتحقق إلا في عهد «أخناتون» بأفكاره الوجدانية غير المتساحمة ، إذ أصبح «آتون» يمثل إله الشمس في هليوبوليس . وهكذا أصبح «رع - حور - آختي RE HOR AKHTY»^(١) وكذلك الإله «شو SHU»^(٢) يحتلان موقعاً مفضلاً في عقيدة العمارنة ، على الأقل في مرحلتها الأولى بطيبة وأصبحا يمثلان في شكل إله الشمس القديم ، ذى رأس الصقر ، والذي أعطى الاسم التعليمي الجديد : «رع - حور - آختي يتهج في الأفق باسمه (شو) الذى هو آتون» .

وسواء أكان هذا الشكل المبكر من تعاليم العمارنة يمثل مجرد نوع من التوفيقية ، أم كان تعبيراً عن وجدانية ناقصة جديدة ، فقد اختفى على أية حال بظهور «آتون» في شكل قرص الشمس الذى تتدلى منه الأياد البشرية ، وذلك بعد العام السادس من حكم «أخناتون»

وعندئذ ، حققت التعاليم «الآتونية» جوهرها التوحيدي في الشكل والمحتوى ، وتم تطهير «آتون» من أية سمات أخرى لا تناسب طبيعته . وتجهلت تماماً في نشيد «آتون» ، كل العناصر الميثولوجية ، وكذلك كل الآلهة الأخرى .



وكان أبرز عنصر في الديانة «الآتونية» القائمة على التوحيد ، هو تنزيه الإله «آتون» عن التجسيد . ولذلك فقد قامت حركة نشطة لتحطيم تماثيل وصور الآلهة ، بل وحرم استخدام صيغة الجمع لكلمة «نتر ntr» (أى إله) . فليس هناك سوى إله واحد فقط هو «آتون» ، ووسيطه ونبیه هو «أخناتون» .

وهكذا كان التوحيد الذى نادى به «أخناتون» مناقضاً بصفة أساسية للأفكار التقليدية المصرية ، وكان في نفس الوقت شكلاً من الدين لا يناسب الامبراطورية .

ويشير «ويلسون» إلى أن التعاليم «الآتونية» ، رغم أن طبيعتها التوحيدية كانت لا تزال محل نقاش ، فإنها حاولت الانقسام التام عن طرق الحياة المصرية التقليدية الجامدة في الدين والسياسة والفن والأدب . وكان أعضاء بلاط «أخناتون» وأسرته ، هم وحدهم الذين يعبدون «آتون» ، بينما الأغلبية الساحقة للمصريين ، يجهلون أى شيء عن هذه العقيدة الجديدة ، أو يقفون منها موقفاً عدائياً .



وبعد فترة العمارنة ، لم يؤد استئناف العقيدة القديمة إلى إحياء ديانة طيبة بشكل آلى ، فإن الدوائر العليا للطبقة العسكرية المنتصرة ، امتنعت بالرغم من سقوط «أخناتون» عن أية سياسة محلية من شأنها أن تمهد الطريق ، لعودة نفوذ «آمون» وكهنته الذين تم تقليم أظافرهم ، وتم نقل المقر الملكي بعد هجر العمارنة إلى منف ثم إلى برعمسيس في شرق الدلتا ، وبذلك حرم كهنة «آمون» في طيبة من التأييد السياسى المباشر الذى كانوا يتمتعون به في عهد الملوك الأوائل من الأسرة الثامنة عشر .

وعلى أية حال ، فقد ظلت العقيدة «الآتونية» تؤثر في روح وألفاظ الأناشيد الدينية التى كتبت فيما بعد في عصر الرعامسة ، وخاصة بالنسبة للأناشيد التى كتبت لعبادة وتمجيد «آمون - رع AMEN - RĒ» .

وبردية «لايدن LEIDEN» رقم «٣٥٠» ، وهى بالتأكيد من نتاج الأسرة التاسعة عشر ، تحوى انشودة «لآمون - رع» يمكن وصفها بروح الوحدانية الناقصة . وفى بعض أجزائها توجد ميول وحدانية خالصة ، فالاله يوصف فيها بأنه الاله الوحيد ، أو المبدئ الأول لكل الأشياء .

كذلك فقد أصبحت الآلهة الرئيسية الثلاثة لمصر ، وهم : «آمون و رع وبتاح» ، يمثلون نوعاً من التثليث الوحلوى ، حيث أنهم صنفوا جميعاً تحت إله واحد فقط منهم ، وهو الاله «آمون» . وهذه فكرة تثليثية عن الاله الأعلى .

وهناك فقرة في نشيد «لايدن» تقول : «كل الآلهة الثلاثة آمون ورع وبتاح ، ولا يوجد ثان لهم» . وفقرة أخرى تقول : «لا أحد يعرف اسمه (آمون) ولكن وجهه (رع) وجسده (بتاح) ، ومدنهم خالدة للأبد ، طيبة وهليوبوليس ومنف» .

ويبدو أنه حدثت تسوية أو حل وسط بين الاتجاهات الوجدانية في تعاليم العمارة وبين الأفكار التعددية الدوجماتية التقليدية ، إذ تحتوى بردية «شستر بيتى CHESTER BEATTY» على أناشيد ترفع مختلف الآلهة المصرية : «آمون رع ، وبتاح ، ورع حور آختى ، وأتوم» ، إلى مستوى الطبيعة الكونية العالمية ، وتعاملهم وكأنهم مندمجون في شخصية واحدة ، وتخطبهم بصيغة المفرد .

ويرى «ويلسون» أنه من الممكن اعتبار هذه الأناشيد توحيدية تحمل ملامح توفيقية . فالتسوية المشار إليها واضحة ، ويعبر عنها النص بقوله : «لك الحمد يا آمون - رع - أتوم - حور آختى . يامن تكلمت بفمك فجاء إلى الوجود كل الناس والآلهة والماشية الكبيرة والصغيرة في أبديتهم . وكل ما يطير وينير بصفة عامة» . ومعنى النص ويذكر «بتاح» أيضا .

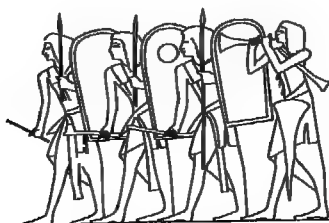
وهناك نشيد توحيدى توفيقى «لبتاح» ، يرجع إلى نفس الفترة ، يتحدث عن الاله باعتباره «خالق الآلهة وخالق الأرض» .

وقرب أواخر الدولة الحديثة ، يناشد «رمسيس التاسع» في نشيد لاله الشمس ، أن يحميه الاله باعتباره «كفيل كل الآلهة الأخرى لأنه ملكهم» .

وحتى الآلهة المحلية الصغيرة ، أصبحوا يخاطبون وكأنهم آلهة رئيسية ، ويحملون ألقابا وصفات مثل : «ملك الآلهة» و «رب الأرباب» . وكان «حورس» وهو الاله الذى لعب دوراً في تنويع «حور محب» يحمل لقب «ملك الآلهة» . وذلك طبقاً للنص المنقوش على جدران مقبرة الفرعون بطيبة .

وكذلك الحال بالنسبة للالهة «باخت PAKHET»^(١) إلهة «بنى حسن» في مصر الوسطى ، فقد كانت تحمل لقب «رئيسة كل الآلهة» ، وإله محلى آخر يدعى «أنوريس ONURIS»^(٢) كان يحمل أيضا لقب «سيد الآلهة» . وهناك من مثل هذه الألقاب عدد كبير .

ولكن الاله «آمون» ، بدأ يستعيد قواته تدريجيا ، وتدل بردية «لايدن» التى تحوى نشيدا «لآمون» ، من عهد «رمسيس الثانى» بوضوح ، على نمو قوة «آمون» وتزايدها .



المبحث الثالث

عبادة أوزيريس فى عصر الرعامسة

استمر «أوزيريس» واحداً من أهم الآلهة فى مصر فى عصر الدولة الحديثة . وقد امتزجت صفاته وجوانب اختصاصاته المتعددة ، بالعناصر الاسطورية خلال تطور الميثولوجيا المصرية ، فكان هو الماء الذى يجلبه الفيضان السنوى للنيل فى كل عام ليحيى الأرض بعد مواتها ، وهو إله الموتى والبعث والنشور فى صورة الفيضان الذى يمثل فى أعين المصريين دراما الحياة والموت .

ومن المعروف أن السمات الملكية «لأوزيريس» ، ترجع إلى عصر الدولة القديمة ، فهو من هذه الناحية يسبق «آمون - رع» ، و «آتون» ، فى الدولة الحديثة .

ونجد فى مقبرة بطيبة ، لواحد من كبار كهنة «آمون» فى عصر الرعامسة ، إشارة إلى «أوزيريس» باعتباره «ملك الملوك» . وهو لقب من الصعب تفسيره بأية خلفية سياسية ، خصوصاً فى طيبة .

ولم يكن «أوزيريس» معتبراً «إله الموتى» فقط ، وإنما هو أيضاً «إله الأحياء» أو «ملك الأحياء» .

وتدل العبارات المصاغة عن «أوزيريس» ، والمنقوشة على النصب التذكارى الذى أقامه «رمسيس الرابع» فى «أبيدوس» ، على رفع وتصعيد مستوى هذا الإله إلى مستوى الإله الكونى العام ، مما يدل على المركز الرفيع الذى كان يحتله «أوزيريس» كواحد من أكبر الآلهة المحبوبة لدى فراعنة الرعامسة .

وفي اعتقادي أن الاضطهاد الذي لقيه «أوزيريس» في فترة العمارنة ، حيث تحول تماماً دوره التقليدي كإله للموتى ، قد أدى إلى رد فعل عكسي في صورة زيادة شعبيته بين جماهير الناس وأصبح اسم «أوزيريس» عنصراً لا يتجزأ من السياسة الدينية في عصر الرعامسة ، وبناء على هذه الشعبية الواسعة النطاق أقام «سيتي الأول» - وكان من أنصار «أوزيريس» - معبداً عظيماً باسمه في «أييدوس» .

وفي النص السابق ذكره والخاص «برمسيس الرابع» نجد أن «أوزيريس» يتطابق تماماً مع الإله «رع» فهما يتوحدان معاً في روح واحدة ، إذ يقول النص : «يا من تدعى الروح الموحدة» . ويصور النص «أوزيريس» وهو يعطي تعليماته لربة المصير والقدر . وهو يتواجد في السماء كما يتواجد على الأرض . كما أن العالم الآخر خاضع له . وهو النيل الذي يعيش على خيراته الناس والآلهة على السواء ، وهو البدر في علاه . ويستطيع أن يظهر في أية صورة يرتهاها .

ويقول «كاكوشي» في هذا الصدد ، أن طبيعة الجواهر المقدس لئله لا يمكن توضيحها بشكل تام ، وخاصة بالنسبة «لأوزيريس» ، الذي يبدو في كل وقت ، وله جوانب جديدة متعددة .

ومن الجوانب الغريبة في جواهر «أوزيريس» ، طبيعته المحاربة وميله إلى القتال ، وهي التي نجد تعبيراً عنها في الضريح الرابع «لتوت عنخ آمون» حيث ترد إشارة إلى قلب «أوزيريس» كما يلي : «ان قلب «أوزيريس» هو الذي يحدث كل المذابح» .

وهناك إشارة مشابهة لذلك ، وردت أيضاً في الفصل السابع عشر من كتاب الموتى ، مع اختلاف واحد ، هو أن كاتب نص «توت عنخ آمون» حاول أن يؤكد أن المذبة دبرت داخل قلب «أوزيريس» نفسه .

وترجع هذه الفكرة إلى اسطورة الصراع الذي حدث بين «حورس» و «ست» إذ أرسل «أوزيريس» ، من حيث يقيم في العالم الآخر ، رسالة تحذير إلى «رع» - حور - آختي» اثناء النزاع بين الآلهة حول تقسيم تركة «أوزيريس» . وقد ذكر «أوزيريس» في تلك

الرسالة أن مساعديه (زبانيتيه) الذين يقيمون معه في العالم الآخر ، يستطيعون أن يحضروا إليه عندما يأمرهم قلب أى كائن . وقد كانت هذه الرسالة التحذيرية نقطة فاصلة في قصة الصراع بين الآلهة ، إذ حكم الآلهة عقب عرض الرسالة عليهم ، باعطاء عرش مصر إلى «حورس» لأنهم خافوا من زبانية «أوزيريس» في العالم الآخر .

وقد نتسائل عما إذا كان هذا الجانب القتالى من طبيعة «أوزيريس» ، هو الذى أدى إلى توقيره المتعمد في عصر الرعامسة ، كإله ذى روح حربية؟

وعلى أية حال فإن الخلفية العامة لعبادة هذا الاله ، لا تشجع على تحويله إلى إله محارب . والواقع أن هذا الجانب القتالى ، لم يكن بارزاً في أى وقت ، وظل الخوف من «أوزيريس» متعلقاً بطبيعته الشيطانية في العالم السفلى .



المبحث الرابع

العرفاء والعقائد الشعبية فى عصر الرعامسة

ان ظهور سمات الحكم «الثيوقراطى» (الدينى) فى أواخر الدولة الحديثة ، يعود إلى تطور طويل لعدة عوامل ذات طبيعة مختلفة .

ومن هذه العوامل ، زيادة نفوذ الدور الذى تقوم العرافة أو النبوءات أو استيحاء الآلهة وطلب مشورتهم ، فضلاً عن انتشار العقائد الشعبية بوجه عام .

وقد أدى ضعف السلطة المركزية للدولة إلى فتح الطريق أمام سلطة الكهنة ، لاغتصاب السلطات التنفيذية للفرعون ، وتوجيه سلطاته فى اتخاذ القرارات .

وفى اعتقادى أن أهم هذه العوامل ، يكمن فى تحول الشريحة العليا من الطبقة العسكرية منذ عصر الرعامسة ، إلى قوة اجتماعية جديدة ، تمثل الطبقة الحاكمة فى عصر الرعامسة ، وتفرض سيطرتها على المعابد المصرية ، بل وعلى الدولة نفسها .

ومن المعروف انه منذ عهد «امنحتب الثالث» أخذت العبادات والعقائد الشعبية تجنى مزيداً من القوة والانتشار ، بل وحصلت على الاعتراف الرسمى من الدولة وتأييدها المادى .

وفى اعتقادى أن الاتجاهات التوحيدية والتأثير الثقافى القادم من الشمال ، فى فترة ما قبل العمارنة مباشرة ، انما يرجع إلى التأثير المتزايد للنبلأ العسكريين فى البلاط الملكى وفى دوائر الدولة ، فهؤلاء يحكم أنهم جاءوا أساساً من أصول متواضعة ، قد حملوا معهم عقائد الشعب وعاداته وممارساته الدينية إلى الدوائر العليا بالدولة .

ونحن نعرف أن «أمنحتب بن حابو» كتب على تماثيله في الكرنك ، أن الفرعون قد رفعه ليكون رسولا «لآمون» ، وأنه كان الوسيط بين الاله وبين المؤمنين به في طيبة .

وهناك تماثيل أخرى تحمل عبارات مشابهة ، تعزى إلى اثنين آخرين من الضباط العسكريين ، نالا نفس الشرف ، وقاما بنفس دور الوسيط بين الاله والشعب .

وأول هذين الضباطين هو الأمير «تخوتس» الكاهن الأعلى في منف ، وابن «أمنحتب الثالث» . وقد أمر ببناء أول مقبرة معروفة للعجل المقدس «أپيس APIS» في سقارة ، وكان ذلك نزولاً بالطبع على المعتقدات الشعبية في تقديس الحيوان . كذلك فهناك مثل آخر على نفوذ عبادة الحيوان الشعبية ، يتمثل في ابقاء قطع من الكباش ، وهو الحيوان المقدس «لآمون» ، في معبد «أمنحتب الثالث» في صولب بالنوبة . كما أن الحيوان المقدس لاله الشمس ، قد ذكر على لوحة من لوحات الحدود التي اقيمت حول «آخت آتون» .

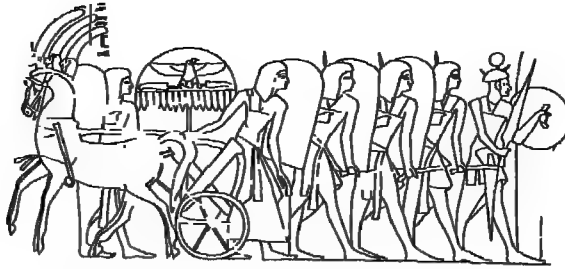
أما الضابط الثاني فهو الأمير «خع - إم - واس» وكان أيضا من كبار كهنة منف ، وهو ابن «لرمسيس الثاني» وكان له نشاط ديني وثقافي واسع النطاق ، يدل على تزايد الاهتمام بالعقائد الشعبية داخل الدوائر العليا بدولة الرعامسة . وقد أمر «خع - إم - واس» ببناء ضريح شعبي لأپيس في منف .



أما بالنسبة للسحر ، فقد زاد الاهتمام به في عصر الرعامسة بالمقارنة بما كان عليه الحال قبل فترة العمارنة . وتحتوى الوثائق الطبية التى وصلتنا من عصر الرعامسة ، وأولها ما اسميت ببردية «لندن الطبية السحرية» ، على وصفات سحرية لشفاء الامراض ، أكثر مما تحتويه أية نصوص طبية أخرى من الأزمنة السابقة .

وفى قضية المؤامرة على «رمسيس الثالث» نعلم أن المتآمرين طلبوا من أحد الكتبة ، أن يعد بعض التماثيل من الشمع ، لتهريبها إلى حريم «رمسيس الثالث» لكي تستعمل كعمل من أعمال السحر ، فى المؤامرة ضد الملك . كما وصلنا من عهد «رمسيس الثالث» أيضا تماثيل من تماثيل الشفاء مغطى بالنصوص السحرية .

ومما هو جدير بالذكر أيضا ، أن أول اشارة إلى «حورس فوق التماسيح» كعبارة سحرية ، ترجع إلى أواخر الدولة الحديثة .



المبحث الخامس

نفوذ الكهنة وملاحم الحكم الدينى فى أواخر الدولة الحديثة

يبدو أن العرافة أو استيحاء الاله وطلب مشورته قد ظهرت متأخرة نسبيا فى التاريخ الفرعونى ، فقد ظهرت أول اشارة إليها فى عصر الدولة الحديثة . ويبدو أيضا أن نبوءات «آمون» ، أثناء الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر ، لم تكن تقليداً شائعاً ، وإنما كانت قاصرة على مسائل السياسة العليا للدولة .

ومن الأمثلة المبكرة لظهور ارادة الاله على نحو مباشر ، ما حدث فى عهد الملكة «حتشبسوت» عندما استشارت الاله «آمون» فى إرسال بعثتها الشهيرة إلى بلاد «بونت» .

وكذلك ما فعله «تحتمس الرابع» بمناسبة حدوث تمرد فى النوبة ، اذ استشار الاله «آمون» أيضا .

وعلى الأجمال ، فإننا نجد أن الأمثلة على نبوءات «آمون» التى حدثت فى عصر الأسرة الثامنة عشر ، أقرب إلى الغموض فى وصفها ، ولا نعرف على وجه الدقة طبيعة الاجراءات التى كانت تستخدم بصدددها .

وفى خلال فترة النصف الأول من الدولة الحديثة كان «آمون» هو الاله الوحيد الذى يتقدم الملوك لاستشارته . وهذا له دلالاته الخاصة فيما يتعلق باستمرار الايمان بصحة نبوءات «آمون» ، فيما بعد انهيار الدولة الحديثة .

ولكن بالرغم من هذا الشكل المبكر لعراقة «آمون» والاشارات المتكررة إلى ارادته المقدسة في المسائل السياسية وشئون الدولة ، فإن ذلك لم يحول الدولة إلى النظام الشيوقراطى (الدينى) القائم على حكم رجال الدين .

وبعد العمارنة ، تم تجاهل عراقة واستشارة الاله «آمون» تماماً ، وذلك حتى لا ينتعش نفوذ كهنته . ومع ذلك فإن نص تنويج «حور محب» يذكر أن موافقة الاله «آمون» كانت ضرورية لتأكيد اختياره ملكا .

وفى مناسبة تعيين «نب - ون - انف» كبيراً لكهنة «آمون» ، وجد «رمسيس الثانى» أن من الضرورى بالنسبة له ، أن يستشير الاله قبل اتخاذ هذه الخطوة واصدار قرار التعيين .

ومنذ بداية الأسرة العشرين ، بدا واضحاً أن عادة العراقة قد دخلت عليها تغييرات عميقة ، فقد أصبح الفلاحون والعمال وسكان القرى فى جبانة طيبة ، وخاصة فى مستوطنة دير المدينة ، يتقدمون إلى الآلهة الرئيسية فى المناطق المجاورة ، بما فيهم الاله «آمون» ، لطلب مشورتهم ونصائحهم وقرارتهم الشرعية فيما يعرض لهم من متاعب وهموم . وهكذا ارتبط الاله ارتباطاً وثيقاً بحياة الناس العاديين .

ومن الثابت أن معابد «آمون» المحلية فى قرى جبانة طيبة ، كان الناس يلتجئون إليها للحصول على نبوءات الاله . وقد عثر على مالا يقل عن مائة شقافة صغيرة فى حفريات دير المدينة ، وعليها أسئلة مكتوبة لتقديمها إلى الاله طلباً للعراقة ، والمشورة ، كما كانت نبوءات «آمون» تزاوّل فى عديد من المعابد الاقليمية بمصر فى عصر الرعامسة .

ومما لاشك فيه أن انتشار عراقة «آمون» على هذا المستوى ، مع غيره من الآلهة ، بين الشعب العامل والفلاحين ، كان معاصراً لزيادة قوة ونفوذ كهنة «آمون» فى الدولة الحديثة .

وقد ازدادت قوة ونفوذ كهنة «آمون» أزدیاداً كبيراً ، نتيجة للثروات الكبيرة التي كانت تمنح لمعبده . وفي نفس الوقت ، فقد مهد اضمحلال سلطة الملوك ، الطريق أمام كهنة «آمون» ، للحصول على مزيد من القوة والنفوذ .

وكانت ثروات مؤسسات «آمون» منذ الأسرة العشرين ، تتألف أساساً من الأراضي الزراعية والقرى وترسانات السفن وامتلاك العبيد ، مما يدل على مدى القوة التي بلغها كبار كهنة «آمون» في ذلك الوقت .

ومن الواضح أن العائلات الكبيرة التي تشكل الطبقة الحاكمة الجديدة في عصر الرعامسة ، كان لها دور رئيسي في هذا التطور .

وقرب نهاية الأسرة التاسعة عشر . نجد «راما - روى RAMA - ROY» وكان الكاهن الأعلى «لآمون» وسليلاً لاحدى العائلات البارزة ، مصوراً على جدران معبد الكرنك . في حين أن ذلك لم يكن مسموحاً به من قبل إلا للملك وحده .

وبعد حوالي نصف قرن من عهد «راما - روى» نجد كبيراً آخر لكهنة «آمون» ، وكان أيضاً سليلاً لأسرة بارزة ، وهو المدعو «امنحتب» . وكان بدوره مصوراً على جدار بالكرنك في نفس حجم صورة الملك . وأكثر من ذلك فإن تقديم القرابين إلى الآلهة ، والذي كان يحدث من قبل باسم الملك وحده ، أصبح من اختصاص «امنحتب» هذا .

والأهم من ذلك ، أن الضرائب صارت تجبى بواسطة السلطات التنفيذية لمعبد «آمون» مباشرة . وبذلك أصبح معبد «آمون» بمثابة دولة داخل الدولة .

وقبل العام التاسع عشر من حكم الملك «رمسيس الحادى عشر» وقعت «حرب» أو ربما «إخماد ثورة» استطاع اثناءها «امنحتب» كبير كهنة «آمون» أن يجند جيشاً خاصاً يقف في وجه الجنرال «بانحسى PANEHSI» نائب الملك في كوش ، الذى قدم

على رأس قواته للتدخل فى الفتنة ، وهذا يؤكد العلاقة القوية بين الجيش والمعابد فى ذلك الوقت . وهى العلاقة التى تعكس ، فى رأى ، طبيعة العلاقة والصلات بين الضباط والكهنة الذين كانوا يمثلون معاً العائلات المختلطة الكبيرة فى مجتمع الرعامسة .



وقد كان نظام العمارنة نوعاً من الحكومة الثيوقراطية حيث كان «أخناتون» هو نبي «آتون» وكاهنه الأول . وخلال فترة العمارنة ، كان اسم «آتون» يحيط به خرطوشان ملكيان كرمز لسلطته على الأرض .

كذلك فقد كان «آتون» - طبقاً للنصوص المنقوشة على لوحات الحدود المحيطة بآخت آتون - هو الذى اختار مقره المقدس فى هذه العاصمة الجديدة .

ويشير «بونيت H. BONNET» إلى أن ديانة العمارنة ، قد اختصرت المسافة بين الاله والانسان ، وان المسئولية الانسانية فى هذا الشكل المبكر من ديانة التوحيد قد أخذت . وهو أيضاً يقرر انه بالرغم من أن الملك المصرى كان يعتلى العرش بارادة الآلهة ، باعتباره ابناً للاله أو تجسيدا للاله ، إلا أن هذا لم يكن يعنى ان السلطة الملكية كانت ذات طبيعة ثيوقراطية (دينية) بنفس المعنى الذى كان يفهمه كهنة طيبة .

وليس من قبيل الصدف أن أساس الحكومة الثيوقراطية التي نشأت في طيبة فيما بعد ، قد ارتبط من الناحية التاريخية بسقوط الامبراطورية ، وانحلال السلطة المركزية المدنية من جانب ، وتحول طبقة الرعامسة الحاكمة إلى مزيج من العائلات الكهنوتية العسكرية من جانب آخر .

وكان «حريحور» وهو ضابط محترف ، هو الذى تدخل فى الأحداث التى وقعت فى عهد «رمسيس الحادى عشر» وأسس حكم الكهنة الصريح فى طيبة باسم الاله . وكان «حريحور» يحمل ألقاب : «كبير كهنة آمون . ونائب الملك فى كوش . والوزير» . وقد وصف الفترة التى اغتصب فيها السلطة ، قبل وفاة «رمسيس الحادى عشر» بالتعبير القديم «عصر النهضة» . وكان لقبه الكهنوتى يوضع داخل خرطوش ملكى . كما انه كان يستعمل كل ألقاب الملك التقليدية .

وكان ملوك الأسرة الحادية والعشرين ، الذين يحكمون فى تانيس بالجزء الشمالى من البلاد ، يحملون أيضا لقب «كبير كهنة آمون» متأثرين ، كما هو واضح ، بالفكرة السائدة عن سلطة «آمون» المطلقة .

وابتداء من ذلك الوقت ، أخذت عرافة نبوءات الاله ، والتى كانت تلقى احتراماً بالغاً ، تمتد لتشمل كل أوجه النشاط فى الشؤون الادارية والتشريعية بالدولة على حد سواء .

وحتى البركات التى يمكن الحصول عليها فى العالم الآخر ، كان يمنحها «آمون» . وهكذا أصبح حكم الاله يتحقق على الأرض وفى العالم الآخر .

وفى الواقع ، كان كهنة «آمون» يتبعون فى ذلك - سواء عن وعى أو دون وعى - مثل «أخناتون» . ولاشك أن هذا النظام الثيوقراطى الذى يهدف فى الحقيقة إلى تحقيق أهداف سياسية ، كان بمثابة قناع يخفى الحكم المطلق للطبقة الحاكمة .

والمعتقد أن «حريحور» كان ضابطاً محترفاً ، ولم تكن له خلفية كهنوتية . ولكن «ماير» يعتقد انه كان كاهناً في سابق حياته . وإذا كان هذا صحيحاً ، فإنه يوضح مرة أخرى الأساس المشترك للدور الذي كانت تلعبه العائلات الكهنوتية العسكرية ، التي تمثل الطبقة الحاكمة في عصر الرعامسة .

ولم تكن «الأيدولوجية» الثيوقراطية قاصرة على مصر العليا وحدها ، بل اننا نلمس نفوذها في الشمال أيضاً . أما في الجزء الجنوبي من البلاد (النوبة) فقد كانت لها أيضاً نفس الأهمية .

وعندما أرسل «بعنخي PIANKHY» ملك «نباتا NAPATA»^(١) جيوشه ضد مصر ، حض هذه الجيوش على إظهار الولاء «لآمون» في طيبة ، وأن يطلبوا مساعدته لاحتراز النصر .

وهكذا كان من مفارقات القدر ، ان الاله الذي كان رمزاً للامبراطورية المصرية ، أصبح من المتوقع منه ، أن يساعد اتباعه من أهل «نباتا» على أخضاع البلد الذي سمي فيه يوماً «ملك الآلهة» .



خاتمة

ينقسم تاريخ الدولة الحديثة في مصر إلى فترتين طويلتين ، تختلف كل منهما اختلافاً كبيراً عن الأخرى في كثير من النواحي : إحداهما تسبق عهد «أخناتون» والثانية هي عهد الأسرة التاسعة عشر والأسرة العشرين .

ولكن بالرغم من هذه الخلافات الكبيرة بينهما ، فقد كانت هناك عدة عوامل اجتماعية مشتركة ، تؤدي دورها في هاتين الفترتين على السواء .

وكان أهم هذه العوامل ، كما حاولنا بيانه ، هو نمو النفوذ السياسي والاجتماعي للموظفين العسكريين في عدد من مجالات ادارة الدولة . فقد أصبح الجيش في الدولة الحديثة ، خلافاً لما كان عليه الحال في الحقب السابقة ، عاملاً فعالاً ، ليس فقط فيما يتعلق بحفظ هيبة مصر في أعين الدول الأخرى بالشرق الأدنى ، وإنما كان له أيضاً دور مؤثر في الشؤون الداخلية للامبراطورية .

وهذا أمر يمكن تصوره ، إذا وضعنا في الاعتبار ان الجيش نفسه ، كان محكوماً بمؤسسة تنظيمية يديرها الضباط ، الذين كانوا يتطلعون إلى مد سلطاتهم خارج النطاق العسكري . واستطاعوا في الواقع أن ينجحوا تدريجياً في السيطرة على القطاع المدني من السلطة . وقد بلغت هذه العملية ذروتها في فترة «ما بعد العمارنة» ، عندما اعتلى الزعيمان العسكريان «آي» و «حور محب» عرش مصر .

وقد كان هدفي ، في هذه الدراسة ، أن أفسر خلفية بعض عناصر هذا التطور ، وبخاصة تلك التي تبدو متعارضة فيما بينها لدى الوهلة الأولى . وفي هذا الصدد يجب ان نضع في الاعتبار أن الطبقة العسكرية الحاكمة لم تكن محافظة أو متجمدة في عقليتها ، بل على العكس ، كان موقف أعضائها المرن هو الذي ساعدهم على مواجهة المواقف الحرجة بكفاءة .

ومن هذه المواقف ، الاصلاحات التى اعلنها «أخناتون» فى عقيدة التوحيد . فعندما تحقق العسكريون من أن إصرارهم على العقيدة «الآتونية» ، التى أيدتها فى البداية بعض الشخصيات العسكرية البارزة ، سوف يؤدى إلى إشاعة الفوضى العامة ، عملوا على إيجاد وسائل المصالحة السياسية «والأيديولوجية» مع كهنة طيبة . وفى نفس الوقت كانوا حريصين بما فيه الكفاية ، على عدم ترك ميزان القوى يميل بشدة فى صالح كهنة «آمون» .

ولكن هذا الموقف بدأ يتغير فى بعض العهود التالية ، إذ تشهد المصادر التاريخية على وجود علاقة وثيقة ، بل واندماج بين العائلات التى تضم كبار العسكريين وكبار الكهنة .

وإذا وضعنا ذلك فى الاعتبار ، فإن أية دهشة تتبدد إذا رأينا فى نهاية هذا التطور قائداً للجيش ، هو «حريمحور» ، يستولى لنفسه على العرش الملكى إلى جانب مقعد كبير كهنة «آمون» .

وقد فطن «ف. هلك» إلى أهمية دور الزعماء العسكريين فى تاريخ مصر الاجتماعى . وقد استخدمت فى سياق بحثى كثيراً من الأدلة التى ساقها وبعض النتائج القيمة التى توصل إليها ، رغم اختلافها أحياناً مع وجهة نظره . وكذلك فقد قمت بتحليل بعض المصادر التى لم يتناولها أحد بالبحث حتى الآن ، وفى كثير من الحالات كانت آرائى تختلف اختلافاً بيناً مع آراء الباحثين السابقين .

ومع ادراكى لخطورة التعميم ، فقد اعتبرت أن كل التغييرات التى حدثت فى الدور الذى لعبه الموظفون العسكريون ، بمثابة واحد من العوامل الهامة فى التطور الاجتماعى فى تلك الفترة . وهذه العملية كانت محكومة إلى حد كبير بالموقف الاقتصادى العام لمصر حينئذ .

ولذلك فقد تناولت بسرعة بعض السمات الرئيسية لمجتمع الدولة الحديثة ، حيث لم تكن الحياة الروحية والدينية ، بمنأى عن تأثير التغييرات الاجتماعية والسياسية العميقة ، التى تكمن وراء اتجاهات الصراع بين مختلف التيارات الدينية . فقد كانت المسائل المحورية التى

تشغل بال العقول المفكرة فى ذلك الوقت ، هى العلاقة بين الاله الأعلى والالهة الأخرى الادنى منه فى المرتبة ، ومشكلة ما إذا كان هناك إله شمس واحد ، أم أن هناك آلهة متعددة يمكن أن تجمعها وحدانية ناقصة مرنة . إلى غير ذلك من المسائل العقائدية .

هذه هى المسائل الرئيسية التى قصدت معالجتها بشيء كثير أو قليل من التفصيل ، دون أن أدعى أنني وفيت أى مجال حقه الكامل ، فإن وفرة المادة المتاحة ، تجعل من المستحيل إيفاء هذا الموضوع حقه ، حتى فى عدد من المجلدات الكبيرة .

ومن طبيعة البحث التاريخى ان نتائجه تثير دائماً مناقشات جديدة ، وغالباً ما تكون محلاً للاعتراض . وهذه الدراسة ليست بالطبع استثناءً من تلك القاعدة ، ومع ذلك فأنى آمل أن تجذب هذه الدراسة الانتباه إلى أهمية وضرورة وجود المزيد من الدراسات الجديدة ، لتفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية فى تلك الفترة من تاريخ مصر القديمة .



ملحق

شواهد من جبانة طيبة

أود أن أشير في النهاية ، إلى بعض الحقائق اللازمة لتحقيق الفهم الكامل لخلفية بعض المشاكل التي بحثناها في هذا الكتاب ، فليس من الضروري أن نفترض أن كل ضابط كبير كان له منصب كهنوتي أو العكس بالعكس ، رغم أن ذلك كان أمراً كثيراً الحدوث . لقد حدث في مجرى التطور أن فقدت الطبقة العسكرية تجانسها الذي كان يميزها خلال النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشر ، وتحولت بالتدريج إلى طبقة حاكمة من العائلات المختلطة الكبيرة التي تسيطر على المناصب الكهنوتية والمناصب العسكرية معاً .

وهذه الظاهرة تناولها بعض علماء المصريات ، وكانت مساهمتي المتواضعة تنصب على تفسير هذه الظاهرة في ضوء المحيط الكلي للتطور الاجتماعي والثقافي والسياسي .

والآن ينبغي أن أقول انه إذا كانت نظريتي سليمة ، فإن جبانة طيبة يجب أن تعكس ذلك على نحو ما ، بالتحديد توضح لنا نتائج الحكم العسكري ، وتدهور الارستقراطية الطيبية القديمة ، حيث حلت محلها طبقة حاكمة ذات طبيعة مغايرة .

ومنذ فترة العمارنة ، أخذت المراكز الثقافية والسياسية في الشمال ، تنمو من حيث النفوذ ، بينما توقفت طيبة عن أن تكون مقراً للبلاط الملكي وعاصمة للامبراطورية ، ونتيجة لذلك كما يقول «هلتك» فقدت جبانة طيبة كثيراً من أهميتها ، ابتداء من عهد «توت عنخ آمون» . وانتقلت هذه الأهمية إلى «سقارة» بجوار منف . ولكن المومياوات الملكية فقط ، استمر دفنها في غرب طيبة ، أثناء عصر الرعامسة ، وذلك تمسكاً بعادة عميقة الجذور بدأت منذ الأسرة الثامنة عشر ، وربما قبل ذلك .

وكذلك استمر دفن كبار كهنة «آمون» والآلهة المحلية الأخرى ، فى جبانة طيبة ، كما استمر دفن كبار الموظفين المحليين ، فهؤلاء هم أصحاب المقابر فى غرب طيبة فى عصر الرعامسة .

ونشير إلى حالة «حور محب» باعتبارها حالة هامة فى هذا المجال ، فعندما كان يعمل باعتباره الرجل الثانى أو الثالث تحت حكم «توت عنخ آمون» و «آى» أعد لنفسه مقبرته الشهيرة فى سقارة ، ولكنه بعد أن اعتلى العرش بدأ يقيم لنفسه مقبرة ملكية أخرى فى وادى الملوك بطيبة .

وعلى ذلك فإن المعلومات التى تعطىها جبانة طيبة اثناء عصر الرعامسة ، لا يمكن اعتبارها مصدراً لأية معلومات عامة تتعلق بالأوضاع الاجتماعية لطبقة كبار الموظفين فى تلك الفترة .

أما الوثائق التى يمكن أن تعتمد عليها أية دراسة للعلاقات الاجتماعية أو الأنساب ، فيجب أن تشمل دراسة النصوص المنقوشة فى مقابر سقارة ، وقنطير ، وتانىس ، وجبل سيدمنت ، والجبلين ، وارمنت ، وقفط ، والنوبة . كما يجب أن تشمل أيضاً دراسة سير الحياة الذاتية والنذور المسجلة على النصب التذكارية ، والبرديات ، والتماثيل ، وشظايا الفخار (الأوستراكا) فى مختلف المواقع الأثرية . أما جبانة طيبة فهى ذات أهمية بالغة ، ولكنها ذات طبيعة محلية .

ولكن بالرغم من المعلومات الجزئية وغير الكاملة التى تعطىها مقابر طيبة الغربية فى عصر الرعامسة ، فإن الإحصائيات المتعلقة بالمركز الاجتماعى لأصحابها ، قد تلقى ضوءاً جديداً على ظاهرة العائلات المختلطة الكبيرة التى تضم الكهنة والضباط ، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى :

(١) : هناك على الأقل «٥٣» مقبرة من مجموع مقابر الرعامسة فى طيبة ، تخص العمال الذين كانوا يقيمون فى مستوطنة دير المدينة ، لتنفيذ المقبرة الملكية للفرعون الحاكم ، أو الحرفيين

والصناع في ورش المعابد أو ممتلكات المعابد في طيبة مثل : النجارين ، وحراس الأبواب ،
وصناع النسيج ، والمساحين ، وصانعي الأحذية .. وهذه المقابر تحمل الأرقام التالية :

١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١٣ - ٤٥ - ٧٠ -
١٣٣ - ١٣٨ - ١٨٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ -
٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٥٠ - ٢٦٥ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٩٠ -
٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٦ - ٣٢٨ -
٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٥٥ - ٣٥٦ -
٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٧٢ - ٣٧٨ .

(٢) - وهناك حوالى «٢٧» مقبرة يملكها كهنة عاديون أو كهنة مرتلون تابعون للاله «آمون»
أو غيره من الآلهة المحلية في طيبة . وهاتان الفئتان من الكهنة تنتميان إلى الطبقة السفلى من
الهرم الكهنوتى في مصر ، وتحمل مقابرهم الأرقام التالية :

١٤ - ١٦ - ٣٠ - ٤١ - ٤٤ - ٦٨ - ١٠٥ - ١١٢ - ١١٣ -
١٣٤ - ١٣٥ - ١٤١ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٩ - ١٨٣ - ٢٠٢ - ٢٠٣ -
٢٠٨ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٧٢ - ٢٧٧ - ٢٨٤ - ٢٨٧ - ٣٠٥ - ٣٦٣ .

(٣) - وهناك مجموعة ثالثة حوالى «٤٢» مقبرة ، أصحابها من الكتبة المحليين والموظفين الذين
كانوا يتولون مناصب في المعابد أو ممتلكات المعابد مثل كتبة القرابين وكتبة حصر الماشية
والتاجر .. الخ . ولم يظهر بينهم في عصر الرعامسة أى موظف كبير ينتمى إلى السلطة المركزية
للدولة ، أو أى موظف في البلاط الملكى .

وبما تجدر ملاحظته أن بعض هؤلاء الكتبة والموظفين ، لم يكن في مقدورهم نحت
مقبرة لحسابهم الخاص ، فاغتصبوا مقابر من عصر الأسرة الثامنة عشر . وكان هؤلاء الموظفون
والكتبة يمثلون المجموعة الدنيا من الجهاز الادارى في طيبة ، ويمكن اعتبارهم من اعضاء الطبقة
المتوسطة . ومقابرهم تحمل الأرقام التالية :

٣٠ - ٦٥ - ١١١ - ١٣٦ - ١٤٩ - ١٦٠ - ١٦٣ - ١٧٠ -
١٧٣ - ١٧٧ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٨ - ٢٠٧ - ٢٣٢ - ٢٣٣ -

٢٥٩ - ٢٦٤ - ٢٧٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٨ - ٢٩٦ - ٣٠١ - ٣٠٢ -
٣٠٤ - ٣٢٤ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٧ - ٣٥٢ - ٣٧٠ - ٣٧٣ - ٣٧٤ -
٣٨٢ - ٣٨٧ - ٤٠٦ - ٤٠٩ - ١٧١ - ج٧ - ج٨ .

(٤) - أما بقية المقابر الخاصة بعصر الرعامسة ، وهى بالكاد فى حدود «٤٠» مقبرة ،
فيمكن القول باطمئنان أن أصحابها ينتمون إلى الطبقة الحاكمة ومنهم «١١» على الأقل
يحملون ألقاباً عسكرية ، ويشغلون وظائف مالية وإدارية وإشرافية فى المعابد . وأرقام هذه المقابر
هى :

٢٣ - ٢٦ - ٢٨ - ١٥٦ - ١٧٠ - ٢٢١ - ٢٦٦ - ٢٨٢ - ٣٤٦ -
٣٥١ - ٣٨١ .

وأمكن التعرف على خمسة فقط من كبار كهنة «آمون» لا يحملون ألقاباً
عسكرية . ومع ذلك تفيد بعض المصادر الأخرى ، أن ثلاثة على الأقل من هؤلاء الكهنة
الخمسة يحملون ألقاباً عسكرية . فإن «باك - إن - خونس» صاحب المقبرة رقم «٣٥» ،
وهو كبير كهنة «آمون» فى عهد «رمسيس الثانى» ، كان ضابطاً فى وحدة تدريب للفرسان
فى مقتبل حياته . وكذلك «نب - أون - إنف» صاحب المقبرة رقم «١٥٧» ، وهو أيضاً
كبير كهنة «آمون» فى عهد نفس الملك ، كان يحمل لقب «جنرال» . وكذلك «راما -
راى» صاحب المقبرة رقم «٢٨٣» وكان أيضاً كبيراً لكهنة «آمون» فى أواخر الأسرة التاسعة
عشر ، وكان أيضاً يحمل لقب «جنرال» .

ومما هو جدير بالذكر أن والد «باك - إن - خونس» وجد «راما - راى»
ويدعى «امين - إم - أوت» كان «جنرالاً» كذلك ، وكان يشغل مناصب عليا فى إدارة
بعض المعابد الإقليمية .

أما «رمسيس - نخت» صاحب المقبرة رقم «٢٩٤» ، فيمكن التعرف على
صفته العسكرية من حقيقة انه قاد شخصياً بعثة إلى وادى الحمامات فى عهد «رمسيس الرابع
أو الخامس» وكان كل أعضاء هذه البعثة من العسكريين . هذا بالإضافة إلى أنه كان يشغل

منصب كبير كهنة «آمون» . وقد شغل ابنه «امنحتب» نفس المنصب الكهنوتي من بعده . وقد استطاع ابنه هذا ان يجند مجموعة من المتطوعين ، ويحارب لمدة ستة شهور ، ضد الوحدات العسكرية التي أرسلت لمواجهة من جانب السلطة المركزية في تانيس ، على أرجح الآراء .

وعلاوة على ذلك ، فقد كانت أسرة «رمسيس نخت» متصلة برابطة الزواج مع أسرة «باك - إن - خونس» و «راما - راي» . فإن الكاهن الثاني أو الثالث «لآمون» المدعو «جينافا TGINAFA» وهو عضو في أسرة «رمسيس نخت» كان متزوجاً من «نفرتاري» حفيدة «باك - إن - خونس» .

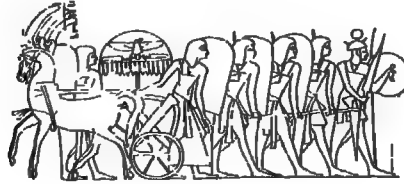
وهناك أربعة من «نواب الملك في النوبة» لهم مقابر في غرب طيبة ، اثنان منهم يحملان ألقاباً عسكرية ، وهما «نخت» صاحب المقبرة رقم «٢٨٢» ، و «بن ساتاني PANNE SATTANI» صاحب المقبرة رقم «١٥٦» . كما ثبت أن «ستاو SETAU» نائب الملك وصاحب المقبرة رقم «٢٨٩» ، كان يشغل منصباً عسكرياً طبقاً لدراسة حديثة تناولت سيرة حياته الذاتية كما نقشها على نصبه التذكاري .

أما «خونس - تو KHONS - TO» صاحب المقبرة رقم «٣١» فقد كان يشغل منصب الكاهن الأول لأحد المعابد الجنائزية ، وكان ينتمي إلى أسرة نمطية لعصر الرعامسة ، تضم عسكريين وكهنة .

وكذلك الحال بالنسبة لصاحبي المقبرتين رقم «٣٢٤» ورقم «٣٣١» ، وهما «هاتاي HATIAY» و «بن نوت PEN NUT» وكل منهما كان يشغل منصب كبير كهنة «مونتو وخونسو MONTU AND KHONS» وكانا أيضاً أعضاء في أسرة تقليدية كبيرة من أسر عصر الرعامسة ذات الطبيعة المختلطة .

وكان «باسر PASER» وهو من نبلاء المدينة الجنوبية (أى طيبة) ، وصاحب المقبرة رقم «١٠٦» ، ابن أخ «ون نوفر WEN NOFRE» كبير كهنة «آمون» ورئيس أسرة بارزة من الضباط والكهنة .

وهكذا يتبين لنا أن ظاهرة الأسر الكبيرة المختلطة ، من الكهنة والضباط ، في عصر الرعامسة ، واضحة في نحو « ٢١ » مقبرة على الأقل من « ٤٠ » مقبرة في طيبة ينتمى أصحابها إلى الطبقة الحاكمة في عصر الرعامسة . وبذلك يكون الدليل المشتق من طيبة - إذا فصلنا بين الطبقتين الوسطى والعليا - مؤيداً تماماً للنتائج التي توصلنا إليها من المصادر التاريخية .



هوامش الجزء الثالث

هوامش الفصل الأول

المبحث الأول

- ١ - حالياً : صان الحجر . تقع في شرق الدلتا . وكانت مقراً لعبادة الاله «ست» في عصر الهكسوس . وعثر بها على آثار من عصور مختلفة ، أهمها مقابر الأسرة الحادية والعشرين والتي تتضمن حلياً ذهبية وفضية ذات ذوق فني رفيع بالنسبة لعصرها .
- ٢ - ابن رمسيس الأول مؤسس الأسرة التاسعة عشر . كان ضابطاً مثل أبيه . وأمضى سنوات طويلة في الخدمة العسكرية بمحصر «نارو» على حدود مصر الشرقية . ثم أصبح قائداً للفرسان وسلاح المركبات الحربية . حارب الحيثيين وصور معاركهم على جدران الكرنك . خلف آثاراً عديدة أهمها بالكرنك ، ومعبد الجنائز بالقرنة ، ومعبد بأيلوس ، ومقبرته الفخمة بوادي الملوك . وتمتاز آثاره المعمارية بالذوق الرفيع .

المبحث الثاني

- ١ - أنظر هامش ٤ من المبحث الثاني ، الفصل الأول ، الجزء الثاني .
- ٢ - جماعة مازال أصلها واشتقاق اسمها ومدى صلاتها بالعبرانيين محل جدل ونقاش بين المؤرخين . وجاء ذكرهم منذ الأسرة الثامنة عشر (المقابر ٣٩ ، ١٥٥ بغرب طيبة) . كما جاء ذكرهم عدة مرات في رسائل العمارة . وفي عهد سيتي الأول حدثت حرب ضدهم . وقد ذكروا عدة مرات كعمال محاجر في مصر .
- ٣ - كان ملوك مصر القديمة عدة أسماء تصل إلى خمسة . والمقصود بالاسم الحورسي أو الحوري ، أن الملك يعتبر ممثلاً أرضياً لإله حورس .
- ٤ - تقع في شرق الدلتا شمال مركز فاقوس ، وإلى الجنوب منها بنحو ١٧ كيلو مترا (الختاينة) عثر على بقايا قصر فاخر لرمسيس الثاني ، مما قد يرجح أن قنطير هي پر رمسيس التي بناها رمسيس الثاني واتخذها عاصمة للبلاد .

المبحث الثالث

- ١ - جاء ذكر هذه البلاد عدة مرات في رسائل العمارة كدويلة كانت تمتد من بيلوس «جيبيل» بجوار بيروت ، وحتى أوجاريت بجوار اللاذقية بشمال سوريا . وبالرغم من تبعيةها للإمبراطورية المصرية منذ الأسرة الثامنة عشر ، إلا أنها

كانت تتمتع بقدر من الاستقلال إلى حد ما في سياستها الخارجية . وقد جاء ذكرها أيضا في تقرير الانتصارات الخاص بالملك سيتي الأول . ومن الطريف أن الكتابات التي كان يتدرب عليها التلاميذ في عصر الرعامسة ، قد أشارت إلى «الخشب والبلسم» الوارد من بلاد أمورو

٢ - راجع الهامش رقم (٣) بالمبحث الأول - الفصل الأول - الجزء الأول .

٣ - تقع قرية بوغاز كوى على منحى نهر «الحاليس» (حاليا نهر كينزل إيرماك بتركيا) . وفي هذه المنطقة كانت تقع المدينة القديمة «خاتوشاش» عاصمة الحثيين . وقد عثر بها على ألواح هامة تضم الأرشيف الملكى ، مكتوبة باللغة الأكديّة بالخط المسمارى ، وقد تضمن أحد هذه الألواح نصوص المعاهدة المبرمة بينهم وبين رمسيس الثانى .

٤ - مجموعة من الشعوب ذات الأصول الهندو - أوروبية . تدفقت موجات هجراتها إلى آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه وشمال أفريقيا . وقد ذكرت النصوص المصرية مجموعات مختلفة منهم . ويميل كثير من المؤرخين إلى مقارنة أسماء هذه المجموعات بأسماء مشابهة في العالم الهليني مثل : الشكلى (الصقليين) والشدون (سكان جزيرة سردينيا) .

٥ - هو الابن الثالث عشر لرمسيس الثانى (١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م) . صد هجوما ضخما لليبيين في العام الخامس من حكمه . وفي نفس العام أيضا أرسل كميات كبيرة من الحبوب إلى الحثيين الذين كانوا يعانون من المجاعة والقحط ، مما يؤكد استمرار معاهدة قادش التى عقدها معهم رمسيس الثانى . خلف آثاراً كثيرة أهمها في منف وطيبة ومقبرة بواى الملوك .

٦ - جوار اللاذقية بشمال سوريا .

هوامش الفصل الثانى

المبحث الأول

١ - فى أواخر عهد رمسيس الثالث . قامت سيدة تدعى (تى) - ربما كانت زوجة للملك - بتدبير مؤامرة لاغتيال الملك عندما أحست بأنه لا ينوى تعيين ابنها ولياً للعهد . وقد أشترك معها فى المؤامرة عدد من كبار موظفى القصر وعدد من الحريم . وقد تم القبض على المتآمرين وحكموا .

٢ - محافظة المنيا .

٣ - تقع هوربيط فى شرق الدلتا إلى الغرب من قنطور .

٤ - أسماء لرمسيس الثانى .

- ٥ - انظر الهامش رقم (٤) بالمبحث الثالث - الفصل الأول - الجزء الأول .
- ٦ - كانت عبارة «عيد أوبت الجميل» تطلق على الاحتفال السنوى لزيارة الاله آمون ، قادماً من الكرنك محمولاً في المركب المقدس ، لمعبد الأقصر .
- ٧ - يقع وادى الملكات في غرب طيبة . ومعظم المقابر ترجع إلى عصر الأسرتين التاسعة عشر والعشرين . وبالوادى أكثر من ٧٠ مقبرة إلا أن الكثير منها لم يتم الانتهاء من نقشه . ومن أجل المقابر مقبرة الملكة نفرتارى زوجة رمسيس الثانى ومقبرتي الأميين «آمون حر نخبش إف» و «خع ام واس» .
- ٨ - لاحظ تشابه وتمائل اسماء ابناء رمسيس الثانى ورمسيس الثالث .
- (٩) - تقع في الجزء الجنوبي من غرب طيبة ، وبها آثار ترجع إلى فترة تاريخية طويلة ، تمتد من الأسرة الثامنة عشر وحتى العصر البيزنطى . وأهم عمائرها المعبد الجنائزى الشهير الخاص بـرمسيس الثالث .
- (١٠) - يقع بالصحراء الشرقية بين قفط والقصر . وكان به العديد من المحاجر التى استغلها المصريون القدماء منذ عصر الدولة القديمة . وحفظت لنا صخور وادى الحمامات الكثير من النصوص التى تصف لنا ظروف وحجم بعثات جلب الأحجار الفاخرة من هذه المنطقة .
- (١١) - قرية تقع جنوب إدفو . واطلق اسمها على معبد لستى الأول (معبد الرديسية) الذى يقع في وادى عبّاد ، على بعد حوالى ٥٠ كيلو مترا شرق إدفو .

المبحث الثانى

- ١ - شمال أسوان .
- ٢ - يقصد إلاله .
- ٣ - وحدة وزنية . (نحو ٣٠ درهما) .
- ٤ - مكيال للحبوب .
- ٥ - يمثل برأس تمساح وجسم انسان وعبد. في مناطق كثيرة أهمها الفيوم وكوم ابو .
- ٦ - انظر الهامش رقم (٥) بالمبحث الثانى من الفصل الثانى بالجزء الأول .

هوامش الفصل الثالث

المبحث الأول

- ١ - الجيوبوليتيكا : هى علم السياسة الطبيعية ، ومجاله دراسة تأثير العوامل الجغرافية والاقتصادية والبشرية (من حيث كثافة السكان وتوزيعهم) فى سياسة الدولة الخارجية والاعراض الحكومية المبنية على هذا العلم .

المبحث الثانى

- ١ - الدولة الثيوقراطية هى الدولة الخاضعة لحكم رجال الدين .

المبحث الثالث

- ١ - تمثل على شكل حية ، أو امرأة على رأسها تاج الوجه البحرى . وكانت تعتبر الالهة الحامية للوجه البحرى ، ومركز عبادتها فى (بوتو) بمركز دسوق .
- ٢ - إله جبانة منف (سقارة) . ويمثل على هيئة رجل محنط له رأس صقر ، وقد اتحد مع الإلهين بتاح وأوزيريس (بتاح - سوكر - أوزيريس) .
- ٣ - راجع الهامش رقم (٤) بالمبحث الثانى - الفصل الأول - الجزء الثالث .
- ٤ - ويعنى الرأى الأعظم أو كبير الناظرين (إلى السماء) وذلك لرصد النجوم والكواكب . ويعتبر حامل هذا اللقب رئيساً للفلكيين فى منطقته . ويمثل الملك فى المعبد .
- ٥ - يقع فى منطقة الفيوم . وكان يمثل جبانة واسعة تمتد نحو أربعة كيلو مترات ويتأخم هيراكليونوليس (اهناسيا حالياً) . وعثر بالمنطقة على مقابر هامة يرجع تاريخها إلى عصور مختلفة تمتد من عصر الأسرة الثانية وحتى العصر المتأخر .

المبحث الرابع

- ١ - أرمنت : جنوب غرب الأقصر .
- ٢ - الاشمونين : بمحافظة المنيا .
- ٣ - أحد ملوك الأسرة التاسعة عشر .
- ٤ - بشمال شرق بنها .

المبحث السادس

- ١ - منذ عصر الدولة القديمة ، ذكرت النصوص «بلاد التمحو» . وفي قصة «سنوهي» ، التي يرجع تاريخها إلى بداية الدولة الوسطى ، تحديد لبلاد التمحو كمنطقة تقع إلى الغرب من الدلتا . ومنذ عهد حور محب أطلق على أهل تلك البلاد اسم «التمحي» بجانب كلمة «التمحو» ، وكانوا يتجولون على حدود مصر في شمالها الغربى ، وجنوباً حتى مرتفعات وادى السبوع بالنوبة ، وينتدج التمحو تحت الاصطلاح الأعم الذى يشمل الليبيين .

المبحث السابع

- ١ - زكية .
- ٢ - في حوالى سنة ١٢٠٠ ق.م. استقرت بعض القبائل المهاجرة من أوروبا إقليم «فريجي» وهو إقليم قديم يقع بوسط آسيا الصغرى . وقد أطلق عليهم اسم «الفريجيين» نسبة لهذا الاقليم .

هوامش الفصل الرابع

المبحث الثانى

- ١ - مع بداية الأسرة الخامسة ، أصبح رع رب أون ، الإله الرئيسى للدولة . وقد تمت فيما بعد عملية اتحاد ومزج بين رع وآلهة أخرى كثيرة أهمها «حور آختى» الذى يعنى حورس المنتمى للأفق ، وهو أيضاً أحد آلهة أون . وفى نصوص الأهرام ذكر رع وحور آختى جنباً إلى جنب ، وسرعان ما اتحدوا معاً وأصبحا «رع حور آختى» .

٢ - يمثل على هيئة انسان وعلى رأسه ريشة . وكان له دور في نظرية بدء الخليقة طبقا لمذهب أون (عين همس) . وأهم مركز لعبادته كان في ليونتوبوليس (تل المقدام - مركز ميت غمر) .

٣ - تمثل على هيئة لبؤة . وفي جزيرة فيله ، لقبث بربة الواحات الشرقية .

٤ - يمثل على هيئة انسان وعلى رأسه أربع ريشات . وكان مركز عبادته في «ثني» (طينة : ولم يعرف بعد مكانها على وجه التحديد) وهي تقع بالمقاطعة الثامنة بالوجه القبلى . وقد اتحد هذا الإله مع الإله شو .

المبحث الخامس .

١ - يعتبر بهنخى (٧٥١ - ٧١٦ ق.م) من أعظم ملوك الكوشيين (النوبيين) الذين أسسوا الأسرة الخامسة والعشرين . وخلف آثاراً عديدة في شمال وجنوب وادى النيل . وبالنسبة لمدينة نباتا ، راجع الهامش رقم (٧) بالمبحث الثانى من الفصل الأول بالجزء الأول .

الفهارس

١ - الأعلام

- (١) ابريس ١٨٣ ، ٢٢٨
 أيبس ١١٠ ، ١٣٣ ، ٣٤٦
 آتوم ١٣٣ ، ٣٣٨
 آتون ٨٤ ، ١١١ ، ١١٢ ،
 ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٤٩ ،
 ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ،
 ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٥٢ ،
 آتون - حور - آختي ١٦٨
 أحس الأول ١٣ ، ٢١ ، ٢٤ ،
 ٢٧ ، ١٠٢ ، ١٢١ ، ١٢٥ ،
 ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 ١٣٠ ، ٣٢١
 أحس الثاني (أنظر أمازيس)
 أحس (ضابط) ١٥٤
 أحس بن ابانا ٦٣ ، ٦٩
 أخناتون ٥ ، ٢٥ ، ٤٢ ،
 ٨٤ ، ٨٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
 ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،
 ١١١ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
 ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ،
 ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
 ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ،
 ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٨ ،
 ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٠ ، ٢٦٣ ، ٣٠١ ،
 ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٥٢ ،
 ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦
 إرسو ٣١٦
 إسكليبيوس ٧٧ ، ١٣١
 أمازيس (أحس الثاني) ١٨٣ ،
 ٢٢٨
 إحيوتب ٧٧ ، ٧٨ ، ١٣١
 امنمحات - سرر ١٥٦

، ٢٩٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٣
 ، ٣٣٢ ، ٣٣١ ، ٣٠١
 ٣٤٦ ، ٣٤٥
 امنحتب الرابع (أنظر أخناتون)
 امنحتب (حاكم كوش) ١٨ ،
 ٢٥
 امنحتب (كاهن أعلى لآمون)
 ٣٦٣ ، ٣٥١ ، ٣١٨ ، ٣٠٦
 امنحتب (ضابط) ٨٧
 امنحتب (كاتب تجنيد) ١٥٩
 امنوى ٥٣ ، ٥٢
 آمون ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ،
 ، ٥٧ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٢
 ، ٨٢ ، ٧٩ ، ٧٤ ، ٧٣
 ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ٩٧ ، ٨٣
 ، ١٣٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦
 : ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤١
 ، ١٦٤ ، ١٦٠ ، ١٤٤
 ، ١٧٢ ، ١٦٨ ، ١٦٧
 ، ١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٧٦
 ، ١٨٤ ، ١٨٢ ، ١٨١
 ، ٢٠٤ ، ١٩٧ ، ١٨٧
 ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٢٠٦
 ، ٢١٩ ، ٢١٦ ، ٢١٥
 ، ٢٤١ ، ٢٢٧ ، ٢٢١
 ، ٢٦٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٤
 ، ٢٨٠ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩

امنحتب الأول ٢١ ، ٢٣ ،
 ١٢٩ ، ١٢٥ ، ١٢١
 امنحتب الثانى ١٧ ، ٢٤ ،
 ، ٤٢ ، ٣٨ ، ٣١ ، ٢٩
 ، ٧٧ ، ٧٠ ، ٦٥ ، ٥١
 ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٨٢ ، ٨٠
 ، ١٢٦ ، ١٢١ ، ١٠٨
 ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٢٨
 ، ٢٢٦ ، ١٥٦ ، ١٥٤
 ٢٦٥ ، ٢٣٠
 امنحتب الثالث ٢٥ ، ٢٨ ،
 ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٦٤
 ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٤ ، ٨٢
 ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٣
 ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١
 ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨
 ، ١٢١ ، ١١٨ ، ١١١
 ، ١٣١ ، ١٢٨ ، ١٢٥
 ، ١٤٣ ، ١٣٧ ، ١٣٢
 ، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٤
 ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٠
 ، ١٧٤ ، ١٥٩ ، ١٥٧
 ، ١٩٧ ، ١٩٥ ، ١٨١
 ، ٢٠٨ ، ١٩٩ ، ١٩٨
 ، ٢٢٥ ، ٢٢٠ ، ٢١٠
 ، ٢٣٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦
 ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٧

آمون - حر - خبش إف
 ٣٦٧ ، ٢٦٧
 آمون رع ١٧ ، ١٨ ، ٧٤ ،
 ٨٨ ، ١١١ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ،
 ٢٠٦ ، ٢٣٠ ، ٢٧٩ ،
 ٣٣٧ ، ٣٤١
 آنن ١٤٣
 أنوريس ٧٤ ، ٢٩٨ ، ٣٣٩
 أوتو ٢٩١
 أوزيريس ١١٦ ، ١٣٣ ،
 ١٧٧ ، ١٧٩ ، ٢٠٣ ،
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ،
 ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٧٠ ،
 ٢٨٨ ، ٣٠٢ ، ٣١٣ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ،
 ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٦٨ ،
 أوسرحات ١٢٢
 أوسركون الثاني ١٣٢
 أوناس (أنظر ونيس)
 آي ٢٥ ، ٨٥ ، ١٠٨ ،
 ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٥٤ ،
 ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
 ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
 ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ،
 ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،
 ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
 ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ،
 ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،
 ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
 ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ،
 ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،
 آمون - ام - اويت ٢٩٨ ،
 ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
 امنحتب بن حابو ٤٣ ، ٤٩ ،
 ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ،
 ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
 ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٣ ،
 ٩٥ ، ٩٦ ، ١١٦ ، ١١٨ ،
 ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٤٩ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
 ٣٠٤ ، ٣٣٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،
 آمون إمنت ١٠٧ ، ١٧٢ ،
 ٢٧٠

١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ،

١٦٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ،

٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،

٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،

٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ،

٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٣٧ ،

٣٣٨ ، ٣٦٨

بخت ١٢٨ ، ٢٦٥ ، ٣٣٩

بسوسينيس الثاني ٣١٨

بعل ٣١ ، ١٢٨ ، ٣١٤

بعنخي ٣٥٤ ، ٣٧٠

بك ١٤٦ ، ٢٢٥

بلوتارخ ١١٧

بتاورع ٣١٧

بي عنخ ٢١ ، ٢٤ ، ٣٠٧

بي نجم الاول ٣٠٧

(ت) تني ٢٢٨

تتيكي ٢٤

تحتمس الاول ١٩ ، ٢٣ ،

٢٤ ، ٦٤ ، ٩٨ ، ١٠٩ ،

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ،

١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،

١٦٩ ، ٢١٤ ، ٢٢٧ ، ٢٩٣

تحتمس الثاني ٢٤ ، ١٢١ ،

١٢٢ ، ٢٩٣

تحتمس الثالث ٧ ، ١٤ ، ١٥ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ،

١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،

١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٩ ،

٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،

٢٦١ ، ٢٧٧ ، ٢٨٨ ،

٣٥٥ ، ٣٦٠

آي (ضابط) ٤٢ ، ١٠٢ ،

١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨

ايبي ١٤٦

ايزيس ٢١٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

(ب) با - آتون - حب ٩٦ ،

١٠٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢٢١

بارع - حر - وغم إف ٢٦٧

بارعمسيس ١١٨ ، ١٧١ ،

١٧٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨

بارع نوfer ١٠١

باسر ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٦٣

بارزن ٥١

باك - إن - خونس ٣٠٠ ،

٣٠٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣

باكي ١٩

بانحسي ٣٠٦ ، ٣١٨ ، ٣٥١

بتاح ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٣٢ ،

، ١٦١ ، ١٥٧ ، ١٥٤

، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٣

، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩

، ١٧٦ ، ١٧٣ ، ١٧٢

، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧

، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠

، ١٩١ ، ١٨٨ ، ١٨٧

، ١٩٨ ، ١٩٦ ، ١٩٥

، ٢١٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٦

، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٤

، ٢٢٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٠

، ٢٦١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩

، ٣٤٢ ، ٢٨٨ ، ٢٦٣

٣٦٠ ، ٣٥٩

تود خالياش الثاني ٢٢٧

توري ٢٣ ، ٢٢

تويا ٢٢٥ ، ١٣٢

تنيني ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣

تي (زوجة آي) ١٧٨ ، ١٢٧

تي (زوجة امنحتب الثالث)

، ١٢٧ ، ١١٦ ، ١٠٢

، ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٣٢

٢٢٧ ، ٢٢٥ ، ١٤٧

(ج) جب ٢٢٩ ، ٢٠٧

جحوتي (جنرال) ٣٦

جحوت موسى ١٤٨ ، ٥٧ ،

١٦٠

، ٢٤ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٦

، ٣٦ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٥

، ٨٠ ، ٧٧ ، ٧١ ، ٦٣

، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٢ ، ٨٢

، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢١

، ١٣٠ ، ١٢٨ ، ١٢٧

، ١٤٢ ، ١٣٨ ، ١٣٢

، ٢٠٨ ، ١٧٢ ، ١٥٦

، ٢٥١ ، ٢٤٨ ، ٢٣٠

، ٢٦٥ ، ٢٦٢ ، ٢٥٣

، ٣٢١ ، ٣٠١ ، ٢٩٦

٣٣٥ ، ٣٢٢

تحتمس الرابع ٣١ ، ١٨

، ٦٤ ، ٤٦ ، ٤٣ ، ٤٢

، ١٠١ ، ٨٤ ، ٨٠ ، ٧٧

، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٢

، ١٣٧ ، ١٢١ ، ١١٠

، ٢٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤١

٣٤٩ ، ٣٣١

تحتمس (فنان) ١٣٢

تحتمس (ابن امنحتب الثالث)

٣٤٦ ، ٣٣٢ ، ١٤٤

تحتوت ١٣١ ، ٨٠ ، ٧٨

٣٠٢ ، ٢٨٩

توت عنخ آمون ٩٦ ، ١٠١ ،

، ١٢٨ ، ١٢١ ، ١٠٨

، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٣٢

(ح) حتحور ۱۳۰ ، ۲۲۹ ، ۲۳۰

حتشبسوت ۷ ، ۸ ، ۱۰ ،

۳۲ ، ۳۷ ، ۸۰ ، ۸۲ ،

۹۵ ، ۹۸ ، ۱۲۱ ، ۱۲۲ ،

۱۲۳ ، ۱۲۸ ، ۱۵۶ ،

۲۳۱ ، ۲۶۵ ، ۲۹۳ ، ۳۴۹

حرماخيـس ۱۴۱ ، ۲۲۸

حريـحور ۲۱ ، ۲۴ ، ۱۲۶ ،

۲۹۶ ، ۳۰۴ ، ۳۰۶ ،

۳۲۶ ، ۳۵۳ ، ۳۵۴ ، ۳۵۶

حورس ۱۸۱ ، ۱۹۰ ، ۲۱۹ ،

۲۲۸ ، ۲۸۹ ، ۳۰۲ ،

۳۳۸ ، ۳۴۲ ، ۳۴۳ ،

۳۶۵ ، ۳۴۷

حور حب ۲۵ ، ۵۲ ، ۵۹ ،

۹۲ ، ۹۸ ، ۱۰۱ ، ۱۰۸ ،

۱۱۸ ، ۱۲۱ ، ۱۳۳ ،

۱۴۸ ، ۱۵۵ ، ۱۵۷ ،

۱۶۹ ، ۱۷۰ ، ۱۷۱ ،

۱۷۲ ، ۱۷۴ ، ۱۷۶ ،

۱۷۹ ، ۱۸۰ ، ۱۸۱ ،

۱۸۵ ، ۱۸۷ ، ۱۸۸ ،

۱۸۹ ، ۱۹۰ ، ۱۹۱ ،

۱۹۲ ، ۱۹۳ ، ۱۹۴ ،

۱۹۵ ، ۱۹۶ ، ۱۹۷ ،

۱۹۸ ، ۱۹۹ ، ۲۰۹ ،

۲۱۰ ، ۲۱۶ ، ۲۱۹ ،

۲۲۰ ، ۲۲۶ ، ۲۲۹ ،

۲۳۷ ، ۲۳۸ ، ۲۴۰ ،

۲۴۱ ، ۲۶۱ ، ۲۷۵ ،

۲۷۷ ، ۲۸۷ ، ۲۸۹ ،

۲۹۶ ، ۳۰۱ ، ۳۳۸ ،

۳۵۰ ، ۳۵۵ ، ۳۶۰

حور حب (ضابط) ۴۲ ،

۱۴۲

حور مس ۲۵

حورون ۳۱

حوری ۵۲ ، ۵۳

حوی ۲۲۹ ، ۲۶۳

(خ) خاتوسيل الأول ۲۲۶

خاتوسيليس ۲۵۲

خبري ۱۳۳

خـع - م - واس ۸۳ ، ۲۲۰ ،

۲۹۱ ، ۲۹۲ ، ۲۹۹ ،

۳۴۶ ، ۳۶۷

خنتي لامنتيو ۱۳۳

خوفو ۲۲۸

خونس - تو ۳۰۱ ، ۳۰۲ ،

۳۶۳

خونسو ۲۲۷ ، ۲۶۳

(د) دودو ۸۴ ، ۱۴۸ ، ۱۴۹ ،

۱۰۵ ، ۱۶۹ -

ديودور ۱۰۴

(ر) راما - رای ۳۰۰ ، ۳۰۶ ،

۳۵۱ ، ۳۶۲ ، ۳۶۳

رايا ۷۹

رخميرع ۱۳۸

رشب ۳۱ ، ۳۲

رع ۳۲ ، ۵۸ ، ۱۰۲ ،

۱۱۱ ، ۱۱۲ ، ۱۵۵ ،

۲۰۳ ، ۲۰۵ ، ۲۰۶ ،

۲۱۴ ، ۲۱۵ ، ۲۱۷ ،

۲۴۱ ، ۲۴۴ ، ۲۴۶ ،

۲۴۷ ، ۲۴۸ ، ۲۶۹ ،

۲۸۰ ، ۲۹۱ ، ۲۹۶ ،

۳۳۴ ، ۳۳۷ ، ۳۳۸ ، ۳۶۹

رع حوتب ۲۹۳ ، ۳۰۰

رع جور آختی ۱۳۳ ، ۲۳۰ ،

۲۸۸ ، ۳۳۸ ، ۳۴۲ ، ۳۶۹

رعمسو ۱۵۴ ، ۱۵۵

رعموزا ۷۵ ، ۷۸ ، ۸۸ ،

۱۰۱ ، ۱۰۲ ، ۱۰۳ ،

۱۲۲ ، ۱۵۹ ، ۱۹۹ ،

۲۶۳ ، ۳۰۲

رع نفر ۱۵۴

رئيس الأول ۱۵۴ ، ۱۷۲ ،

۱۹۴ ، ۲۱۰ ، ۲۳۸ ،

۲۶۱ ، ۲۶۶ ، ۲۹۱ ، ۳۶۵

رئيس الثاني ۶۵ ، ۸۳ ،

۱۰۴ ، ۱۲۸ ، ۱۲۹ ،

۱۳۰ ، ۱۳۲ ، ۱۳۳ ،

۱۸۲ ، ۲۱۰ ، ۲۱۱ ،

۲۱۸ ، ۲۲۰ ، ۲۲۹ ،

۲۳۰ ، ۲۴۱ ، ۲۴۲ ،

۲۴۳ ، ۲۴۵ ، ۲۴۶ ،

۲۴۷ ، ۲۴۸ ، ۲۴۹ ،

۲۵۰ ، ۲۵۲ ، ۲۵۳ ،

۲۵۵ ، ۲۵۶ ، ۲۶۳ ،

۲۶۷ ، ۲۶۸ ، ۲۷۹ ،

۲۸۰ ، ۲۹۱ ، ۲۹۳ ،

۲۹۶ ، ۲۹۷ ، ۲۹۸ ،

۲۹۹ ، ۳۰۰ ، ۳۰۱ ،

۳۰۹ ، ۳۱۰ ، ۳۱۳ ،

۳۱۴ ، ۳۱۶ ، ۳۲۶ ،

۳۳۹ ، ۳۵۰ ، ۳۶۲ ،

۳۶۵ ، ۳۶۶ ، ۳۶۷

رئيس الثالث ۱۹ ، ۳۶ ،

۷۰ ، ۱۲۶ ، ۱۲۸ ، ۱۳۰ ،

۲۲۶ ، ۲۵۲ ، ۲۵۶ ،

۲۶۳ ، ۲۶۵ ، ۲۶۶ ،

۲۶۷ ، ۲۶۸ ، ۲۸۵ ،

۲۹۹ ، ۳۰۴ ، ۳۱۱ ،

۳۱۲ ، ۳۱۳ ، ۳۱۶ ،

۳۱۷ ، ۳۲۱ ، ۳۲۲ ،

سمخ كا رع ١٢١ ، ١٣٢ ،
 ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٩ ،
 ٢١٣ ، ٢٢٠ ،
 سنسوب ٢٤
 سنفرو ١٨٣
 سنموت ٧ ، ٨ ، ٣٧ ، ٤٩ ،
 ٨٠ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ،
 ٩٦ ، ١٢٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،
 ١٣١ ، ٢٩٣
 سنوسرت الأول ١٣٣
 سنوفر ١٨ ، ٢٦
 سني ٢٤
 كبوس ٣٧٢
 سوبك نخت ١٠٢
 سوكر ٢٩١ ، ٣٦٨
 سبتاح ٣٠٢ ، ٣١٥
 سبتى الأول ١٢٩ ، ١٣٣ ،
 ١٨٣ ، ٢١٠ ، ٢٢٦ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٩ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ،
 ٣٢٢ ، ٣٤٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧
 سبتى الثانى ٣٠٩
 سبتى (ضابط) ١٩٤

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٧ ،
 ٣٦٦ ، ٣٦٧
 رمسيس الرابع ٢٦٩ ، ٣٠٣ ،
 ٣٠٥ ، ٣١١ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٢ ، ٣٦٢
 رمسيس الخامس ٢٧٦ ، ٣٦٢
 رمسيس السادس ٢٢٦ ، ٣٠٤
 رمسيس التاسع ٢٢٦ ، ٢٦٤ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
 ٣١٣ ، ٣٣٨
 رمسيس الحادى عشر ١٢٦ ،
 ٢٧٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
 ٣٥١ ، ٣٥٣

(ز) زوسر ٧٧ ، ١٣١

(س) سا إست ١٠٢

ساحو رع ٢٩١
 ست ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩١ ،
 ٣١٤ ، ٣٤٢ ، ٣٦٥
 ست آمون ٨٤ ، ١٣٢
 ستاو ٢٦٣ ، ٣٦٣
 ست نخت ٣١٦
 سخمت ١١٨ ، ١٣١ ،
 ١٢٥ ، ١٦٨
 سقن رع ١٢٨

- (ش) شبسسکاف ۲۹۱
شو ۲۲۹ ، ۳۷۰
شویلولیوما ۱۷۸ ، ۲۲۶ ،
۲۳۹ ، ۲۴۰ ، ۲۴۱
شیشنق الأول ۳۱۸
- (ط) طهرقا ۲۲۶
- (ع) عشتار ۳۱
عنات ۳۲ ، ۱۲۸ ، ۳۱۴
عنخ اسن آمون ۱۶۷ ، ۱۷۳ ،
۱۷۸ ، ۱۸۱ ، ۲۱۸
- (ق) قن - آمون ۹۷ ، ۹۸ ،
۱۰۲ ، ۱۵۶
- (ك) . کاجهنی ۱۸۳ ، ۲۲۸
کاموسی ۱۳ ، ۲۹ ، ۳۸ ،
۱۲۸
- (م) ماعت ۱۱۲ ، ۱۱۷ ،
۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۲۹
مای (لواء) ۸۴ ، ۸۷ ، ۹۶ ،
۱۰۲ ، ۱۰۳ ، ۱۵۳ ،
۱۵۴ ، ۱۵۵ ، ۱۵۹
مای (ضابط) ۱۵۴
مرنبتاح ۲۱۸ ، ۲۲۶ ،
- ۲۵۲ ، ۲۵۳ ، ۲۵۵ ،
۲۵۶ ، ۲۶۶ ، ۲۷۱ ،
۲۸۵ ، ۲۸۹ ، ۲۹۶ ،
۲۹۷ ، ۲۹۸ ، ۳۱۲ ،
۳۱۶ ، ۳۲۶
مرمس ۲۵
مری آتوم ۲۹۱
مری باست ۳۰۵
مری بتاح ۱۸۱ ، ۲۹۷
مری رع ۸۴
مریت آمون ۲۲۷
منتو - حر - خبش إف
۲۶۸ ، ۳۱۳
من - خبر - رع (کاهن آمون)
۱۴۴
منفیس ۱۱۰
منمیسو ۸۲
مواتالیش ۲۴۳ ، ۲۴۵ ،
۲۴۶ ، ۲۴۷ ، ۲۴۹
موت ۷۹ ، ۱۳۱ ، ۱۶۸ ،
۲۱۳ ، ۲۲۹ ، ۲۸۰
موت نجمت ۱۹۱ ، ۱۹۴
مورشیلی ۲۴۱
مونتو ۲۶۵ ، ۳۶۳
مین (اله) ۱۴۷ ، ۱۷۹ ،
۲۲۵ ، ۲۲۶ ، ۲۹۸ ، ۲۹۹

(هـ) هرمس ١٣١
هیرودوت ١٠٤ ، ١١٣ ،
٢٧٧ ، ١٢٨

(و) وسر ١٩
وسر - سانت ٢٤ ، ٣٧
ون آمون ٣٢٦
ون - نفر ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣٦٣ ، ٣٠٢
ونیس (أوناس) ٢٣١ ، ٢٩١
(ی) یویا ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ،
١٤٧ ، ٢٢٥

٢ - المدن والبلاد والاماكن

(ا) ابو سمبل ٢١١ ، ٢٣٠
اییلوس ١٠٢ ، ١١٦ ،
١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٧٩ ، ١٨٨ ، ٢١٠ ،
٢١٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٠ ،
٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ،
٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ،
٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٤١ ،
٣٤٢ ، ٣٦٥

مین (نحات) ١٤٦
مین (کاتب عسکری) ٧٩
مینا ١١٧
مین - موسی ٢٩٩

(ن) نابلیون ١٢٥ ، ٢٤٨
نای ١٧٢
نب - آمون ٢٩ ، ٦٤ ، ٢٩٣
نابوختنصر ٢٢٨
نب - ونن - إف ٢٩٧ ،
٣٥٠ ، ٣٦٢
نخت ٦٥
نخت مین ١٠٢ ، ١٥٧
نسی آمون ٣٠٦
نفر آتوم ٢٢٥
نفرتاری ٢٣٠ ، ٣٦٧
نفریتی ٨٧ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ،
١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩
نفرحتب ٢٢٠ ، ٢٧٥
نفر ریت ٣١٣
نمرود ٣١٨
نوتف ١٠٨
فی أوسر رع ٨٣ ، ١١٦ ،
١٣٢
نیسی ٦٤

اتريب ٨٠ ، ١٣١ ، ٣٠٣
 آخت آتون (انظر العمارة)
 اخميم (بانوبوليس) ١٧٩ ،
 ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ،
 ٢٩٨ ، ٢٩٩
 إدفو ٢٢ ، ١٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٣٦٧
 ارمنت ٣٦٠ ، ٣٦٩
 اسبانيا ١٣٠
 الاسكندرية ١٣١
 أسوان ٧٠ ، ١٣٣ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٧ ، ٣٦٧
 أسيوط ٧٢ ، ١٣٠
 آسيا ٤ ، ٢١ ، ١٢١ ،
 ١٢٩ ، ١٧٤ ، ٢٤٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ،
 ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٦ ، ٢٣٤
 الاشمونين (هرموبوليس)
 ٥٢ ، ١٣١ ، ٣٠٥ ، ٣٦٩
 أفريقيا ٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ،
 ٣٦٦
 الفنتين ١٦٨ ، ٢٢٥
 اهناسيا (انظر هيراكليوبوليس)
 اواريس ١٢٥
 اوجاريت ٢٥٣ ، ٣٦٥

اوروبا ٣٦٩
 اون (انظر هليوبوليس)
 (ب) بانوبوليس (انظر اخميم)
 برعمسيس ١٢١ ، ١٢٧ ،
 ٢٤٢ ، ٢٩١ ، ٣٢٤ ، ٣٦٥
 برو - نقر (انظر منف)
 بهنسا ١٣١
 البلينا ١٣٣
 بنى حسن ١٢٨ ، ٣٣٩
 بوغاز كوى ٢٢٦ ، ٢٤٩ ،
 ٣٦٦
 بونت ١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
 ٢٨٠ ، ٣٤٩
 بوهن ٢٢ ، ١٢٦
 بيلوس (جيل) ١٣٠ ، ٢٥٠ ،
 ٣٢٦ ، ٣٦٥
 بيسان ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٦٥
 (ت) تانيس (صان الحجر) ٢٣٧ ،
 ٢٤٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٩ ،
 ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
 ٣٦٠ ، ٣٦٥
 تل اتريب (انظر اتريب)
 تل العمارة (انظر عمارة)
 تونيب ٢٤٢

- (ث) ثارو ٥٢ ، ٣٦٥
- (ج) جبل السلسلة ١١١ ، ٢٧٣
جبل برقل ١٢٧
جبل سيدمنت ٣٠٠ ، ٣٦٠
جبل (انظر بيلوس)
الجبيلين ٧٢ ، ١٣٠ ، ٣٦٠
- (خ) خاتوشاش ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
٣٦٦
خمنو (انظر الاشمونين)
- (د) دمشق ١٢٥ ، ٢٥٢
دنقلة ٢٢٦
دهشور ٢٢٨
دير المدينة ٦٧ ، ٢٧٤ ،
٢٧٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ،
٣٥٠ ، ٣٠٦
- (ر) الرديسية ٢٢ ، ٢٧٠ ، ٣٦٧
- (س) سايس ١٢٣
سردينيا ١٣٠
سقارة ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٧٠ ، ١٨٣ ، ٢١٩ ،
٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٣٥٩ ،
٣٦٠ ، ٣٦٨
سمنة ٢٣ ، ٣٠
- سوريا ٣ ، ٩ ، ٣٠ ، ٣٥ ،
٣٦ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ١٠٢ ،
١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩ ،
٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٨٠ ،
٣٢٦ ، ٣٦٦
سوهاج ١٣٣ ، ٢٢٨
سيلا ١٧٢ ، ٢٤٤
سيميرا ٢٥٢
سيناء ١٢١ ، ١٢٨
- (ش) شارو حين ٧٠ ، ١٢٥
- (ص) صان الحجر (انظر تانيس)
صقلية ١٣٠
صور ١٣٠ ، ٢٢٨
صولب ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٦ ،
١٤٣ ، ٢٠٨
صيدا ١٣٠ ، ٢٢٨
- (ط) طيبة ٦ ، ٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
٣١ ، ٣٢ ، ٤٦ ، ٤٨ ،
٦٧ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٠٩ ،

، ٨٤ ، ٨١ ، ٧٤ ، ٥٢
 ، ١٢٢ ، ١١٢ ، ٩٦ ، ٨٧
 ، ١٣٢ ، ١٢٩ ، ١٢٧
 ، ١٣٩ ، ١٣٧ ، ١٣٣
 ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٥
 ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩
 ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢
 ، ١٥٩ ، ١٥٦ ، ١٥٥
 ، ١٦٣ ، ١٦١ ، ١٦٠
 ، ١٧٠ ، ١٦٥ ، ١٦٤
 ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥
 ، ١٨٢ ، ١٨٠ ، ١٧٩
 ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٥
 ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٥
 ، ٢٠٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠١
 ، ٢١٦ ، ٢١٣ ، ٢٠٩
 ، ٢٢١ ، ٢١٨ ، ٢١٧
 ، ٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢
 ، ٢٣٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧
 ، ٢٥٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤١
 ، ٢٧٥ ، ٢٦٣ ، ٢٥٦
 ، ٣٠١ ، ٢٩٥ ، ٢٧٩
 ، ٣٣٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣١
 ، ٣٥٠ ، ٣٤٢ ، ٣٣٨
 ٣٦٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٢

عبيبة ٣١٨

(غ) غرة ١٢٥

، ١٢١ ، ١١٧ ، ١١٥
 ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٢
 ، ١٣٨ ، ١٣٠ ، ١٢٨
 ، ١٥٢ ، ١٤٧ ، ١٤٣
 ، ١٦٤ ، ١٥٨ ، ١٥٧
 ، ١٦٩ ، ١٦٧ ، ١٦٥
 ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٠
 ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٧٧
 ، ١٩٧ ، ١٨٧ ، ١٨٣
 ، ٢١٦ ، ٢١١ ، ١٩٨
 ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠
 ، ٢٧٤ ، ٢٦٨ ، ٢٢٩
 ، ٢٩٦ ، ٢٩٣ ، ٢٨٩
 ، ٣٠٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠١
 ، ٣٢٣ ، ٣١٨ ، ٣١٧
 ، ٣٣١ ، ٣٢٩ ، ٣٢٤
 ، ٣٣٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢
 ، ٣٥٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤١
 ، ٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٣٥٣
 ، ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦١
 ٣٦٧ ، ٣٦٦

(ع) العتانية ٧٢

عكا ١٢٥

العلمين ٢٥٦

العمارنة ٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ،
 ، ٤٩ ، ٤٥ ، ٤٢ ، ٣٠

(ك) الكاب ٢٥ ، ٦٤ ، ١٢٩
كانتا ٢٤٢
كاوا ١٦٠
كوش ٤ ، ١١ ، ١٩ ، ٢٢ ،
٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٨ ،
٧٠ ، ١٢٦ ، ٢٦٣ ، ٢٩٩ ،
٣٠٢ ، ٣٥١
كوم أمبو ٣٦٧

(ل) اللاذقية ٣٦٥ ، ٣٦٦
لبنان ٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ،
٢٤٥
لييا ٢٢٨

(م) مالطة ١٣٠
مجلو ١٤ ، ١٥ ، ٢٨ ، ٦٣ ،
١٢٥ ، ١٣٠ ، ٢٤٩ ،
مدينة هابو ١٩ ، ٣٦ ، ٧٠ ،
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٧٩ ،
٢٦١ ، ٣٠٥ ، ٣١٢
المطمر ٧٢ ، ١٣٠
منديس ٦٤ ، ٢٩١
منف ١٩ ، ٣١ ، ٥١ ، ٦٤ ،
٨٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ،
١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٦ ،
١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،

(ف) فرس ٢٠٨ ، ٢٢٩
فلسطين ٣ ، ١٠٩ ، ١٢١ ،
١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،
١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٩٣ ،
٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ،
٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠
القيوم ١٢١ ، ١٣٢ ، ٢٧٦ ،
٣٦٧ ، ٣٦٨

(ق) قادش ١٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ،
٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،
٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣ ،
٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٦٦
قبرص ١٣٠
القدس ١٢٥
قرطاجة ١٣٠
قرقميش ٢٤٠ ، ٢٨٥
القصور ٣٦٧
قطنة ٢٥٠
قفط ٢٢٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ،
٣٦٠ ، ٣٦٧
قنطير ٢١١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٥ ،
٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦

، ٢٣٩ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩
 ، ٢٩٩ ، ٢٦١ ، ٢٥٥
 ، ٣٢١ ، ٣١٨ ، ٣١٧
 ، ٣٥٤ ، ٣٤٩ ، ٣٣٤
 ٣٦٩ ، ٣٦٣ ، ٣٦٠

(٥) هرموبوليس (أنظر الاشمونين)
 هليوبوليس (أون) ٨٢ ، ١٠٢ ،
 ، ١١٢ ، ١١١ ، ١١٠
 ، ١٣٣ ، ١١٥ ، ١١٣
 ، ١٥٣ ، ١٤١ ، ١٣٨
 ، ٢١٧ ، ١٦٨ ، ١٥٥
 ، ٢٩١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٠
 ، ٢٩٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٣
 ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٣٨ ، ٣٣١
 هوريط ٢٦٥ ، ٣٦٦
 هيراكونبوليس (اهناسيا) ٣١٨ ،
 ٣٦٨

(و) وادی البقاع ٢٤٤
 وادی حلفا ١٢٦ ، ٢٢٩
 وادی الحمامات ٢٢٦ ،
 ٣٦٧ ، ٣٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩
 وادی السبوع ٢٥٠ ، ٣١٠ ،
 ٣٦٩
 وادی عباد ٣٢٢
 وادی علاق ٢٢
 (ی) یافا ٢٦٢

، ١٦١ ، ١٥٩ ، ١٥٧
 ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧
 ، ١٧٤ ، ١٧١ ، ١٧٠
 ، ١٩٨ ، ١٨٠ ، ١٧٧
 ، ٢٢٥ ، ٢٢٠ ، ١٩٩
 ، ٢٦٦ ، ٢٦٣ ، ٢٤٠
 ، ٢٩١ ، ٢٨٨ ، ٢٦٧
 ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٣
 ، ٣٢٤ ، ٣١٤ ، ٣٠١
 ٣٦٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣١
 میتانی (بلاد میتانی) ١٤ ،
 ، ٢٢٦ ، ١٤٣ ، ١٢٥
 ٣٦٦ ، ٢٣٩ ، ٢٢٧

(ن) ناورى ٦٠ ، ١٢٩ ، ٢٦٣ ،
 ٣٢٢ ، ٣١٠
 نباتا ٢٥ ، ١٢٧ ، ٣٥٤ ،
 ٣٧٠
 نخب ٢٥
 نقراطيس ١٢٣
 النوبة ٤ ، ٩ ، ١١ ، ١٨ ،
 ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ١٩
 ، ٣٥ ، ٣٠ ، ٢٧ ، ٢٥
 ، ٩٢ ، ٨٢ ، ٥٩ ، ٣٧
 ، ١٢١ ، ١١٦ ، ١٠٢ ، ٩٣
 ، ١٢٩ ، ١٢٦ ، ١٢٣
 ، ٢٠٨ ، ١٦٠ ، ١٤٣
 ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢١٠

المراجع

المراجع العربية

- بهاء الدين ابراهيم ١٩٧٤ - المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية - رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٤ (تحت الطبع) .
- سليم حسن - ١٩٤٠ : ١٩٤٩ مصر القديمة من الجزء الأول حتى الجزء السادس القاهرة من عام ١٩٤٠ حتى ١٩٤٩ .
- شفيق شحاته ١٩٥٠ - تاريخ القانون الخاص في مصر - الجزء الأول : القانون المصري القديم - الطبعة الثانية القاهرة عام ١٩٥٠ .
- ضيا أبو غازي ١٩٦٦ - رع في الدولة القديمة - رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٦ (تحت الطبع) .
- عبد العزيز صالح ١٩٦٦ - التربية والتعليم في مصر القديمة - القاهرة عام ١٩٦٦ .

المراجع الأجنبية

- W. F. Albright 1927: The date of the foundation of the early Egyptian temple of Byblos, ZAS 62(1927) 62-63.
- 1961: The archaeology of Palestine, London 1961.
- C. Aldred 1957: The end of el-Amarna period, JEA 43(1957) 30-41.
- 1968: Akhenaton, the Pharaoh of Egypt, London 1968.
- A. Alt 1959: Kleine Schriften zur Geschichte des Volkes Israel, München 1959.
- ANET -- Ancient Near Eastern Text, Princeton 1955².
- R. Anthes 1963: ... in seinem Namen und im Sonnenlicht, ZAS 90(1963) 7-10.
- M. Asfour 1956: The relations between Egypt and Nubia, Liverpool 1956.
- J. Assmann 1969: Liturgische Lieder an den Sonnengott, Berlin 1969 (MAS 19).
- A. Badawy 1946: Zwei Denkmäler des grossen Gaugrafen von Memphis, Amenophis Hwjj, ASAE 44(1946) 181-206.
- 1947: Memphis als zweite Landeshauptstadt im Neuen Reich, Cairo 1947.
- J. Baikie 1932: Egyptian antiquities in the Nile valley, London 1932.
- A. M. Bakir 1952: Slavery in Pharaonic Egypt (Supplement of ASAE) Cairo 1952.
- BAR -- J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, Vol. I-V, Chicago 1906-1907.
- J. von Beckerath 1951: Tanis und Theben, Glückstadt 1951 (AgFo 16).
- 1971: Abriss der Geschichte des alten Ägypten, Darmstadt 1971.
- M. L. Bierbrier 1975: The Late New Kingdom in Egypt (c. 1300-664 B. C.) Warminster 1975.
- F. W. von Bissing 1937: Das angebliche Weltreich der Hyksos, AfO 11(1937) 325-335.

- A. M. Blackman 1941: The stela of Shoshenk, great chief of the Meshwesh, JEA 27(1941) 83-95.
- P. A. A. Boeser 1905-1920: Beschreibung der aegyptischen Sammlung des niederländischen Reichsmuseums der Altertümer in Leiden, The Hague 1905-1920.
- H. Bonnet 1926: Die Waffen der Völker des alten Orients, Leipzig, 1926.
- 1952: Reallexikon der Ägyptischen Religionsgeschichte, Berlin 1952.
- L. Borchardt 1907: Ein Onkel Amenophis IV. als Hoherpriester von Heliopolis, ZAS 44(1907) 97.
- U. Bouriant 1894: Tombeau de Harmhabi, Mémoires Mission V (1894) 413-434.
- J. H. Breasted 1908: A history of the ancient Egyptians, New York 1908.
- 1909-1910: The royal feud in the Wadi Halfa temple: a rejoinder, AJSL 26(1909-1910) 162-168.
- J. Brinton 1942: Some recent discoveries at el-Alamein, Bulletin Société Royale d'Archéologie 35, vol. XI, 2 (1942) 78-81, 163-165.
- H. Brugsch 1883-1891: Thesaurus inscriptionum Aegypticarum, Leipzig 1883-1891.
- A. de Buck 1937: The juridical papyrus of Turin, JEA 23(1937) 152-164.
- H. Carter 1923-1933: The tomb of Tut-Ankh-Amen, London 1923-1933.
- J. Černý 1935: Questions adressées aux oracles, BIFAO 35(1935) 41-58.
- 1942: Nouvelle série de questions adressées aux oracles, BIFAO 41(1942) 13-24.
- 1965: Egypt. From the death of Ramesses III to the end of the twenty-first dynasty (CAH vol. II, ch. XXXV), Cambridge 1965.
- 1973: A community of workmen at Thebes, Cairo 1973.
- 1973a: The Valley of the Kings, Cairo 1973.
- J. Černý - A. H. Gardiner - T. E. Peet 1952-1955: The in-

- scriptions of Sinai, part I: London 1952, part II: London 1955.
- J. Černý - T. E. Peet 1927: A marriage settlement of the twentieth dynasty. An unpublished document from Turin, JEA 13(1927) 30-39.
- L. A. Christophe 1957: L'organisation de l'armée égyptienne à l'époque ramesside, Revue du Caire 39/No. 207(1957) 387-405.
- J. J. Clère 1968: Deux statues 'gardiennes de porte' d'époque ramesside, JEA 54(1968) 135-148.
- A. De Coson 1935: Mareotis: country life, 1935.
- S. Curto 1971: The military art of ancient Egyptians, Torino 1971.
- N. de G. Davies 1903-1908: The rock tombs of El Amarna, Vols. I-VI, London 1903-1908.
- 1923: The tombs of two officials of Thutmosis the fourth (Nos. 75 and 90), London 1923.
- 1925: The tomb of Tetiky at Thebes (No. 15), JEA 11(1925) 10-18.
- 1930: The tomb of Kan-Amun at Thebes = The Metropolitan Museum of Art Egyptian Expedition Publications, V, New York 1930.
- 1941: The tomb of the vizier Ramose, London 1941.
- 1943: The tomb of Rekh-mi-Re at Thebes, New York 1943.
- N. M. de G. Davies - A. H. Gardiner 1926: The tomb of Huy, viceroy of Nubia in the reign of Tut^cankh-amūn (No. 40), The Theban Tombs Series, IV, London 1926.
- N. M. de G. Davies - N. de G. Davies 1933: The tombs of Menkheperresonb, Amenmose, and another (Nos. 86, 112, 42, 226), Theban Tombs Series, V, London 1933.
- Th. M. Davis 1922: The tomb of Harmhabi and Touatânkhamonou, London 1912.
- E. Drioton 1944: La cryptographie par perturbation, ASAE 44 (1944) 17-33.

- E. Drioton - J. Vandier 1952: L'Égypte, Paris 1952³.
- E. Edel 1948: Neue keilschriftliche Umschreibungen ägyptischer Namen aus den Bogazköy-Texten, JNES 7(1948) 11-24.
- 1951: Zur historischen Geographie der Gegend von Kadeš, ZA NF 16(1951) 253-258.
- 1953a: KUB III 63, ein Brief aus der Heiratskorrespondenz Ramses' II, JKF 2(1953) 262-273.
- 1953b: Weitere Briefe aus der Heiratskorrespondenz Ramses II: KUB III 37+ KBo I 17 und KUB III 57, in: Festschrift A. Alt, Tübingen 1953, 29-63.
- 1960: Der geplante Besuch Hattušiliš III in Ägypten, MDOG 92(1960) 15-20.
- 1974: Zwei Originalbriefe der Königsmutter Tuja in Keilschrift, SAK 1(1974) 105-146.
- 1976: Ägyptische Ärzte und Ägyptische Medizin am hethitischen Königshof, Göttingen 1976.
- W. B. Emery 1965: Preliminary report on the excavation at North Saqqara, 1965-5, JEA 51(1965) 3-8.
- R. Engelbach 1940: Material for a revision of the history of the heresy period of the XVIIIth dynasty, ASAE 40(1940) 133-165.
- A. Erman 1900: Geschichtliche Inschriften aus dem Berliner Museum, ZAS 38(1900) 112-126.
- 1904: Die Sphinxstele, SPAW 1904, 428-444.
- 1923: Die Literatur der Ägypter, Leipzig 1923.
- 1923a: Der Leidener Amonshymnus, Sb Berlin 1923.
- 1934: Die Religion der Ägypter, Berlin - Leipzig 1934.
- A. Erman - H. Ranke 1923: Ägypten und ägyptisches Leben im Altertum, Tübingen 1923.
- W. F. Edgerton 1949: The government and the governed in the Egyptian empire, JNES 6(1949) 152-160.
- R. O. Faulkner 1934: A statue of a serpent-worshipper, JEA 20(1934) 154-156.
- 1941: Egyptian military standards, JEA 27(1941) 12-18.
- 1942: The battle of Megiddo, JEA 28(1942) 2-15.
- 1946: The Euphrates campaign of Thutmosis III, JEA 32

- (1946) 39-42.
- 1953: Egyptian military organization, JEA 39(1953) 32-47.
 - 1966: Egypt: from the inception of the nineteenth dynasty to the death of Ramesses III, CAH II ch. XXIII, Cambridge 1966.
 - 1964: A concise Dictionary of middle Egyptian, Oxford 1964,
 - G. Fecht 1967: Zur Frühform der Amarna-Theologie, Neubearbeitung der Stele der Architekten Suti und Hor, ZÄS 94 (1967) 25-50.
 - H. Frankfort 1948: Kingship and the gods, Chicago 1948.
 - A. H. Gardiner 1905: The inscription of Mes, Leipzig 1905.
 - 1905a: Hymns to Amon from a Leiden papyrus, ZÄS 42(1905) 12-42.
 - 1911: Egyptian hieratic texts, Leipzig 1911.
 - 1916: The defeat of the Hyksos by Kamōse: the Carnavon tablet, no. 1, JEA 3(1916) 95-110.
 - 1938: The house of life, JEA 24(1938) 157-179.
 - 1949-1952: The Wilbour papyrus, Oxford 1941-1952.
 - Sir Alan Gardiner 1948: Ancient Egyptian onomastica, Oxford 1948.
 - 1953: The coronation of Haremheb, JEA 39(1953) 13-31.
 - 1961: Egypt of the Pharaohs, Oxford 1961.
 - H. Gauthier 1907-1917: Le livre des rois d'Egypte, vols. I-V, Le Caire 1907-1917.
 - S. R. K. Glanville 1931-1932: Records of a royal dockyard of the time of Tutmosis III: Papyrus British Museum 10056, ZÄS 66(1931) 105-121, ZÄS 68(1932) 7-41.
 - F. Gomaa 1973: Chaemwese Sohn Ramesses II und Hoherpriester von Memphis, Wiesbaden 1973.
 - 1974: Die libyschen Fürstentümer des Deltas, Beihefte zum Tübinger Atlas, Reihe B, Nr. 6, 1974.
 - A. Goetze 1929: Zur Schlacht von Qadeš, OLZ 32(1929) 832-838,
 - F. Ll. Griffith 1927: The Abydos decree of Seti I at Nauri, JEA 13(1927) 193-208.
 - H. G. Güterbock 1956: The deeds of Suppiluliuma as told by his son Mursili II, JCS 10(1956) 41 ff., 75 ff., 107 ff.

- Labib Habachi 1955: Découverte d'un temple-fortresse de Ramsès II, *Revue du Caire* 175(1955) 62-65.
- 1969: Features of the deification of Ramesses II, *Glückstadt* 1969.
- 1972: The second stelae of Kamose and his struggle against the Hyksos-ruler and his capital, *Abh DAI Kairo* 8, 1972.
- 1974: Three large rock-stelae carved by Ramesses III near quarries, *JARCE* 11(1974) 69-75.
- 1977: Le tombeau de Naÿ à Gournet Mar^Cei (No. 271), *Le Caire*, 1977 (*Mémoires Membres t.* 97).
- 1980: The military posts of Ramesses II on the coastal road and the Western part of the Delta, *BIFAO* 80(1980) 13-30.
- R. Hari 1965: Horemheb et la reine Moutnedjemet, *Genève* 1965.
- J. R. Harris 1968: How long was the reign of Horemhab? *JEA* 54 (1968) 95-99.
- S. Hassan 1929: Le poème dit de Pentaour et le rapport officiel sur la bataille de Qadesh, *Le Caire* 1929.
- 1953: The great sphinx and its secrets, *Cairo* 1953.
- W. C. Hayes 1938: A writing-palette of the chief steward Amen-hotpe and some notes on its owner, *JEA* 24(1938) 9-24.
- 1957: Varia from the time of Hatshepsut, *MDAIK* 15(1957) 78-90.
- 1966: Egypt: the internal affairs from Tuthmosis I to the death of Amenophis III, *CAH* II, ch. IX, 2, *Cambridge* 1966.
- W. Helck 1939: Der Einfluss der Militärführer in der 18. ägyptischen Dynastie, *Leipzig* 1939.
- 1956: Zur Verwaltung des Mittleren und Neuen Reiches, *Leiden* 1956.
- 1962: Die Beziehungen Ägyptens zu Vorderasien in III. und II. Jahrtausend v. Chr., *Wiesbaden* 1962.
- 1968: Geschichte des alten Ägypten, *HO Abt I*, Bd 1, 3 Abschn., *Leiden* 1968.
- 1973: Probleme der Zeit Horemhebs, *CdE* 48(1973) 251-265.
- A. Hermann 1935: Das Grab eines Nachtmin in Unternubien, *MDAIK*

6(1935) 1-40.

- E. Hornung 1964: Untersuchungen zur Chronologie und Geschichte des Neuen Reiches, ÄgAbh 11, Wiesbaden 1964.
- 1967: Neue Materialien zur ägyptischen Chronologie, Wiesbaden 1967.
- 1971: Das Grab des Haremheb im Tal der Könige, Bern 1971.
- 1971a: Der Eine und die Vielen, Darmstadt 1971.
- U. Hölscher 1912: Das Grabdenkmal des Königs Chephren, Leipzig 1912.
- O. J. Jalles 1943: On war, 1943.
- J. J. Janssen 1975: Prologomena to the study of economic history of Egypt during the New Kingdom, SAK 3(1975) 127-185.
- 1975a: Commodity prices from the Ramessid period, Leiden 1975.
- L. Kákosy 1964: Ideas about the fallen state of the world, Acta Orientalia 17(1964) 205-216.
- 1966: Prophecies of ram gods, Acta Orientalia Hungarica 19(1966) 341-358.
- 1967: Zur Vorgeschichte der Errichtung des thebanischen Gottesstaates, Acta Antiqua 15(1967) 369-376.
- 1968: Imhotep and Amenhotep son of Hapu as patrons of the Dead, Acta Orientalia Hungarica 21(1968) 109-117.
- 1973: Die weltanschauliche Krise des Neuen Reiches, ZAS 100(1973) 35-41.
- 1976: Some remarks on Tutankhamon's tomb, in: Tutankhamon i jeho vremja, Moskau 1976, 31-34.
- 1977: Ein literarisch-mythologisches Motiv: Osiris als Gott des Kampfes und der Rache, in: Fragen an die alt-ägyptischen Literatur, Wiesbaden 1977. Studien zum Gedanken E. Otto.
- H. Kees 1928: Religionsgeschichtliches Lesebuch, Tübingen 1928.
- 1933: Ägypten, Handbuch der Altertumswissenschaft, 3. Abt., 1. Teil, 3. Bd., München 1933.

- 1937: Die Laufbahn des Hohenpriesters Onhurmes von Thinis, ZAS 73(1937) 77-99.
- 1944: Tanis: Ein kritischer Überblick zur Geschichte der Stadt, NachrGött 1944, Nr. 7, 145-182.
- 1953: Das Priestertum im Ägyptischen Staat von Neuen Reich bis zur Spätzeit, Probleme der Ägyptologie 1, Leiden 1953.
- 1956: Der Götterglaube im alten Ägypten, Berlin 1956².
- 1964: Die Hohenpriester des Amun von Karnak bis zum Ende der Äthiopenzeit, Leiden 1964.
- 1968: Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates, NAWG I, NF Bd II, I, Göttingen 1968.
- K. A. Kitchen 1960: Four stelae in Leicester City Museum, Orientalia 29(1960) 18-23.
- 1973: The Third Intermediate Period in Egypt (1100-650 B.C.) Warminster 1973.
- 1975-1976: The great biographical stela of Setau, viceroy of Nubia, Orientalia Louvaniensia Periodica 6/7(1975-1976) 295 ff.
- H. Klengel 1965-1970: Geschichte Syriens im 2. Jahrtausend v. u. Z. I-III, Berlin 1965-1970.
- Ch. Kuentz 1925: La stèle de mariage de Ramsès II, ASAE 25 (1925) 181-238.
- 1928: La bataille de Qadesh, Le Caire 1928.
- G. A. Knudtzon 1915: Die Amarna-Tafeln, II, Leipzig 1915.
- E. von Komorzynski 1938: Die Trompete als Signalinstrument im altägyptischen Heer, Archive für ägyptische Archäologie 1(1938) 155-157.
- Ld - C. R. Lepsius: Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, Abt. I-VI, Berlin 1849-1859.
- G. Lefèvre 1929: Histoire des grands prêtres d'Amon de Karnak jusqu'à la XXIIe dynastie, Paris 1929.
- C. H. Lesko 1972: The ancient Egyptian Book of Two Ways, California 1972.
- U. Luft 1978: Beiträge zur Historisierung der Götterwelt und der Kythenschreibung, Studia Aegyptiaca 4, Budapest 1978.

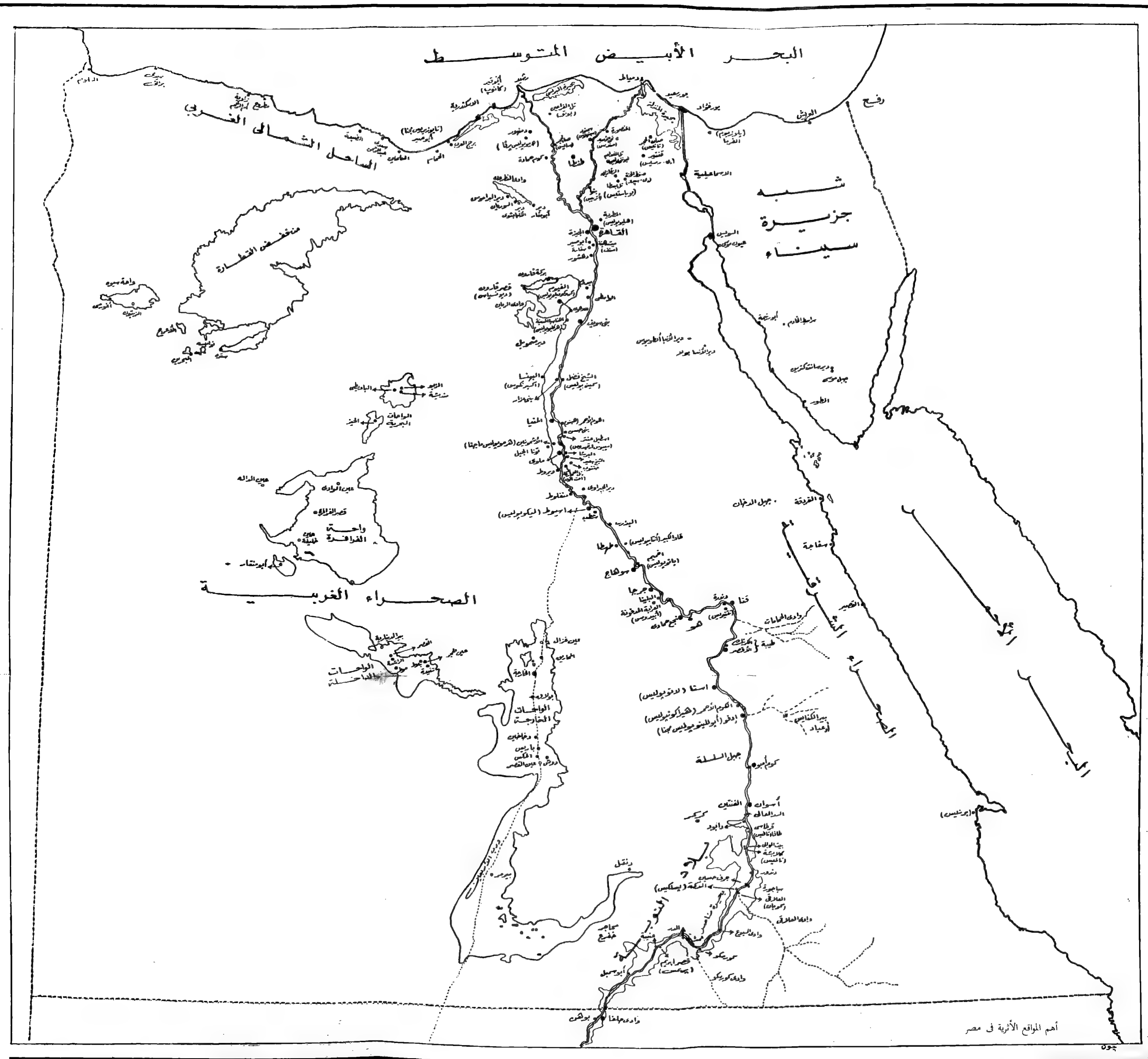
- Luxor 1979: The Luxor Museum of ancient Egyptian art, Catalogue Cairo 1979.
- A. Malamat 1971: The Egyptian decline in Canaan and the Sea-Peoples, in: B. Mazar (ed.), The world history of Jewish people, Vol. III., Jerusalem 1971, 23-38, 294-300.
- A. Mariette 1869-1880: Abydos. Description des fouilles, Paris 1869-1880.
- 1882: Le Serapeum de Memphis, Paris 1882.
- G. T. Martin 1976: Excavations at the Memphite tomb of Haremheb (1975), Preliminary report, JEA 62(1976) 5-13.
- M. Masali - B. Chiarelli 1972: Demographic data on the remains of ancient Egyptians, The Journal of Human Evolution 1 (1972) 161-169.
- G. Maspero 1889: Momies royales de Deir el Bahari, MemMiss 1 (1889) 511-787.
- Medinet Habu 1930: Earlier historical records of Ramses III, Chicago, Illinois 1930.
- R. S. Merilles - J. Winter 1972: Bronze Age trade between the Aegean and Egypt, Miscellanea Wilbouriana 1(1972) 101-133.
- E. Meyer 1913: Bericht über eine Expedition nach Ägypten zur Erforschung der Darstellungen der Fremdvölker, Sb Berlin 38, 1913.
- 1928: Gottesstaat, Militärherrschaft und Ständewesen in Ägypten, SPAW Berlin 1928.
- R. Mond - O. H. Myers 1940: Temples of Armant: A preliminary survey, London 1940.
- S. Morenz 1969: Prestige-Wirtschaft, SBAW München 1969.
- A. Moret 1920: Histoire de l'Orient, Paris 1920.
- W. M. Müller 1888: Erklärung des grossen Dekrets des Königs Har-m-hebe, ZÄS 26(1888) 70-94.
- 1906-1920: Egyptological researches, Washington 1906-1920.
- E. Naville 1894-1908: The temple of Deir el Bahari, Vols. I-VII, London 1894-1908.
- P. E. Newberry - F. Ll. Griffith 1895: El Bersheh, London 1895.
- P. E. Newberry 1932: King Ay, the successor of Tut^Cankhamūn,

- JEA 18(1932) 50-52.
- M. Noth 1941: Ramses II in Syrien, ZDPV 64(1941) 39-74.
- D. O'Connor 1972: A regional population in Egypt to circa 600 B. C., in: Population growth: Anthropological implications, ed. by B. Spooner, Cambridge, Mass. - London, 1972, 78-100.
- 1972a: The geography of settlement in ancient Egypt, in: Man, settlement and urbanism, London 1972.
- R. A. Parker 1962: A Saite oracle papyrus from Thebes, Providence, Rhode Island 1962.
- T. E. Peet 1930: The great tomb-robberies of the twentieth Egyptian dynasty, Oxford 1930.
- T. E. Peet - C. L. Woolley 1923: The city of Akhenaten, Part I, London 1923.
- W. Fl. Petrie 1902-1904: Abydos, Vols. I-III, London 1902-1904.
- Sir Flinders Petrie 1925: A history of Egypt, London 1925³.
- K. Pflüger 1936: Haremhab und die Amarnazeit, Zwickau 1936.
- 1946: The edict of king Haremhab, JNES 5(1946) 260-276.
- A. Piankoff 1955: The shrines of Tut-ankh-amon, New York 1955.
- J. Pirenne 1932: Histoire des institutions et du droit privé de l'Ancienne Égypte, Bruxelles 1932.
- PK -- B. Porter - R. L. B. Moss: Topographical bibliography of ancient Egyptian hieroglyphic texts, reliefs and paintings, Vols. I-VII, Oxford 1927-1951; 2nd edition since 1960 in collaboration with E. Burney.
- G. Posener 1956: De la divinité du Pharaon, Paris 1956.
- J. E. Quibell 1915: Excavations at Saqqara, London 1915.
- A. Radwan 1974: Ein Relief der Nachamarnazeit, Orientalia 43(1974) 393-397.
- H. Ranke 1920: Keilschriftliches, ZÄS 56(1920) 69-75.
- 1931: Das Grab eines Chefs der Zentralverwaltung Ägyptens unter Haremhab, ZÄS 67(1931) 78-82.
- G. A. Reisner 1920: The viceroys of Ethiopia, JEA 6(1920) 28-55, 73-88.

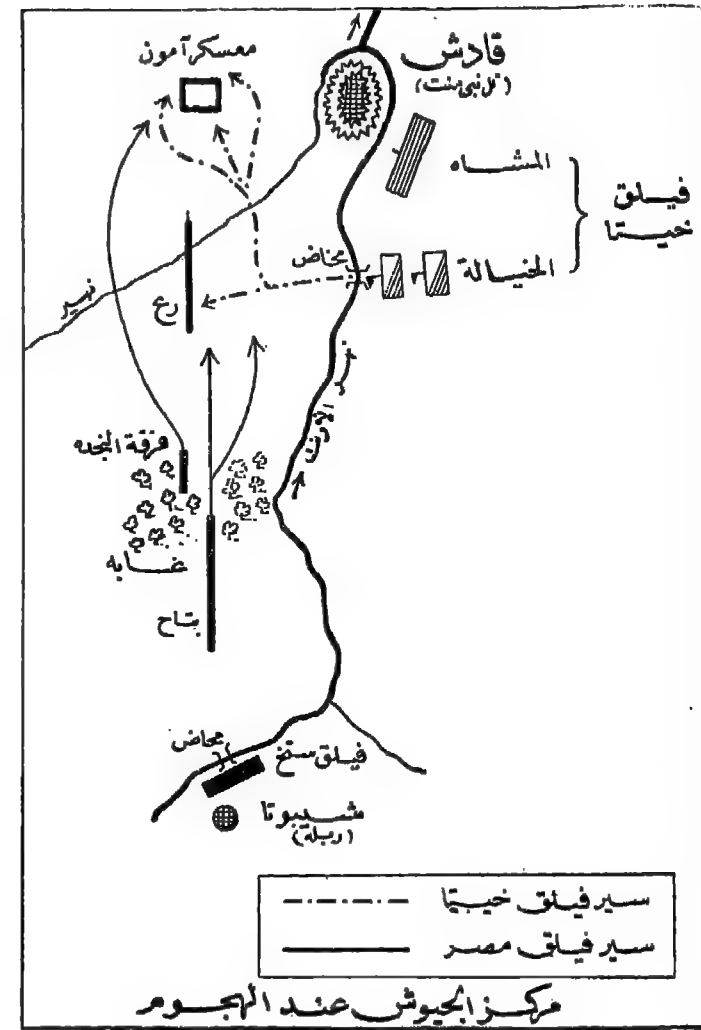
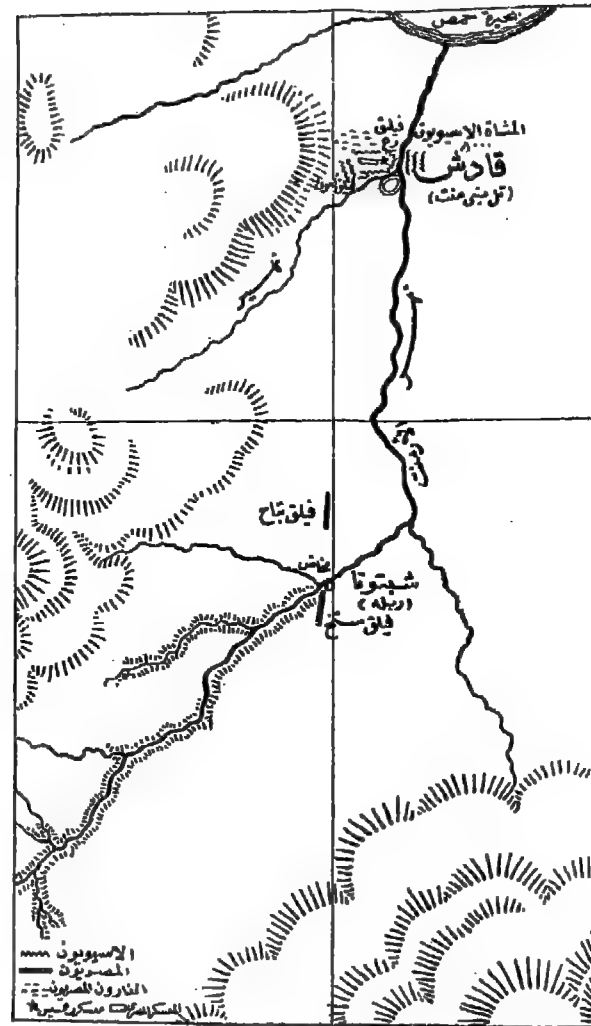
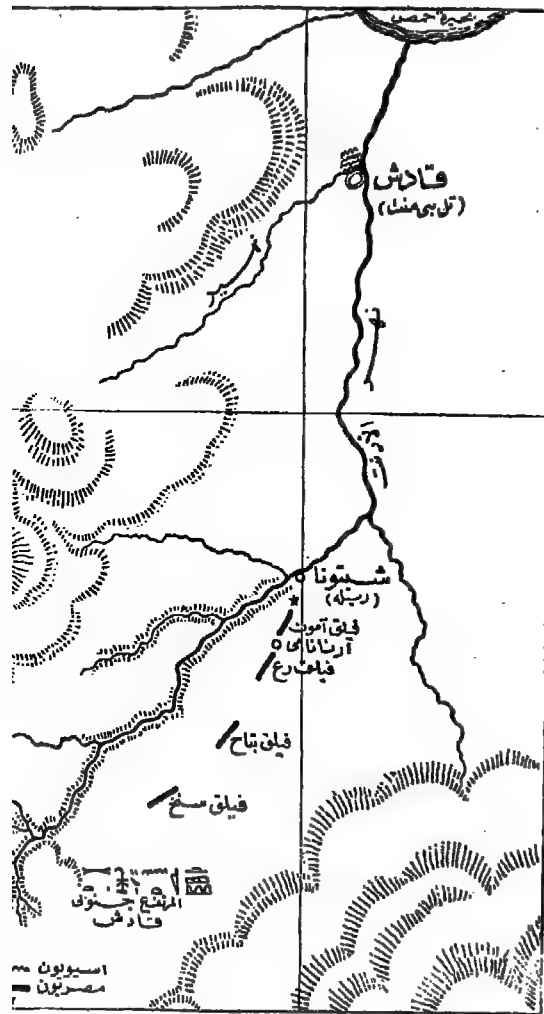
- E. Revillont 1912: Les origines égyptiennes du droit civil romain, Paris 1912.
- G. Roeder 1926: Ramses II als Gott. Nach den Hildesheimer Denksteinen aus Horbêt, ZÄS 61(1926) 57-67.
- G. Roux 1972: Ancient Iraq, Harmondsworth 1972.
- A. Rowe 1948: A history of ancient Cyrenaica, CASAE 12, Le Caire 1948.
- J. Samson 1972: Amarna. City of Akhenaten and Nefertiti, London 1972.
- C. E. Sander-Hansen 1940: Das Gottesweib des Amun, Copenhagen 1940.
- M. Sandman 1938: Texts from the time of Akhenaten, Bruxelles 1938.
- S. Sauneron 1957: Les prêtres de l'ancienne Egypte, Bourges 1957.
- T. Sæve-Söderbergh 1941: Ägypten und Nubien, Lund 1941.
- 1944: The navy of the eighteenth Egyptian dynasty, Uppsala 1944.
- 1945: Einige ägyptische Denkmäler in Schweden, Uppsala 1945.
- H. Schäfer 1934: Die Simonsche Holzfigur eines Königs der Amarnazeit. Mit drei Anhängen: Zum Ehrengold. Zur "blauen Krone". Zum Wesen der Amarnakunst. ZÄS 70(1934) 1-25.
- A. Scharf 1934: Ein Denkstein des Veziers Rahotep aus der 19. Dynastie, ZÄS 70(1934) 47-51.
- M. Schiff-Giorgini 1964: Soleb. Campaignes 1961-63. Kush 12 (1964) 87-95.
- H. D. Schneider 1977: Shabtis I, Leiden 1977.
- A. R. Schulman 1958: The military establishment of the Egyptian empire, The University of Chicago, dissertation, 1958.
- 1964: Military rank, title and organization in the Egyptian New Kingdom, MÄS 6, Berlin 1964.
- K. Seele 1955: King Ay and the close of the Amarna age, JNES 14(1955) 168-180.
- E. Seidl 1947: Law in the legacy of Egypt, London 1947.

- K. Sethe 1902: Imhotep der Asklepios der Ägypter, Leipzig 1902.
- 1907: Die Berufung eines Hohenpriester des Amun unter Rameses II, ZÄS 44(1907) 30-35.
- 1909: Die Einsetzung des Veziers unter der 18. Dynastie, UaGmÄe V, 2, Leipzig 1909.
- 1910: Älthgyptische Ordensauszeichnungen, ZÄS 48(1910) 143-145.
- 1930: Der Denkstein mit dem Datum des Jahres 400 der Ära von Tanis, ZÄS 65(1930) 85-89.
- 1934: Das Wort für Vorleserpriester, ZÄS 70(1934) 134.
- H. S. Smith 1976: The fortress of Buhen. The inscriptions, London 1976.
- A. J. Spalinger 1973: Aspects of the military documents of ancient Egypt, Yale University New Heaven, dissertation, 1973.
- R. Stadelmann 1967: Syrische-palästinische Gottheiten in Ägypten, Leiden 1967.
- 1968: Die Abwehr der Seevölkers unter Ramesses III, Freiburg-München 1968.
- G. Steindorff 1928: Die Kunst der Ägypter, Leipzig 1928.
- G. Steindorff - W. Wolf 1936: Die thebanische Gräbwelt, Glückstadt 1936.
- J. Sturm 1939: Der Hettiterkrieg Ramses' II, WZKM, Beiheft IV, 1939.
- W. W. Tarn 1961: Hellenistic civilization, London 1961.
- S. Tawfik 1979: Was Aton, the god of Akhenaton only a manifestation of the god Re?, in: Papers of the 1st International Congress of Egyptology, Berlin 1979, 641-643.
- A. Toynbee 1966: Muhtasar derasa at-tarîḫ (Arab version of A Study to History), Cairo 1966.
- J. Vendier 1949: Le religion égyptienne, Paris 1949².
- 1958: Manuel d'archéologie égyptienne III, La statuaire égyptienne, Paris 1958.

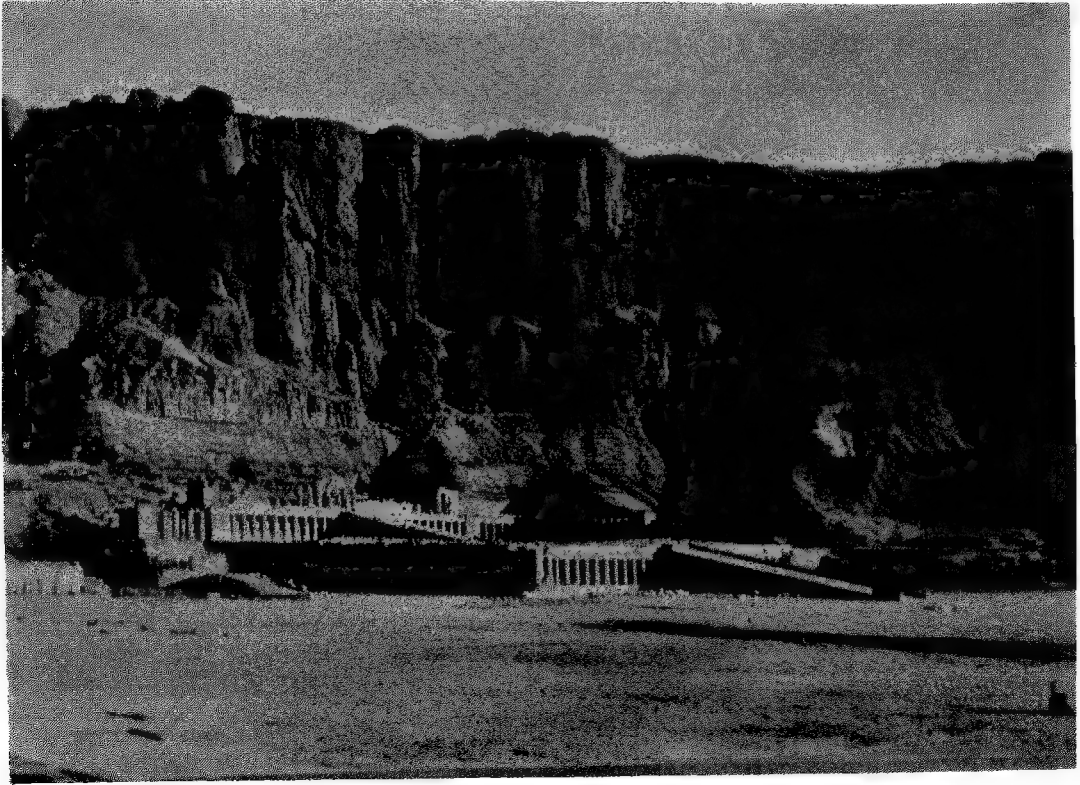
- A. Varille 1942: Le hymne au Soleil des architectes d'Amenophis III Souti et Hor, BIFAO 41(1942) 25-30.
- J. Vercoutter 1959: The gold of Kush. Two gold-washing stations at Faras East, Kush 7(1959) 120-153.
- A. Weil 1908: Die Veziere des Pharaonenreiches, Strassburg 1908.
- D. Wildung 1969: Die Rolle der Ägyptischen Königs im Bewusstsein ihrer Nachwelt, MÄS 17, Berlin 1969.
- 1977: Imhotep und Amenhotep, Berlin 1977.
- J. Wilson 1951: The burden of Egypt, Chicago 1951.
- H. Winlock 1942: Excavations at Deir el Bahri 1911/13, New York 1942.
- W. Wolf 1926: Die Bewaffnung des altägyptischen Heeres, Leipzig 1926.
- 1931: Das schöne Fest von Opet, Leipzig 1931.
- 1957: Die Kunst Ägyptens, Stuttgart 1957.
- W. Wreszinski 1914-1933: Atlas zur altägyptischen Kulturgeschichte, Leipzig 1914-1933.
- J. Zandee 1947: De hymnen aan Amon van Papyrus, Papyrus Leiden I 350, Leiden 1947.
- 1966: An Egyptian crossword puzzle, Ex Oriente Lux, Leiden 1966.



أهم المواقع الأثرية في مصر



الصـور



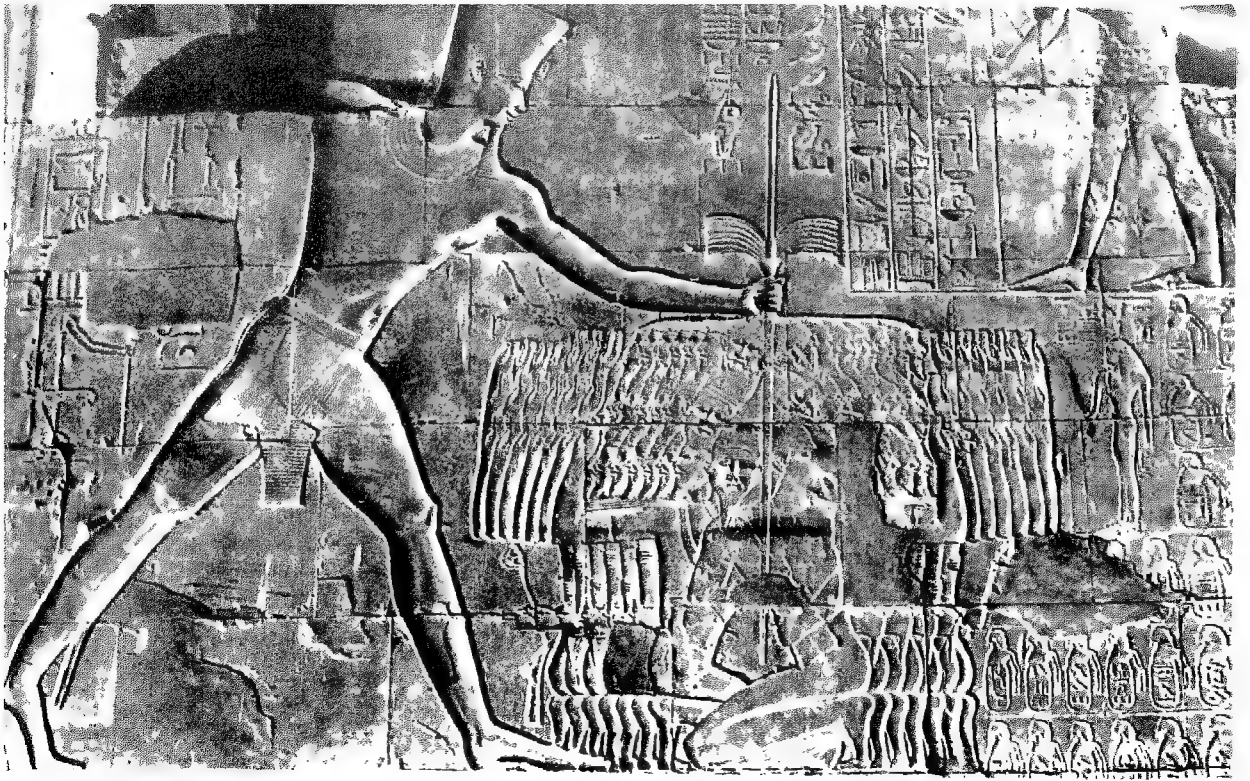
[صورة ١]

معبد الدير البحري بالير الغربي بالأقصر للمملكة حتشبسوت من تصميم
وتنفيذ المهندس منتصوت .

[صورة ٢]

← الملك امنحتب الثاني يتعبد أمام الاله آمون





[صورة ٣]

الملك تحتمس الثالث يقدم الأسرى قربانا للاله آمون رع .

[صورة ٤]

← نائب الملك وحاكم النوبة «با - سر» في عهد الملك رمسيس الثاني .





! صورة ٥ |
قنعة بوهن عند الجنادل الثاني شيدت في الدولة الوسطى .

← [صورة ٦ |
مسلة الملك تحوتيس الأول بالكرنك .



[صورة ٧]
الملك امنحتب الثانى المحارب العظيم ابن
الملك تحوتس الثالث .



[صورة ٨]
الملك امنحتب الثانى على مركبته الحربية .
يتدرب على إصابة الهدف .
↓





[صورة ٩]
 نبيلات في احدى الحفلات البازخة -
 مقبرة نب آمون .



[صورة ١٠]
 تمثال لسنتموت يحمل على رجليه الأميرة
 نفرو - رع .



[صورة ١١]
الملك رمسيس الثاني يُؤدب الليبيين «معبد أبو سمبل الكبير» .



[صورة ١٢]

محمّد المنحوت الثالث على مركبته الحربية ومعه أسراه من الزنوج .

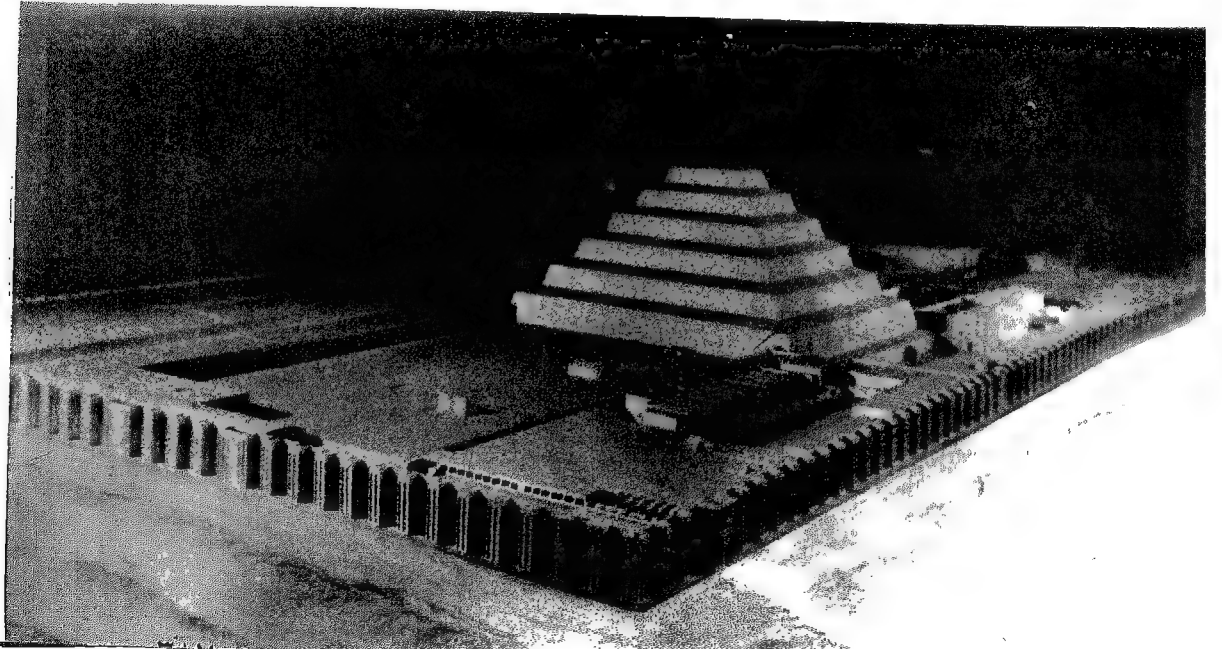


[صورة ١٣]
تمثال امحبب من حابو في هيئة الخاتبة
الجالس .



[صورة ١٤]
الوزير «إحوتب» أبو الطب والمهندس الذى
صمم هرم زوسر المدرج بسقارة والذى آلهه
المصريون فى العصور المتأخرة .

[صورة ١٥]
نموذج «ماكيت» لمجموعة هرم زوسر المدرج
بسقارة مثلما وضعه المهندس إحوتب .





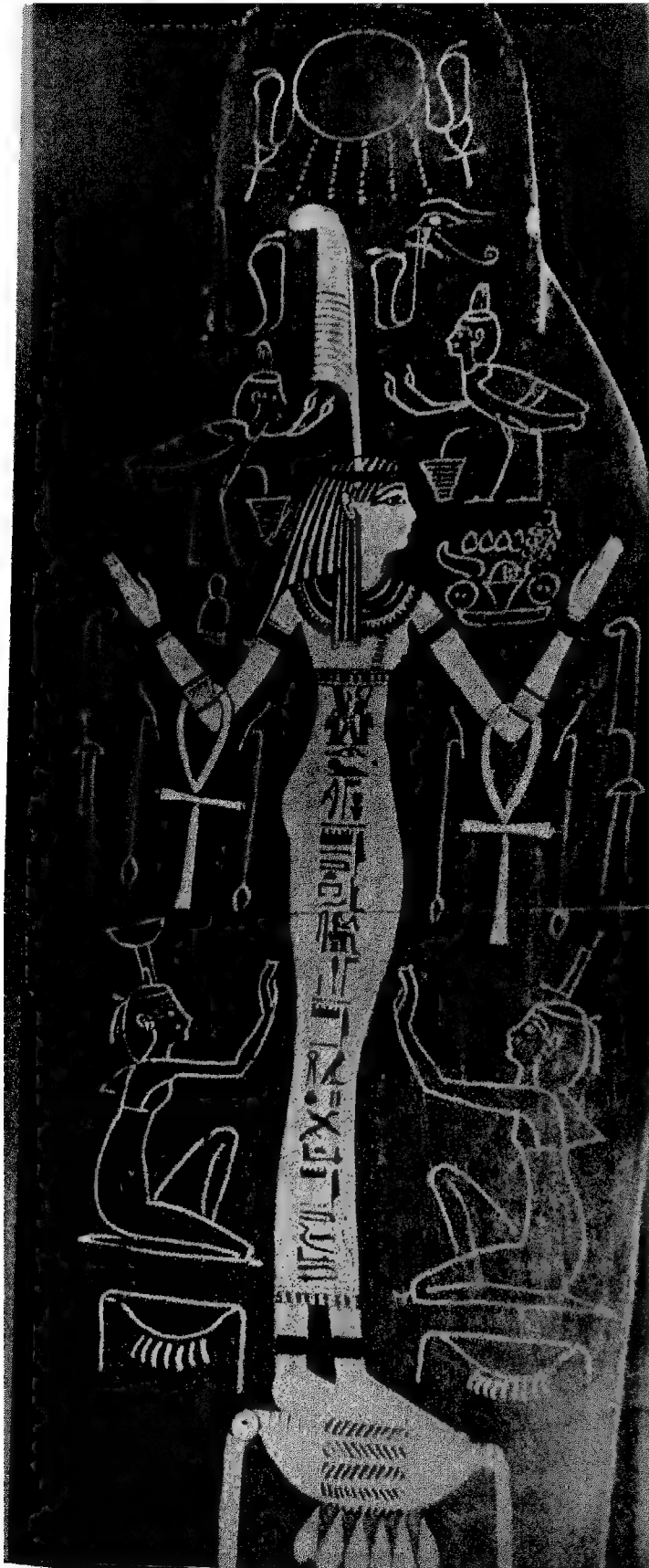
[صورة ١٦]
الأميرات نيات الملك امنحيب الثالث أثناء
اشتراكهن في عيد يوبيله الثلاثيني «حب
سد» - مقبرة خرو - إف .



[صورة ١٧]
الكرسي الخاص بالأميرة «ست آمون» ابنة
الملك امنحيب الثالث - تصميمه شديد
الشبه بكرسي العرش للملك توت عنخ
آمون .

(صورة ١٨)

«ماعت» الحقيقة والصدق تحمل بذراعيها
علامتى «عنخ» التى ترمز إلى الحياة
الأسدية .







→ [صورة ١٩]
الوضع التقليدي للكاتب الجالس - تمثال
بالمتحف المصري يرجع تاريخه إلى أوائل
الأسرة الخامسة بالدولة القديمة .

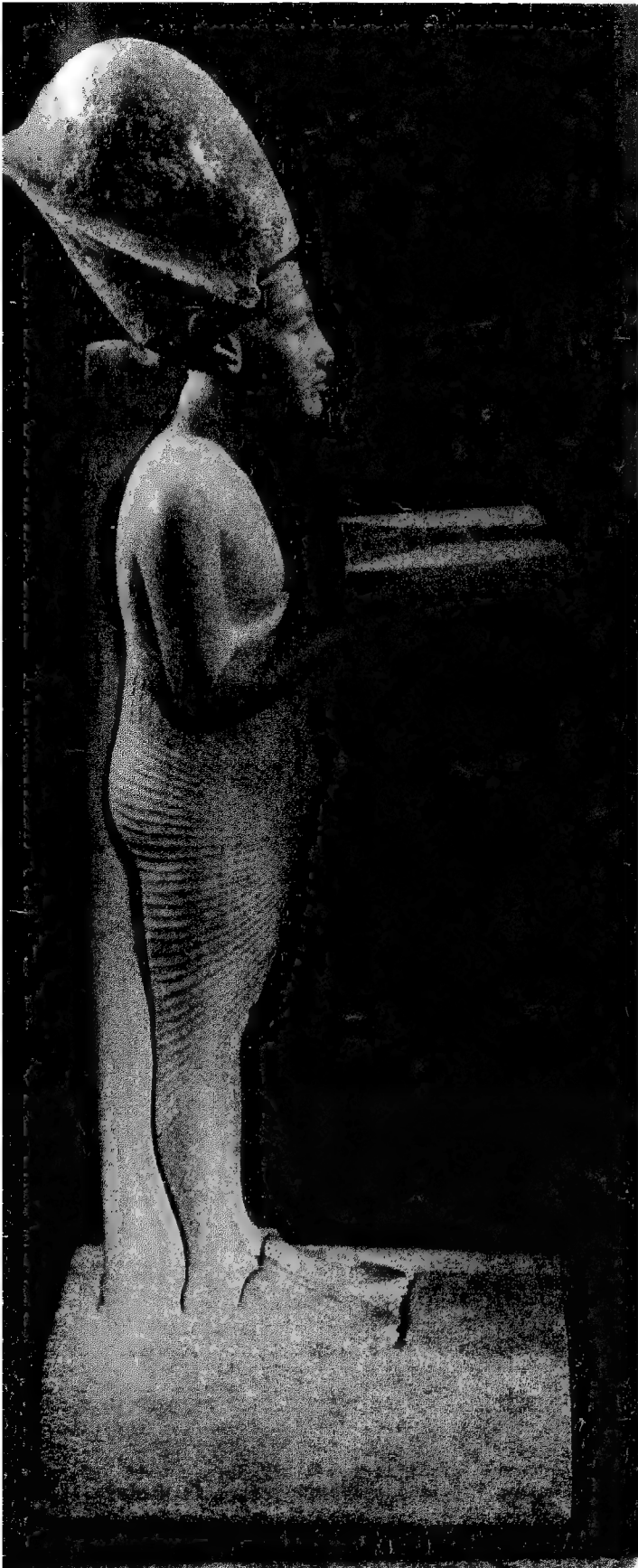
[صورة ٢٠]
أحد تماثيل الشوابتي التي عثر على نحو
٤٠٠ تمثال منها في مقبرة الملك توت عنخ
آمون ، وهو منحوت من الخشب المقطى
في بعض أجزائه بصفائح الذهب .

[صورة ٢١]
تمثال الملك أخناتون أشهر نموذج لفن
النحت بالعمارة .



[صورة ٢٢]
تمثال الملك امنحتب الثالث والملكة تي -
بالمتحف المصري بالقاهرة .





[صورة ٢٣]
تمثال صغير عثر عليه في بقايا أحد قصور
العمارة يمثل الملك أختاتون وهو يقدم
القرابين وعلى رأسه تاج الحرب الأزرق .



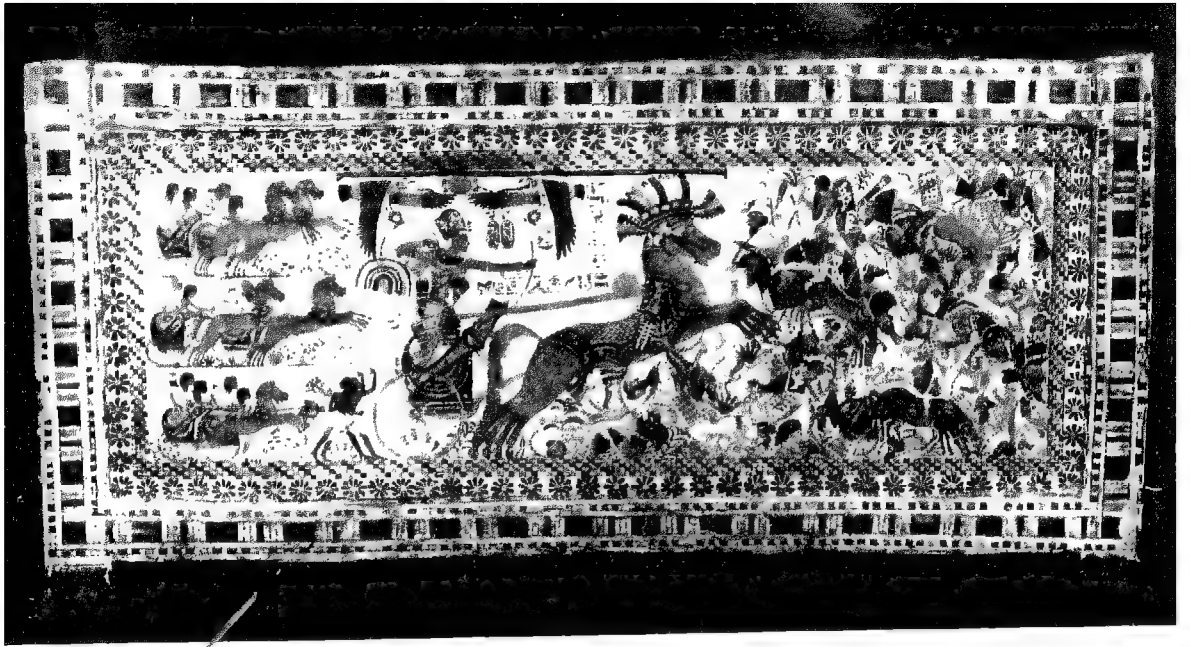
[صورة ٢٤]
 تمثال صغير لـ إيزيس
 من الألفين



[صورة ٢٥]
 الملك آى - إلى اليمين - يقوم بطقوس
 عملية فتح القم أمام مومياء سلفه الملك
 توت عنخ آمون على هيئة الاله أوزوريس .



رقة ٢٦ |
بصمى من الخشب المنقوش لتوت
آمون .



[صورة ٢٧]

رسم على أحد جوانب صندوق خشبي عثر عليه بمقبرة توت عنخ آمون يصور
معركة حربية يقوم بها الملك ضد الآسيويين .

[صورة ٢٨]

← أسلحة وخناجر للملك توت عنخ آمون .

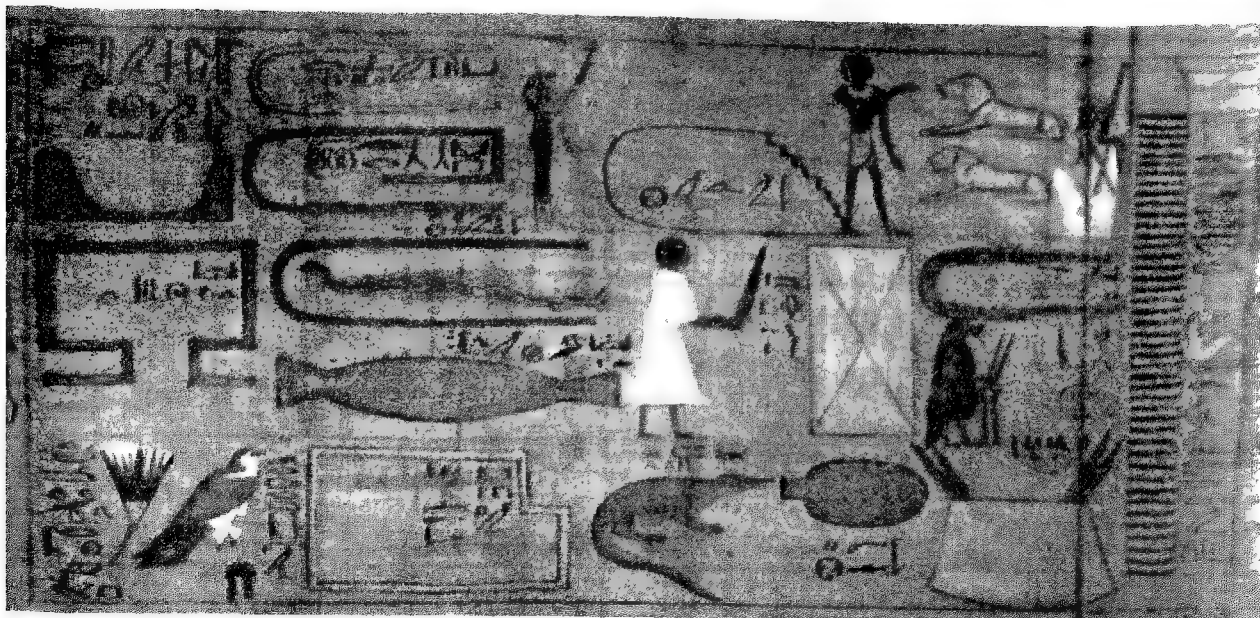


[صورة ٢٩]
الملك حور محب أمام الالهة حتحور .

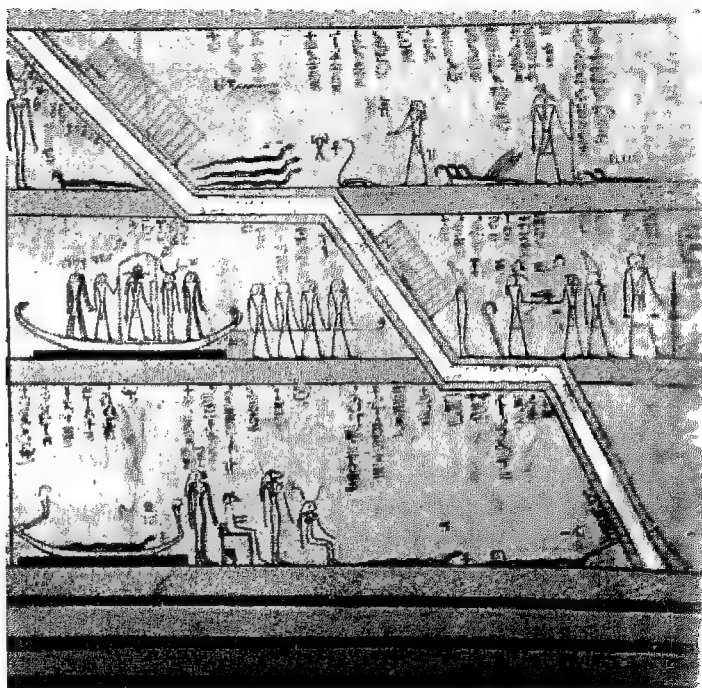


[صورة ٣٠]
← أخناتون ونفرتيتي يتعبدان .





[صورة ٣١]
صفحة من كتاب الموتى .



[صورة ٣٢]
صفحة من كتاب ما يحدث في العالم
السفلى منقوشة على جدران مقبرة تحوتس
الثالث بواى الملوك .

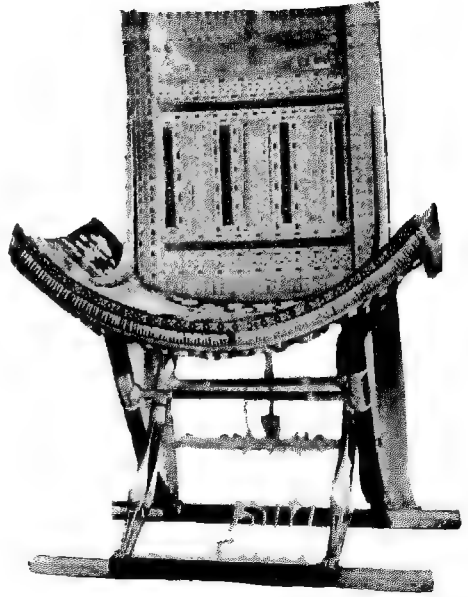


[صورة ٣٣]

تمثال لرأس نفرتيتى - من نحت الفنان
تخومس ويعتبر تحفة بالغة الروعة يتجسم فيها
فن العمارة .

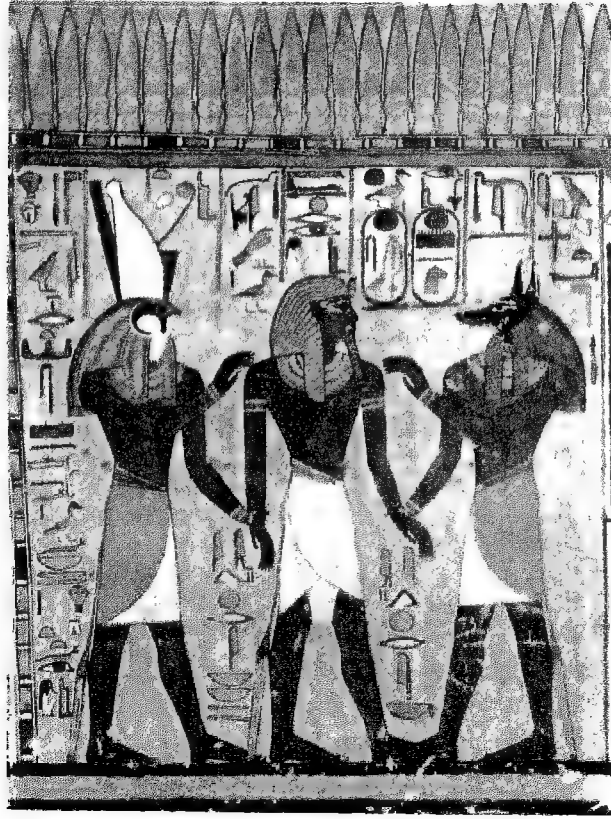
[صورة ٣٤]

كرسى لتوت عنخ آمون من خشب الأبنوس
المطعم بالعاج وصفائح الذهب والزجاج
الملون والأحجار شبه الكريمة . ولهذا الكرسى
دلالة سياسية إذ نقش عليه اسم الملك توت
عنخ آتون قبل أن يغير اسمه .



[صورة ٣٥]

الصورة التقليدية لعازف الهارب - من
مقبرة نخت - عصر الأسرة ١٨ .



[صورة ٣٦]
رمسيس الأول بين الاله حورس والاله أنوبيس - من مقبرته بوادي الملوك .



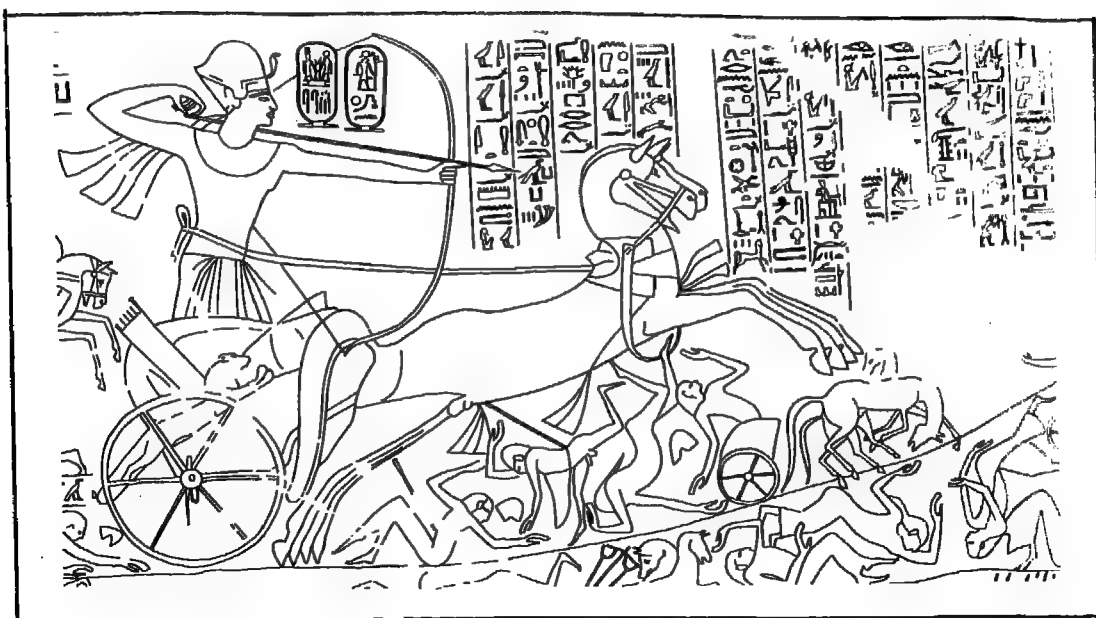
[صورة ٣٧]
الملك سيتي الأول على مركبته الحربية يحارب الليبيين .

← [صورة ٣٩]
الروائي على ضفاف نهر العاصي قرب موقع قادش حيث دارت المعركة بين
رمسيس الثاني والحيثيين .



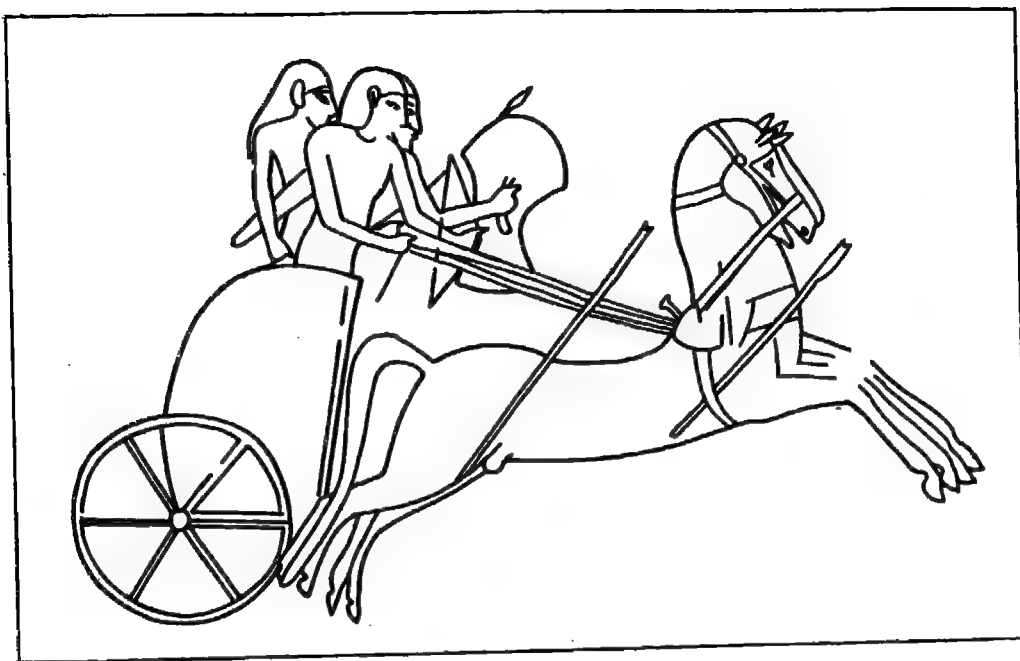
[صورة ٣٨]
 الملك رمسيس الثاني يقدم الأسرى قربانا
 لآمون رع (الأسرى يمثلون الآسيويين
 والتوبيين والليبيين) .





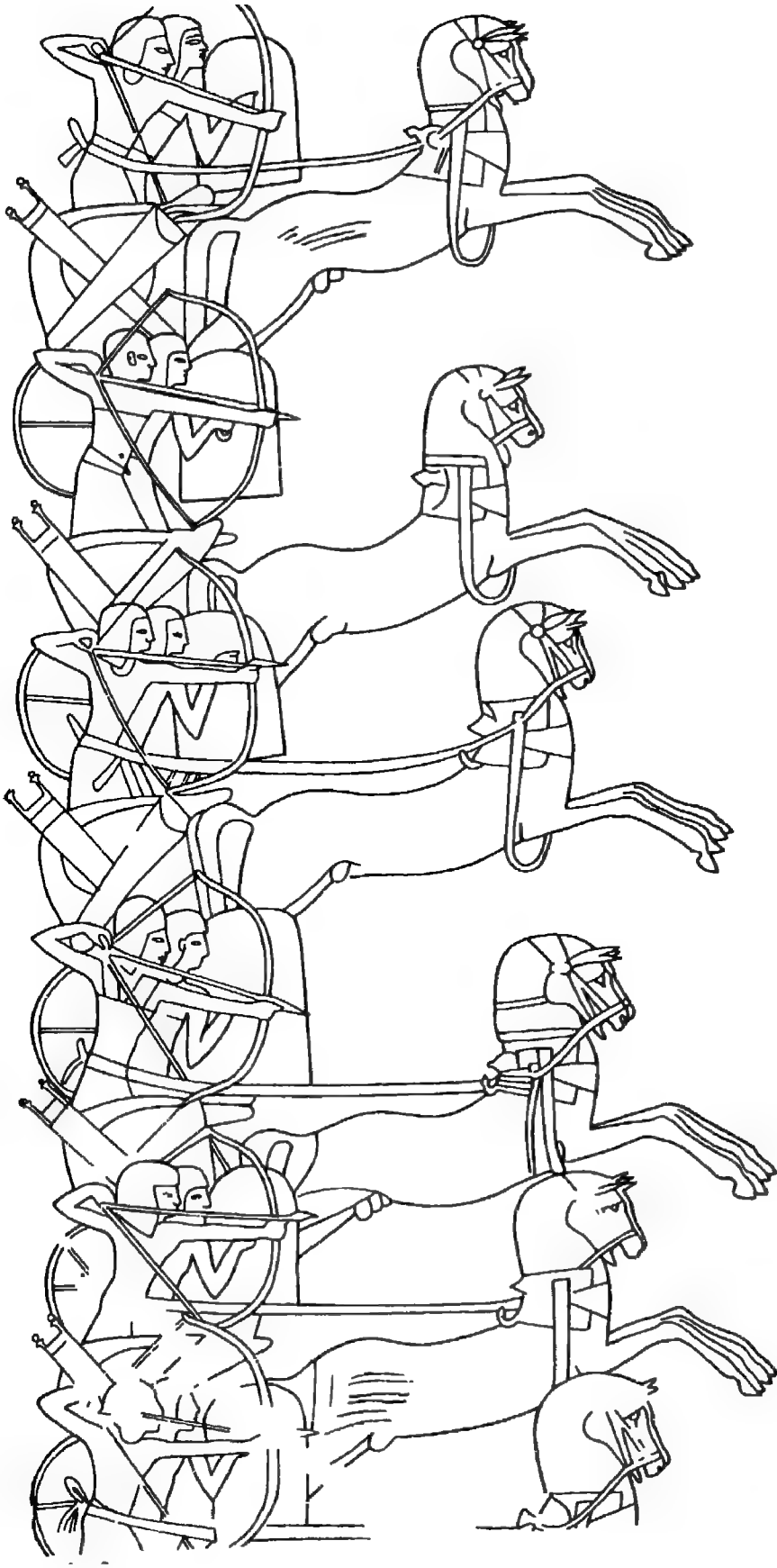
[صورة ٤٠]

رمسيس الثاني يسحق أعداءه من الحيثيين .

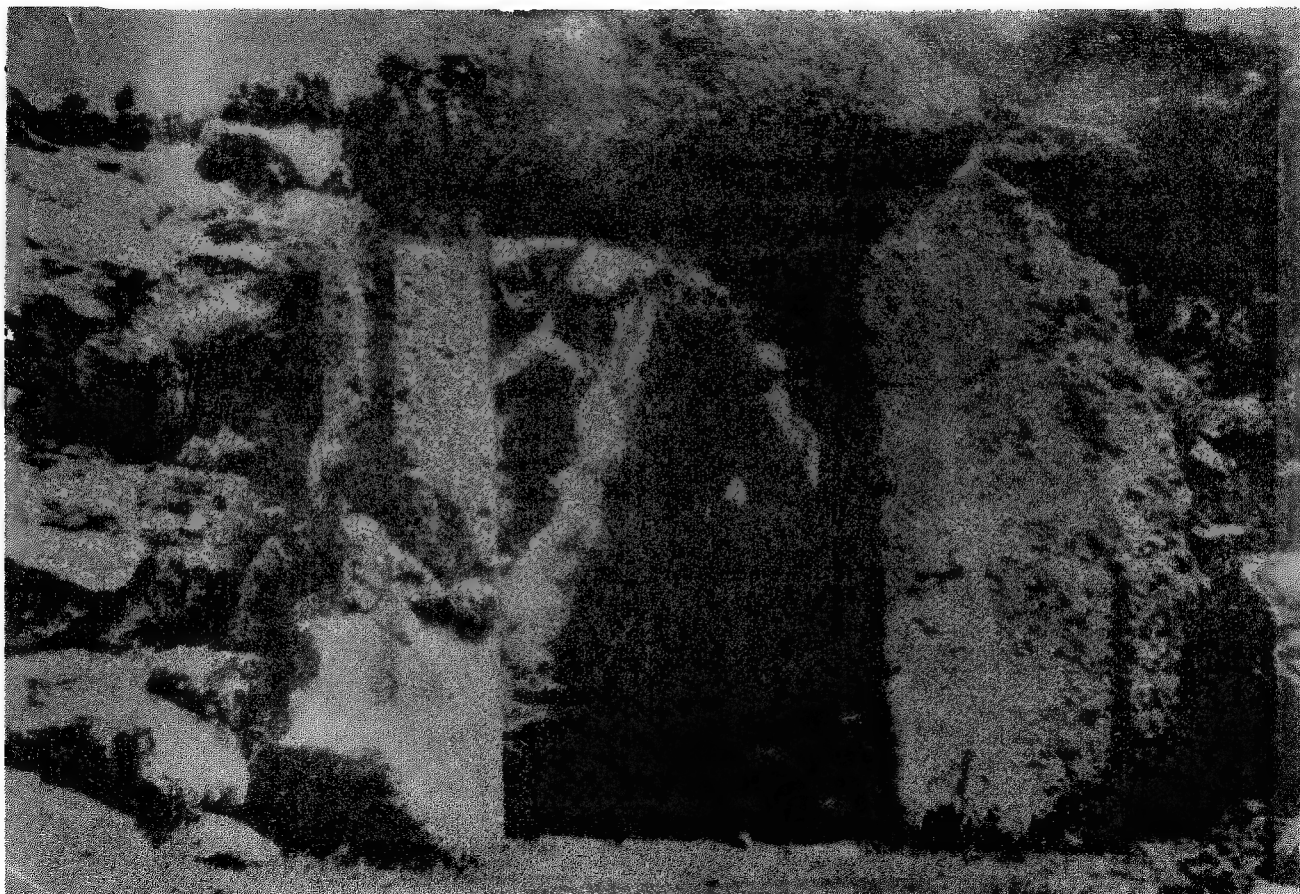


[صورة ٤١]

المركبات الخربية الثقيلة الحركة لجيش الحيثيين وكان يستخدمها ثلاثة من المحاربين .



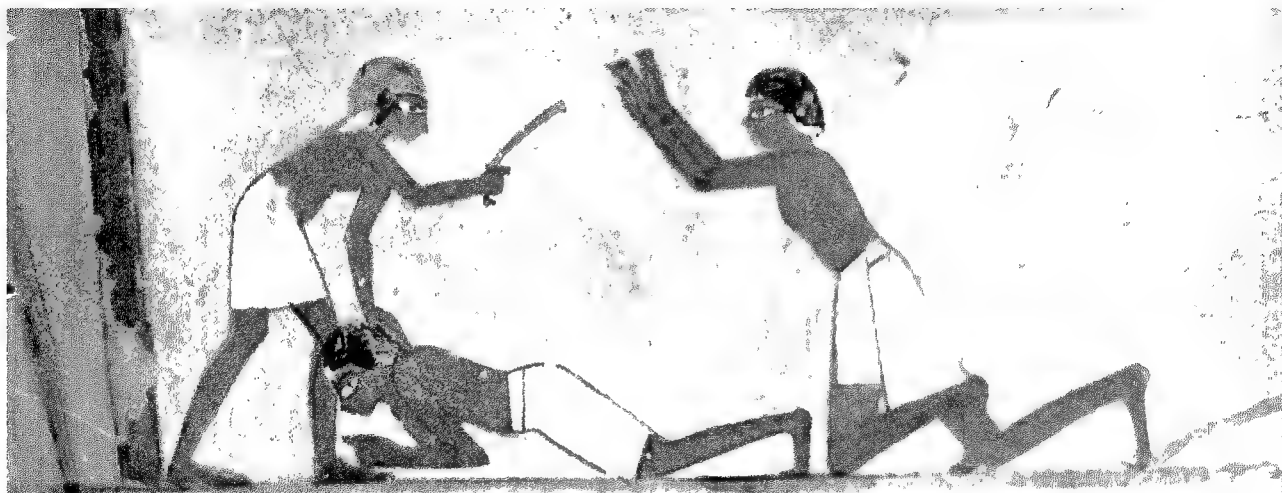
[صورة ٤٢]
الركبات الحربية المصرية الخفيفة والسريعة الحركة
وكان يستخدمها اثنان فقط من المحاربين .



[صورة ٤٣]
من آثار البوابة الجنوبية لعاصمة الحيثيين «خاتوشاش» .



[صورة ٤٤]
تمثال للملك رمسيس الثاني وعلى رأسه تاج الحرب .

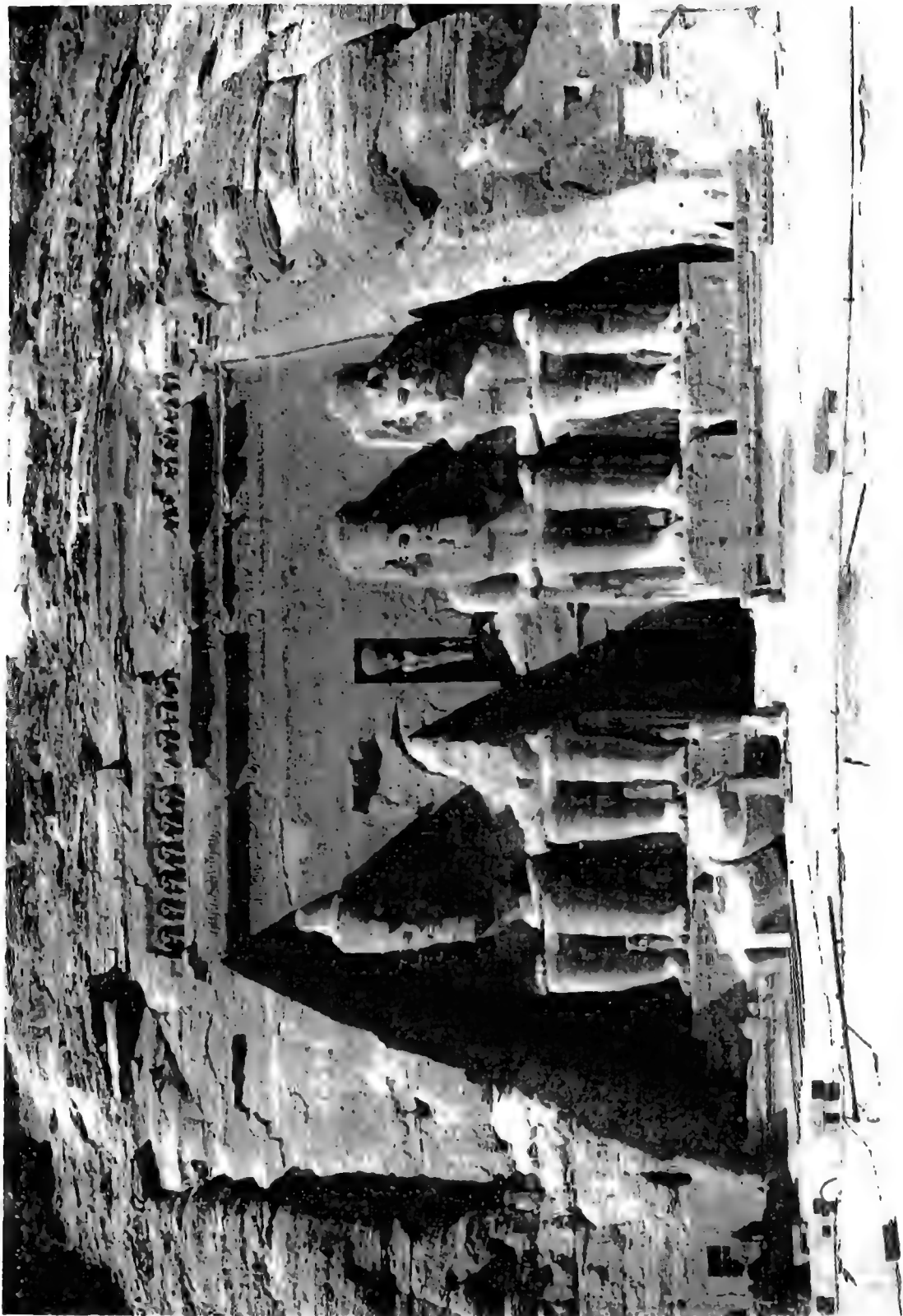


[صورة ٤٥]

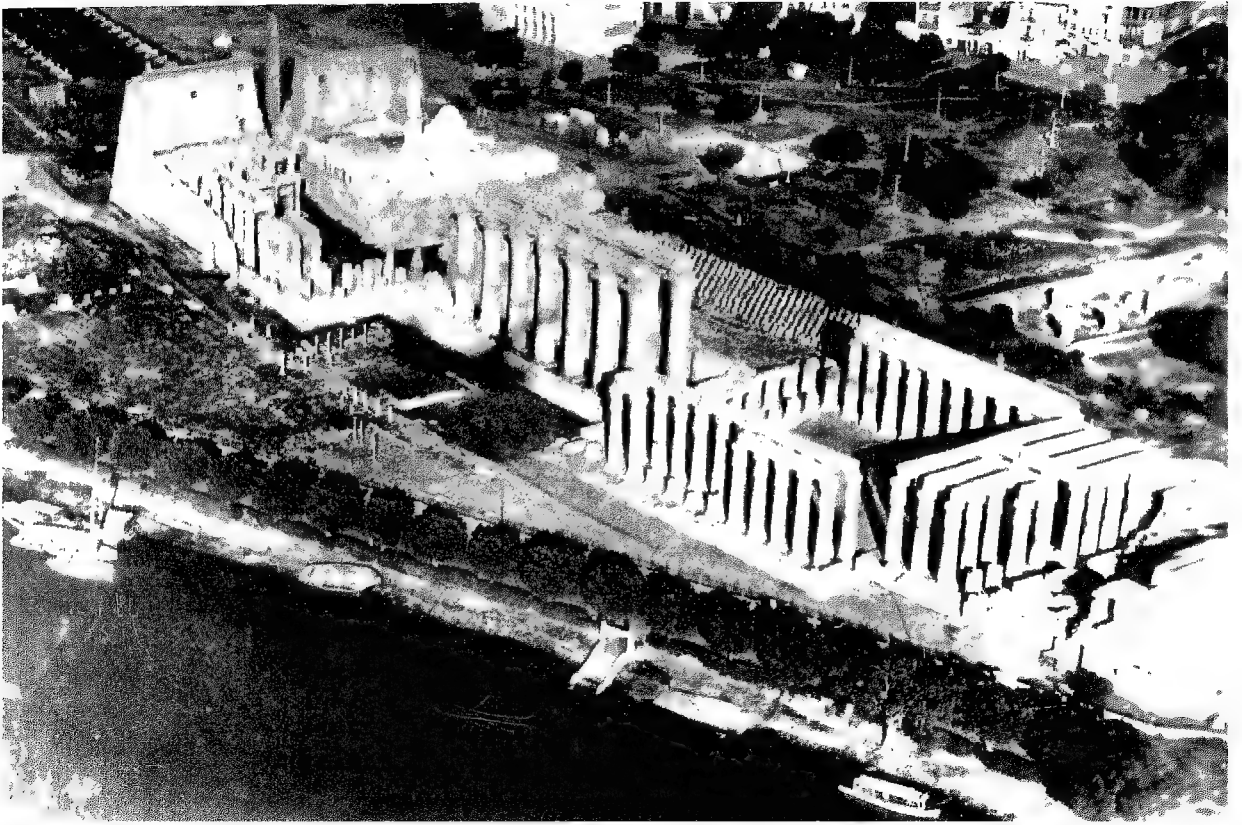
تأديب . نفلاح الذى لم يدفع الضرائب .
فألوا : قدم قمحا . ولكن لم يكن هناك شئ منه . ولذا فأنهم ضربوه بشدة .

[صورة ٤٦]

معبد أبو سمبل - لرمسيس الثانى .





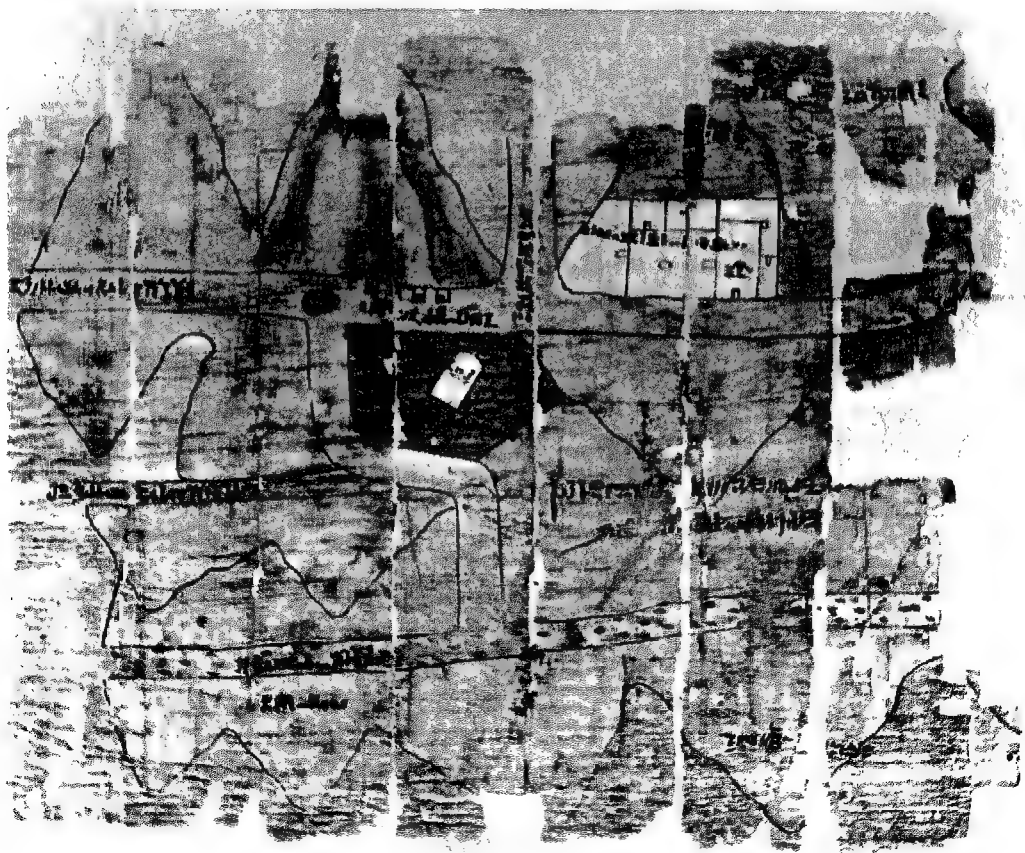


[صورة ٤٨]
منظر عام يبين ضخامة معبد الأقصر .

→ [صورة ٤٧]
مسلة الملك رمسيس الثاني بمعبد الأقصر .



[صورة ٤٩]
معركة حربية ضد شعوب البحر من عصر: بسموت الثالث



[صورة ٥٠]

خريطة مرسومة على بردية يرجع تاريخها إلى عصر الرعامسة تبين بعض مواقع
الحاجر ومناجم الذهب .

محتويات الكتاب

١	مقدمة وزير الثقافة
ح - ج	مقدمة المؤلف
ط - ل	مقدمة الترجمة
٢ - ع	مقدمة المراجع
١ - ١٣٣	الجزء الأول : مصر خلال عصر الامبراطورية
٩ - ٣	مقدمة : ظهور الطبقة العسكرية الجديدة وزوال نفوذ طبقة الموظفين المدنيين في طيبة
١١ - ٥٤	الفصل الأول : الجيش الامبراطوري للأسرة الثامنة عشر
١٣ - ٢٠	المبحث الأول : الجيش الامبراطوري في عصر الأسرة الثامنة عشر
٢١ - ٢٦	المبحث الثاني : السياسة الامبراطورية في النوبة ، ووظيفة «نائب الملك في كوش»
٢٧ - ٢٨	المبحث الثالث : بعض الملاحظات على تنظيم الجيش
٢٩ - ٣٠	المبحث الرابع : استخدام الجنود الأجانب في الجيش الامبراطوري للأسرة الثامنة عشر
٣١ - ٣٣	المبحث الخامس : المؤثرات الثقافية الأجنبية
٣٥ - ٣٨	المبحث السادس : الضباط المقاتلون
٣٩ - ٤٠	المبحث السابع : الدور التثقيفي للضباط المعلمين
٤١ - ٤٤	المبحث الثامن : الكتاب العسكريون
٤٥ - ٥٠	المبحث التاسع : دور الطبقة العسكرية الجديدة في المجتمع المصري
٥١ - ٥٤	المبحث العاشر : الخلفية التعليمية للضباط
٥٥ - ٧٤	الفصل الثاني : الوضع الاقتصادي والاجتماعي
٥٧ - ٦١	المبحث الأول : الأحوال الاجتماعية للطبقة العسكرية الجديدة في عصر الأسرة الثامنة عشر

٦٨ - ٦٣	المبحث الثاني :	الممتلكات العقارية لطبقة العسكريين
٧٤ - ٦٩	المبحث الثالث :	مركز الرقيق في مجتمع الأسرة الثامنة عشر
١٠٤ - ٧٥	الفصل الثالث :	الدور السياسي والاداري والأيدولوجي للطبقة العسكرية الجديدة قبيل أزمة العمارة
٨٥ - ٧٧	المبحث الأول :	امنتخب بن حابو
٨٩ - ٨٧	المبحث الثاني :	رعموزا .. الوزير وصاحب المناصب العسكرية
٩٣ - ٩١	المبحث الثالث :	ملاحظات اضافية عن «الكتاب العسكريين» و «الضباط المقاتلين»
٩٦ - ٩٥	المبحث الرابع :	الدلالات الخاصة بلقب «المشرف على الاعمال» والألقاب المشابهة الأخرى
٩٩ - ٩٧	المبحث الخامس :	وظيفة «مر - بر - ور» «المشرف على ادارة ممتلكات الخاصة الملكية»
١٠٢ - ١٠١	المبحث السادس :	وظيفة: «المشرف على كهنة جميع الآلهة»
١٠٤ - ١٠٣	المبحث السابع :	بعض الاعتبارات القانونية
١١٩ - ١٠٥	الفصل الرابع :	الخلفية الثقافية لطبقة العسكريين
١٠٨ - ١٠٧	المبحث الأول :	الخلفية الثقافية للضباط وتأثيرهم في فترة النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشر
١١٣ - ١٠٩	المبحث الثاني :	الجيش والمؤثرات الثقافية والدينية الوافدة من الوجه البحري
١١٩ - ١١٥	المبحث الثالث :	احياء التراث الثقافي القديم في فترة النصف الثاني من عصر الأسرة الثامنة عشر
١٣٣ - ١٢١	هوامش الجزء الأول	
١٢٣ - ١٢١	هوامش المقدمة	
١٢٩ - ١٢٥	هوامش الفصل الأول	
١٣٠ - ١٢٩	هوامش الفصل الثاني	
١٣٣ - ١٣١	هوامش الفصل الثالث	
١٣٣	هوامش الفصل الرابع	

الجزء الثاني : المشاكل الأيدولوجية والدينية والسياسية

٢٣١ - ١٣٥

بعد أزمة العمارة

١٣٨ - ١٣٧

مقدمة

١٦٥ - ١٣٩

الفصل الأول : الجيش وأزمة العمارة

١٤٤ - ١٤١

المبحث الأول : ارهاصات الأزمة الدينية والسياسية

١٦٥ - ١٤٥

المبحث الثاني : دور الجيش اثناء ثورة العمارة

١٨٤ - ١٦١

الفصل الثاني : النتائج العسكرية لثورة العمارة

١٦٥ - ١٦٣

المبحث الأول : الطبيعة العسكرية لنظام الحكم في عهد

«توت عنخ آمون» وعهد «آي»

١٧٢ - ١٦٧

المبحث الثاني : انتقال البلاط الملكي إلى منف بعد ثورة العمارة

١٨٤ - ١٧٣

المبحث الثالث : آي .. نقطة تحول نحو عصر تاريخي جديد

٢٠٥ - ١٨٥

الفصل الثالث : النتائج السياسية لثورة العمارة

١٩٢ - ١٨٧

المبحث الأول : الدلالة التاريخية لنص مرسوم نتويج حور محب

٢٠٥ - ١٩٣

المبحث الثاني : سياسة حور محب الاصلاحية

٢٢٣ - ٢٠١

الفصل الرابع : النتائج الدينية لثورة العمارة

٢٠٤ - ٢٠٣

المبحث الأول : مصير عقيدة النوحيد

٢١١ - ٢٠٥

المبحث الثاني : استعادة المركز «الالهى» للملك

٢٢٣ - ٢١٣

المبحث الثالث : تفسير المواقف الدينية والسياسية

والاجتماعية ضد الديانة الآتونية

٢٣١ - ٢٢٥

هوامش الجزء الثاني

٢٢٦ - ٢٢٥

هوامش الفصل الأول

٢٢٨ - ٢٢٦

هوامش الفصل الثاني

٢٢٩

هوامش الفصل الثالث

٢٣١ - ٢٢٩

هوامش الفصل الرابع

الجزء الثالث :	الامبراطورية المصرية في عصر الرعامسة	٢٣٣ - ٣٧٠
الفصل الأول :	اعادة تنظيم الامبراطورية	٢٣٥ - ٢٥٧
المبحث الأول :	ارتقاء رمسيس الأول عرش مصر	٢٣٧ - ٢٣٨
المبحث الثاني :	الشئون الخارجية	٢٣٩ - ٢٤٢
المبحث الثالث :	ملاحظات حول معركة قادش	٢٤٣ - ٢٥٣
المبحث الرابع :	التحصينات العسكرية المصرية	٢٥٥ - ٢٥٧
	على طول الشاطئ الغربى	
الفصل الثانى :	الظاهرة العسكرية في عصر الرعامسة	٢٥٩ - ٢٨١
المبحث الأول :	الطبيعة العسكرية لمصر	٢٦١ - ٢٧١
المبحث الثانى :	الحالة الاجتماعية لأفراد الجيش	٢٧٣ - ٢٨١
الفصل الثالث :	تدهور الامبراطورية المصرية	٢٨٣ - ٣٢٧
المبحث الأول :	تغيرات عضوية وجيوبوليتيكية	٢٨٥ - ٢٨٦
	في خريطة العالم القديم	
المبحث الثانى :	الطبيعة العسكرية والمعابد في عصر الرعامسة	٢٨٧ - ٢٨٩
المبحث الثالث :	الأمراء والوزراء والعسكريون	٢٩١ - ٢٩٤
المبحث الرابع :	تقلد الضباط للوظائف الادارية	٢٩٥ - ٣٠٤
	والكهنوتية في المعابد ونمو الطبقة الكهنوتية العسكرية	
المبحث الخامس :	أسرة «أسرة رمسيس نحت» كبير كهنة آمون	٣٠٥ - ٣٠٧
المبحث السادس :	تجنيد الاجانب في جيش الرعامسة	٣٠٩ - ٣١٨
المبحث السابع :	الأزمة الاقتصادية في أواخر الدولة الحديثة	٣١٩ - ٣٢٧
الفصل الرابع :	الحياة الدينية في عصر الرعامسة	٣٢٩ - ٣٥٤
	وانهيار الامبراطورية المصرية	
المبحث الأول :	الصراع بين العسكريين وكهنة طيبة	٣٣١ - ٣٣٢
المبحث الثانى :	التوحيد وتعدد الآلهة في الامبراطورية المصرية	٣٣٣ - ٣٣٩
المبحث الثالث :	عبادة أوزيريس في عصر الرعامسة	٣٤١ - ٣٤٣
المبحث الرابع :	العرافة والعقائد الشعبية في عصر الرعامسة	٣٤٥ - ٣٤٧
المبحث الخامس :	نفوذ الكهنة وملاحم الحكم	٣٤٩ - ٣٥٤
	الدينى في أواخر الدولة الحديثة	

٣٥٧ - ٣٥٥

خاتمة

٣٦٤ - ٣٥٩

ملحق : شواهد من جباله طيبة

٣٧٠ - ٣٦٥

هوامش الجزء الثالث

٣٦٦ - ٣٦٥

هوامش الفصل الأول

٣٦٧ - ٣٦٦

هوامش الفصل الثاني

٣٦٩ - ٣٦٨

هوامش الفصل الثالث

٣٧٠ - ٣٦٩

هوامش الفصل الرابع

٣٨٥ - ٣٧١

الفهارس

٣٨٠ - ٣٧١

الأعلام

٣٨٥ - ٣٨٠

المدن والبلاد والاماكن

٤٠٠ - ٣٨٧

المراجع

٣٨٧

مراجع عربية

٤٠٠ - ٣٨٨

مراجع أجنبية

٤٠٥ - ٤٠٣

الخرائط

٤٥٢ - ٤٠٧

الصور

٤٥٨ - ٤٥٣

محتويات الكتاب



د . احمد قدرى

- ★ بكالوريوس علوم عسكرية الكلية الحربية فبراير ١٩٥٠
- ★ بكالوريوس علوم جوية الكلية الجوية يوليو ١٩٥١
- ★ ليسانس حقوق جامعة القاهرة مايو ١٩٦٤
- ★ دبلوم دراسات عليا فى الآثار المصرية كلية الآثار جامعة القاهرة مايو ١٩٧٣
- ★ دبلوم دراسات عليا فى الآثار الاسلامية كلية الآثار جامعة القاهرة مايو ١٩٧٦
- ★ دكتوراه الفلسفة فى الآثار المصرية اكاديمية العلوم الجيزة مايو ١٩٧٨
- رئيس هيئة الآثار المصرية .
- عضو المجلس الأعلى للثقافة .
- عضو المجمع العلمى المصرى .
- عضو شعبة الثقافة بالمجالس القومية المتخصصة .
- عضو مقرر لجنتى الآثار المصرية والاسلامية وعضو لجنة التراث بالمجالس القومية المتخصصة .

- عضو مجلس ادارة اكاديمية الفنون وكلية الآثار جامعة القاهرة .
- عضو المراكز والمجالس العلمية التالية :
 - المعهد الأثرى الالماني بالمانيا الغربية - مجلس المتاحف العالمى - مجلس الترميم العالمى - المجلس العالمى لصيانة المناطق الاثرية - جمعية الاستكشافات المصرية بالمملكة المتحدة - مركز شامبليون بباريس - المركز القومى للبحث العلمى بفرنسا .
- اشرف على مشروعات انقاذ معابد فيلة والنوبة فى المدة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٧ فى اطار الحملة الدولية لانقاذ آثار النوبة مع اليونسكو .
- خبير ادارة التراث العالمى باليونسكو لمشروعى انقاذ آثار مدينتى صنعاء باليمن الشمالية وفاس بالمملكة المغربية .
- وسام الفنون والآداب من الطبقة الأولى وأوسمة شرفية من المانيا الغربية - فرنسا - البرتغال - النمسا - النيجر .

كتب تحت الطبع

- ١ - تراثنا القومي بين التحدى والاستجابة
منجزات ١٩٨٢ - ١٩٨٥
اعداد وصياغة
د. أحمد قدرى
عاطف عبد الحميد
آمال صفوت
- ٢ - المسلات المصرية
تأليف : لبيب حبشى
ترجمة : د. أحمد عبد الحميد يوسف
- ٣ - تاريخ العمارة فى مصر
تأليف : د. كمال الدين ساع
٤ - العمارة المصرية القديمة (جزء أول)
تأليف : د. اسكندر بدوى
ترجمة : د. محمود عبد الرازق - صلاح رمضان
- ٥ - دراسات فى اللغة المصرية القديمة
تأليف : أحمد باشا كمال
- ٦ - نصوص الشرق الأدنى القديمة
ترجمة : د. عبد الحميد زايد
مراجعة : محمد جمال الدين مختار
- ٧ - الديانة المصرية القديمة
تأليف : ياروسلاف تشرنى
ترجمة : د. أحمد قدرى
مراجعة : د. محمود ماهر

دار البساتين للنشر والتوزيع
٢٩ شارع الفجالة ١١٢٧١ القف هرة
س.م.ن / ٣١٤٠٠١ - ب.م.ن ١٤ ١
م.م.ن: ٥/٤١٦٦/٢٤/١٩١ مدينة نصر

رقم الايداع ٤٦٥٥ / ١٩٨٥
مطبعة هيئة الآثار المصرية

